مجلة رُؤى

مجلـة موسوعيّة
تخصّصية نصف
سنوية تعنى بشؤون
الفكر الإسلامي

تصدر عن مركز الإمام الصادق عليه السلام للدراسات والبحوث الإسلامية التخصصية

العـــدد الحادي عشر - شهر محرم الحرام، السنة السابعة ١٤٤٨ هـ - ٢٠٢٦ م

❁المشرف العـــام:	الشيخ ميثم طالب الفريجي
❁رئيـــس التحرير:	الشيخ عبد الحكيم الخزاعي
❁المـــدير الإداري:	الشيخ علي الخفاجي
❁المـــدير التنفيـــذي:	الدكتور سليم الحساني
❁هيئـــة التحرير:	م. د. ناطق عبد الستار
	الشيخ هاشم الكندي
❁العلماء في الهيئة الأستشارية للمجلـــة:	أ. د حسن الحكيم
	أ. د الشيخ كريم السراجي
	أ. د. السيد عبدالرزاق العرباوي
	أ. م جاسم القرقولي
	سماحة الشيخ الدكتور طلال الحسن
	سماحة الشيخ الدكتور حسين الخشن
	أ. د. فوزي العلوي
	سماحة الشيخ الدكتور أيمن المصري
❁المراجـــع اللغوي:	الاستاذ إحسان طالب
❁الإخـراج والتنظيـم:	المهندس عـلاء عباس

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد الرقم هو (٢٧٩٣) لسنة ٢٠٢٤

شروط النشر في مجلة رؤى

١. تستقبل المجلة المساهمات للمشاركة في اعدادها المختلفة، وقد ترصد مكافئات محددة ازاء بعض المشاركات المتميزة.

٢. إنَّ هدف المجلة فتح أبواب المعرفة ونشرها، لذا لا مانع من ان يكون البحث او المقال منشوراً سابقاً اذا حددت اللجنة العلمية في المجلة انه مما ينفع نشره مرة اخرى لما فيه من اهمية.

وتكون الأولوية للبحوث غير المنشورة سابقاً.

٣. ان يكون البحث وفق منهج البحث العلمي وفيه من الجدة والاختصاص والاختصار ما يؤهله للنشر.

٤. ان يكون العنوان قصيراً وواضحاً ومتطابقاً مع المضمون.

٥. ان يتم الاستشهاد على الافكار بما يؤيدها او يثبتها من الادلة او النصوص المعزوة الى مصادرها.

٦. اختيار موضوعات ذات جدة ومعاصرة او مقالات تتناول القديم بالعرض الحديث او النقد البنّاء.

٧. المجلة غير ملزمة بالنشر بعد الاستلام، ولا باعادة المادة ان لم يتم النشر

٨. تخضع المادة العلمية لتقييم اللجان المختصّة في المركز.

٩. لا تعبّر البحوث المنشورة عن رؤية المجلة بالضرورة.

١٠. للمجلة حق إعادة نشر البحوث المقدمة بصورة كتاب مستقل او ضمن مجموعة بحوث بلغتها الاصلية او عبر ترجمتها.

١١. يخضع ترتيب المنشورات لاعتبارات فنية ولا يعبّر بالضرورة عن مكانة الكتّاب الكرام.

تصل المشاركات عبر ايميل المركز او البوت الخاص بالمجلة على برنامج التلكرام:

١- الايميل: ruaa6055@gmail. com

٢- البوت على التلكرام: IMAM_sadg_bot@

٣- الرقم: ٠٧٧٢٢٣٥٢٨١٦ على التلكرام والواتساب.

في هـــــذا العـــــدد

*كلمة العدد: هل كان الشيخ الطوسي (قدس سره) هو المؤسّس الفعلي للحوزة العلمية الدينية في النجف الاشرف؟ بقلم: الشيخ ميثم الفريجي ٥

فقه التحري القضائي عند الأمام علي (عليه السلام) بقلم الشيخ محمد رضا الساعدي ١٥

السيدة الزهراء عليها السلام في فكر سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي "دام ظله"،دراسة في الابعاد العقائدية والرسالية عبر كتبه وخطاباته الدكتورة بشرى الزويني ٥٨

منهج السنن في القرآن الكريم بين المرجعين الشيخ محمد اليعقوبي والسيد الشهيد باقر الصدر(قدس سره) الدكتور أحمد حميد الموسوي ١٠٢

كتاب ما وراء الفقه رؤية تجديد لربط الفقه بالعلوم المعاصرة ، بقلم: نافع علوان الشاهين ١١٨

قواعد المسيرة الإيمانية، قراءة في خطاب المرجع اليعقوبي (دام ظله) في الأعياد الثلاث بقلم: جاسب المحمداوي ١٣٠

اصالة الماهية دراسة تحليلية نقدية على ضوء آراء السيد الداماد، بقلم: محمد الخالدي ١٨٤

اللغة الدينية في علم الكلام الجديد مبادئها الفلسفية والكلامية، بقلم: الشيخ عبد الحكيم الخزاعي ٢٥١

*ملف العدد: الصهوينة من المعتقد الى بناء اسرائيل الكبرى -اضواء على الصراع الاسلامي الصهيوني

-المعتقدات اليهودية في الألوهية والنبوة، بقلم :الشيخ ارشد اللامي ٢٦٤

-المقاومة والعرفان في سلوك السيد الشهيد حسن نصر الله (قدس سره)،بقلم: الشيخ هاشم الكندي..... ٢٨٠

-جريمة العدوان الأمريكي والصهيوني على البلدان الإسلامية في الشرق الأوسط (٨ نيسان ٢٠٢٦م)أبعادها القانونية وأثارها السياسية، بقلم: الدكتور عمار طعمة الحميداوي ٣٤٢

* علماء مجددون (الف عام على تأسيس الشيخ الطوسي(قدس سره) لحوزة النجف الاشرف)

عندما يُشعل الرمادُ سراجَ العلم هجرة الشيخ الطوسي وميلاد حوزة النجف الأشرف، السيد فاضل حاتم الموسوي ٣٨١

شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (رضوان الله عليه) أمجاد زاهرة وتاريخ مشرق بقلم: الدكتور سليم الحساني ٣٨٥

التأويل اللغوي لمختلف الحديث في كتاب الإستبصار للشيخ الطوسي، (تطبيقات على كتاب الطهارة) بقلم: الشيخ عماد فتيل الغراوي ٤٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم
وقل رب زدني علما

كلمة العدد:

هل كان الشيخ الطوسي (قدس سره) هو المؤسّس الفعلي للحوزة العلمية الدينية في النجف الاشرف؟

بقلم: الشيخ ميثم الفريجي

هل كان الشيخ الطوسي (قدس سره) هو المؤسّس الفعلي للحوزة العلمية الدينية في النجف الاشرف، أو هو مكمّل لما سبقه وأنَّ الحوزة العلمية كان لها وجودٌ فعليٌّ قبل مجيئه واستقراره بجوار ضريح أمير المؤمنين (عليه السلام). في مقام الجواب عن هذا التساؤل تبرز اطروحتان:

الأولى: إنَّ الحركة العلمية الدينية قد انطلقت في النجف الأشرف قبل مجيء الشيخ الطوسي إليها بأعوام كثيرة، وإنَّ طلاب العلوم الدينية قد وفدوا على النجف الأشرف، وأقاموا نواة الحوزة العلمية، منذ الأيام الأُولى بعد تخفيف الطوق على مرقد الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وكان التحاق الشيخ الطوسي (قدس سره) عام ٤٤٨ هـ ١٠٢٧ م من قبيل اطلالة بدر منير على النجوم المضيئة في السماء العلمي والديني والفكري للنجف حيث غيّر المعالم العلمية والفكرية في هذه الحوزة المباركة، وبعث فيها روحاً : جديدة، وأوجد نهضة علمية في النجف الأشرف لم تعهدها من قبل.

الثانية: أنَّ الجامعة العلمية الدينية في المشهد العلوي قد تكونت على يد شيخ الطائفة الشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي بعد خروجه من فتن بغداد والنزاعات الطائفية الّتي أدّت إلى إحراق مكتبته وكرسيّه لتدريس علم الكلام ووفوده إلى النجف عام ٤٤٨ هـ: ١٠٢٨ م.

وقد أُستدل للأطروحة الأولى بجملة من الأدلة والشواهد والنقولات التأريخية أستعرضها عدد من المؤلفين في كتبهم ومقالاتهم.

منها: إنَّ نقابة المشهد العلوي الّتي هي مركز اجتماعي مرموق كانت موجودة في النجف الأشرف منذ الأيام الأُولى من سكنى الناس حول قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) وهي أقرب إلى المنصب الروحي والعلمي من كونها وراثيّة.

وقد ذكرت الكتب التاريخية أنَّ عدداً من الأعلام تولّوا نقابة المشهد العلوي، منهم السيد شريف الدين محمّد المعروف بابن السدرة أقام في النجف عام ٣٠٨ هـ ٨٨٧ م حتّى توفّى فيه، وكذلك ناصر الدين مطهر بن رضي الدين محمّد بن الحسين وقد تولّى نقابة المشهدين العلوي والحسيني (عليهما السلام).

ولمَّا كانت النجف الأشرف مدينة مقدسة لضمّها جثمان وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كانت النقابة للسادة من أولاده، وبما أنَّ المقام الروحي للعلماء والفقهاء أفضل وأشرف من غيرهم، كانت النقابة للعالم منهم وكان نقيب الأشراف من العلماء المنحدرين من سلالة أمير المؤمنين والسيدة الزهراء (عليهما السلام).

وأجيب عنه: لا شك في أنَّ النقابة كانت تعدّ من المراكز الرفيعة، وأنَّ النقيب كان يتقدم على رجال الدولة بأسرهم، وأنَّ الخلفاء العباسيّين قد عهدوا إلى نقيب الأشراف إمارة الحاج وديوان المظالم، واستمر هذا الاحترام والتكريم حتّى حلول أيام العثمانيين الأتراك.

يقول الرحّالة ابن بطوطة: (ونقيب الأشراف مقدم من ملك العراق ومكانه عنده مكين ومنزلته رفيعة وله ترتيب الأُمراء الكبار في سفره وله الأعلام والأطبال وتضرب الطبلخانة عند بابه مساءً وصباحاً. وإليه حكم هذه المدينة ولا والي بها سواه، ولا مغرم

فيها للسلطان ولا لغيره وكان النقيب ـ في عهد دخولي إليها ـ نظام الدين حسين بن تاج الدين الآوي نسبة إلى بلدة آوه من عراق العجم أهلها رافضة . وكان قبله جماعة يلي كلّ واحد منهم بعد صاحبه: منهم جلال الدين بن الفقيه ومنهم قوام الدين بن طاووس ومنهم ناصر الدين مطهر بن الشريف الصالح شمس الدين محمّد الأوهري من عراق العجم وهو الآن بأرض الهند من قدماء ملكها ومنهم أبو غرّة بن سالم بن مهنى بن جماز بن شيحة الحسيني المدني)[١].

والجواب عنه: هذا بحدّ ذاته لا يكشف عن وجود حوزة علمية منتظمة في الدرس والتدريس والتأليف وقيادة زمام الأمور الدينية، بل هو مجرد ترتيب اداري للنقابة وبيان منزلتها المعنوية، وربما إدارة بعض الأمور المتعلقة بالضريح الشريف، بل لم ينقل في التاريخ أنّ فقيهاً عالماً فاضلاً قد تصدّى لهذا المركز الرفيع ليقال أنّه كان القطب للتدريس ومن حوله طلبته وطلبتهم لينتج عن وجود حوزة منتظمة آنذاك.

ويكشف عن ذلك قولهم: (وهذا المركز أقرب إلى الروحي من غيره) فهو يعني العدالة والورع والتقى، لا العلم والدرس والتدريس والبحث والتحقيق.

ومنها: أنَّ الكوفة كانت مدرسة علمية مشهورة ، في ذلك الوقت ، وكان فيها نشاط علمي ظاهر ، وعدد من الشخصيات العلمية المعروفة في مجال اللغة والنحو والفقه والحديث.

ومعه يمكن تصوّر أنْ تكون النجف امتداداً لمدرسة الكوفة ، بحيث تكون فيها شخصيات علمية ، أو دروس علمية ممَّا يدخلها في عنوان الحوزة العلمية وحركتها ولو بمقدار محدود.

وجوابه: أنَّ وصف مدرسة النجف بأنَّها امتداد لمدرسة الكوفة آنذاك ، قبل مجيء الشيخ الطوسي وتسيده منبر الدرس في النجف، فهذا أول الكلام ولا نراه ظاهراً . بل لو كان لما عدّ حوزة علمية منتظمة تقدم أصناف العلم والمعارف.

نعم بعد وصول الشيخ الطوسي الى النجف وقيامه بمسؤولية بناء صرح الحوزة العلمية الشريفة في جوار مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) ، صارت النجف حوزة منتظمة تقدم أصناف العلم والمعارف.

ومنها: ما ذكره السيد ابن طاووس غياث الدين عبد الكريم بن أحمد، من أنّ فناخسرو الملقّب بعضد الدولة الّذي كان وزير الطائع لله أبو الفضل عبد الكريم العباسي عندما قام بزيارة المشهد العلوي الطاهر عام ٣٧١ هـ وتصدّق وأعطى الناس على اختلاف طبقاتهم كان نصيب الفقراء والفقهاء، ثلاثة آلاف درهم.

فتوزيع الأموال على الفقهاء عام ٣٧١ هـ ٩٥١ م خير دليل على تواجد الفقهاء والعلماء في النجف الأشرف وتكوين الحوزة قبل وفود شيخ الطائفة عليها بنصف قرن تقريباً.

ويلاحظ عليه: أنَّ هذه الرواية غير ظاهرة في وجود حوزة وصرح علمي منتظم بدروس وحلقات ومعارف ونحوها، ولعلّ المقصود من الفقهاء علماء البلد الّذين يتصدّون للشؤون الدينية في المجتمع الإسلامي من إقامة صلاة الجماعة وإجراء عقد النكاح والتحكيم بين الناس لفضّ الخصومات، وبيان المسائل الشرعية وهم قليلون جداً.

ومنها: صدور إجازات لنقل الحديث من عالم لآخر في مدينة النجف الأشرف وقرأت فيها روايات على بعض العلماء والمحدّثين قبل وفود الشيخ الطوسي على هذه البلدة المباركة. ومن أمثلة ذلك:

أوّلاً: إن محمّد بن عليّ بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (قدس سره) قد سمع من شيخه محمّد بن عليّ بن الفضل الكوفي عام ٣٥٤ هـ في مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو في طريقه إلى الحج.

ثانياً: قال النجاشي في ترجمة الحسين بن أحمد بن المغيرة (أبو عبد الله البوشنجي) كان عراقياً مضطرب المذهب وكان ثقة فيما يرويه. له كتاب "عمل السلطان" أجازنا بروايته أبو عبد الله بن الخمري (الحسين بن جعفر بن محمّد المخزومي المعروف بابن الخمري الكوفي) الشيخ الصالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) سنة أربعمائة عنه.

فسماع الشيخ الصدوق من شيخه كان في مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) عام ٣٥٤ الهجري. وصدور الإجازة من أبي عبد الله الخمري للنجاشي في المشهد العلوي عام ٤٠٠ بعد الهجرة خير شاهد ودليل على أنّ الحوزة العلمية كانت قائمة، والعلماء كانوا يتداولون الأبحاث العلمية والدراسات الفقهية قبل ولادة الشيخ الطوسي، حيث انه ولد عام ٣٨٥ هـ ٩٦٤ م وقبل أنْ يلقى عصا رحله في النجف الأشرف عام ٤٤٨ هـ

وجوابه: أن مجرد استحصال النجاشي لإجازة نقل الرواية من أبي عبدالله بن الخمري في الغري، واستماع الشيخ الصدوق للأحاديث من شيخه بن الفضل في المشهد العلوي (عليه السلام)، لا يكفي دليلاً على أن البلد الّذي يحتضن اللقاء العلمي والفكري يكون حوزة وصرحاً ومركزاً علمياً، ومحلاً لتجمع العلماء. وذلك إننا نعثر

على شخصيات علمية كبيرة التقوا بأندادهم، وتبادلوا الروايات والأحاديث المأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام)، أو استجاز أحدهم الآخر لنقل كتاب علمي أو رواية شريفة، في أماكن لا تكون محلاً للنشاط العلمي والفكري والروائي أبداً. وربما من أمثلة ذلك:

أوّلاً: أنّ أبا الحسن عليّ بن بابويه والد الصدوق المتوفى عام ٣٢٩ هـ ١٠٨٢ م رحمة الله عليهما، قد روى عن شيخه إبراهيم بن عمروس الهمداني في همدان. كما أن محمّد بن عليّ بن بابويه القمي قد كتب إجازة لفضل بن الفضل بن العباس بهمدان عام ٣٥٤ هـ ٩٣٣ م مع أن مدينة همدان لم تكن آنذاك مركزاً للعلم والعلماء، رغم أنها حظيت بوكلاء نوّاب الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) حيث كان كلّ من القاسم بن محمّد بن عليّ بن إبراهيم الهمداني ووالده محمّد وجده عليّ بن إبراهيم وكلاء لنواب الإمام المهدي (عليه السلام) في هذا البلد أيام الغيبة الصغرى

ثانياً: قرأ الشيخ الصدوق على شيخه الحسين بن محمّد الأشنائي الرازي العدل في مدينة بلخ. ولم نعهد في التاريخ أنّ هذه المدينة كانت محلا لتجمع العلم والعلماء وخاصة علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري.

ثالثاً: روى جعفر بن محمّد بن إبراهيم عن أبي الحسين بحلب. ولم تقم شواهد تاريخية على وجود تجمع للعلماء وحوزة علمية في حلب في القرن الرابع الهجري الّذي عاش فيه جعفر بن محمّد بن إبراهيم.

وعليه نقول انّ مدينة النجف الأشرف لم تتمتع بحركة علمية قبل وفود شيخ الطائفة إليها، رغم حصول بعض الإجازات لنقل الرواية، وحصول استماع بعض الروايات من كبار العلماء والمحدّثين في مشهد إمامنا ومولانا

عليّ بن أبي طالب (عليه السلام). لقد كانت ولا تزال مدينة النجف الأشرف ملتقى العلماء والمحدّثين القادمين من البلاد المختلفة وذلك ببركة مرقد إمام المتقين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، حيث أن المؤمنين وخاصّة العلماء يتهافتون على زيارة المرقد الطاهر لا سيّما في المناسبات الخاصّة ويوصون أولادهم بدفن جثمانهم عند قبر عليّ بن أبي طالب(عليه السلام). ومن الطبيعي أن تتم لقاءات كثيرة في هذا المشهد المبارك بين العلماء، وأن تصدر الإجازة من بعضهم لآخر على نقل حديث أو استماع بعضهم لقراءة حديث الآخر. كما كان الأمر كذلك في مكة لدى موسم الحج. حيث ورد في ترجمة حياة عليّ بن عثمان بن خطاب (كتب عنه أحاديث أمير المؤمنين (عليه السلام) من المصريين والشاميين والبغداديين وغيرهم ممن حضر موسم مكة سنة ٣٠٩ هـ ٨٨٨ م أيام المقتدر) فكلّ ذلك شاهد ودليل على أن النجف الأشرف لم تحتضن الحوزة العلمية قبل وفود الشيخ الطوسي إليها رغم اللقاءات المتكررة بين العلماء وصدور الإجازات في نقل الحديث والكتاب في هذا المشهد الكريم.

ومنها: أنشد الشاعر أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن الحجّاج عندما زار النجف الأشرف في أواخر القرن الرابع الهجري قصيدة مطلعها:

يا صاحب القبة البيضا على النجف من زار قبرك واستشفى لديك شفي
وقل سلام من الله السلام على أهل السلام وأهل العلم والشرف

فيقال بأنَّ المعنيِّ من قوله "أهل العلم" العلماء والمحدّثون الّذين كانوا في النجف الأشرف قبل حلول الشيخ الطوسي فيها.

إنّ بن الحجاج المتوفّى عام ٣٩١ هـ ٩٧٠ م من الشعراء العراقيين المعروفين وأنّه أنشد قصائد كثيرة في الجد والهزل. كما أنشد قصائد في مدح أهل البيت (عليهم السلام) منها الأبيات المذكورة، والظاهر من سياق هذه الأبيات أنّ الشاعر يخاطب صاحب القبة الإمام عليّ (عليه السلام) وهو أهل السلام والشرف والعلم دون سكان النجف الأشرف من العلماء والفقهاء.

ومنها: كانت هناك بيوتات علمية لامعة في النجف الأشرف في قرني الرابع والخامس الهجري، مثل آل شهريار وآل طحال وغيرهما، وقد تشرّفت هذه الأُسر بالعلم وسدنة الروضة الحيدرية. وهذا دليل على أنّ النجف الأشرف قد حظيت بجامعة علمية في القرن الرابع قبل وصول شيخ الطائفة إليها من خلال هذه البيوت العلميّة.

ولوحظ عليه: انه لا شك في أنّ آل شهريار من الأُسر العلمية العريقة في النجف الأشرف ولكنها كانت في أوائل القرن الخامس ـ يقول الشيخ جعفر باقر آل محبوبة (عرفت آل شهريار ـ بالنجف واشتهرت أوائل القرن الخامس الهجري على عهد شيخ الطائفة الشيخ الطوسي)[٢]. ويقول صاحب طبقات أعلام الشيعة: (أحمد بن شهريار الخازن أبو النصر والد أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن شهريار الخازن للحضرة الغروية والراوي عن الطوسي) فلا نجد في هذه العائلة الكريمة شخصية تتمتع بالعلم قبل وصول الشيخ الطوسي إلى هذه البلدة الطيبة.

وكذلك آل طحّال حيث انهم أيضاً من الأُسر العلمية القديمة في النجف الأشرف. يقول الشيخ جعفر باقر آل محبوبة (آل طحّال من أُسر العلم

القديمة في القرن الرابع عرفت في النجف في ذلك العصر)، ويستمر قائلا في ترجمة الشيخ حسن بن محمّد بن الحسين بن أحمد بن محمّد بن عليّ بن طحّال المقدادي: (كان من خدّام الحضرة العلوية وخزّانها اشترك مع والده في نقل الكرامة الّتي وقعت في نوبتهما عام ٥٧٥ هـ ونقل هو كرامات دفعت في عصره من القبلة العلوية في سنة ٥٨٤ وفي سنة ٥٨٧ هـ) [٣].

فلم يثبت وجود عالم واحد من هذه الأُسرة الكريمة آل طحّال قد عاش في النجف الأشرف قبل وصول الشيخ الطوسي إليها.

ومجرد كون المتصدي للخزانة العلوية من الأُسرتين آل شهريار وآل طحال من ذوي العلم والفضيلة، لا يكون دليلا على أنهم تعلموا وتفقهوا في الحوزة العلمية الدينية في النجف الأشرف إذْ يمكن أنْ تكون دراستهم في الكوفة أو بغداد من المدن الّتي احتضنت الجامعات الدينية العلمية آنذاك، ثم جاؤوا إلى النجف واستقروا فيها وأصبحوا من علماء البلاد.

وغير ذلك مما ذكر في كلماتهم من شواهد للاستدلال على المدّعى من أن النجف الأشرف كانت مدينة علم وحوزة للعلماء يقدم إليها طلاب العلوم الدينية ويدرسون فيها ويتخرجون منها. ولكن المناقشة ظاهرة في كل ذلك.

وبذلك يثبت رجحان الأطروحة الثانية من أنَّ الحوزة والجامعة العلمية الدينية في المشهد العلوي قد تكونت على يد شيخ الطائفة الشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي بعد خروجه من فتن بغداد والنزاعات الطائفية الّتي أدّت إلى إحراق مكتبته وكرسيّه لتدريس علم الكلام ووفوده إلى النجف عام ٤٤٨ هـ: ١٠٢٨ م.

وهذا لا ينفي وجود علماء وفقهاء في النجف الاشرف قبل مجيء شيخ الطائفة، بحيث كانوا يعيشون بجوار المرقد الشريف فهو أمر محتمل ومقبول في حد نفسه، ولكن لا يصل الى مرحلة وجود حوزة علمية منتظمة كما أشرنا .

ميثم الفريجي

النجف الأشرف

٢ محرم الحرام ١٤٤٨ هـ

الهوامش

(١) كتاب رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي: ج ١، ص ١٣٦

(٢) ينظر: كتاب ماضي النجف وحاضرها.

(٣) ينظر: كتاب ماضي النجف وحاضرها.

فقه التحري القضائي عند الأمام علي (عليه السلام)

بقلم الشيخ محمد رضا الساعدي

المقدمة:

من العلوم التي لها اهمية كبيرة في معرفة الحقيقة وكشف غوامض القضايا في الفقه القضائي والجنائي بل في مطلق القضايا العامة وان لم تصل الى السلطة القضائية، علم التحري والتحقيق الذي يمارسه القاضي او المحقق او اجهزة الامن في القضايا المرفوعة إليهم، خصوصا القضايا المجهولة او التي ليس فيها عناصر اثبات واضحة او مطلق قضايا الفساد في المجتمع.

ويشكل هذا العلم ركناً مهماً في القضاء الوضعي بل عليه تقف أكثر درجات كشف الحقيقة في قضاياهم، فيعتمد القاضي على نتائج التحريات التي توضع بين يديه فيحكم من خلالها، خصوصا وانهم وسعوا دائرة وسائل الاثبات كثيرا بما يشمل الاعتماد على العلوم التجريبية بصورة واسعة كالتصوير والبصمات والحامض النووي وغيرها.

وقد عدوا هذا التحري والتحقيق علما مستقلا اسموه علم التحريات والتحقيقات، فعرفوا التحريات بانها: (الأساليب والطرق والخطوات التي تمارس عادة للوصول الى الحقيقة المراد استخلاصها في موضوع ما او التي تعين على وضوح مشكلة او استجلاء غوامض واقعة معينة حدثت وإعطاء البراهين على كيفية حدوثها)[١].

والقضاء الشرعي سبق القضاء الوضعي بهذا العلم تشريعا وابتكارا وزمانا، اذ ان

القضاء الشرعي يتحرى الحقيقة في حكمه ولا يكتفي بفك الخصومة فقط، لذا فان القاضي الحقيقي من يتحرى اكتشاف الحقيقة من خلال الوسائل الشرعية (ضمن نطاق التحري والتحقيق) قبل اللجوء الى موازين القضاء كالبينات والأيمان والعلم خاص ووسائل الكشف العلمية الحديثة ـ فيما اذا اورثت علما او اطمئنانا كالبصمات الوراثية وغيرها ـ كما بحث تفصيلا في وسائل الاثبات القضائي.

وهذه الوسائل الكشفية لم يكن لها وجود واضح في الفقه القضائي الوضعي ـ وهي كشف الحقيقية من خلال التحري والتحقيق والاستنطاق للمدعي او المنكر او الشهود او ما له صلة بالدعاوى ـ وأول من اوجدها وطبقها بصورة جلية في اكثر اقضيته هو امير المؤمنين علي عليه السلام، ثم سار عليها القضاة الشرعيين والوضعيين علما وعملا.

وهذا العلم يضاف الى العلوم التي أسسها أئمة ال البيت عليهم السلام وخصوصا امير المؤمنين عليه السلام، وهو من جملة العلم المكنون الذي علمه له مربيه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) حيث علمه باب يفتح منه الف باب، لذا طالما تكرر منه...اعلمكم علي... اقضاكم علي...الخ ، وطالما اعترف الصحابة بهلاكهم لولا قضاء علي.

وقد بين ذلك التأسيس للعلوم جملة من الاعلام كما في كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد حسن الصدر وغيره من المؤلفين ، واعترف بذلك اكثر المؤرخين واصحاب التراجم والسير ودونك النحو شاهدا على ذلك.

وفي هذا البحث نطلع بصورة سريعة على ما اسسه امير المؤمنين في هذا المجال، وما طبقه عند ممارسته القضاء بين الناس خصوصا في مسجد الكوفة ايام حكومته ، ونقف على تلك القواعد والمسائل التي تستفاد من نصوصه وسيرته ،

فنتعرف على حدود هذا العلم ومستنداته.

وسبب التأليف لهذا البحث:

اولا: بيان القواعد الاساسية لأساليب التحري والتحقيق عند امير المؤمنين عليه السلام لكي تكون ركائز في التحقيق الشرعي.

ثانيا: لبيان ضرورة تطبيق ذلك في التحقيق الجنائي بعد فهم النظرية.

ثالثا: للابتعاد عن اساليب التحري والتحقيق غير الشرعية والتي تستلزم احيانا الدخول في المحرمات وهتك الحرمات ومخالفة حقوق الانسان.

وأملي كبير ان يتم البحث في هذا العلم تفصيلا من الاخوة الباحثين الشرعيين والقانونيين، لان ما كتبته هنا لا يعد الا بعض النقاط الاساسية بلا دخول بالتفاصيل.

المبحث الأول: الدلالة اللغوية والاصطلاحية للتحري والألفاظ المشتركة:

المطلب الأول: التحري لغةً واصطلاحاً:

اولاً: التحري لغةً: تعريف التحري في اللغة والاصطلاح والقرآن والروايات:

التحري في اللغة: وردت كلمة التحري في جملة من معاجم اللغة، منها: في المحيط في اللغة: (و تَحَرّى تَحَرِّياً: تَحَبَّسَ) [٢]. وفي تاج اللغة: (و فلانٌ يَتَحَرَّى الأمر، أى يتوخّاه ويقصِده). [٣] وقال ايضا: (و تَحَرَّى فلانٌ بالمكان، أى تَمَكَّثَ،و قوله تعالى: (فَأُولٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً) أى توخَّوا وعَمَدُوا). وفي تاج العروس: (يقالُ: تَحَرَّاهُ، أي تَعَمَّدَه، ومنه الحدِيثُ: «تَحَرُّوا لَيْلَةَ القَدْرِ في العَشْرِ الأواخِرِ»، أي تعَمَّدُوا طَلَبَها فيها.و قيلَ: تحرَّاهُ تَوخَّاهُ وقَصَدَه؛ ومنه قَوْله تعالى: فَأُولٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً، أي توخَّوْا وعَمَدُوا). وقال ايضا: (و تحرَّى: طَلَبَ ما هو أَحْرى بالاسْتِعْمالِ في غالِبِ الظنِّ، كما في

الصّحاح.و قيلَ: التَّحَرِّي القَصْدُ والاجْتِهادُ في الطَّلَبِ والعَزْم على تَخْصيص الشَّيءِ بالفعْل والقَوْلِ.و قيلَ: هو قَصْدُ الأَوْلى والأَحَقّ). [٤]

اقول: المستفاد من كلام اللغويين امور،منها:

١ـ ان التحري هو المكوث في بحث الشيء بنحو معتدل للوصول الى الهدف المنشود بلا افراط او تفريط ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَ أَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ ومِنَّا الْقاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولِئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً﴾، أي وقعوا في حالة معتدلة من جهة الرشد، فالرشد في الاية تمييز لا مفعول به، والفعل لازم، ويؤيّد هذا المعنى وقوع هذه الكلمة في مقابل القاسطين أي المتجاوزين عن التوسّط والاعتدال.

٢ ـ ان التحري هو كشف ما هو غامض او ما هو مجهول ، او كشف ما كان فيه اكثر من محتمل في الاصابة للوصول الى الاحتمال الاقرب للواقع.

٣ ـ ان التحري كما يكون في الامور المادية كالأماكن، كذلك في الامور المعنوية كتحري ليلة القدر من بين محتملات عديدة للوصول للواقع.

ثانياً: التحري اصطلاحا: لم يذكر الفقهاء معنى جديدا لتعريف التحري غير المعنى اللغوي فيه، واليك اهم تعاريفهم:

قال المحقّق الكركي: (المراد بالتحرّي: الاجتهاد في طلب الأحرى)[٥]. وقال الشهيد الثاني: (التحرّي هو طلب ما هو أحرى بالاستعمال في غالب الظن)[٦]. وقال بعض اخر: (هو بذل المجهود في طلب المقصود، أو طلب ما هو أحرى بالاستعمال في غالب الظنّ) [٧]. وقال جمع اخر من الاعلام: (والمراد به العمل بغالب الظن وترتيب الأحكام عليه، واستعمل التوخّي بمعنى التحرّي) [٨]. وقال الفاضل النراقي: (فإنّ التحرّي: هو طلب ما هو أحرى بالاستعمال في غالب الظنّ، ذكره الجوهري

والطريحي، أو الاجتهاد في الطلب، ذكره ابن الأثير) [٩]. وقال السيّد الخوئي: (المراد بالتحرّي: هو الأخذ بالأرجح والأولى، وهو الظنّ عند اشتباه القبلة) [١٠]. ولا تخرج تحديدات سائر الفقهاء عن ذلك، وهي نفس تحديدات اللغويين كما هو واضح.

ثالثاً: التحري في القران والروايات:

وردت كلمة التحري في القران والروايات ، واليك جانب منها:

١ ـ **في مجمع البحرين** [١١]:(قوله تعالى: فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً أي طلبوا الحق. والتَّحَرِّي والتوخي: القصد والاجتهاد في الطلب والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول. ومنه الْحَدِيثُ:" لَا تَتَحَرَّوْا بِالصَّلَاةِ طُلُوعَ الشَّمْسِ وغُرُوبَهَا".

٢ ـ وفي **تفسير القمي** [١٢]: (وَ قَوْلُهُ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً أَيْ طَلَبُوا الْحَقَ وأَمَّا الْقاسِطُونَ الْآيَةَ، قَالَ الْقَاسِطُ الْحَائِدُ عَن الطَّرِيقِ).

٣ ـ وفي **تفسير فرات الكوفي** [١٣]: (قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْعَلَوِيُّ [قَالَ حَدَّثَنَا فُرَاتٌ] مُعَنْعَناً عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ [عَزَّ ذِكْرُهُ] فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً الَّذِينَ أَقَرُّوا بِوَلَايَتِنَا فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً)

٤ ـ وفي قرب الإسناد [١٤]: (كَانَ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَسْأَلُونَ أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي السَّفِينَةِ، فَيَقُولُ: إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْجَدِّ فَافْعَلُوا، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا فَصَلُّوا قِيَاماً، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا قِيَاماً فَصَلُّوا قُعُوداً، وتَحَرَّوُا الْقِبْلَةَ).

٥ ـ وفي الكافي [١٥]: (عَلِيٌّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ حَمَّادٍ عَنِ الْحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي الْأَعْمَى يَؤُمُّ الْقَوْمَ وهُوَ عَلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ قَالَ يُعِيدُ ولَا يُعِيدُونَ فَإِنَّهُمْ قَدْ تَحَرَّوْا).

٦ ـ **وفي إقبال الأعمال** [١٦]: (عَنْ عَلِيِّ بْن مُحَمَّدِ بْن فَيْض بْن مُخْتَارٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَعْفَرِ بْن مُحَمَّدٍ عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ زِيَارَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْن عليه السلام فَقِيلَ هَلْ فِي ذَلِكَ وَقْتٌ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ وَقْتٍ فَقَالَ زُورُوهُ (صلى الله عليه وآله) فِي كُلِّ وَقْتٍ وفِي كُلِّ حِينٍ فَإِنَّ زِيَارَتَهُ عليه السلام خَيْرُ مَوْضُوعٍ فَمَنْ أَكْثَرَ مِنْهَا فَقَدِ اسْتَكْثَرَ مِنَ الْخَيْرِ ومَنْ قَلَّلَ قُلِّلَ لَهُ وتَحَرَّوْا بِزِيَارَتِكُمُ الْأَوْقَاتَ الشَّرِيفَةَ فَإِنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ فِيهَا مُضَاعَفَة).

٧ ـ في مجمع البيان للطبرسي في تفسير: (فأولئك تحرّوا رشداً) أي توجَّهوا الرشد والتمسوا الثواب والهدى وتعمدوا إصابة الحق وليسوا كالمشركين الذين ألفوا ما يدعوهم إليه الهوى وزاغوا عن طريق الهدى.

٨ ـ **وفي بحار الأنوار** [١٧]: (فَأَنْبِهُوا- رَحِمَكُمُ اللَّهُ- نَائِمَكُمْ، وتَحَرَّوْا لِحَرْبِ عَدُوِّكُم).

وفي بحار الأنوار ايضا [١٨]: (**عن** المحاسن باسناده عن أَبِي الْجَارُودِ قَالَ: خَرَجَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام عَلَى أَصْحَابِهِ يَوْماً وهُمْ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ وقَالَ لَهُمْ تَحَرَّوْا الْبُشْرَى مِنَ اللَّهِ مَا أَحَدٌ يَتَحَرَّى الْبُشْرَى مِنَ اللَّهِ غَيْرَكُمْ).

٩ ـ وقال السيد الطباطبائي في الميزان [١٩]: (وقول: فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً ، تحري الشيء توخيه وقصده، والمعنى فالذين أسلموا فأولئك قصدوا إصابة الواقع والظفر بالحق).

١٠ ـ قال الشيخ مكارم في الامثل: (و التعبير تَحَرَّوْا رَشَداً يشير إلى أنّ المؤمنين إنّما يتوجهون إلى الهدى بالتحقيق والتوجه الصادق، وليس بالغفلة والأغماض، وجزاءهم الأوفى هو نيلهم الحقائق التي بظلها ينالون النعم الإلهية، والظالمون هم في أسوأ حال، حيث إنّهم حطب لجهنم، أي أنّ النار تلتهب في أعماق

وجودهم) [٢٠]. وغيرها من الروايات والتفاسير.

ويمكن الاستفادة من البحث القراني والروائي:-

١- المستفاد اجمالا من القرآن والروايات والتفاسير في معنى التحري:

ان التحري استعمل في القران في طلب الحق والرشد والخروج من الواقع المجهول الى ما هو معلوم، وتوخي طلب الحق لكي لا يكون زيغ بسبب الاغماض والغفلة عن الطريق الحق ، واختيار ما هو حق من المحتملات كما في اختيار ولاية اهل البيت عليهم السلام على سائر من دونهم كما طبقتها رواية الامام الصادق عليه السلام.

وياتي التحري في اختيار الشخص المناسب كالامام الحق او الوقت المناسب كليلة القدر او وقت الزيارة الخاص او المكان المناسب كتحري جهة القبلة او القول المناسب كتحري البشرى وتحري اخبار الحرب او السلم او مطلق الامور المجهولة.

٢- تعريف التحري:

بعد استعراض كلام اللغة والاصطلاح والايات والروايات نستطيع ان نخرج بتعريف اصطلاحي للتحري:

التحري هو: (الاجتهاد في طلب ما هو احرى من بين محتملات الموضوع المظنون وترجيح احدها تعيينا بالفعل او القول للخروج من دائرة الشك او الظن الى العلم العرفي او الدقي ولو مآلا لأجل الاحتجاج به لإثبات موضوع ما ، كتحديد شخص او مكان او زمان او قول او فعل).

المطلب الثاني: الألفاظ المشتركة والتحقيقات الأمنية والقضائية ذات الصلة بالتحري:

اولاً: الألفاظ ذات الصلة بمعنى التحري:

١ – الاجتهاد:

الاجتهاد والتحرّي لغة: هو بذل المجهود في طلب المراد والتوصّل إليه[٢١]، فيتقاربان حينئذ في المعنى، إلاّ أنّ الاجتهاد في مصطلح الفقهاء قد يكون خاصّاً ببذل الفقيه جهده في استخراج الأحكام الشرعية الفرعية من أدلّة الشرع المبين من القران والروايات الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله) واهل البيت عليهم السلام [٢٢]؛ بخلاف التحري فهو يبتني على اعتبارات نظرية ليست مستفادة من ظواهر النصوص غالباً[٢٣] وغالبها موضوعات خارجية تستنبط بالبحث والتدقيق. وعليه فكلّ اجتهاد تحرٍّ دون العكس.

٢ – التوخّي:

و هو مأخوذ من الوخي بمعنى القصد والاجتهاد كما نص ائمة اللغة [٢٤]، فالتوخّي والتحرّي سواء، إلاّ أنّه يظهر من بعض الاعلام كالمحقّق القمّي رحمه الله، أنّ التوخّي مطلق القصد إلى الشيء وان لم يكن فيه احتمالات، بخلاف التحرّي، فإنّه طلب ما هو أحرى بالاستعمال في غالب الظنّ[٢٥].

و لا يفرّق بينهما في الاستعمال في العبادات والمعاملات عن فقهاء الامامية، بخلاف فقهاء العامة فإنّهم يرون أنّ لفظ التوخّي يستعمل في المعاملات، والتحرّي يستعمل غالباً في العبادات[٢٦] ولا شاهد على هذا التفريق بل هو خلاف المتبادر منهما.

٣ – الشكّ:

و هو خطور الشيء بالبال من غير ترجيح لنفيه أو ثبوته كما ذكر جملة من الاعلام [٢٧]، أي استواء طرفي التجويز كما نص اهل اللغة [٢٨]، وقال الاصوليون بالتحرّي والفحص يزول الشكّ[٢٩] ويؤول الى العلم العرفي او الدقي.

٤ – الظنّ:

و هو لغة واصطلاحاً عبارة عن الطرف الراجح من طرفي الترديد في الذهن[٣٠]، فالتحرّي من أسباب الوصول إلى الظنّ المعتبر شرعا المعبر عنه بالعلم العرفي. وقد يطلق الظنّ اصطلاحاً على نفس الأسباب التي تورث الظنّ بحسب الغالب[٣١].

ثانياً: التحرّي في التحقيقات الأمنية والقضائية:

من الأُمور المستجدّة في العمل الأمني والقضائي قسم التحرّيات، حيث تقوم الشرطة على اختلاف أقسامها بالتحرّي عن الحدث أو الجريمة أو أيّ أمر قضائي آخر؛ وذلك بهدف تحصيل المعلومات لتوفيرها للقاضي أو للجهات الأمنية لإصدار حكم أو قرار بشأنها ، فهم يسعون لإكمال الموضوع الناقص او كشف ما هو مستور في القضية.

ولا شكّ في رجحان هذا الأمر من باب حماية الأمن وحفظ المصالح العامة للمسلمين وتسهيل العمل القضائي، إلاّ أنّه حيث يستلزم أحياناً التدخّل في الحياة الخاصّة للآخرين أو الاستجواب أو التصرّف في بعض الأملاك كان لا بدّ فيه من إذن شرعي لولي الأمر أو من عينه لذلك، ولو على شكل إذن قضائي كما هو معروف.

ويجب وفقاً للقواعد الشرعية العامة تحرّي الضوابط الفقهية في التحرّي

وتدوين التقارير اللازمة من الصدق وعدم تجاوز الحدّ في أملاك الآخرين ونفوسهم وأعراضهم وما شابه ذلك.

وهذا الامر كان يدأب امير المؤمنين عليه السلام على فعله في القضايا التي يقضي بها من خلال كشف ملابسات الموضوع والتحقيق مع اطراف القضية خصوصا المدعى عليهم وملاحظة الجوانب الاخرى المرتبطة بالقضية.

موارد اخرى للتحري:

هناك موارد اخرى للتحري منتشرة في كتب الفقه نذكر بعضها اجمالا دفعا للاطالة:

١ ـ تحري ظن البراءة من الصلوات الفائتة عند قضائها كما عبر في الدروس[٣٢].

٢ ـ تحري المجنب اقصر الطرق للخروج من المسجد كما عبر الشهيد الثاني[٣٣].

٣ ـ تحري وقت للصيام بلا انقطاع اذا كان الصوم مشروط بالتتابع[٣٤].

٤ ـ تحري اجتماع الناس للتعريف باللقطة او الضالة[٣٥].

وغيرها مما ذكر في كتب الفقه.

المبحث الثاني: منهج التحري والتحقيق عند امير المؤمنين (عليه السلام):

ان المتابع لقضايا امير المؤمنين عليه السلام يجد عنصر التحريات والتحقيقات فيها بمنتهى الوضوح ، استعمله الامام ليصل من خلاله للحقيقة المجهولة التي تعمد اخفائها الفاعل في موارد التهمة ووجود القرائن المادية الدالة على ارتكاب الفعل من الفاعل.

بل نجد ان الأمير عليه السلام قد اجرى التحري في ادنى درجات الريبة والظن في

القضية ليستكشف الحق ويرد الباطل.

وهنا نذكر جملة من النصوص والوقائع التي قام بها الأمير عليه السلام لنقف اجمالا على ما اسسه ورسمه في هذا العلم ونستخرج منه قواعد ومسائل يستفاد منها اهل الاختصاص.

فهو عليه السلام لا يكتفي بالبينات والايمان او الاقرار لأول وهله ولا يحكم من خلالها بل يستعمل تحريات وتحقيقات واستجوابات واقعية لاستجلاء الحقيقة التي اخفتها شهادات الزور او الأيمان الكاذبة او غيرها من وسائل التمويه على الحق.

وهذا يؤسس لطريق جديد لإثبات الواقع او ما يقاربه من خلال أساليب فنية، تواترت الروايات او استفاضت فيها، في مقام تأسيس لعلم التحري والتحقيق الشرعي، والذي مصدرها الأساسي اقضية امير المؤمنين وبذلك ينفتح باب عظيم في الفقه القضائي.

نعم يشترط في الركون اليها حصول اليقين او الاطمئنان بصحتها وعدم الركون للظن او الاحتمال للحكم فيها.

خصوصا وان الائمة عليهم السلام ومنهم الامام الصادق بين ان اقضية امير المؤمنين قضايا مسندها السنة النبوية المطهرة فهي ليست بالعلم الخاص ففي الرواية عن الصادق عليه السلام:(لا تجد عليا يقضي بقضاء الا وجدت له أصلا في السنة) [٣٦].

وكذلك اكد ذلك امير المؤمنين عليه السلام في رواية له حيث قال: (لو اختصم الي رجلان فقضيت بينهما ثم مكثا احولا كثيرة في ذلك الامر لقضيت بينهما قضاء واحدا لان القضاء لا يحول ولا يزول) [٣٧].

بالإضافة لما بينه النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله) في ان امير المؤمنين هو اقضى الناس.

ونذكر مفاصل البحث في النقاط التالية:

اولاً: ادلة اصل المشروعية:

هناك جملة من الروايات التي تبين اصل مشروعية التحري والتحقيق والتي طبقها مولانا امير المؤمنين عليه السلام في موارد عديدة ، نذكر واحدة منها في المقام اما الباقي فهي كما تدل على اصل المشروعية فأنها دالة على موارد التطبيق وكيفيته ، فنترك تفصيلها الى النقطة الثانية:

الدليل الاول: الرواية الدالة على اصل مشروعية التحري:

هناك روايات تبين اصل مشروعية التحري والفحص والتحقيق من قبل القاضي او من قبل الوالي او المحقق القضائي بأمر القاضي ، وذلك من خلال استعمال أساليب فنية لكشف الحقيقة او ارجح الاحتمالات من غير الركون للبينة او الإقرار او اليمين ، ومن هذه الروايات:

ما رواه الصدوق في الفقيه والشيخ في التهذيب باسناده عن كتاب ظريف في الديات: قَالَ عَرَضْتُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ نَعَمْ هِيَ حَقٌّ، وقَدْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَأْمُرُ عُمَّالَهُ بِذَلِكَ... وأَفْتَى عليه السلام فِيمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ يَحْلِفُ مَعَهُ ولَمْ يُوثَقْ بِهِ عَلَى مَا ذَهَبَ مِنْ بَصَرِهِ أَنَّهُ تُضَاعَفُ عَلَيْهِ الْيَمِينُ إِنْ كَانَ سُدُسَ بَصَرِهِ حَلَفَ وَاحِدَةً وإِنْ كَانَ الثُّلُثَ حَلَفَ مَرَّتَيْنِ وإِنْ كَانَ النِّصْفَ حَلَفَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وإِنْ كَانَ الثُّلُثَيْنِ حَلَفَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ وإِنْ كَانَ خَمْسَةَ أَسْدَاسٍ حَلَفَ خَمْسَ مَرَّاتٍ وإِنْ كَانَ بَصَرُهُ كُلُّهُ حَلَفَ سِتَّ مَرَّاتٍ ثُمَّ يُعْطَى وإِنْ أَبَى أَنْ يَحْلِفَ لَمْ يُعْطَ إِلَّا مَا حَلَفَ عَلَيْهِ ووُثِقَ مِنْهُ بِصِدْقٍ والْوَالِي يَسْتَعِينُ فِي ذَلِكَ بِالسُّؤَالِ والنَّظَرِ والتَّثَبُّتِ فِي الْقِصَاصِ

والْحُدُودِ والْقَوَدِ...) [٣٨] .

والكلام فى الرواية من جهتين:

الأولى من جهة السند: ان كتاب ظريف بن ناصح فقد ذكر في عدة مصادر كالكتب الأربعة ، وروي بطرق عديدة وبنسخ متعددة ، وقد كتبه الأمير عليه السلام لقضاته ليقضوا به في بلدانهم ، وقد عرض هذا الأصل الروائي على عدة أئمة من اهل البيت عليهم السلام كالإمام الصادق والامام الرضا عليهما السلام وارتضوا العمل به وقالوا بصحته:

ففي الرواية عن مُحَمَّدِ بْن عِيسَى عَنْ يُونُسَ جَمِيعاً قَالا عَرَضْنَا كِتَابَ الْفَرَائِضِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام فَقَالَ هُوَ صَحِيحٌ.

وفي الرواية عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ: عَرَضْتُهُ عَلَى الرِّضَا عليه السلام فَقَالَ لِي- ارْوِهِ فَإِنَّهُ صَحِيحٌ ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ. وغيرهما.

وكان موقع اهتمام وفتوى من عموم طبقات الفقهاء الا في موارد تركوا العمل بها إذا عارض الدليل الخاص، وكل هذا يورث الاطمئنان بالصدور وهو حجة في المقام.

الثانية: من جهة الدلالة: فقوله عليه السلام «و الوالي يستعين في ذلك بالسّؤال والنّظر» يدل على مشروعية التحري والتحقيق والسؤال بتوسط الولاة او السلطة التنفيذية للوصول الى الحقائق في باب القصاص والحدود وغيرها من أبواب القضاء باذن الحاكم الشرعي بلا ركون للاساليب المعروفة كالبينة او اليمين او الإقرار ، وتدل على امكان استعانة القضاة بالجهة التنفيذية للوصول للحقيقة كما هو حاصل في القانون الوضعي ، كما ان الرواية تدل على عدم جواز التصدي لهذا التحقيق والتحري وكشف الموضوعات من قبل الافراد وانما ينحصر بالوالي او من خوله ، ويتبين ان

الذي أسس لهذا الامر هو الامام امير المؤمنين عليه السلام.

وان هذه المهمة من مسؤولية الحكم لأجل حفظ دماء واموال واعراض المؤمنين وكذلك حفظ امن الدولة ومصالحها.

فيختار القاضي ما يراه مؤثّرا في تحقيق الحقّ وإدراك الواقع ومنه يستخرج دليل كثير ممّا ذكروه في كتاب القضاء وغيره ولا نصّ عليه بخصوصه.

كما يمكن استفادة التحري في ما وجه الامام من خطاب في عهده لمالك الاشتر وهو يقول له (ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ ولَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ ولَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ ولَا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ... ولَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ وأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ وآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ وأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ وأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الْأُمُورِ).

الدليل الثاني: كثرة موارد التطبيق تكشف عن اصل المشروعية:

وهو ما نتناوله تفصيلا في النقطة الثانية ، وهي وجود روايات متواترة دالة على اصل الحكم بمشروعية التحري والتحقيق من خلال التطبيقات التي قام بها امير المؤمنين في عشرات المورد والروايات ، وهذا يكشف عن اصل المشروعية والا لما جاز التطبيق في تلك الموارد.

الدليل الثالث: الاجماع:

فان الفقهاء قد اجمعوا على العمل بهذا الأسلوب لكشف الحقيقة ضمن موازين ما ورد في الروايات في هذا الباب.

الدليل الرابع: ادلة ضرورة احقاق الحق وكشف الحقيقية:

فان كشف الحقيقة والحكم بالحق يتوقف عادة على اللجوء لأسلوب التحري والتحقيق ، فهو مقدمة لكشف الحقائق التي يبتغيها القاضي في قضاوته.

ثانياً: موارد التحري وكيفيته:

هناك مجموعة من الروايات بين فيه الامام اساليب التحري وحدوده وتطبيقات ذلك ، نبينها مع التعليق:

الرواية الاولى: التحري في قضية الجارية المتهمة بالزنا:

روى الشيخ في الكافي بسند صحيح عَنْ مُعَاوِيَةَ بْن وَهْبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: أُتِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِجَارِيَةٍ قَدْ شَهِدُوا عَلَيْهَا أَنَّهَا بَغَتْ وكَانَ مِنْ قِصَّتِهَا أَنَّهَا كَانَتْ يَتِيمَةً عِنْدَ رَجُلٍ ، وكَانَ الرَّجُلُ كَثِيراً مَا يَغِيبُ عَنْ أَهْلِهِ فَشَبَّتِ الْيَتِيمَةُ فَتَخَوَّفَتِ الْمَرْأَةُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا زَوْجُهَا فَدَعَتْ بِنِسْوَةٍ حَتَّى أَمْسَكْنَهَا فَأَخَذَتْ عُذْرَتَهَا بِإِصْبَعِهَا فَلَمَّا قَدِمَ زَوْجُهَا مِنْ غَيْبَتِهِ رَمَتِ الْمَرْأَةُ الْيَتِيمَةَ بِالْفَاحِشَةِ وأَقَامَتِ الْبَيِّنَةَ مِنْ جَارَاتِهَا اللَّائِي سَاعَدَتْهَا عَلَى ذَلِكَ فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ فَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَقْضِي فِيهَا ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ ائْتِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام واذْهَبْ بِنَا إِلَيْهِ فَأَتَوْا عَلِيّاً عليه السلام وقَصُّوا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ لِامْرَأَةِ الرَّجُلِ أَ لَكِ بَيِّنَةٌ أَوْ بُرْهَانٌ قَالَتْ لِي شُهُودٌ هَؤُلَاءِ جَارَاتِي يَشْهَدْنَ عَلَيْهَا بِمَا أَقُولُ فَأَحْضَرَتْهُنَّ فَأَخْرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام السَّيْفَ مِنْ غِمْدِهِ فَطَرَحَ بَيْنَ يَدَيْهِ وأَمَرَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَأُدْخِلَتْ بَيْتاً ثُمَّ دَعَا بِامْرَأَةِ الرَّجُلِ فَأَدَارَهَا بِكُلِّ وَجْهٍ فَأَبَتْ أَنْ تَزُولَ عَنْ قَوْلِهَا فَرَدَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ ودَعَا إِحْدَى الشُّهُودِ وجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ قَالَ تَعْرِفِينِي أَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وهَذَا سَيْفِي وقَدْ قَالَتِ امْرَأَةُ الرَّجُلِ مَا قَالَتْ

ورَجَعَتْ إِلَى الْحَقِّ وأَعْطَيْتُهَا الْأَمَانَ وإِنْ لَمْ تَصْدُقِينِي لَأَمْلَأَنَّ السَّيْفَ مِنْكِ فَالْتَفَتَتْ إِلَى عُمَرَ فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَمَانَ عَلَيَّ فَقَالَ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْدُقِي فَقَالَتْ لَا واللَّهِ إِلَّا أَنَّهَا رَأَتْ جَمَالًا وهَيْئَةً فَخَافَتْ فَسَادَ زَوْجِهَا عَلَيْهَا فَسَقَتْهَا الْمُسْكِرَ ودَعَتْنَا فَأَمْسَكْنَاهَا فَافْتَضَّتْهَا بِإِصْبَعِهَا فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام اللَّهُ أَكْبَرُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الشَّاهِدَيْنِ إِلَّا دَانِيَالَ النَّبِيَّ...) (٣٩)

اما سند الرواية:

الرواية صحيحة السند بناء على وثاقة إبراهيم بن هاشم ، وحسنة بناء على عدم توثيقة ، وقد حققنا في محله وثاقته وفاقا لجملة من اعلام العصر كأستاذ اساتذتنا السيد الخوئي ، واما باقي رجال السند لا غبار على وثاقتهم.

كما رواها الشيخ الصدوق في الفقيه عن الاصبغ بن نباته بسند معتبر (٤٠).

واما دلالتها:

فان الامام قام بعملية تحري وتحقيق بعد ان شك بامر الشهود ولم يركن ابتداء للايمان او البينات ، وهناك اكثر من عبارة توكد هذا الامر ، فعبارة: (ادارها بكل وجه) هي عملية تحري وتحقيق واضحة ، وما قام به من وعيد وتذكير وتخويف بمقدار ما يكشف الحق من خلال ابراز السيف او التذكير بانه علي ابن ابي طالب ، وكذلك عملية تفريق الشهود كل على حدة ، وكذلك ابعاد المدعية عن الشهود وارجاعها للبيت لكي تدلوا الشهادة بعيدا عن المدعية.

وكل هذه اساليب اتخذها الامام عليه السلام كخطوات ما قبل الحكم.

الرواية الثانية: التحري في قضية مات الدين:

موثقة أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: دَخَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام الْمَسْجِدَ فَاسْتَقْبَلَهُ شَابٌّ يَبْكِي وحَوْلَهُ قَوْمٌ يُسْكِتُونَهُ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام مَا أَبْكَاكَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ شُرَيْحاً قَضَى عَلَيَّ بِقَضِيَّةٍ مَا أَدْرِي مَا هِيَ إِنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَرَ خَرَجُوا بِأَبِي مَعَهُمْ فِي السَّفَرِ فَرَجَعُوا ولَمْ يَرْجِعْ أَبِي فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْ مَالِهِ فَقَالُوا مَا تَرَكَ مَالًا فَقَدَّمْتُهُمْ إِلَى شُرَيْحٍ فَاسْتَحْلَفَهُمْ وقَدْ عَلِمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَبِي خَرَجَ ومَعَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَقَالَ لَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ارْجِعُوا فَرَجَعُوا والْفَتَى مَعَهُمْ إِلَى شُرَيْحٍ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَا شُرَيْحُ كَيْفَ قَضَيْتَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ادَّعَى هَذَا الْفَتَى عَلَى هَؤُلَاءِ النَّفَرِ أَنَّهُمْ خَرَجُوا فِي سَفَرٍ وأَبُوهُ مَعَهُمْ فَرَجَعُوا ولَمْ يَرْجِعْ أَبُوهُ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْ مَالِهِ فَقَالُوا مَا خَلَّفَ مَالًا فَقُلْتُ لِلْفَتَى هَلْ لَكَ بَيِّنَةٌ عَلَى مَا تَدَّعِي فَقَالَ لَا فَاسْتَحْلَفْتُهُمْ فَحَلَفُوا فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام هَيْهَاتَ يَا شُرَيْحُ هَكَذَا تَحْكُمُ فِي مِثْلِ هَذَا فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَكَيْفَ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، واللَّهِ لَأَحْكُمَنَّ فِيهِمْ بِحُكْمٍ مَا حَكَمَ بِهِ خَلْقٌ قَبْلِي إِلَّا دَاوُدُ النَّبِيُّ عليه السلام يَا قَنْبَرُ ادْعُ لِي شُرْطَةَ الْخَمِيسِ فَدَعَاهُمْ فَوَكَّلَ بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا مِنَ الشُّرْطَةِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى وُجُوهِهِمْ فَقَالَ مَا ذَا تَقُولُونَ أَ تَقُولُونَ إِنِّي لَا أَعْلَمُ مَا صَنَعْتُمْ بِأَبِي هَذَا الْفَتَى إِنِّي إِذاً لَجَاهِلٌ ثُمَّ قَالَ فَرِّقُوهُمْ وغَطُّوا رُءُوسَهُمْ قَالَ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمْ وأُقِيمَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى أُسْطُوَانَةٍ مِنْ أَسَاطِينِ الْمَسْجِدِ ورُءُوسُهُمْ مُغَطَّاةٌ بِثِيَابِهِمْ ثُمَّ دَعَا بِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ كَاتِبِهِ فَقَالَ هَاتِ صَحِيفَةً ودَوَاةً وجَلَسَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ وجَلَسَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ إِذَا أَنَا كَبَّرْتُ فَكَبِّرُوا ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ اخْرُجُوا ثُمَّ دَعَا بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ اكْتُبْ

إِقْرَارَهُ ومَا يَقُولُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِالسُّؤَالِ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي أَيِّ يَوْمٍ خَرَجْتُمْ مِنْ مَنَازِلِكُمْ وأَبُو هَذَا الْفَتَى مَعَكُمْ فَقَالَ الرَّجُلُ فِي يَوْمِ كَذَا وكَذَا قَالَ وفِي أَيِّ شَهْرٍ قَالَ فِي شَهْرِ كَذَا وكَذَا قَالَ فِي أَيِّ سَنَةٍ قَالَ فِي سَنَةِ كَذَا وكَذَا قَالَ وإِلَى أَيْنَ بَلَغْتُمْ فِي سَفَرِكُمْ حَتَّى مَاتَ أَبُو هَذَا الْفَتَى قَالَ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا وكَذَا قَالَ وفِي مَنْزِلِ مَنْ مَاتَ قَالَ فِي مَنْزِلِ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ قَالَ ومَا كَانَ مَرَضُهُ قَالَ كَذَا وكَذَا قَالَ وكَمْ يَوْماً مَرِضَ قَالَ كَذَا وكَذَا قَالَ فَفِي أَيِّ يَوْمٍ مَاتَ ومَنْ غَسَّلَهُ ومَنْ كَفَّنَهُ وبِمَا كَفَّنْتُمُوهُ ومَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ومَنْ نَزَلَ قَبْرَهُ فَلَمَّا سَأَلَهُ عَنْ جَمِيعِ مَا يُرِيدُ كَبَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وكَبَّرَ النَّاسُ جَمِيعاً فَارْتَابَ أُولَئِكَ الْبَاقُونَ ولَمْ يَشُكُّوا أَنَّ صَاحِبَهُمْ قَدْ أَقَرَّ عَلَيْهِمْ وعَلَى نَفْسِهِ فَأَمَرَ أَنْ يُغَطَّى رَأْسُهُ ويُنْطَلَقَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ ثُمَّ دَعَا بِآخَرَ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ كَلَّا زَعَمْتُمْ أَنِّي لَا أَعْلَمُ مَا صَنَعْتُمْ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنَا إِلَّا وَاحِدٌ مِنَ الْقَوْمِ ولَقَدْ كُنْتُ كَارِهاً لِقَتْلِهِ فَأَقَرَّ ثُمَّ دَعَا بِوَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ كُلُّهُمْ يُقِرُّ بِالْقَتْلِ وأَخْذِ الْمَالِ ثُمَّ رَدَّ الَّذِي كَانَ أَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ فَأَقَرَّ أَيْضاً فَأَلْزَمَهُمُ الْمَالَ والدَّمَ فَقَالَ شُرَيْحٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وكَيْفَ حَكَمَ دَاوُدُ النَّبِيُّ عليه السلام فَقَالَ إِنَّ دَاوُدَ النَّبِيَّ عليه السلام مَرَّ بِغِلْمَةٍ يَلْعَبُونَ ويُنَادُونَ بَعْضَهُمْ بِيَا مَاتَ الدِّينُ فَيُجِيبُ مِنْهُمْ غُلَامٌ فَدَعَاهُمْ دَاوُدُ عليه السلام فَقَالَ يَا غُلَامُ مَا اسْمُكَ قَالَ مَاتَ الدِّينُ فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ عليه السلام مَنْ سَمَّاكَ بِهَذَا الِاسْمِ فَقَالَ أُمِّي فَانْطَلَقَ دَاوُدُ عليه السلام إِلَى أُمِّهِ فَقَالَ لَهَا يَا أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ مَا اسْمُ ابْنِكِ هَذَا قَالَتْ مَاتَ الدِّينُ فَقَالَ لَهَا ومَنْ سَمَّاهُ بِهَذَا قَالَتْ أَبُوهُ قَالَ وكَيْفَ كَانَ ذَاكِ قَالَتْ إِنَّ أَبَاهُ خَرَجَ فِي سَفَرٍ لَهُ ومَعَهُ قَوْمٌ وهَذَا الصَّبِيُّ حَمْلٌ فِي بَطْنِي فَانْصَرَفَ الْقَوْمُ ولَمْ يَنْصَرِفْ زَوْجِي فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ فَقُلْتُ لَهُمْ فَأَيْنَ مَا تَرَكَ قَالُوا لَمْ يُخَلِّفْ شَيْئاً فَقُلْتُ هَلْ أَوْصَاكُمْ بِوَصِيَّةٍ قَالُوا نَعَمْ زَعَمَ أَنَّكِ حُبْلَى فَمَا وَلَدْتِ مِنْ وَلَدٍ جَارِيَةٍ أَوْ غُلَامٍ فَسَمِّيهِ مَاتَ الدِّينُ فَسَمَّيْتُهُ قَالَ دَاوُدُ

عليه السلام وتَعْرِفِينَ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا خَرَجُوا مَعَ زَوْجِكِ قَالَتْ نَعَمْ قَالَ فَأَحْيَاءٌ هُمْ أَمْ أَمْوَاتٌ قَالَتْ بَلْ أَحْيَاءٌ قَالَ فَانْطَلِقِي بِنَا إِلَيْهِمْ ثُمَّ مَضَى مَعَهَا فَاسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ مَنَازِلِهِمْ فَحَكَمَ بَيْنَهُمْ بِهَذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ وأَثْبَتَ عَلَيْهِمُ الْمَالَ والدَّمَ وقَالَ لِلْمَرْأَةِ سَمِّي ابْنَكِ هَذَا عَاشَ الدِّينُ ثُمَّ إِنَّ الْفَتَى والْقَوْمَ اخْتَلَفُوا فِي مَالِ الْفَتَى كَمْ كَانَ فَأَخَذَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام خَاتَمَهُ وجَمِيعَ خَوَاتِيمِ مَنْ عِنْدَهُ- ثُمَّ قَالَ أَجِيلُوا هَذَا السِّهَامَ فَأَيُّكُمْ أَخْرَجَ خَاتَمِي فَهُوَ صَادِقٌ فِي دَعْوَاهُ لِأَنَّهُ سَهْمُ اللَّهِ وسَهْمُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ.[٤١].

اما الرواية فسندها موثق على الاصح ووجود بعض الواقفية فيها لا يضر.

اما دلالتها: فان الامام قام بعدة خطوات تحقيقية قبل البدء بالحكم من خلال استنطاق اصحاب الميت وافراد كل منهم على حده ، ومن خلال تخويفهم بجعل ملابسهم على رووسهم ، ومن خلال اشهاد الناس عليهم ، ومن خلال رفع الناس بالتكبير بعد شهادة الاول منهم ايحاء بانه كشف ما عنده من حقيقة ، ومن خلال ارساله الى السجن ايحاء منه بان هذا الشخص قد اعترف بجرمه الى غيرها من الايحاءات التي تدخل في باب التحري والتحقيق.

الرواية الثالثة: رواية المراة التي تعلقت برجل.

معتبرة أَبِي الْمُعَلَّى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: أُتِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِامْرَأَةٍ قَدْ تَعَلَّقَتْ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وكَانَتْ تَهْوَاهُ ولَمْ تَقْدِرْ لَهُ عَلَى حِيلَةٍ فَذَهَبَتْ فَأَخَذَتْ بَيْضَةً فَأَخْرَجَتْ مِنْهَا الصُّفْرَةَ وصَبَّتِ الْبَيَاضَ عَلَى ثِيَابِهَا بَيْنَ فَخِذَيْهَا ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى عُمَرَ فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ أَخَذَنِي فِي مَوْضِعِ كَذَا وكَذَا فَفَضَحَنِي قَالَ فَهَمَّ عُمَرُ أَنْ يُعَاقِبَ الْأَنْصَارِيَّ فَجَعَلَ الْأَنْصَارِيُّ يَحْلِفُ وأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام جَالِسٌ ويَقُولُ

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَثَبَّتْ فِي أَمْرِي فَلَمَّا أَكْثَرَ الْفَتَى قَالَ عُمَرُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَا أَبَا الْحَسَنِ مَا تَرَى فَنَظَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَى بَيَاضٍ عَلَى ثَوْبِ الْمَرْأَةِ وبَيْنَ فَخِذَيْهَا فَاتَّهَمَهَا أَنْ تَكُونَ احْتَالَتْ لِذَلِكَ فَقَالَ ائْتُونِي بِمَاءٍ حَارٍّ قَدْ أُغْلِيَ غَلَيَاناً شَدِيداً فَفَعَلُوا فَلَمَّا أُتِيَ بِالْمَاءِ أَمَرَهُمْ فَصَبُّوا عَلَى مَوْضِعِ الْبَيَاضِ فَاشْتَوَى ذَلِكَ الْبَيَاضُ فَأَخَذَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَأَلْقَاهُ فِي فِيهِ فَلَمَّا عَرَفَ طَعْمَهُ أَلْقَاهُ مِنْ فِيهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمَرْأَةِ حَتَّى أَقَرَّتْ بِذَلِكَ ودَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ عَنِ الْأَنْصَارِيِّ عُقُوبَةَ عُمَرَ. (٤٢)

والرواية تامة سندا على الاصح.

اما دلالتها فواضحة في تحري امير المومنين الحقيقة قبل الذهاب الى موازين القضاء من البينات والايمان ، فبعد ان شك امير المومنين بالبياض الذي على جسم المراة بادر الى غلي الماء والقاءه على تلك المادة حتى اشتوت وتذوقها ووجدها بيضا ، فكشف كذب وزور تلك المراة من باب التحقيق والتحري.

الرواية الرابعة: رواية المراة التي انكرت ابنها:

وهي رواية عَاصِمِ بْنِ حَمْزَةَ السَّلُولِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ غُلَاماً بِالْمَدِينَةِ وهُوَ يَقُولُ يَا أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ احْكُمْ بَيْنِي وبَيْنَ أُمِّي فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَا غُلَامُ لِمَ تَدْعُو عَلَى أُمِّكَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهَا حَمَلَتْنِي فِي بَطْنِهَا تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وأَرْضَعَتْنِي حَوْلَيْنِ فَلَمَّا تَرَعْرَعْتُ وعَرَفْتُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ ويَمِينِي عَنْ شِمَالِي طَرَدَتْنِي وانْتَفَتْ مِنِّي وزَعَمَتْ أَنَّهَا لَا تَعْرِفُنِي فَقَالَ عُمَرُ أَيْنَ تَكُونُ الْوَالِدَةُ قَالَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي فُلَانٍ فَقَالَ عُمَرُ عَلَيَّ بِأُمِّ الْغُلَامِ قَالَ فَأَتَوْا بِهَا مَعَ أَرْبَعَةِ إِخْوَةٍ لَهَا وأَرْبَعِينَ قَسَامَةً يَشْهَدُونَ لَهَا أَنَّهَا لَا تَعْرِفُ الصَّبِيَّ وأَنَّ هَذَا الْغُلَامَ غُلَامٌ مُدَّعٍ ظَلُومٌ غَشُومٌ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَحَهَا فِي عَشِيرَتِهَا وأَنَّ هَذِهِ جَارِيَةٌ

مِنْ قُرَيْشٍ لَمْ تَتَزَوَّجْ قَطُّ وأَنَّهَا بِخَاتَمِ رَبِّهَا فَقَالَ عُمَرُ يَا غُلَامُ مَا تَقُولُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ واللَّهِ أُمِّي حَمَلَتْنِي فِي بَطْنِهَا تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وأَرْضَعَتْنِي حَوْلَيْنِ فَلَمَّا تَرَعْرَعْتُ وعَرَفْتُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ ويَمِينِي مِنْ شِمَالِي طَرَدَتْنِي وانْتَفَتْ مِنِّي وزَعَمَتْ أَنَّهَا لَا تَعْرِفُنِي فَقَالَ عُمَرُ يَا هَذِهِ مَا يَقُولُ الْغُلَامُ فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ والَّذِي احْتَجَبَ بِالنُّورِ فَلَا عَيْنَ تَرَاهُ وحَقِّ مُحَمَّدٍ ومَا وَلَدَ مَا أَعْرِفُهُ ولَا أَدْرِي مِنْ أَيِّ النَّاسِ هُوَ وإِنَّهُ غُلَامٌ مُدَّعٍ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَحَنِي فِي عَشِيرَتِي وإِنِّي جَارِيَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ لَمْ أَتَزَوَّجْ قَطُّ وإِنِّي بِخَاتَمِ رَبِّي فَقَالَ عُمَرُ أَ لَكِ شُهُودٌ فَقَالَتْ نَعَمْ هَؤُلَاءِ فَتَقَدَّمَ الْأَرْبَعُونَ الْقَسَامَةَ فَشَهِدُوا عِنْدَ عُمَرَ أَنَّ الْغُلَامَ مُدَّعٍ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَحَهَا فِي عَشِيرَتِهَا وأَنَّ هَذِهِ جَارِيَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ لَمْ تَتَزَوَّجْ قَطُّ وأَنَّهَا بِخَاتَمِ رَبِّهَا فَقَالَ عُمَرُ خُذُوا هَذَا الْغُلَامَ وانْطَلِقُوا بِهِ إِلَى السِّجْنِ حَتَّى نَسْأَلَ عَنِ الشُّهُودِ فَإِنْ عُدِّلَتْ شَهَادَتُهُمْ جَلَدْتُهُ حَدَّ الْمُفْتَرِي فَأَخَذُوا الْغُلَامَ يُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى السِّجْنِ فَتَلَقَّاهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ فَنَادَى الْغُلَامُ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ص إِنَّنِي غُلَامٌ مَظْلُومٌ وأَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ الَّذِي كَلَّمَ بِهِ عُمَرَ ثُمَّ قَالَ وهَذَا عُمَرُ قَدْ أَمَرَ بِي إِلَى الْحَبْسِ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام رُدُّوهُ إِلَى عُمَرَ فَلَمَّا رَدُّوهُ قَالَ لَهُمْ عُمَرُ أَمَرْتُ بِهِ إِلَى السِّجْنِ فَرَدَدْتُمُوهُ إِلَيَّ فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَنْ نَرُدَّهُ إِلَيْكَ وسَمِعْنَاكَ وأَنْتَ تَقُولُ لَا تَعْصُوا لِعَلِيٍّ عليه السلام أَمْراً فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ عَلِيٌّ عليه السلام فَقَالَ عَلَيَّ بِأُمِّ الْغُلَامِ فَأَتَوْا بِهَا فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام يَا غُلَامُ مَا تَقُولُ فَأَعَادَ الْكَلَامَ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام لِعُمَرَ أَ تَأْذَنُ لِي أَنْ أَقْضِيَ بَيْنَهُمْ فَقَالَ عُمَرُ سُبْحَانَ اللَّهِ وكَيْفَ لَا وقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ أَعْلَمُكُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ثُمَّ قَالَ لِلْمَرْأَةِ يَا هَذِهِ أَ لَكِ شُهُودٌ قَالَتْ نَعَمْ فَتَقَدَّمَ الْأَرْبَعُونَ قَسَامَةً فَشَهِدُوا بِالشَّهَادَةِ الْأُولَى فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام لَأَقْضِيَنَّ الْيَوْمَ بِقَضِيَّةٍ بَيْنَكُمَا هِيَ مَرْضَاةُ الرَّبِّ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ عَلَّمَنِيهَا حَبِيبِي رَسُولُ اللَّهِ ص ثُمَّ قَالَ لَهَا أَ لَكِ

وَلِيٌّ قَالَتْ نَعَمْ هَؤُلَاءِ إِخْوَتِي فَقَالَ لِإِخْوَتِهَا أَمْرِي فِيكُمْ وفِي أُخْتِكُمْ جَائِزٌ فَقَالُوا نَعَمْ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ص أَمْرُكَ فِينَا وفِي أُخْتِنَا جَائِزٌ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام أُشْهِدُ اللَّهَ وأُشْهِدُ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُ هَذَا الْغُلَامَ مِنْ هَذِهِ الْجَارِيَةِ بِأَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ والنَّقْدُ مِنْ مَالِي يَا قَنْبَرُ عَلَيَّ بِالدَّرَاهِمِ فَأَتَاهُ قَنْبَرٌ بِهَا فَصَبَّهَا فِي يَدِ الْغُلَامِ قَالَ خُذْهَا فَصُبَّهَا فِي حَجْرِ امْرَأَتِكَ ولَا تَأْتِنَا إِلَّا وبِكَ أَثَرُ الْعُرْسِ يَعْنِي الْغُسْلَ فَقَامَ الْغُلَامُ فَصَبَّ الدَّرَاهِمَ فِي حَجْرِ الْمَرْأَةِ ثُمَّ تَلَبَّبَهَا فَقَالَ لَهَا قُومِي فَنَادَتِ الْمَرْأَةُ النَّارَ النَّارَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ تُرِيدُ أَنْ تُزَوِّجَنِي مِنْ وَلَدِي هَذَا واللَّهِ وَلَدِي زَوَّجَنِي إِخْوَتِي هَجِيناً فَوَلَدْتُ مِنْهُ هَذَا الْغُلَامَ فَلَمَّا تَرَعْرَعَ وشَبَّ أَمَرُونِي أَنْ أَنْتَفِيَ مِنْهُ وأَطْرُدَهُ وهَذَا واللَّهِ وَلَدِي وفُؤَادِي يَتَقَلَّى أَسَفاً عَلَى وَلَدِي قَالَ ثُمَّ أَخَذَتْ بِيَدِ الْغُلَامِ وانْطَلَقَتْ ونَادَى عُمَرُ وَا عُمَرَاهْ لَوْ لَا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ.(٤٣)

الرواية الخامسة: المراة التي تزوجت كبير السن ومات على بطنها:

صحيحة أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: أُتِيَ عُمَرُ بِامْرَأَةٍ قَدْ تَزَوَّجَهَا شَيْخٌ- فَلَمَّا أَنْ وَاقَعَهَا مَاتَ عَلَى بَطْنِهَا فَجَاءَتْ بِوَلَدٍ- فَادَّعَى بَنُوهُ أَنَّهَا فَجَرَتْ وتَشَاهَدُوا عَلَيْهَا- فَأَمَرَ بِهَا عُمَرُ أَنْ تُرْجَمَ فَمُرَّ بِهَا عَلَى عَلِيٍّ ع- فَقَالَتْ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ لِي حُجَّةً- قَالَ هَاتِي حُجَّتَكِ- فَدَفَعَتْ إِلَيْهِ كِتَاباً فَقَرَأَهُ- فَقَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ تُعْلِمُكُمْ بِيَوْمَ تَزَوَّجَهَا- ويَوْمَ وَاقَعَهَا وكَيْفَ كَانَ جِمَاعُهُ لَهَا- رُدُّوا الْمَرْأَةَ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَعَا بِصِبْيَانٍ أَتْرَابٍ- ودَعَا بِالصَّبِيِّ مَعَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ- الْعَبُوا حَتَّى إِذَا أَلْهَاهُمُ اللَّعِبُ- قَالَ لَهُمْ اجْلِسُوا حَتَّى إِذَا تَمَكَّنُوا صَاحَ بِهِمْ- فَقَامَ الصِّبْيَانُ وقَامَ الْغُلَامُ فَاتَّكَى عَلَى رَاحَتَيْهِ- فَدَعَا بِهِ عَلِيٌّ عليه السلام وورَّثَهُ مِنْ أَبِيهِ- وجَلَدَ إِخْوَتَهُ الْمُفْتَرِينَ حَدّاً حَدّاً- فَقَالَ

عُمَرُ كَيْفَ صَنَعْتَ فَقَالَ عَرَفْتُ ضَعْفَ الشَّيْخِ فِي تُكَأَةِ الْغُلَامِ عَلَى رَاحَتَيْهِ.(٤٤)

فالامام كشف الحال بحذاقته وعلمه واستعماله للتحري والتحقيق ، الذي تولد منه علما حسيا او قريبا من الحس فلا اشكال في حجيته.

الرواية السادسة: النزاع بين الغلام ومولاه:

مرسلة عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ رَجُلٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّ رَجُلًا أَقْبَلَ عَلَى عَهْدِ عَلِيٍّ عليه السلام مِنَ الْجَبَلِ حَاجّاً- ومَعَهُ غُلَامٌ لَهُ فَأَذْنَبَ فَضَرَبَهُ مَوْلَاهُ- فَقَالَ مَا أَنْتَ مَوْلَايَ بَلْ أَنَا مَوْلَاكَ- فَمَا زَالَ ذَا يَتَوَعَّدُ ذَا وذَا يَتَوَعَّدُ ذَا- ويَقُولُ كَمَا أَنْتَ حَتَّى نَأْتِيَ الْكُوفَةَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ- فَأَذْهَبَ بِكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام- فَلَمَّا أَتَيَا الْكُوفَةَ أَتَيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام- فَقَالَ الَّذِي ضَرَبَ الْغُلَامَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ- هَذَا غُلَامٌ لِي وإِنَّهُ أَذْنَبَ فَضَرَبْتُهُ فَوَثَبَ عَلَيَّ- وقَالَ الْآخَرُ هُوَ واللَّهِ غُلَامٌ لِي- إِنَّ أَبِي أَرْسَلَنِي مَعَهُ لِيُعَلِّمَنِي- وإِنَّهُ وَثَبَ عَلَيَّ يَدَّعِينِي لِيَذْهَبَ بِمَالِي- قَالَ فَأَخَذَ هَذَا يَحْلِفُ وهَذَا يَحْلِفُ- وهَذَا يُكَذِّبُ هَذَا وهَذَا يُكَذِّبُ هَذَا- فَقَالَ انْطَلِقَا فَتَصَادَقَا فِي لَيْلَتِكُمَا هَذِهِ- ولَا تَجِيئَانِي إِلَّا بِحَقٍّ- قَالَ فَلَمَّا أَصْبَحَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام- قَالَ لِقَنْبَرٍ اثْقُبْ فِي الْحَائِطِ ثَقْبَيْنِ- وكَانَ إِذَا أَصْبَحَ- عَقَّبَ حَتَّى تَصِيرَ الشَّمْسُ عَلَى رُمْحٍ يُسَبِّحُ- فَجَاءَ الرَّجُلَانِ واجْتَمَعَ النَّاسُ- وقَالُوا قَدْ وَرَدَ عَلَيْهِ قَضِيَّةٌ- مَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِثْلُهَا لَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَقَالَ لَهُمَا- مَا تَقُولَانِ فَحَلَفَ هَذَا أَنَّ هَذَا عَبْدُهُ- وحَلَفَ هَذَا أَنَّ هَذَا عَبْدُهُ- فَقَالَ لَهُمَا قُومَا فَإِنِّي لَسْتُ أَرَاكُمَا تَصْدُقَانِ- ثُمَّ قَالَ لِأَحَدِهِمَا أَدْخِلْ رَأْسَكَ فِي هَذَا الثَّقْبِ- ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ أَدْخِلْ رَأْسَكَ فِي هَذَا الثَّقْبِ- ثُمَّ قَالَ يَا قَنْبَرُ عَلَيَّ بِسَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم- عَجِّلْ أَضْرِبْ رَقَبَةَ الْعَبْدِ مِنْهُمَا- قَالَ فَأَخْرَجَ الْغُلَامُ رَأْسَهُ مُبَادِراً- فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام لِلْغُلَامِ- أَ لَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ

لَسْتَ بِعَبْدٍ- ومَكَثَ الْآخَرُ فِي الثَّقْبِ- قَالَ بَلَى إِنَّهُ ضَرَبَنِي وتَعَدَّى عَلَيَّ- قَالَ فَتَوَثَّقَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ودَفَعَهُ إِلَيْهِ.(٤٥).

الرواية السابعة: حق الارغفة:

رواية عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ قَالَ: قَضَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بَيْنَ رَجُلَيْنِ اصْطَحَبَا فِي سَفَرٍ- فَلَمَّا أَرَادَ الْغَدَاءَ أَخْرَجَ أَحَدُهُمَا مِنْ زَادِهِ خَمْسَةَ أَرْغِفَةٍ- وأَخْرَجَ الْآخَرُ ثَلَاثَةَ أَرْغِفَةٍ- فَمَرَّ بِهِمَا عَابِرُ سَبِيلٍ فَدَعَوَاهُ إِلَى طَعَامِهِمَا- فَأَكَلَ الرَّجُلُ مَعَهُمَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ- فَلَمَّا فَرَغُوا أَعْطَاهُمَا الْمُعْتَرُّ بِهِمَا- ثَمَانِيَةَ دَرَاهِمَ ثَوَابَ مَا أَكَلَهُ مِنْ طَعَامِهِمَا- فَقَالَ صَاحِبُ الثَّلَاثَةِ أَرْغِفَةٍ لِصَاحِبِ الْخَمْسَةِ أَرْغِفَةٍ- اقْسِمْهَا نِصْفَيْنِ بَيْنِي وبَيْنَكَ- وقَالَ صَاحِبُ الْخَمْسَةِ لَا- بَلْ يَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا مِنَ الدَّرَاهِمِ- عَلَى عَدَدِ مَا أَخْرَجَ مِنَ الزَّادِ- فَأَتَيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي ذَلِكَ- فَلَمَّا سَمِعَ مَقَالَتَهُمَا قَالَ لَهُمَا- اصْطَلِحَا فَإِنَّ قَضِيَّتَكُمَا دَنِيَّةٌ- فَقَالَا اقْضِ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ- قَالَ فَأَعْطَى صَاحِبَ الْخَمْسَةِ أَرْغِفَةٍ سَبْعَةَ دَرَاهِمَ- وأَعْطَى صَاحِبَ الثَّلَاثَةِ أَرْغِفَةٍ دِرْهَماً- وقَالَ أَ لَيْسَ أَخْرَجَ أَحَدُكُمَا مِنْ زَادِهِ خَمْسَةَ أَرْغِفَةٍ- وأَخْرَجَ الْآخَرُ ثَلَاثَةً قَالَا نَعَمْ قَالَ- أَ لَيْسَ أَكَلَ ضَيْفُكُمَا مَعَكُمَا مِثْلَ مَا أَكَلْتُمَا قَالَا نَعَمْ- قَالَ أَ لَيْسَ أَكَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا- ثَلَاثَةَ أَرْغِفَةٍ غَيْرَ ثُلُثٍ قَالَا نَعَمْ- قَالَ أَ لَيْسَ أَكَلْتَ أَنْتَ يَا صَاحِبَ الثَّلَاثَةِ- ثَلَاثَةَ أَرْغِفَةٍ غَيْرَ ثُلُثٍ- وأَكَلْتَ أَنْتَ يَا صَاحِبَ الْخَمْسَةِ ثَلَاثَةَ أَرْغِفَةٍ غَيْرَ ثُلُثٍ- وأَكَلَ الضَّيْفُ ثَلَاثَةَ أَرْغِفَةٍ غَيْرَ ثُلُثٍ- أَلَيْسَ قَدْ بَقِيَ لَكَ يَا صَاحِبَ الثَّلَاثَةِ- ثُلُثُ رَغِيفٍ مِنْ زَادِكَ- وبَقِيَ لَكَ يَا صَاحِبَ الْخَمْسَةِ رَغِيفَانِ وثُلُثٌ- وأَكَلْتَ ثَلَاثَةً غَيْرَ ثُلُثٍ- فَأَعْطَاكُمَا لِكُلِّ ثُلُثِ رَغِيفٍ دِرْهَماً- فَأَعْطَى صَاحِبَ الرَّغِيفَيْنِ وثُلُثٍ سَبْعَةَ

دَرَاهِمَ- وأَعْطَى صَاحِبَ الثُّلُثِ رَغِيفٍ دِرْهَماً.

الرواية الثامنة: اللبن الاثقل:

مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى عَهْدِ عَلِيٍّ عليه السلام جَارِيَتَانِ- فَوَلَدَتَا جَمِيعاً فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ- فَوَلَدَتْ إِحْدَاهُمَا ابْناً والْأُخْرَى بِنْتاً- فَعَمَدَتْ صَاحِبَةُ الْبِنْتِ- فَوَضَعَتْ بِنْتَهَا فِي الْمَهْدِ الَّذِي فِيهِ الِابْنُ وأَخَذَتْ ابْنَهَا- فَقَالَتْ صَاحِبَةُ الْبِنْتِ الِابْنُ ابْنِي- وقَالَتْ صَاحِبَةُ الِابْنِ الِابْنُ ابْنِي- فَتَحَاكَمَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام- فَأَمَرَ أَنْ يُوزَنَ لَبَنُهُمَا وقَالَ- أَيَّتُهُمَا كَانَتْ أَثْقَلَ لَبَناً فَالِابْنُ لَهَا. (٤٦)

الرواية التاسعة: ام الطفل:

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُفِيدُ فِي الْإِرْشَادِ قَالَ رَوَتِ الْعَامَّةُ والْخَاصَّةُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ تَنَازَعَتَا عَلَى عَهْدِ عُمَرَ- فِي طِفْلٍ ادَّعَتْهُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا وَلَداً لَهَا بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ- ولَمْ يُنَازِعْهُمَا فِيهِ غَيْرُهُمَا- فَالْتَبَسَ الْحُكْمُ فِي ذَلِكَ عَلَى عُمَرَ- فَفَزِعَ فِيهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع- فَاسْتَدْعَى الْمَرْأَتَيْنِ ووَعَظَهُمَا وخَوَّفَهُمَا- فَأَقَامَتَا عَلَى التَّنَازُعِ فَقَالَ عَلِيٌّ ع- ائْتُونِي بِمِنْشَارٍ فَقَالَتِ الْمَرْأَتَانِ فَمَا تَصْنَعُ بِهِ- فَقَالَ أَقُدُّهُ نِصْفَيْنِ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا نِصْفُهُ- فَسَكَتَتْ إِحْدَاهُمَا وقَالَتِ الْأُخْرَى- اللَّهَ اللَّهَ يَا أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام إِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ سَمَحْتُ بِهِ لَهَا- فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا ابْنُكِ دُونَهَا- ولَوْ كَانَ ابْنَهَا لَرَقَّتْ عَلَيْهِ وأَشْفَقَتْ- واعْتَرَفَتِ الْأُخْرَى أَنَّ الْحَقَّ لِصَاحِبَتِهَا- وأَنَّ الْوَلَدَ لَهَا دُونَهَا- قَالَ وجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ- إِنَّهُ كَانَ بَيْنَ يَدَيَّ تَمْرٌ فَبَدَرَتْ زَوْجَتِي- أَخَذَتْ مِنْهُ وَاحِدَةً فَأَلْقَتْهَا فِي فِيهَا- فَحَلَفْتُ أَنَّهَا لَا تَأْكُلُهَا ولَا تَلْفِظُهَا- فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام

تَأْكُلُ نِصْفَهَا وتَلْفِظُ نِصْفَهَا- وقَدْ تَخَلَّصْتَ مِنْ يَمِينِكَ.

الرواية العاشرة:

معتبرة الْأَصْبَغِ بْن نُبَاتَةَ قَالَ: لَقَدْ قَضَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَاسْتَقْبَلَهُ شَابٌّ يَبْكِي وحَوْلَهُ قَوْمٌ يُسْكِتُونَهُ فَلَمَّا رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ شُرَيْحاً قَضَى عَلَيَّ قَضِيَّةً مَا أَدْرِي مَا هِيَ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَا هِيَ فَقَالَ الشَّابُّ إِنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَرَ خَرَجُوا بِأَبِي مَعَهُمْ فِي سَفَرٍ فَرَجَعُوا ولَمْ يَرْجِعْ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْ مَالِهِ فَقَالُوا مَا تَرَكَ مَالًا فَقَدَّمْتُهُمْ إِلَى شُرَيْحٍ فَاسْتَحْلَفَهُمْ وقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَبِي خَرَجَ ومَعَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَقَالَ لَهُمْ ارْجِعُوا فَرَجَعُوا وعَلِيٌّ عليه السلام يَقُولُ-

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وسَعْدٌ يَشْتَمِلُ مَا هَكَذَا تُورَدُ يَا سَعْدُ الْإِبِلُ

مَا يُغْنِي قَضَاؤُكَ يَا شُرَيْحُ ثُمَّ قَالَ واللَّهِ لَأَحْكُمَنَّ فِيهِمْ بِحُكْمٍ مَا حَكَمَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَّا دَاوُدُ النَّبِيُّ عليه السلام يَا قَنْبَرُ ادْعُ لِي شُرْطَةَ الْخَمِيسِ قَالَ فَدَعَا شُرْطَةَ الْخَمِيسِ فَوَكَّلَ بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا مِنَ الشُّرْطَةِ ثُمَّ دَعَا بِهِمْ فَنَظَرَ إِلَى وُجُوهِهِمْ ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ الْأَوَّلِ إِلَى قَوْلِهِ سَمِّي ابْنَكِ هَذَا عَاشَ الدِّينُ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ كَيْفَ تَأْخُذُهُمْ بِالْمَالِ إِنِ ادَّعَى الْغُلَامُ أَنَّ أَبَاهُ خَلَّفَ مِائَةَ أَلْفٍ أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ وقَالَ الْقَوْمُ لَا بَلْ عَشَرَةَ آلَافٍ أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ فَلِهَؤُلَاءِ قَوْلٌ ولِهَذَا قَوْلٌ قَالَ فَإِنِّي آخُذُ خَاتَمَهُ وخَوَاتِيمَهُمْ وأُلْقِيهَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أَقُولُ أَجِيلُوا هَذِهِ السِّهَامَ فَأَيُّكُمْ خَرَجَ سَهْمُهُ فَهُوَ الصَّادِقُ فِي دَعْوَاهُ لِأَنَّهُ سَهْمُ اللَّهِ وسَهْمُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ.[٤٧].

الرواية الحادية عشر:

مرفوعة جَعْفَرِ بْنِ غَالِبٍ الْأَسَدِيِّ رَفَعَ الْحَدِيثَ قَالَ بَيْنَمَا رَجُلَانِ جَالِسَانِ فِي زَمَنِ

عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ إِذْ مَرَّ بِهِمَا رَجُلٌ مُقَيَّدٌ فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْن إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَيْدِهِ كَذَا وكَذَا فَامْرَأَتُهُ طَالِقٌ ثَلَاثاً فَقَالَ الْآخَرُ إِنْ كَانَ فِيهِ كَمَا قُلْتَ فَامْرَأَتُهُ طَالِقٌ ثَلَاثاً فَذَهَبَا إِلَى مَوْلَى الْعَبْدِ وهُوَ الْمُقَيِّدُ فَقَالا لَهُ إِنَّا حَلَفْنَا عَلَى كَذَا وكَذَا فَحُلَّ قَيْدَ غُلَامِكَ حَتَّى نَزِنَهُ فَقَالَ مَوْلَى الْعَبْدِ امْرَأَتُهُ طَالِقٌ إِنْ حَلَلْتُ قَيْدَ غُلَامِي فَارْتَفَعُوا إِلَى عُمَرَ فَقَصُّوا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ عُمَرُ مَوْلَاهُ أَحَقُّ بِهِ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى عَلِيِّ بْن أَبِي طَالِبٍ لَعَلَّهُ يَكُونُ عِنْدَهُ فِي هَذَا شَيْءٌ فَأَتَوْا عَلِيّاً عليه السلام فَقَصُّوا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ مَا أَهْوَنَ هَذَا فَدَعَا بِجَفْنَةٍ[٤٨] وأَمَرَ بِقَيْدِهِ فَشُدَّ فِيهِ خَيْطٌ وأَدْخَلَ رِجْلَيْهِ والْقَيْدَ فِي الْجَفْنَةِ ثُمَّ صَبَّ عَلَيْهِ الْمَاءَ حَتَّى امْتَلَأَتْ ثُمَّ قَالَ عليه السلام ارْفَعُوا الْقَيْدَ فَرَفَعُوا الْقَيْدَ حَتَّى أُخْرِجَ مِنَ الْمَاءِ فَلَمَّا أُخْرِجَ نَقَصَ الْمَاءُ ثُمَّدَعَا بِزُبَرِ الْحَدِيدِ فَأَرْسَلَهُ فِي الْمَاءِ حَتَّى تَرَاجَعَ الْمَاءُ إِلَى مَوْضِعِهِ والْقَيْدُ فِي الْمَاءِ ثُمَّ قَالَ زِنُوا هَذَا الزُّبَرَ فَهُوَ وَزْنُهُ.[٤٩]

الرواية الثانية عشر:

فِي رِوَايَةِ إِبْرَاهِيمَ بْن مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيِّ قَالَ اسْتَوْدَعَ رَجُلَانِ امْرَأَةً وَدِيعَةً وقَالا لَهَا لَا تَدْفَعِي إِلَى وَاحِدٍ مِنَّا حَتَّى نَجْتَمِعَ عِنْدَكِ ثُمَّ انْطَلَقَا فَغَابَا فَجَاءَ أَحَدُهُمَا إِلَيْهَا وقَالَ أَعْطِينِي وَدِيعَتِي فَإِنَّ صَاحِبِي قَدْ مَاتَ فَأَبَتْ حَتَّى كَثُرَ اخْتِلَافُهُ إِلَيْهَا ثُمَّ أَعْطَتْهُ ثُمَّ جَاءَ الْآخَرُ فَقَالَ هَاتِي وَدِيعَتِي قَالَتْ أَخَذَهَا صَاحِبُكَ وذَكَرَ أَنَّكَ قَدْ مِتَّ فَارْتَفَعَا إِلَى عُمَرَ فَقَالَ لَهَا عُمَرُ مَا أَرَاكِ إِلَّا وقَدْ ضَمِنْتِ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ اجْعَلْ عَلِيّاً عليه السلام بَيْنِي وبَيْنَهُ فَقَالَ لَهُ اقْضِ بَيْنَهُمَا فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام هَذِهِ الْوَدِيعَةُ عِنْدَهَا[٥٠] وقَدْ أَمَرْتُمَاهَا أَلَّا تَدْفَعَهَا إِلَى وَاحِدٍ مِنْكُمَا حَتَّى تَجْتَمِعَا عِنْدَهَا فَائْتِنِي بِصَاحِبِكَ ولَمْ يُضَمِّنْهَا وقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام إِنَّمَا أَرَادَا أَنْ يَذْهَبَا بِمَالِ الْمَرْأَةِ.

الرواية الثالثة عشر:

معتبرة مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى عَهْدِ عَلِيٍّ عليه السلام جَارِيَتَانِ فَوَلَدَتَا جَمِيعاً فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ إِحْدَاهُمَا ابْناً والْأُخْرَى بِنْتاً فَعَمَدَتْ[٥١] صَاحِبَةُ الِابْنَةِ فَوَضَعَتِ ابْنَتَهَا فِي الْمَهْدِ الَّذِي كَانَ فِيهِ الِابْنُ وأَخَذَتِ ابْنَهَا فَقَالَتْ صَاحِبَةُ الِابْنَةِ الِابْنُ ابْنِي وقَالَتْ صَاحِبَةُ الِابْنِ الِابْنُ ابْنِي فَتَحَاكَمَا[٥٢] إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَأَمَرَ أَنْ يُوزَنَ لَبَنُهُمَا وقَالَ أَيَّتُهُمَا كَانَتْ أَثْقَلَ لَبَناً فَالابْنُ لَهَا.[٥٣]

الرواية الرابعة عشر:

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام[٥٤] ضَرَبَ رَجُلٌ رَجُلًا فِي هَامَتِهِ عَلَى عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَادَّعَى الْمَضْرُوبُ أَنَّهُ لَا يُبْصِرُ بِعَيْنَيْهِ شَيْئاً وأَنَّهُ لَا يَشَمُّ رَائِحَةً- وأَنَّهُ قَدْ خَرِسَ فَلَا يَنْطِقُ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ ثَلَاثُ دِيَاتِ النَّفْسِ فَقِيلَ لَهُ وكَيْفَ يَسْتَبِينُ ذَلِكَ مِنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى نَعْلَمَ أَنَّهُ صَادِقٌ فَقَالَ أَمَّا مَا ادَّعَاهُ فِي عَيْنَيْهِ وأَنَّهُ لَا يُبْصِرُ بِهِمَا فَإِنَّهُ يَسْتَبِينُ ذَلِكَ بِأَنْ يُقَالَ لَهُ ارْفَعْ عَيْنَيْكَ إِلَى عَيْنِ الشَّمْسِ فَإِنْ كَانَ صَحِيحاً لَمْ يَتَمَالَكْ إِلَّا أَنْ يُغْمِضَ عَيْنَيْهِ[٥٥] وإِنْ كَانَ صَادِقاً لَمْ يُبْصِرْ بِهِمَا وبَقِيَتْ عَيْنَاهُ مَفْتُوحَتَيْنِ وأَمَّا مَا ادَّعَاهُ فِي خَيَاشِيمِهِ[٥٦] وأَنَّهُ لَا يَشَمُّ رَائِحَةً فَإِنَّهُ يَسْتَبِينُ ذَلِكَ بِحُرَاقٍ يُدْنَى مِنْ أَنْفِهِ[٥٧] فَإِنْ كَانَ صَحِيحاً وَصَلَتْ رَائِحَةُ الْحُرَاقِ إِلَى دِمَاغِهِ ودَمَعَتْ عَيْنَاهُ ونَحَّى بِرَأْسِهِ[٥٨] وأَمَّا مَا ادَّعَاهُ فِي لِسَانِهِ مِنَ الْخَرَسِ وأَنَّهُ لَا يَنْطِقُ فَإِنَّهُ يَسْتَبِينُ[٥٩] ذَلِكَ بِإِبْرَةٍ تُضْرَبُ عَلَى لِسَانِهِ فَإِنْ كَانَ يَنْطِقُ خَرَجَ الدَّمُ أَحْمَرَ وإِنْ كَانَ لَا يَنْطِقُ خَرَجَ الدَّمُ أَسْوَدَ[٦٠].

الرواية الخامسة عشرة:

معتبرة سَعْدُ بْنُ طَرِيفٍ عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ أُتِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِجَارِيَةٍ فَشَهِدَ عَلَيْهَا شُهُودٌ أَنَّهَا بَغَتْ وكَانَ مِنْ قِصَّتِهَا أَنَّهَا كَانَتْ يَتِيمَةً عِنْدَ رَجُلٍ وكَانَ لِلرَّجُلِ امْرَأَةٌ وكَانَ الرَّجُلُ كَثِيراً مَا يَغِيبُ عَنْ أَهْلِهِ فَشَبَّتِ الْيَتِيمَةُ وكَانَتْ جَمِيلَةً فَتَخَوَّفَتِ الْمَرْأَةُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا زَوْجُهَا إِذَا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَدَعَتْ بِنِسْوَةٍ مِنْ جِيرَانِهَا فَأَمْسَكْنَهَا ثُمَّ اقْتَضَّتْهَا بِإِصْبَعِهَا[٦١] فَلَمَّا قَدِمَ زَوْجُهَا سَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنِ الْيَتِيمَةِ فَرَمَتْهَا بِالْفَاحِشَةِ وأَقَامَتِ الْبَيِّنَةَ مِنْ جِيرَانِهَا عَلَى ذَلِكَ قَالَ فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَقْضِي فِي ذَلِكَ فَقَالَ لِلرَّجُلِ اذْهَبْ بِهَا إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَأَتَوْا عَلِيّاً وقَصُّوا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ لِامْرَأَةِ الرَّجُلِ أَ لَكِ بَيِّنَةٌ قَالَتْ نَعَمْ هَؤُلَاءِ جِيرَانِي[٦٢] يَشْهَدْنَ عَلَيْهَا بِمَا أَقُولُ فَأَخْرَجَ عَلِيٌّ عليه السلام السَّيْفَ مِنْ غِمْدِهِ وطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ أَمَرَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الشُّهُودِ فَأُدْخِلَتْ بَيْتاً ثُمَّ دَعَا بِامْرَأَةِ الرَّجُلِ فَأَدَارَهَا بِكُلِّ وَجْهٍ فَأَبَتْ أَنْ تَزُولَ عَنْ قَوْلِهَا فَرَدَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ ثُمَّ دَعَا بِإِحْدَى الشُّهُودِ وجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وقَالَ لَهَا أَ تَعْرِفِينِي أَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وهَذَا سَيْفِي وقَدْ قَالَتِ امْرَأَةُ الرَّجُلِ مَا قَالَتْ ورَجَعَتْ إِلَى الْحَقِّ وأَعْطَيْتُهَا الْأَمَانَ فَاصْدُقِينِي وإِلَّا مَلَأْتُ سَيْفِي مِنْكِ فَالْتَفَتَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى عَلِيٍّ[٦٣] فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَمَانَ عَلَى الصِّدْقِ فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ عليه السلام فَاصْدُقِي فَقَالَتْ لَا واللَّهِ مَا زَنَتِ الْيَتِيمَةُ ولَكِنِ امْرَأَةُ الرَّجُلِ لَمَّا رَأَتْ حُسْنَهَا وجَمَالَهَا وهَيْئَتَهَا خَافَتْ فَسَادَ زَوْجِهَا فَسَقَتْهَا الْمُسْكِرَ ودَعَتْنَا فَأَمْسَكْنَاهَا فَاقْتَضَّتْهَا بِإِصْبَعِهَا فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الشُّهُودِ إِلَّا دَانِيَالَ ثُمَّ حَدَّ الْمَرْأَةَ حَدَّ الْقَاذِفِ وأَلْزَمَهَا ومَنْ سَاعَدَهَا عَلَى اقْتِضَاضِ الْيَتِيمَةِ الْمَهْرَ لَهَا أَرْبَعَ مِائَةِ دِرْهَمٍ وفَرَّقَ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وزَوْجِهَا وزَوَّجَهُ الْيَتِيمَةَ وسَاقَ عَنْهُ الْمَهْرَ إِلَيْهَا مِنْ مَالِهِ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَحَدِّثْنَا يَا أَبَا الْحَسَنِ بِحَدِيثِ

دَانِيَالَ النَّبِيِّ عليه السلام فَقَالَ إِنَّ دَانِيَالَ كَانَ غُلَاماً يَتِيماً لَا أَبٌ لَهُ ولَا أُمٌّ وإِنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَجُوزاً ضَمَّتْهُ إِلَيْهَا ورَبَّتْهُ وإِنَّ مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ لَهُ قَاضِيَانِ وكَانَ لَهُ صَدِيقٌ وكَانَ رَجُلًا صَالِحاً وكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ وكَانَ يَأْتِي الْمَلِكَ فَيُحَدِّثُهُ فَاحْتَاجَ الْمَلِكُ إِلَى رَجُلٍ يَبْعَثُهُ فِي بَعْضِ أُمُورِهِ فَقَالَ لِلْقَاضِيَيْنِ اخْتَارَا لِي رَجُلًا أَبْعَثْهُ فِي بَعْضِ أُمُورِي فَقَالا فُلَانٌ فَوَجَّهَهُ الْمَلِكُ فَقَالَ الرَّجُلُ لِلْقَاضِيَيْنِ أُوصِيكُمَا بِامْرَأَتِي خَيْراً فَقَالا نَعَمْ فَخَرَجَ الرَّجُلُ وكَانَ الْقَاضِيَانِ يَأْتِيَانِ بَابَ الصَّدِيقِ فَعَشِقَا امْرَأَتَهُ فَرَاوَدَاهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ عَلَيْهِمَا فَقَالا لَهَا إِنْ لَمْ تَفْعَلِي شَهِدْنَا عَلَيْكِ عِنْدَ الْمَلِكِ بِالزِّنَا لِيَرْجُمَكِ فَقَالَتِ افْعَلَا مَا شِئْتُمَا فَأَتَيَا الْمَلِكَ فَشَهِدَا عَلَيْهَا أَنَّهَا بَغَتْ وكَانَ لَهَا ذِكْرٌ حَسَنٌ جَمِيلٌ فَدَخَلَ الْمَلِكَ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ اشْتَدَّ غَمُّهُ وكَانَ بِهَا مُعْجَباً فَقَالَ لَهُمَا إِنَّ قَوْلَكُمَا مَقْبُولٌ فَأَجِّلُوهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ ارْجُمُوهَا ونَادَى فِي مَدِينَتِهِ احْضُرُوا قَتْلَ فُلَانَةَ الْعَابِدَةِ فَإِنَّهَا قَدْ بَغَتْ وقَدْ شَهِدَ عَلَيْهَا الْقَاضِيَانِ بِذَلِكَ فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ الْمَلِكُ لِوَزِيرِهِ مَا عِنْدَكَ فِي هَذَا حِيلَةٌ فَقَالَ لَا واللَّهِ مَا عِنْدِي فِي هَذَا شَيْءٌ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ رَكِبَ الْوَزِيرُ وهُوَ آخِرُ أَيَّامِهَا فَإِذَا هُوَ بِغِلْمَانٍ عُرَاةٍ يَلْعَبُونَ وفِيهِمْ دَانِيَالُ فَقَالَ دَانِيَالُ يَا مَعْشَرَ الصِّبْيَانِ تَعَالَوْا حَتَّى أَكُونَ أَنَا الْمَلِكَ وتَكُونَ أَنْتَ يَا فُلَانُ فُلَانَةَ الْعَابِدَةَ ويَكُونَ فُلَانٌ وفُلَانٌ الْقَاضِيَيْنِ الشَّاهِدَيْنِ عَلَيْهَا ثُمَّ جَمَعَ تُرَاباً وجَعَلَ سَيْفاً مِنْ قَصَبٍ ثُمَّ قَالَ لِلْغِلْمَانِ خُذُوا بِيَدِ هَذَا فَنَحُّوهُ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا والْوَزِيرُ وَاقِفٌ وخُذُوا هَذَا فَنَحُّوهُ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا ثُمَّ دَعَا بِأَحَدِهِمَا فَقَالَ قُلْ حَقّاً فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَقُلْ حَقّاً قَتَلْتُكَ قَالَ نَعَمْ والْوَزِيرُ يَسْمَعُ فَقَالَ لَهُ بِمَ تَشْهَدُ عَلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ قَالَ أَشْهَدُ أَنَّهَا زَنَتْ قَالَ فِي أَيِّ يَوْمٍ قَالَ فِي يَوْمِ كَذَا وكَذَا قَالَ فِي أَيِّ وَقْتٍ قَالَ فِي وَقْتِ كَذَا وكَذَا قَالَ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ قَالَ فِي مَوْضِعِ كَذَا وكَذَا قَالَ مَعَ مَنْ قَالَ مَعَ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ فَقَالَ رُدُّوا هَذَا إِلَى مَكَانِهِ

وهَاتُوا الْآخَرَ فَرَدُّوهُ وجَاءُوا بِالْآخَرِ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَخَالَفَ صَاحِبَهُ فِي الْقَوْلِ فَقَالَ دَانِيَالُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ شَهِدَا عَلَيْهَا بِزُورٍ ثُمَّ نَادَى فِي الْغِلْمَانِ إِنَّ الْقَاضِيَيْنِ شَهِدَا عَلَى فُلَانَةَ بِالزُّورِ فَاحْضُرُوا قَتْلَهُمَا فَذَهَبَ الْوَزِيرُ إِلَى الْمَلِكِ مُبَادِراً فَأَخْبَرَهُ بِالْخَبَرِ فَبَعَثَ الْمَلِكُ إِلَى الْقَاضِيَيْنِ فَأَحْضَرَهُمَا ثُمَّ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا وفَعَلَ بِهِمَا كَمَا فَعَلَ دَانِيَالُ بِالْغُلَامَيْنِ فَاخْتَلَفَا كَمَا اخْتَلَفَا فَنَادَى فِي النَّاسِ وأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا[٦٤]. مر انها قريبة من الرواية الثانية اعلاه.

الرواية السادسة عشر:

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام وُجِدَ عَلَى عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ رَجُلٌ مَذْبُوحٌ فِي خَرِبَةٍ وهُنَاكَ رَجُلٌ بِيَدِهِ سِكِّينٌ مُلَطَّخٌ بِالدَّمِ فَأُخِذَ لِيُؤْتَى بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَأَقَرَّ أَنَّهُ قَتَلَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُمْ خَلُّوا عَنْ هَذَا فَأَنَا قَاتِلُ صَاحِبِكُمْ فَأُخِذَ أَيْضاً وأُتِيَ بِهِ مَعَ صَاحِبِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَلَمَّا دَخَلُوا قَصُّوا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ لِلْأَوَّلِ مَا حَمَلَكَ عَلَى الْإِقْرَارِ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي رَجُلٌ قَصَّابٌ وقَدْ كُنْتُ ذَبَحْتُ شَاةً بِجَنْبِ الْخَرِبَةِ فَأَعْجَلَنِي الْبَوْلُ فَدَخَلْتُ الْخَرِبَةَ وبِيَدِي سِكِّينٌ مُلَطَّخٌ بِالدَّمِ فَأَخَذَنِي هَؤُلَاءِ وقَالُوا أَنْتَ قَتَلْتَ صَاحِبَنَا فَقُلْتُ مَا يُغْنِي عَنِّي الْإِنْكَارُ شَيْئاً وهَاهُنَا رَجُلٌ مَذْبُوحٌ وأَنَا بِيَدِي سِكِّينٌ مُلَطَّخٌ بِالدَّمِ فَأَقْرَرْتُ لَهُمْ أَنِّي قَتَلْتُهُ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام لِلْآخَرِ مَا تَقُولُ أَنْتَ قَالَ أَنَا قَتَلْتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع - اذْهَبُوا إِلَى الْحَسَنِ ابْنِي لِيَحْكُمَ بَيْنَكُمْ فَذَهَبُوا إِلَيْهِ وقَصُّوا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ عليه السلام أَمَّا هَذَا فَإِنْ كَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا فَقَدْ أَحْيَا هَذَا واللَّهُ عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ - ومَنْ أَحْيَاها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمَا شَيْءٌ وتُخْرَجُ الدِّيَةُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ لِوَرَثَةِ الْمَقْتُولِ[٦٥].

الرواية السابعة عشر:

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام تُوُفِّيَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وخَلَّفَ ابْناً وعَبْداً فَادَّعَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَّهُ الِابْنُ وأَنَّ الْآخَرَ عَبْدٌ لَهُ فَأَتَيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ فَأَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنْ يُثْقَبَ فِي حَائِطِ الْمَسْجِدِ ثَقْبَيْنِ ثُمَّ أَمَرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يُدْخِلَ رَأْسَهُ فِي ثَقْبٍ فَفَعَلَا ثُمَّ قَالَ يَا قَنْبَرُ جَرِّدِ السَّيْفَ وأَسَرَّ إِلَيْهِ لَا تَفْعَلْ مَا آمُرُكَ بِهِ ثُمَّ قَالَ اضْرِبْ عُنُقَ الْعَبْدِ قَالَ فَنَحَّى الْعَبْدُ رَأْسَهُ فَأَخَذَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وقَالَ لِلْآخَرِ أَنْتَ الِابْنُ وقَدْ أَعْتَقْتُ هَذَا وجَعَلْتُهُ مَوْلًى لَكَ.

الرواية الثامنة عشر:

سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ أُتِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِامْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا شَيْخٌ فَلَمَّا أَنْ وَاقَعَهَا مَاتَ عَلَى بَطْنِهَا فَجَاءَتْ بِوَلَدٍ فَادَّعَى بَنُوهُ أَنَّهَا فَجَرَتْ وتَشَاهَدُوا عَلَيْهَا فَأَمَرَ بِهَا عُمَرُ أَنْ تُرْجَمَ فَمَرُّوا بِهَا عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَقَالَتْ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ إِنِّي مَظْلُومَةٌ وهَذِهِ حُجَّتِي فَقَالَ هَاتِي حُجَّتَكِ فَدَفَعَتْ إِلَيْهِ كِتَاباً فَقَرَأَهُ فَقَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ تُعْلِمُكُمْ بِيَوْمَ تَزَوَّجَهَا ويَوْمَ وَاقَعَهَا وكَيْفَ كَانَ جِمَاعُهُ لَهَا[٦٦] رُدُّوا الْمَرْأَةَ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَعَا عَلِيٌّ عليه السلام بِصِبْيَانٍ يَلْعَبُونَ أَتْرَابٍ[٦٧] وفِيهِمُ ابْنُهَا فَقَالَ لَهُمُ الْعَبُوا فَلَعِبُوا حَتَّى إِذَا أَلْهَاهُمُ اللَّعِبُ فَصَاحَ بِهِمْ فَقَامُوا وقَامَ الْغُلَامُ الَّذِي هُوَ ابْنُ الْمَرْأَةِ مُتَّكِئاً عَلَى رَاحَتَيْهِ فَدَعَا بِهِ عَلِيٌّ عليه السلام فَوَرَّثَهُ مِنْ أَبِيهِ وجَلَدَ إِخْوَتَهُ الْمُفْتَرِينَ حَدّاً حَدّاً فَقَالَ لَهُ عُمَرُ كَيْفَ صَنَعْتَ قَالَ عَرَفْتُ ضَعْفَ الشَّيْخِ فِي تُكَأَةِ الْغُلَامِ عَلَى رَاحَتَيْهِ[٦٨].هذه الرواية قريبة من الرواية السادسة.

الرواية التاسعة عشر:

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام دَخَلَ عَلِيٌّ عليه السلام الْمَسْجِدَ فَاسْتَقْبَلَهُ شَابٌّ وهُوَ يَبْكِي وحَوْلَهُ قَوْمٌ يُسْكِتُونَهُ- فَقَالَ عليه السلام مَا أَبْكَاكَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ شُرَيْحاً قَضَى عَلَيَّ بِقَضِيَّةٍ مَا أَدْرِي مَا هِيَ إِنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَرَ خَرَجُوا بِأَبِي مَعَهُمْ فِي سَفَرِهِمْ فَرَجَعُوا ولَمْ يَرْجِعْ أَبِي فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْ مَالِهِ فَقَالُوا مَا تَرَكَ مَالًا فَقَدَّمْتُهُمْ إِلَى شُرَيْحٍ فَاسْتَحْلَفَهُمْ وقَدْ عَلِمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَبِي خَرَجَ ومَعَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَقَالَ لَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ارْجِعُوا فَرُدُّوهُمْ جَمِيعاً والْفَتَى مَعَهُمْ إِلَى شُرَيْحٍ فَقَالَ لَهُ يَا شُرَيْحُ كَيْفَ قَضَيْتَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ادَّعَى هَذَا الْغُلَامُ عَلَى هَؤُلَاءِ النَّفَرِ أَنَّهُمْ خَرَجُوا فِي سَفَرٍ وأَبُوهُ مَعَهُمْ فَرَجَعُوا ولَمْ يَرْجِعْ أَبُوهُ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْ مَالِهِ فَقَالُوا مَا خَلَّفَ شَيْئاً فَقُلْتُ لِلْفَتَى هَلْ لَكَ بَيِّنَةٌ عَلَى مَا تَدَّعِي فَقَالَ لَا فَاسْتَحْلَفْتُهُمْ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام يَا شُرَيْحُ هَيْهَاتَ هَكَذَا تَحْكُمُ فِي مِثْلِ هَذَا[٦٩] فَقَالَ كَيْفَ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام يَا شُرَيْحُ واللَّهِ لَأَحْكُمَنَّ فِيهِمْ بِحُكْمٍ مَا حَكَمَ بِهِ خَلْقٌ قَبْلِي إِلَّا دَاوُدُ النَّبِيُّ عليه السلام يَا قَنْبَرُ ادْعُ لِي شُرْطَةَ الْخَمِيسِ فَدَعَاهُمْ فَوَكَّلَ بِهِمْ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَجُلًا مِنَ الشُّرْطَةِ ثُمَّ نَظَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَى وُجُوهِهِمْ فَقَالَ مَا ذَا تَقُولُونَ أَ تَقُولُونَ إِنِّي لَا أَعْلَمُ مَا صَنَعْتُمْ بِأَبِ هَذَا الْفَتَى إِنِّي إِذاً لَجَاهِلٌ ثُمَّ قَالَ فَرِّقُوهُمْ وغَطُّوا رُءُوسَهُمْ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمْ وأُقِيمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى أُسْطُوَانَةٍ مِنْ أَسَاطِينِ الْمَسْجِدِ ورُءُوسُهُمْ مُغَطَّاةٌ بِثِيَابِهِمْ ثُمَّ دَعَا بِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ كَاتِبِهِ فَقَالَ هَاتِ صَحِيفَةً ودَوَاةً وجَلَسَ عَلِيٌّ عليه السلام فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ واجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَقَالَ إِذَا أَنَا كَبَّرْتُ فَكَبِّرُوا ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ أَفْرِجُوا ثُمَّ دَعَا بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ اكْتُبْ إِقْرَارَهُ ومَا يَقُولُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِالسُّؤَالِ ثُمَّ قَالَ لَهُ فِي أَيِّ يَوْمٍ خَرَجْتُمْ مِنْ

مَنَازِلِكُمْ وأَبُو هَذَا الْفَتَى مَعَكُمْ فَقَالَ الرَّجُلُ فِي يَوْمِ كَذَا وكَذَا فَقَالَ وفِي أَيِّ شَهْرٍ فَقَالَ فِي شَهْرِ كَذَا وكَذَا قَالَ وإِلَى أَيْنَ بَلَغْتُمْ مِنْ سَفَرِكُمْ حِينَ مَاتَ أَبُو هَذَا الْفَتَى قَالَ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا وكَذَا قَالَ وفِي أَيِّ مَنْزِلٍ قَالَ فِي مَنْزِلِ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ قَالَ ومَا كَانَ مِنْ مَرَضِهِ قَالَ كَذَا وكَذَا قَالَ وكَمْ يَوْماً مَرِضَ قَالَ كَذَا وكَذَا يَوْماً قَالَ فَمَنْ كَانَ يُمَرِّضُهُ وفِي أَيِّ يَوْمٍ مَاتَ ومَنْ غَسَّلَهُ وأَيْنَ غَسَّلَهُ ومَنْ كَفَّنَهُ وبِمَا كَفَّنْتُمُوهُ ومَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ومَنْ نَزَلَ قَبْرَهُ فَلَمَّا سَأَلَهُ عَنْ جَمِيعِ مَا يُرِيدُ كَبَّرَ عَلِيٌّ عليه السلام وكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ فَارْتَابَ أُولَئِكَ الْبَاقُونَ ولَمْ يَشُكُّوا أَنَّ صَاحِبَهُمْ قَدْ أَقَرَّ عَلَيْهِمْ وعَلَى نَفْسِهِ فَأَمَرَ أَنْ يُغَطَّى رَأْسُهُ وأَنْ يَنْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْحَبْسِ ثُمَّ دَعَا بِآخَرَ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ كَلَّا زَعَمْتَ أَنِّي لَا أَعْلَمُ مَا صَنَعْتُمْ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنَا إِلَّا وَاحِدٌ مِنَ الْقَوْمِ ولَقَدْ كُنْتُ كَارِهاً لِقَتْلِهِ فَأَقَرَّ ثُمَّ دَعَا بِوَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ فَكُلُّهُمْ يُقِرُّ بِالْقَتْلِ وأَخْذِ الْمَالِ ثُمَّ رَدَّ الَّذِي كَانَ أَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ فَأَقَرَّ أَيْضاً فَأَلْزَمَهُمُ الْمَالَ والدَّمَ فَقَالَ شُرَيْحٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وكَيْفَ كَانَ حُكْمُ دَاوُدَ فَقَالَ عليه السلام إِنَّ دَاوُدَ النَّبِيَّ عليه السلام مَرَّ بِغِلْمَةٍ يَلْعَبُونَ ويُنَادُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً مَاتَ الدِّينُ فَدَعَا مِنْهُمْ غُلَاماً فَقَالَ لَهُ يَا غُلَامُ مَا اسْمُكَ قَالَ اسْمِي مَاتَ الدِّينُ فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ عليه السلام مَنْ سَمَّاكَ بِهَذَا الِاسْمِ قَالَ أُمِّي فَانْطَلَقَ إِلَى أُمِّهِ فَقَالَ يَا امْرَأَةُ مَا اسْمُ ابْنِكِ هَذَا قَالَتْ مَاتَ الدِّينُ فَقَالَ لَهَا ومَنْ سَمَّاهُ بِهَذَا الِاسْمِ قَالَتْ أَبُوهُ قَالَ وكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ قَالَتْ إِنَّ أَبَاهُ خَرَجَ فِي سَفَرٍ لَهُ ومَعَهُ قَوْمٌ وهَذَا الصَّبِيُّ حَمْلٌ فِي بَطْنِي فَانْصَرَفَ الْقَوْمُ ولَمْ يَنْصَرِفْ زَوْجِي فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ قُلْتُ أَيْنَ مَا تَرَكَ قَالُوا لَمْ يُخَلِّفْ مَالًا فَقُلْتُ أَوْصَاكُمْ بِوَصِيَّةٍ قَالُوا نَعَمْ زَعَمَ أَنَّكِ حُبْلَى فَمَا وَلَدْتِ مِنْ وَلَدٍ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى فَسَمِّيهِ مَاتَ الدِّينُ فَسَمَّيْتُهُ فَقَالَ أَ تَعْرِفِينَ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا خَرَجُوا مَعَ زَوْجِكِ قَالَتْ نَعَمْ قَالَ فَأَحْيَاءٌ هُمْ أَمْ أَمْوَاتٌ قَالَتْ بَلْ أَحْيَاءٌ قَالَ فَانْطَلِقِي بِنَا إِلَيْهِمْ ثُمَّ مَضَى مَعَهَا

فَاسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ مَنَازِلِهِمْ فَحَكَمَ بَيْنَهُمْ بِهَذَا الْحُكْمِ فَثَبَّتَ عَلَيْهِمُ الْمَالَ والدَّمَ ثُمَّ قَالَ لِلْمَرْأَةِ سَمِّي ابْنَكِ هَذَا عَاشَ الدِّينُ ثُمَّ إِنَّ الْفَتَى والْقَوْمَ اخْتَلَفُوا فِي مَالِ أَبِ الْفَتَى كَمْ كَانَ فَأَخَذَ عَلِيٌّ عليه السلام خَاتَمَهُ وجَمَعَ خَوَاتِيمَ عِدَّةٍ ثُمَّ قَالَ أَجِيلُوا هَذِهِ السِّهَامَ فَأَيُّكُمْ أَخْرَجَ خَاتَمِي فَهُوَ الصَّادِقُ فِي دَعْوَاهُ لِأَنَّهُ سَهْمُ اللَّهِ عَزَّ وجَلَ[٧٠] وهُوَ سَهْمٌ لَا يَخِيبُ.

الرواية العشرون:

قَضَى عَلِيٌّ عليه السلام فِي امْرَأَةٍ أَتَتْهُ فَقَالَتْ إِنَّ زَوْجِي وَقَعَ عَلَى جَارِيَتِي بِغَيْرِ إِذْنِي فَقَالَ لِلرَّجُلِ مَا تَقُولُ فَقَالَ مَا وَقَعْتُ عَلَيْهَا إِلَّا بِإِذْنِهَا فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام إِنْ كُنْتِ صَادِقَةً رَجَمْنَاهُ وإِنْ كُنْتِ كَاذِبَةً ضَرَبْنَاكِ حَدّاً وأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَقَامَ عَلِيٌّ عليه السلام يُصَلِّي فَفَكَّرَتِ الْمَرْأَةُ فِي نَفْسِهَا فَلَمْ تَرَ لَهَا فِي رَجْمِ زَوْجِهَا فَرَجاً ولَا فِي ضَرْبِهَا الْحَدَّ فَخَرَجَتْ ولَمْ تَعُدْ ولَمْ يَسْأَلْ عَنْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

الرواية الحادية والعشرون:

قَضَى عَلِيٌّ عليه السلام فِي رَجُلٍ جَاءَ بِهِ رَجُلَانِ فَقَالَا إِنَّ هَذَا سَرَقَ دِرْعاً فَجَعَلَ الرَّجُلُ يُنَاشِدُهُ لَمَّا نَظَرَ فِي الْبَيِّنَةِ[٧١] وجَعَلَ يَقُولُ واللَّهِ لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَا قَطَعَ يَدِي أَبَداً قَالَ ولِمَ قَالَ كَانَ يُخْبِرُهُ رَبِّي عَزَّ وجَلَّ أَنِّي بَرِيءٌ فَيُبَرِّئُنِي بِبَرَاءَتِي فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ عليه السلام مُنَاشَدَتَهُ إِيَّاهُ دَعَا الشَّاهِدَيْنِ وقَالَ لَهُمَا اتَّقِيَا اللَّهَ ولَا تَقْطَعَا يَدَ الرَّجُلِ ظُلْماً ونَاشَدَهُمَا ثُمَّ قَالَ لِيَقْطَعْ أَحَدُكُمَا يَدَهُ ويُمْسِكَ الْآخَرُ يَدَهُ فَلَمَّا تَقَدَّمَا إِلَى الْمِصْطَبَّةِ[٧٢] لِيَقْطَعَا يَدَهُ ضَرَبَا النَّاسَ حَتَّى اخْتَلَطُوا فَلَمَّا اخْتَلَطُوا أَرْسَلَا الرَّجُلَ فِي غُمَارِ النَّاسِ[٧٣] وفَرَّا حَتَّى اخْتَلَطَا بِالنَّاسِ فَجَاءَ الَّذِي شَهِدَا عَلَيْهِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَهِدَ عَلَيَّ الرَّجُلَانِ ظُلْماً فَلَمَّا ضَرَبَا النَّاسَ واخْتَلَطُوا أَرْسَلَانِي وفَرَّا ولَوْ كَانَا صَادِقَيْنِ لَمَا فَرَّا ولَمْ يُرْسِلَانِي فَقَالَ

عَلِيٌّ عليه السلام مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى هَذَيْنِ الشَّاهِدَيْنِ أُنَكِّلْهُمَا[٧٤].

وغيرها لمن تتبع.

الخلاصة الروائية:

يتبين مما تقدم أن الاجراءات التي قام بها أمير المؤمنين هي نوعين:

الاول: هي عملية جمع الأدلة سواء كانت لصالح المتهم أم ضده وكان يركز الامام على مدى مصداقية الادلة ومطابقتها للواقع.

الثاني: إجراءات إحتياطية تتخذ من أجل الحفاظ على معالم الجريمة والغرض منها الوصول الى الحق وعد إفلات الجاني من يد العدالة.

وإما إجراءات جمع الأدلة هي:

١- معاينة مسرح الجريمة اي الكشف عن مكان الحادث.

٢- الاستجواب وما يرتسم على وجه الجاني من إمارات فيقول الامام في هذا الشأن (ماأضمر أحد شيئاً إلا وظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه).

٣- الشهادة من خلال الاستماع للشهود كلٌ على إنفراد وهو الاسلوب الذي اتبعه الامام وقدأعتمده العالم اليوم، وفيها أمور: أن تكون عينية لا لسانية أي شاهد عيان لأن الامام علي يقول في هذا الصدد (بين الحق والباطل أربعة أصابع)

٤- تدوين هوية الشاهد وتفاصيله الشخصية، للسؤال والتحري عنه وهي طرق متبعة اليوم.

٥- عند رجوع الشاهد عن شهادته فأن أقواله وشهادته الثانية لا تقبل ويؤخذ بالأولى، فيقول في هذا الصدد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (من شهد عندنا ثم غيَّر أخذناه

بالأولى وطرحنا الأخيرة).

المبحث الثالث: قواعد التحري والحق القضائي:

اولاً: احكام التحري والتحقيق المستفادة من الروايات:

الحكم الأول: مشروعية بل تعين التحري والتحقيق في القضايا التي يكتنفها غموض خصوصا في قضايا الدماء والفروج المبنية على الاحتياط كما نصت الأدلة الخاصة والعامة.

الحكم الثاني: ان التحري والتحقيق يجرى من قبل القاضي نفسه او من يوكله القاضي في ذلك مع ملاحظة الشروط الموضوعية في الموكل.

الحكم الثالث: يجب التأني في التحري والتحقيق والاستعانة على ذلك بالسوال والتفحص والاستجواب المباشر.

الحكم الرابع: يجوز استعمال أساليب التخويف او الاشعار بالعقاب او الاشهار بالمحاكمة اذا اقتضت مصلحة احقاق الحق عليها والا فلا يجوز.

الحكم الخامس: يجب اتخاذ كافة الأساليب الذكية في حال سحب الكلام من المدعى عليه او المدعي او الشهود في القضية من خلال عزلهم او اشعار الشهود او المدعى عليه ان احدهم كشف الحقيقة.

الحكم السادس: يجوز ابراز ما من شأنه اخافة المتهم من وسائل كالسلاح او التحديق بالعين بطريقة خاصة او ما شابه ما دام هناك شك في إخفاء الحقيقة.

الحكم السابع: يجب مقاطعة كلام الشهود فيما بينهم وكلام المدعى عليه والمدعي والضرب بين الاقوال للوصول الى توافقها او اختلافها.

الحكم الثامن: يجوز استعمال الوسائل الحديثة والمختبرات والتشريع ـ مع الانحصار ـ في كشف ملابسات الجرائم او القضايا.

الحكم التاسع: يجوز استعمال أساليب تكشف الحقيقة من خلال مواقف عملية كما في تزويج الصبي عندما انكرته امه او الامر بشطر الطفل الى نصفين واعتراض الام الحقيقية او ما شابه كاجراء يكون الطرف الاخر ملزم بالقبول والاذعان.

الحكم العاشر: يجوز بل قد يتعين استعمال جانب علم الوراثة او الجينات او الطب او ما شابه في عملية كشف الحقيقة كما في ولد العجوز.

واحكام أخرى يمكن ان تستفاد من الأدلة.

ثانياً: من له التحقيق والتحري في القضاء:

ان القاضي في حدود ما يتولّاه من شئون القضاء له حقّ الإذن وإباحة التصرّفات التي تكون محظورة لولا الإذن القضائي فيه، كالتحري والتحقيق وفحص المنازل والأمكنة والتعقيب والتوقيف للأموال والأشخاص ممّا يتوقّف عليه القضاء، ويكون للقاضي الولاية عليه شرعاً، فتكون هذه الإباحة قضائية، أي من باب ولاية القاضي في شئون القضاء، كما أنّ له إنشاء الحكم القضائي الذي يختلف عن الحكم الشرعي أو الحكم الولائي في كونه حكماً في الموضوعات المشتبهة أو المترافع فيها.

و قد يكون هذا الحكم القضائي إباحة لمال أو هدر دم، كما إذا حكم بأنّ هذا المال من المشتركات أو المباحات العامّة أو أنّ هذا الشخص مرتدّ أو سابّ للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيكون مهدور الدم، فتكون هذه الإباحة قضائية، أي بحكم القاضي في الموضوع المشتبه أو المتنازع فيه.

الخاتمة:

عرضنا فيما مضى صورة اجمالية وباكورة افكار لعلم قام بتشييده وتطبيقه الامام امير المؤمنين في اقضيته بين الناس ، وقد اسس به وسيلة اثبات مقدمة على غيرها من الامارات يكشف بها الحقيقة من خلال تحريها واستنطاق اركان القضية وشخوصها الاساسية ومن خلال استعمال اسلوب الحنكة والذكاء والعلوم والمعارف بغية الوصول للحقائق التي ينشدها القاضي لكي يحكم بالحق.

ووصلنا الى مجموعة نتائج تصح ان تكون مفاتيح يستعملها الباحث لفتح ما اغلق من اسرار هذا العلم المهم ، فيضاف الى جمع من العلوم اسسها امير المؤمنين عليه السلام.

نسال الله تعالى ان يوفق الجميع لخدمة الدين وقامته في ربوع الارضين من خلال التنظير والتطبيق.

هوامش البحث

(١) أساليب التحقيق والبحث الجنائي اعداد المقدم محمد حمدان.

(٢) المحيط في اللغة؛ ج٣، ص: ١٩٤

(٣) الصحاح – تاج اللغة وصحاح العربية؛ ج٦، ص: ٢٣١١

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس؛ ج١٩، ص: ٣١٤

(٥) انظر جامع المقاصد ١:١٥١.

(٦) انظر روض الجنان ٢:٩٥٦.

(٧) جامع المقاصد ١:١٥١. روض الجنان ٢:٩٥٦. حاشية ابن عابدين ١:١٩٠، ٢:٦٧. المبسوط (السرخسي) ٧:١٧٥، ط مصطفى البابي الحلبي، مطالب أُولي النهى ١:٥٥.

(٨) الجامع للشرائع: ١٥٥. تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية: أبو منصور الحسن بن يوسف الحلي (العلامة الحلي) (ت٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري، إشراف: الشيخ جعفر السبحاني، الناشر: مؤسسة

الإمام الصادق عليه السلام، ط١، المطبعة: اعتماد ـــ قم، سنة الطبع: ١٤٢٠هـ ١:٤٩٤. الأُمّ ١:٩٠، ط دار الفكر. كشّاف القناع ٤:٤٣

(٩) مستند الشيعة ٤:١٨٧.

(١٠) التنقيح في شرح العروة (الطهارة) ٩:١٧٧.

(١١) مجمع البحرين، ج١، ص ٩٨.

(١٢) تفسير القمي، ج٢، ص ٣٩٠.

(١٣) تفسير فرات الكوفي، ص ٥١١.

(١٤) قرب الإسناد، ص ١٩.

(١٥) الكافي، ج٣، ص ٣٧٨.

(١٦) إقبال الأعمال، ج١، ص ١٠.

(١٧) بحار الأنوار، ج ٣٠، ص ٢٤.

(١٨) بحار الأنوار، ج٦٥، ص ٩١.

(١٩) الطباطبائي في الميزان، ج٢ ص ٤٥.

(٢٠) الشيخ مكارم في الامثل ج١٩ ص ٩١.

(٢١) انظر: الذريعة إلى اصول الشريعة ٢:٦٧٢. لسان العرب ٢:٣٩٧. المصباح المنير: ١١٢.

(٢٢) معارج الأُصول: ١٧٩. المعالم (قسم الأُصول): ٢٣٨.

(٢٣) المعالم الجديدة: ٢٦.

(٢٤) انظر: الصحاح ٦:٢٥٢٠، ٢٥٢١. مجمع البحرين ١:٣٩٥.

(٢٥) الغنائم ٥:٣٤٨.

(٢٦) الموسوعة الفقهية (الكويتية) ١٠:١٨٧-١٨٨.

(٢٧) السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي: أبو جعفر بن منصور الحلي (ابن إدريس) (ت ٥٩٨ هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـــ قم المشرفة، ط٢، مطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، سنة الطبع ١٤١٠هـ ١:٢٤٤.

(٢٨) معجم الفروق اللغوية: ٣٠٣.

(٢٩) انظر: تنقيح الأُصول (آقا ضياء): ١٠١.

(٣٠) انظر: المختلف ٣:٣٠٢. معجم الفروق اللغوية: ٣٠٣.

(٣١) اصطلاحات الأُصول: ١٦١.

(٣٢) الدروس، ج١، ص ١٢٥.

(٣٣) مسالك الأفهام: الشيخ زين الدين بن علي العاملي (الشهيد الثاني) (ت٩٦٥هـ)، تحقيق: مؤسسة المعارف الإسلامية، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم إيران، ط: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٣هـ المطبعة: بهمن ــ قم، ج١ ص ١١

(٣٤) المسالك،ج١٠، ص ٨٩.

(٣٥) مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان: الشيخ أحمد بن محمّد الأردبيلي (ت٩٩٣هـ)، تحقيق: الحاج آغا مجتبى العراقي، الشيخ علي بناه الاشتهاردي، الحاج آغا حسين اليزدي الأصفهاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، ج ١٠ ص ٤٥٩.

(٣٦) بحار الانوار، ج ٤٠، ص ٢٤٢.

(٣٧) المصدر، ص ٤٢٤.

(٣٨) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص: ٨٠.

(٣٩) الكافي: الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، ط: الإسلامية، ١٤٠٧هـط:الرابعة، طهران ــ إيران، تصحيح الشيخ علي أكبر غفاري.،ج٧، ص: ٤٢٥

(٤٠) مَن لا يحضره الفقيه: الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي (الصدوق) (ت٣٨١هـ)، تحقيق: السيد حسن الخرسان، الناشر: دار الكتب الإسلامية، ط: الخامسة، طهران ـ إيران، مطبعة خورشيد ١٣٨٣هـ ؛ ج٣، ص: ٢٠

(٤١) الكافي، ٧، ص ٣٧٢.

(٤٢) تهذيب الأحكام: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، الناشر دار الكتب الإسلامية ــ طهران، مطبعة: خورشيدج٦ ص٣٠٤.

(٤٣) تهذيب الاحكام، ج٦، ص ٣٠٤.

(٤٤) الكافي، ج٧، ص ٤٢٤.

(٤٥) الكافي، ج٧، ص ٤٣٥.

(٤٦) التهذيب، ج٦، ص ٣١٥.

(٤٧) الكافي ج٧ ص ٣٧٣.

(٤٨) الجفنة: البئر الصغيرة والقصعة والمراد الثاني.

(٤٩) الفقيه، ج٣، ص ١٧.

(٥٠) رواه الكليني ج ٧ ص ٤٢٨ وفيه« هذه الوديعة عندي» ولعلّ المعنى افرض أنّها عندي أو عندها فلا يجوز دفعها الا مع حضور كما.

(٥١) في بعض النسخ« فغدت».

(٥٢) الصواب« فتحاكمتا».

(٥٣) الفقيه ج٣ ص ١٩.

(٥٤) رواه الكليني ج ٧ ص ٣٢٣ مع اختلاف في اللفظ عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن الوليد، عن محمّد بن فرات، عن الأصبغ بن نباتة قال:

سئل أمير المؤمنين عليه السلام.

(٥٥) مفعول« لم يتمالك» محذوف يدلّ عليه ما سبقه أي لم يتمالك رفع عينيه الى عين الشّمس لانه حينئذ يغمض عينيه فيكون« أن» مخففة من المثقلة محذوفا عنها حرف الجر، لا ناصبة، ويمكن أن يكون« يغمض عينيه» بيانا لقوله عليه السلام:« لم يتمالك».(مراد)

(٥٦) الخيشوم أقصى الانف.

(٥٧) الحراق- بضم الحاء المهملة- والحراقة: ما تقع فيه النار عند القدح، والعامّة تقوله بالتشديد.(الصحاح)

(٥٨) (نحى: مال على أحد شقيه، نحى بصره إليه: أماله.

(٥٩) في بعض النسخ« يستبرأ» هنا وكذا في المواضع الثلاثة المتقدمة.

(٦٠) عمل بهذا الخبر بعض الاصحاب، والاكثر عملوا بالقسامة وحملوه على اللوث. وقال الشهيد- رحمه اللّه- في ابطال الشم من المنخرين معا الدية ومن أحدهما خاصّة نصفها، ولو ادعى ذهابه وكذبه الجاني عقيب جناية يمكن زواله بها اعتبر بالروائح الطيبة والخبيثة والروائح الحادّة فان تبيّن حاله حكم به. ثم احلف القسامة ان لم يظهر بالامتحان وقضى له.

(٦١) اقتضتها- بالقاف- أي رفعت بكارتها.

(٦٢). الصواب« جاراتى».

(٦٣) الصواب عمره.

(٦٤) مروى في الكافي ج ٧ ص ٤٢٥ عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد اللّه عليه السلام مع اختلاف في اللفظ دون المعنى.

(٦٥) مروى في الكافي ج ٧ ص ٢٨٨ والتهذيب ج ٢ ص ٩٦ مع اختلاف في اللفظ واتفاق في المعنى لكن في الكافي بسند فيه ارسال عن أبي عبد اللّه عليه السلام، وقال الشهيد(ره) في المسالك بمضمون هذه الرواية عمل أكثر

الاصحاب مع أنّها مرسلة مخالفة للأصول، والأقوى تخير الولى في تصديق أيهما شاء والاستيفاء منه، وعلى المشهور لو لم يكن بيت مال أشكل درء القصاص عنهما واذهاب حقّ المقر له مع أن مقتضى التعليل ذلك، ولو لم يرجع الأول عن اقراره فمقتضى التعليل بقاء الحكم أيضا والمختار التخيير مطلقا.

(٦٦) أي تدعى مع القرائن من القبالة وغيرها.

(٦٧) الاتراب الذين ولدوا معا وسنهم واحد.

(٦٨)يكفى في سقوط الحدّ شبهة وفي هذا الواقع كان صلوات اللّه عليه علم الواقع فيحكم بالواقع بامثال هذه الحيل الشرعية.(م ت)

(٦٩) أي كان يجب عليك أن تسألنى في أمثال تلك الوقائع حتّى أحكم بالواقع كما اشترطت عليك في القضاء، أو لما كان موضع التهمة كان يجب عليك السؤال والتفتيش، أو لما ادعوا موته وأنّه ما خلف مالا كان يمكنك طلب الشهود والتفريق حتّى تبين الحق، أو لما خرج معهم كان يجب عليهم أن يردوه أو يثبتوا موته وأنّه لم يخلف شيئا كما تدلّ عليه أخبار كثيرة.

(٧٠) قال العلّامة المجلسيّ: قوله« لانه سهم اللّه» أي القرعة أو خاتمه عليه السلام ولعله حكم في واقعة لا يتعداه، وعلى المشهور بين الاصحاب ليس هذا موضع القرعة بل عندهم أن القول قول المنكر مع اليمين.

(٧١) مروى في الكافي ج ٧ ص ٢٩٤ بسند حسن كالصحيح عن محمّد بن قيس عن أبي- جعفر عليه السلام، وفي القاموس ناشده مناشدة ونشادا: حلفه.

(٧٢) المصطبة- بالكسر- كالدكان للجلوس عليه.(القاموس)

(٧٣) غمار الناس جمعهم المتكاثف.

(٧٤) من التنكيل أي أجعلهما نكالا أي عبرة لغيرهما.

السيدة الزهراء عليها السلام في فكر سماحة آية الله العظمى المرجع الشيخ محمد اليعقوبي "دام ظله" دراسة في: الابعاد العقائدية والرسالية عبر كتبه وخطاباته

الدكتورة بشرى الزويني

المقدمة

تبحث هذه الدراسة في شخصية السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) عند فكر المرجع المعاصر الشيخ محمد اليعقوبي، مركزاً في فكره على الأبعاد العقائدية والرسالية عند الزهراء عليها السلام عن طريق تحليل كتبه وخطاباته، فجاء هدف الدراسة إلى بيان كيف أن الزهراء (عليها السلام) لم تكن فقط رمزاً دينيًا، بل مشروعًا إصلاحيًا ونهضويًا متكاملًا يمكن تفعيله في كل العصور ومنه واقعنا المعاصر كما اوضحته المرجع الشيخ اليعقوبي.

وبعد الانتهاء من الدراسة توصلنا الى نتائج لعل أهمها هي ضرورة إدماج فكر الزهراء (عليها السلام) في المناهج التربوية والتعليمية على مستوى الدولة ومستوى الحوزة الدينية، وإطلاق مشاريع ثقافية ومجتمعية مستلهمة من النموذج الفاطمي مع تعزيز حضور الزهراء (عليها السلام) في الإعلام الديني بشكل معاصر، وتوسيع دائرة البحث في خطاب المرجعيات حول الزهراء (عليها السلام) على الأقل لمقلديه لمزيد من المقارنات والرؤى البحثية والعلمية للاستفادة من جميع الرؤى خدمة للمجتمع لاسيما المرأة التي تجعل من السيدة الزهراء القدوة الحسنة، فضلا عن مواضيع معاصرة في فكر مرجعية الشيخ محمد اليعقوبي على سبيل المثال المجتمع المدني والاعلام الرقمي، وأثار

استخدام المفاهيم المستوردة على المرأة والمجتمع...الخ.

موضوع البحث: تعد شخصية فاطمة الزهراء (عليها السلام) منذ الأيام الأولى للإسلام، مركزًا بارزًا في الوجدان الإسلامي، لا سيّما في الفكر الشيعي الإمامي، اذ تُتفق الأدبيات العقائدية والتاريخية والروحية على تجسيدها لمآثر متميزة ودور رسالي قل نظيره، وقد نمت عبر العصور رؤى متعددة بشأن مقامها، وظُلت الزهراء رمزًا للتضحيات، والفضائل، والمرجعية المعنوية للمجتمع المسلم، لاسيما للعقيدة التي تربط بين المفهوم الرسالي والديني، وبين الممارسة الاجتماعية والسياسية. لذلك نجد في العصر المعاصر، ومع ما رافقها من تحديات كبرى في الهوية، والوعي، والانحراف عن القيم، برزت المرجعية الدينية كقوة إصلاحية حيوية، تبحث في كيفية جعل النموذج الفاطمي، مدخلًا لإعادة بناء الأنسان، وتنشيط دور المرأة، وتأصيل القيم الإسلامية الراسخة، ومن بين هذه المرجعيات، تبرز شخصية الشيخ محمد اليعقوبي، بصفته مرجعًا معاصرًا له تأثير واسع في الحوزة والمجتمع، يركّز في خطبه وكتبه على الزهراء (عليها السلام) ليس كمخلّدة تاريخية فقط، بل كنموذج حيّ له أبعاد مرجعية، عقائدية، ورسالية، وتربوية، وإصلاحية.

ان **إشكالية البحث:** تطرح تسأل رئيس مفاده: كيف يقدم المرجع الشيخ محمد اليعقوبي شخصية السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ضمن منظومته الفكرية والعقدية؟ ومنها تساؤلات فرعية هي:

١. كيف هي مكانة الزهراء في القران والسنة النبوية وآل البيت الاطهار.
٢. ما هي الأبعاد العقائدية والرسالية التي يسلط الضوء عليها المرجع الشيخ في خطاباته وكتاباته؟

٣. كيف يمكن تفعيل طرح المرجع الشيخ في الواقع المعاصر ليكون مشروعًا إصلاحيًا ومجتمعيًا متجددًا؟

اما الفرضية: ان حضور الزهراء (عليها السلام) في الخطاب الديني لا ينبغي أن يكون حبيس البعد التاريخي أو العاطفي، بل ينبغي أن يتحول إلى إطار معرفي وعملي قابل للتوظيف في بناء الفرد والمجتمع معتمدا على البحث العلمي، كما هو الحال عند خطب وكتب سماحة الشيخ محمد اليعقوبي ومكانة الزهراء فيها.

أهداف البحث:

١. تأصيليًا عقائديًا: إبراز كيفية بناء المفاهيم العقائدية المتعلقة بالزهراء (عليها السلام) في فكر الشيخ اليعقوبي، مثل العصمة، الحجية، العلاقة بالإمامة، والدفاع عن القيادة الشرعية، والدور التاريخي الذي تضطلع به الزهراء في الفكر الإمامي.

٢. رساليًا تربويًا وإصلاحياً: الكشف عن الرؤية الرسالية التي يتبنّاها الشيخ اليعقوبي للزهراء (عليها السلام)؛ كيف يرى دورها في نهضة الأمة، ودورها كمصدر للوعي، وقدوة في التربية، وخاصةَ لدور المرأة، وفي مواجهة الفساد والظلم.

٣. تحليل الخطاب: دراسة المصطلحات، واللغة، والأسلوب، والمضامين في خطب الشيخ اليعقوبي التي تبحث في السيدة الزهراء (عليها السلام)، وكيفية توظيفه للسيرة الفاطمية في سياق الإصلاح الاجتماعي والسياسي.

٤. تقويم التطبيق: تقييم مدى تفعيل الرؤية التي يقدمها الشيخ اليعقوبي على مستوى الواقع الاجتماعي والمجتمعي؛ وهل ساهمت خطبه وكتبه في إحداث تغييرات ملموسة، أو في تأسيس نشاطات ثقافية واجتماعية تنطلق من فكر الزهراء (عليها السلام).

٥. فتح آفاق بحثية مستقبلية: اقتراح سبل للاستفادة من النموذج الفاطمي كمنهجية

إصلاحية في المرجعية المعاصرة؛ وكذلك المقارنات مع مرجعيات أخرى، أو المقارنات بين ذاكرة الزهراء في الفكر الإمامي وبين توجهات التيارات الإسلامية الأخرى.

مناهج البحث، لمتطلبات الدراسة اعتمدنا كل من المنهج الوصفي التحليلي: وصف ما ورد في كتب وخطب الشيخ اليعقوبي بشأن الزهراء (عليها السلام)، وتحليل المضامين اللغوية والمفاهيمية التي يستخدمها، والأسلوب البلاغي، والأدوات الخطابية، لتحديد كيفيات البناء والرؤية. والمنهج الاستقرائي بجمع عدد من الخطب والكتابات التي تحدث فيها اليعقوبي عن الزهراء (عليها السلام)، ثم استقراء ما بينها من عناصر مشتركة، ومحددات فكرية، وأنماط رسالية، لنستخلص صورة متكاملة للرؤية. ثم **صعوبات البحث** تكمن في عنوان البحث أصلا الذي احتوى على ثابت ومتغير ليس سهلين، فالزهراء والكتابة عنها تحتاج الى عقل يعتمد التحليل والالمام بالعقائد والفقه، فضلا عن الجانب الإنساني الذي وجد لدى السيدة الزهراء عليها السلام، وشخصية سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي لذي يمتاز بفكر نير واسع يرى الأمور بعمقها وفهم هذا العمق يحتاج وقت وتأني في التحليل والدراسة الكاملة لجميع مؤلفاته وخطبه، لاسيما مع أسلوبه المتمثل بالسهل الممتنع، ومواضيعه لا يمكن اختزالها في بحث اكاديمي علمي، فضلا عن صعوبات استخدام المصادر الالكترونية مع طريقة بحثية لدينا تعتمد على الورقة والقلم، لذلك تم معالجة الموضوع بالتطرق الى أمور على سبيل المثال، فضلا عن اهتمامه بالسيدة الزهراء عليها السلام فاق عنده مقارنة ببقية المراجع الدينية، فيذكرها عند كل مناسب تتطلب ذكرها، وعملية جمع تلك الخطب والكتب والبيانات والمشاريع العملية والعلمية ليست سهلة، وأخيرا اعتمد البحث على **الهيكلية**

التي تحقق التوزان العلمي المطلوب في كتابة البحوث العلمية وهي مباحث ثلاثة، لكل مبحث ثلاث مطالب وكل مطلب ثلاث محاور ركز **المبحث الأول** حول **السيدة مقامات السيدة الزهراء عليها السلام في القرآن الكريم وآل البيت (عليهم السلام)**. ثم **المبحث الثاني، فاطمة الزهراء (عليها السلام) في فكر الشيخ محمد اليعقوبي دام ظله الوارف. والمبحث الثالث** في موضوع **مشاريع المرجع الشيخ محمد اليعقوبي للإصلاح الاجتماعي والسياسي** وأخيرا الخاتمة بما فيها من استنتاجات وتوصيات.

المبحث الأول: مقامات السيدة الزهراء عليها السلام في القرآن الكريم وآل البيت (عليهم السلام).

تعد للسيدة الزهراء مكانة خاصة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وآل البيت الاطهار، سنبحثها هنا عبر ذكر النزر اليسير من الأمثلة التزاما بمنهجية البحث الأكاديمي، لذا سيتم تقسيم المبحث الى المطالب الاتية: -

المطلب الاول: مقام السيدة الزهراء (عليها السلام) في القرآن الكريم.

تحتلّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) موقعًا خاصًا في القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، رغم أن اسمها لم يُذكر صراحة في النص القرآني، كما هو حال السيدة مريم عليها السلام واسيا بنت مزاحم ، إلا أن علماء الإمامية ومعهم جمهور من مفسري أهل السنّة، استدلّوا على هناك إشارات قرآنية واضحة تتعلّق بمقام الزهراء (عليها السلام)، وأنها كانت طرفًا مباشرًا أو معنويًا في آيات عظيمة الشأن- سنأتي على ذكرها لاحقا -، كما تحتلّ الأحاديث النبوية التي تتحدث عن الزهراء مكانة مرجعية كبرى في فكر الإمامية، فهي تمثّل النصوص التأسيسية التي تبيّن مكانتها، عصمتها، وارتباطها بالنبوة وعلاقتها بالإمامة. وعليه سيتم عرض هذا المطلب الى المحاور الاتية:-

المحور الأول: - الزهراء (عليها السلام) في آيات القرآن الكريم، كما هو الحال في الآيات الاتية: -

١. آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [١] تقع الآية ضمن سياق الحديث عن نساء النبي، وبحسب عشرات الروايات الصحيحة من طرقي الشيعة والسنّة إن مقطع التطهير نزل في شأن أصحاب الكساء من أل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم، علي، فاطمة، والحسن، والحسين (عليهم السلام)، فوجودها الى جاب من هذه الأسماء، تدل على العصمة والتطهير الكامل من كل رجس، مما يدل على مقام فاطمة (عليها السلام) باعتبارها جزءاً من هذه الخمسة الطاهرين. [٢]

٢. آية المباهلة، قال تعالى ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ...﴾ [٣] جاءت هذه الآية عندما دعا النبي نصارى نجران للمباهلة، خرج ومعه: الحسن والحسين (أبناءنا)، فاطمة (نساءنا)، وعلي (أنفسنا)، وهي تدل على أن الزهراء (عليها السلام) هي المرأة الوحيدة التي اصطفاها النبي في مواجهة خصومه العقائديين، ما يدل مكانتها في دائرة العصمة والولاية. [٤]

٣. آية الكوثر قال تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [٥] تُفسَّر عند الامامية بأنه الخير الكثير، متمثل ذلك عندهم في شخص فاطمة الزهراء (عليها السلام)، لأنها الأصل الذي خرج منه نسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجاء نسل النبي عبر تكاثر ذريتها المباركة ليستمر الى يوم يبعثون. [٦]

٤. آية الإطعام، قال تعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[٧] لقد ورد في عدد من التفاسير أن الآية نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عندما نذروا صومًا، وأفطروا ثلاثة أيام على ما يقدّمونه للفقراء، وهي تدل على الإخلاص المطلق في العمل، والتضحية من أجل الله، وهو ما يعكس السلوك الرسالي لفاطمة (عليها السلام) وبيتها الطاهر.[٨]

المحور الثاني: – مقام السيدة الزهراء (عليها السلام) عند الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، تُبرز مكانة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في السنة النبوية التي هي عامرة بالأحاديث نقلها الفريقان، وتُعدّ من النصوص المحورية في الفكر الشيعي الإمامي ومنها: –

١. قال رسول الله ص بأن "فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله». وهو من الأحاديث المتواترة، تدل على وحدة الوجود المعنوي بين النبي وابنته، اذ يكون إيذاؤها مساويًا لإيذاء النبي، وهو ما لا يُقال إلا في حقّ من كانت معصومة لا تتصرف إلا بالحق، ويستند الشيعة إلى هذا الحديث في إثبات عصمتها، وحُجّية أفعالها ومواقفها، خصوصًا في موقفها من السقيفة وفدك.[٩]

٢. حديث رسول الله ص عندما قال لابنته السيدة الزهراء عليها السلام «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين؟» وفي رواية: «سيدة نساء أهل الجنة»، الدلالة العقائدية: تُظهر هذا الحديث مكانة الزهراء السامية بين النساء، ليس فقط في زمانها، بل بين كل نساء الدنيا والآخرة.[١٠]

المحور الثالث: مقام السيدة الزهراء (عليها السلام) عند ألائمة المعصومين، يعد الائمة الاثنى عشرية من أبرز المصادر التي ينهل منها الفكر الشيعي مواقفه واراءه، لاسيما في موضوع تأصيل مكانة الزهراء (عليها السلام)، اذ وردت عنهم أقوال توضح مكانتها في لرسالة الإلهية، وعليه نجد الزهراء حاضرة في اقوال على سبيل المثال: [١١]

١. قول الامام الحسين (عليه السلام) عن سبب تسمية فاطمة عليها السلام بالزهراء؟ فقال"لأنّها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض"

٢. قول الامام موسى بن جعفر (عليهما السلام): «لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمّد أو أحمد أو عليّ أو الحسن أو الحسين أو فاطمة من النساء "

٣. قول الامام الرضا (عليه السلام)عن رسول الله قوله:«لمّا عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل (عليه السلام)، فأدخلني الجنّة، فناولني من رطبها، فأكلته، فتحوّل ذلك نطفة في صلبي، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة (عليها السلام)، ففاطمة حوراء إنسيّة، كلّما اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رائحة ابنتي فاطمة.

٤. قول الامام الباقر عليه السلام في تفسير لسورة القدر:« إنّ فاطمة هي ليلة القدر، من عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها.

تأسيساً على ما تقدم، نجد ان الآيات القرآنية والروايات النبوية واقوال آل البيت الاطهار، تؤكد أن السيدة الزهراء لم تكن امرأةً عادية في الإسلام، بل تمثّل محورًا رسالياً وعقائديًا، يتقاطع فيه الطهر، والعصمة، والحجية، والموقف السياسي والديني، لقد كان حضورها في الوحي وحول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حضورًا نوعيًا، وظلّ أثره

ممتدًا في سيرة الأئمة وأقوال العلماء، اذن هي ليست ابنة نبي فقط، بل تجسيد للرسالة نفسها في جانبها النقي والناطق بالحقيقة.

المطلب الثاني: السيدة الزهراء (عليها السلام) ركن العقيدة عند الامامية.

تُعد السيدة الزهراء (عليها السلام) من أركان العقيدة ومرتبطة بالإمامة والولاية والتشريع، اذن فهم مقامها العقائدي ضرورةً لفهم بنية التشيّع نفسه. عليه سيتم تقسيم هذا المطلب الى محاور ثلاثة أساسية وهي:

المحور الأول:- ادلة عصمة الزهراء (عليها السلام) عند الامامية، تُعد العصمة من المبادئ العقائدية المركزية في المذهب الإمامي، وهي شرط في النبوة والإمامة، والزهراء من المشمولين بالعصمة عند علماء الامامية مستندين إلى أدلة قرآنية وأحاديث نبوية فضلا عن الأدلة العقلية سنذكر النزر اليسير منها وهي كالاتي: -.

١. الأدلة القرآنية، قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [١٢] أجمع المفسرون من أهل البيت وكثير من مفسري السنة أن "أهل البيت" في هذه الآية يشمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، عليًا، وفاطمة، والحسن، والحسين (عليهم السلام)، كما ورد في حديث الكساء. وقد فُسِّر "الرجس" في الآية بأنه الذنب، و"التطهير" بالعصمة، وهو تطهير إرادي تشريعي من الله، لا مجرد طهارة مادية أو أخلاقية [١٣]. وكذلك أحاديث الرسول، صلى الله عليه وآله، كقوله «فاطمة بضعة مني، من آذاها آذاها فقد آذاني»، وهو من الأحاديث المتفق عليها عند الفريقين، وقد عدهً الإماميون دليلاً على مقام الزهراء، إذ لا يمكن أن يكون إيذاؤها مؤذيًا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا إذا كانت معصومة في أقوالها وأفعالها ومواقفها فهي اذن الفرقان بين الحق

والباطل.[١٤] حديث الكساء، عن النبي (ﷺ): «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا» يدع الحديث عقائدياً تفسير آية التطهير في حقّ فاطمة، مما يُعزّز مفهوم العصمة والطهارة في شخصيتها.[١٥] وأحاديث المودة في القربى قال تعالى ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[١٦] وقد فسّر النبي (ﷺ) "القربى" بأنهم: علي، فاطمة، الحسن، الحسين.، ولا نقصد المودة هنا عاطفة فقط، بل موقف من الحق، واتباع لخط الرسالة عبر هذه الشخصيات المعصومة.[١٧]

٢. الأدلة العقلية، تُفهم العصمة في الفكر الإمامي، ضرورة لحُجّية القول، ولتأسيس القدوة، ولا يمكن للزهراء (عليها السلام) أن تكون حُجّة أو أسوة (كما سيأتي لاحقاً) إلا إذا كانت معصومة. والأخيرة عند الامامية تعني كمال العقل والوعي والطهارة النفسية التي تجعل الإنسان لا يُقدِم على المعصية، لا نسيانًا ولا خطأً ولا عمدًا اذن هنا السيدة الزهراء تثبت الامة على الصراط المستقيم كما سنأتي عليها لاحقا.[١٨]

المحور الثاني: ادلة حجية السيدة الزهراء (عليها السلام) عند الامامية، تعدّ الحجّية في المفهوم الإمامي على النبي والأئمة، بل تمتد إلى كل معصوم له دور في التبليغ والتوجيه الرسالي، وقد أشار بعض علماء الإمامية إلى أن الزهراء (عليها السلام) تُعد "حُجّة على الأئمة" (رغم أنهم حُجج الله على الخلق)، بمعنى أنها في رتبةٍ خاصة من القرب والطهارة والمعرفة الإلهية من حيث:-

١. ورد في بعض الروايات عن الامام حسن العسكري عليه السلام قوله «نحن حجج الله على خلقه، وفاطمة حجة الله علينا» ويُفهم منها أن مقام الزهراء (عليها السلام) هو من العمق

والرفعة اذ تشكّل معيارًا أو تجلّيًا أعلى يُقاس عليه حتى المعصومون الآخرون[١٩].

٢. حجّية سيرتها ومواقفها، ان خطبة، فدك في المسجد النبوي، تعد في الفكر الإمامي نصًّا حُجّيًا في العقيدة والتشريع، إذ احتجّت بالقرآن والسُنّة واللغة، وبيّنت الأُسس التي تقوم عليها الإمامة، ودور القيادة، والظلم الذي وقع بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).[٢٠]

المحور الثالث: الزهراء والقيادة الشرعية، يرى الفكر الشيعي الإمامي أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت أوّل المدافعين عن الإمامة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لنا في موقفها هذا دلائل هي: -[٢١]

١. رفض اجتماع السقيفة ورفض مبايعة أبو بكر، بعد وفاة رسول الله، وإصرارها على المطالبة بفدك كرمز لرفض الانحراف وخطابها الذي واجهت به السلطة الحاكمة الجديدة، كاشفة عن التفاف الأمة على عهد النبي.

٢. البعد الرسالي في مواقفها، لم تكن فاطمة الزهراء تدافع عن حقوق شخصية، بل دافعت عن الحق الإلهي في الإمامة وعن سلامة العقيدة، ذا يصف الإماميون هذا بأنه «موقف الحارس الأخير على بوابة الوحي»، فقد كانت تعلم أن انحراف الإمامة سيفضي إلى انحراف الدين.

٣. شهادة الزهراء (عليها السلام) التاريخي، فموتها وهي غاضبة يُعد وثيقة حية ضد الانحراف المبكر بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ودفنها سرًا ووصيتها بألا يُصلي عليها بعض من الصحابة هو أقوى موقف احتجاجي في التاريخ الإسلامي.

تبيّن للباحثة في هذا المطلب كيف يتعامل الفكر الإمامي مع شخصية الزهراء (عليها السلام) على ضوء عقيدة متكاملة ترى فيها معصومة، حجّة، وشريكة في مشروع

الإمامة والقيادة الإلهية. لذلك لا يمكن فصل شخصيتها عن البناء العقدي للتشيّع، إذ تمثل ركنًا لا غنى عنه في فهم الإمامة، والولاية، وخط الصدّ عن التحريف والانحراف.

المطلب الثالث: مقام السيدة الزهراء (عليها السلام) عند عامة الشيعة.

تعد شخصية فاطمة الزهراء (عليها السلام) من أكثر الشخصيات تأثيرًا وثراءً في التراث الشيعي الامامي، إذ بحثها الائمة والعلماء والمختصين والمهتمين في مؤلفاتهم وخطاباتهم، اذ عدت ركيزة أساسية في بناء العقيدة الإمامية، وعبرت كلمات الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، عن مكانتها الروحية والعقائدية، كما ورد في كتب العلماء والمراجع التاريخيين، من دراسات حول سيرتها ومواقفها، فكان له أثر هذا الحضور على الخطاب الشيعي في العصور المختلفة. لذلك سيم بحث هذا المطلب عبر المحاور الاتية: -

المحور الاول: مكانة الزهراء (عليها السلام) في التراث الادبي الامامي، زخر التراث الشيعي بالكتب التي بحثت حياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، والدروس المستخلصة من سيرتها، وقد تميزت هذه الكتب بتوثيق دقيق للنصوص والروايات وتحليلها ومنها على سبيل المثال كتب السيرة والتاريخ وكتب العقائد والحديث الدراسات المعاصرة بين كتب مخطوطة وأخرى مطبوعة تجوزت الـ (٣٠٠) مرجع منها:-[٢٢]

١. أربعون حديثاً في فضائل السيدة فاطمة عليها السلام لنجم الدين الشريف العسكري.
٢. الأربعين في فضائل الزهراء عليها السلام لأحمد بن عبد الملك المؤذن.

٣. أضواء الدرر الغوالي لإيضاح غصب فدك والعوالي لبعض الأعلام.

٤. شرح خطبة الزهراء لمحمد نجف المشهداني الكرماني.

٥. الصوارم الحاسمة في مصائب الزهراء فاطمة للسيد أبو القاسم الحلي.

٦. الظلامة الفاطمية، الناصر للحق لإمام الزيدية.

٧. أنوار الزهراء عليها السلام للسيد حسن الأبطحي.

٨. شرح خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام للشيخ نزيه قميحة.

المحور الثاني: السيدة الزهراء (عليها السلام) ووحدة الخطاب الشيعي، شكّل حضور الزهراء (عليها السلام) عنصر وحدة وهوية في الخطاب الشيعي، خاصة في مواقف التحدي والمظلومية، ساهم في تكريس مفهوم المرجعية النسائية باعتبارها امتدادًا للخط الرسالي، فألهمت شخصيتها فكر النهضة والإصلاح الاجتماعي والسياسي، ولا يزال خطابها محورًا للنشاط الثقافي والديني في المجتمعات الشيعية، فظهر لنا مصطلح معاصر وهو المرأة الزهرائية يُستخدم في المجتمعات الشيعية ليعبّر عن المرأة التي تتّبع نهج الزهراء (عليها السلام) في الفكر والسلوك والموقف ليست منحصرة في الدين الظاهري، بل تشمل الالتزام بالوعي، والرسالة، والموقف، سنجد آثر لمثل هذا الوصف على ابنتها السيدة زينب عليها السلام ومصطلح الزينبيات فهما ربيبات القرآن وتعيد للامة بصيرتها[٢٣].

المحور الثالث: الزهراء القدوة في مقاومة الانحراف الفكري، عدت الزهراء عليها السلام مدرسة في مقاومة الانحراف في الفكر العقائدي من موقع المرأة الواعية والمُشاركة في الشأن العام، وربما يسأل سائل: كيف مارست الزهراء دور المقاومة

وهي التي لم تر الرجال ولم يراها رجل ؟ اشارت أمهات الكتب ان الزهراء لم تكن مقاومتها للظلم عن طريق التمرد أو كسر الحياء، بل جمعت بين الحياء والعفاف من جهة، والصرامة السياسية من جهة أخرى، فحضورها في المسجد وإلقاؤها الخطبة بحضور الصحابة كان بحشمة ووقار، ما يدل على أن المرأة تستطيع أن تكون صوتًا مقاومًا من دون أن تتنازل عن عفتها، وهي بذلك لم تتراجع عن المقاومة حتى لحظة شهادتها، إذ أوصت بدفنها سرًا احتجاجًا على الظلم، ورفضت مصافحة من ظلمها [٢٤]

نستشف مما ذكر آنفاً، إن حضور الزهراء (عليها السلام) في كلمات الأئمة وكتب العلماء لم يكن فقط تأريخًا، بل هو جزء لا يتجزأ من العقيدة الإمامية والهوية الشيعية. فقد شكلت نموذجًا للقدوة والعصمة والحجية، وبقيت سيرتها منارة تضيء دروب الأجيال في مواجهة التحديات الفكرية والسياسية.

المبحث الثاني: فاطمة الزهراء (عليها السلام) في فكر الشيخ محمد اليعقوبي دام ظله الوارف.

يعد المرجع الشيخ محمد اليعقوبي، احد اكثر المراجع الدينية الذي ابرز شخصية السيدة الزهراء كشخصية مرجعية ورسالية في خطبه وكتاباته، ولإعطاء الموضوع حقه سيتم تقسيم المبحث الى المطالب الاتية: -

المطلب الأول: الزهراء (عليها السلام) كمرجعية رسالية خالدة.

تحتل شخصية فاطمة الزهراء (عليها السلام) موقعًا محوريًا ليس فقط لأنها أبنة للنبي، وإنما كنموذج رسالي حي ومصدر للتوجيه والمرجعية الحركية والفكرية، في الفكر المعاصر، وخاصة في الخطاب المرجعي لسماحة الشيخ محمد اليعقوبي وهو أحد

أبرز المرجعيات التي استثمرت هذه الشخصية في بناء رؤية نهضوية تصبو إلى تحريك المجتمع نحو قيم الإصلاح واليقظة.[٢٥] هذا المطلب يستعرض مفهوم المرجعية والرسالية عند الشيخ اليعقوبي، وكيف يُجسّد الزهراء (عليها السلام) نموذجًا خالدًا لهذه المرجعية، ودورها في قيادة المجتمع وفق مشروع حركي رسالي. لذا سيتم عرض هذا المطلب عبر المحاور الأتية: -.

المحور الأول: - مفهوم المرجعية عند المرجع الشيخ محمد اليعقوبي، تعد المرجعية لدى الشيخ اليعقوبي هي موقف فكري، واجتماعي، وحركي يهدف إلى توجيه الأمة إلى طريق الحق والعدل، ينبغي أن تكون نشطة، ومتجددة، وقادرة على مواجهة التحديات المعاصرة، وهذا ما يفسر تأكيده على النموذج الفاطمي كمصدر لهذا النشاط [٢٦]. لأنها ليست فقط شخصية تاريخية بل مصدر مستمر للإلهام الحركي، اذ جسدت مواقف الشجاعة في الدفاع عن الحق، والمقاومة ضد الظلم (مثل موقفها من قضية فدك)، فيرى الشيخ اليعقوبي أن الزهراء (عليها السلام) تمثل المرجعية الحركية التي تحفز الناس على تحمل المسؤولية في بناء مجتمع قائم على العدالة والقيم الإسلامية، تكرر خطب ومؤلفات الشيخ، التأكيد على ضرورة العودة إلى سيرة الزهراء كمثال عملي يُحتذى به فقلد ذكر في كلمة بحق الزهراء قوله "..اننا نركز في أحيائنا لقضية الزهراء عليها السلام عبر جانب المظلومية. لكن الاقتصار عليها يحرم الامة من الصفحات الأخرى من حياة الزهراء التي هي بحق مدرسة لكل الناس وسفر خالد تنهل منه الأجيال.."[٢٧].

المحور الثاني: الزهراء (عليها السلام) مفهوم الرسالية عند المرجع الشيخ محمد اليعقوبي ، تعني الرسالية حمل الرسالة الإلهية، التي تبدأ من النبي وتمتد إلى أهل

بيته الطاهرين، وفي مقدمتهم فاطمة الزهراء، فهم يمثلون الحماية الحية للإسلام الحقيقي، يشير الشيخ اليعقوبي إلى أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت القائدة الأولى في الحفاظ على الخط الرسالي بعد النبي، ودورها في حفظ العقيدة وتوجيه الأمة، وبل وتمثل النموذج المثالي للقيادة النسائية في الإسلام، اذ تجمع بين الحزم، والحكمة، والرحمة، وتتجلى صورة الزهراء كقدوة في التربية، والإصلاح، والنهوض المجتمعي، مشدداً على ضرورة استلهام روحها في كل نهوض إصلاحي، فكان في احد خطبه والمرقم (٢٣) يمدح ويشكر امرأة عراقية تنتصر للقرآن الكريم عندما رفضت امرأة تفتيش حقيبتها بواسطة الكلاب لان حقيبتها احتوت على القرآن الكريم، فكان تصرف احتجاج عارم من قبل أربعة وزارات يجمعهم مجمع واحد وهي (النفط والكهرباء والتجارة والموارد المائية) ورفض وجود الامريكان كانت وقفة شجاعة شاركت فيها جهاز الشرطة عندما رفعوا شارات الشرطة من قمصانهم، هذا الموقف أدى الى استبدال الأجهزة الامريكية بجهاز الشرطة العراقي في حماية المباني.[٢٨]

المحور الثالث:- انعكاس الابعاد المرجعية والرسالية على فكر الشيخ محمد اليعقوبي، انعكست الابعاد المذكورة آنفاً على فكر سماحة المرجع الشيخ من حيث:-

١. حجية الزهراء (عليها السلام) على الأئمة والأمة، يؤكد الشيخ اليعقوبي في خطبه أن الزهراء (عليها السلام) ليست فقط ابنة النبي، بل هي مصدر حجية خاصة، تستند إليها الأئمة في توجيه الأمة، بسبب عصمتها ومكانتها الفريدة، هذا البُعد العقائدي يجعل من فاطمة الزهراء (عليها السلام) مرجعية ثابتة للتفسير وفهم الدين في المسائل المتعلقة بالإمامة والولاية.[٢٩] وهي القلب النابض لآل البيت المقدس يشكلون معاً

منظومة متكاملة من العصمة والولاية، لهذا إشارات السيدة الزهراء في خطبتها في مسجد ابيها قائلة".. فجعل الله.. طاعتنا: نظاماً للملة وإمامتنا امانة للفرقة ".[٣٠]

٢. دفاعها عن الإمامة وشرعية القيادة الإلهية، تؤكد خطابات الشيخ على موقف فاطمة الزهراء عليها السلام الثابت في الدفاع عن الإمام علي عليه السلام وحقه في الإمامة، وهو محور أساسي في الفكر الإمامي، وجزءاً من مشروع الحفاظ على شرعية القيادة الإلهية، وتصحيح مسار الأمة بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، لولا هذا الموقف لما بقي رسم للنهج المحمدي ولعبثت به أدوات التزوير والحقد والحسد.[٣١] ويؤكد المرجع الشيخ أنّ الموقف السياسي للسيدة الزهراء آنذاك نتاج عقيدة راسخة بأن الإمامة هي امتداد للنبوة، وأن على ابن ابي طالب هو الإمام المنصوص عليه.[٣٢]

٣. السيدة الزهراء عليها السلام الأثر والمؤثر، تعد الدراسات التي ربطت بين تأثير السلوك السياسي والاجتماعي للسيدة الزهراء عليها السلام مع نساء بيت النبوة ونساء المرحلة المعاصرة ، اظهر هذا الامر سماحة المرجع الشيخ في خطاباته اذ ذكر ان تأثيرها امتد كنموذج يُحتذى به في مختلف العصور، بداء من بيت النبوة فالسيدة زينب (عليها السلام) تجسيد حقيقي لميراث الزهراء في الصبر، والبلاغة، والمقاومة، وذكر التاريخ دورها في كربلاء وفي مجلس يزيد الذي هو امتدادًا لمواقف والدتها عبر دورها البطولي والإعلامي بعد واقعة كربلاء، اذ قادت مسيرة الثورة الحسينية وكشفت حقيقة الانتهاكات الأموية عبر خطبها البليغة في الكوفة والشام، مما أفشل مخططاتهم في طمس معالم الحق[٣٣]، ثم جاءت العلوية الطاهرة آمنة الصدر في عصرنا هذا لتي كحال جدتها لم تستطع السكوت على تجاوز النظام السابق على شقيقها السيد (محمد باقر الصدر)، منذ اعتقاله الأول في انتفاضة صفر

عام ١٩٧٧م، فكانت تلقى الخطب في حرم ضريح امير المؤمنين، وتنظيم المظاهرات ضد دكتاتور العصر، أسهمت فيها النساء والرجال [٣٤]، استمر الأثر في تأثيره، فظهرت لنا نساء وضعن بصمة في اصعب مرحلة تاريخية مر بها العراق الا وهي احتلال تنظيم داعش الإرهابي لمدن عراقية في المحافظات الغربية، لتظهر لنا سيدات من الجنوب والوسط، قدمت تضحيات في الأولاد، ومنهم من قاتلت بذاتها الى جانب القوات الأمنية، لبين نداءات المرجعيات الدينية في فتوى الدفاع بالواجب الكفائي التي انطلقت من سماحة السيد علي السستاني دام ظله الوارف، والتي تحولت هذه الفتوى فيما بعد الى جيش رديف كما راد سماحة الشيخ في مبادرة سبقت فتوى الدفاع بالواجب الكفائي.[٣٥] ويرى المرجع الشيخ أن المرأة المستلهمة من شخصية الزهراء (عليها السلام) كقدوة يمكن ان تكون قادرة على إحداث التغيير المجتمعي الحقيقي، وأن دورها حيوي في مشروع النهضة، لذلك كان سماحته حريص على ذكر نسوة لهن دور في بناء المجتمع لاسيما بعد ام ٢٠٠٣، عندما اغتال الغادرون كلا من الدكتورة خولة محمد تقي زوين وهي من العاملات الرساليات على مدى سنين ومهتمة بالفكر الإسلامي وإصلاح المجتمع، وكذلك الدكتورة تحفة جعفر، التي وصف الشيخ قلمها بانه اجتهادي محبة للعلم والمعرفة.[٣٦]

نستشف ان فكر الشيخ محمد اليعقوبي، بأن فاطمة الزهراء (عليها السلام) ليست مجرد شخصية تاريخية، بل هي مرجع حيوي ورسالي، ينبوع متجدد يلهم الأجيال نحو طريق الحق، ويشكل نواة صلبة للقيادة الرسالية المجتمعية، كما إن استحضار سيرتها وتفعيل قيمها يشكل أداة قوية للنهوض الحضاري والروحي.

المطلب الثاني: تحليل الخطاب الفاطمي عند المرجع الشيخ.

يمتاز خطاب الشيخ محمد اليعقوبي حول الزهراء (عليها السلام) بثرائه اللغوي والفكري، اذ يجمع بين عناصر التراث العميق والمعالجة المعاصرة لقضايا الأمة مع التركيز على مفردات ومصطلحات مركزية تعبّر عن أبعاد رسالة الزهراء (عليها السلام) في الخطاب عبر المحاور الاتية:

المحور الأول: المفردات والمصطلحات الرئيسية، اذ تجد الباحثة قراءة عدة خطابات بمناسبة وفاة الزهراء الاتي:-[٣٧]

١. تكررت كلمة (الرسالة)، للدلالة على أساس مهمة الزهراء (عليها السلام) في الحفاظ على الرسالة النبوية.

٢. استخدمت كلمة (الوعي) للإشارة إلى بناء وعي ديني واجتماعي يستلهم من سيرة الزهراء (عليها السلام) لتغيير الواقع غير السليم.

٣. اتصف مواقف الزهراء (عليها السلام) (بالتضحية) في سبيل الحق، وتُعد دعوة لمواجهة التحديات بالذات والإرادة.

٤. معروف ان الزهراء (عليها السلام) هي القدوة التي ينبغي أن يحتذي بها في الأخلاق والسلوك.

٥. تبرز وظيفة (المرجعية) في قيادة الأمة، والمرتبطة بعمق شخصية الزهراء ودورها.

٦. الاستدلال على ان نموذج السيدة الزهراء هي الحل لمشاكل كل العصور.

المحور الثاني: الأسلوب والمضامين الفكرية، يشكل خطابات المرجع الشيخ، دعوة واضحة للاستلهام من نموذج الزهراء في مواجهة التحديات الراهنة، وبناء

مجتمع يقوم على قيم الرسالة والوعي والعدل، فواضح ان أسلوبه تضمن بحسب فهم الباحثة الى:

١. مزج الخطاب بين اللغة الخطابية المؤثرة واللغة التحليلية العلمية، ما يعزز من تأثير الرسالة وعمقها.

٢. استحضار النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، مستندًا إلى مصادر أهل البيت، ليدعم موقفه من مكانة الزهراء (عليها السلام) في الرسالة والمجمع.

٣. يحمل الخطاب طابعًا نهضويًا، يدعو إلى الإصلاح عبر العودة إلى القيم الفاطمية.

٤. يشدد على دور الزهراء في مواجهة الظلم والفساد، كمثال على المقاومة الشرعية.

٥. يؤكد على ادوار الزهراء المختلفة والمتنوعة في التعامل مع تحديات المرحلة آنذاك.

المحور الثاني: -رسائل الخطابات الفاطمية للنساء، رسائل عديدة تلك المرسلة للنساء عبر النموذج الفاطمي ومنها مشاركة المرأة للرجل في اهم قضايا المجتمع، لماذا لا ؟ فالسيدة الزهراء شاركت الامام علي عليه السلام في اهم قضاياه آنذاك – كما ذكرت سابقاً، لذلك ظهر مصطلح معاصر وهو المرأة الزهرائية يُستخدم في المجتمعات الشيعية، سنجد شبيه لمثل هذا الوصف على ابنتها السيدة زينب عليها السلام، باعتبارها النموذج الأقرب للسيدة الزهراء في بيت النبوة، والنتيجة التي يريد الوصول اليها المرجع الشيخ بان دور المرأة لايقل عن دور الرجل في التصدي لأخطر قضايا الامة مع مرعاة الدور الذي يناسبها وساحة العمل الذي تتحرك فيه بدءا من دورها الأساس في الاسرة وانتهاء في الاجتهاد .[٣٨] وادوار المرأة كثير منها تربوية والامر

بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ الاحكام الشرعية وتعليم الناس أمور دينهم لاسيما النساء مع الإشارة الى ضرورة مواجهة مشاكل النساء المتفشية وهي الطلاق والاشارة في مرات عديدة الى الامراض المعنوية عند النساء وبعض السلوكيات الاجتماعية المنحرفة كظاهرة الطريحة وأصحاب النور...الخ [٣٩].

المطلب الثالث:ـ القصور اتجاه السيدة الزهراء والحل في فكر الشيخ محمد اليعقوبي

حدث المرجع الشيخ في عدة مناسبات عن التقصير تجاه السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من قِبَل بعض الشيعة، وهو يرى أن هذا التقصير يشمل جوانب متعددة، بحث هذا الموضوع يتطلب تقسيمه الى محاور ثلاثة هي:-

المحور الاول: قصور الشيعة تجاه السيدة الزهراء عليها السلام، ابرز ما كتبه سماحته في هذا المجال هو:-

١. حديث بعنوان "الأسوة الحسنة" تحدث اليعقوبي عن أهمية سيرتها وكيف أنها تمثل قدوة ينبغي أن تُجسَّد على أرض الواقع، ثم قال: «يجب أن نعترف بوجود التقصير الكبير مضافًا إلى القصور في التعريف بالزهراء (عليها السلام) ولو أجريت كشفًا بما كتب عن الزهراء (عليها السلام) للتعريف بها وبسيرتها المباركة والتأسي بها لوجدت أنه مقدار ضئيل، مضافًا إلى التقصير العملي وأعني تجسد حياة الزهراء (عليها السلام) على أرض الواقع ويقول سماحته "..وكفى الإهمال والتضيع لأكثر من الف واربعمائة عام..» فكان يوم الزهراء وهو كذلك يوم الفرقان يميز لنا السلوك والتصرف الذي يرضي الله تبارك وتعالى من الذي يسخطه اذ اختلطت الأوراق وكثر المدعون واشتبهت الأمور [٤٠].

٢. خطاب الفاطمية بعنوان بشار السيدة الزهراء عليها السلام للشيعة مشروط بالورع، ففي هذا الخطاب يؤكد المرجع الشيخ الى ان هناك امتيازات لشيعة آل البيت ، هذه الامتيازات مقرونة بواجبات واستحقاقات لتحقيق العدالة، فعلى جميع الموالين لال البيت ان يشكروا الله تعالى على نعمه وعلى الولاية افعالا ثم اقوالاً [٤١].

٣. دعا اليعقوبي في مناسبات عديدة إلى أن يكون الاحتفاء بمناسبات الزهراء أكثر فعالية، وأن تُستثمر هذه المناسبات في الإصلاح، الوعي، وتقوية القيم الإسلامية في المجتمع، وليس فقط إقامة الشعائر الشكلية، وعلى سبيل المثال، دعا إلى إحياء ذكرى وفاتها بزيارات معتبرة، وخطب، فكانت المحاضرات، والنشاطات التربوية وعرض المسرحيات الهادفة ومعارض الكتب لخدمة الرسالة.[٤٢] اذن تستشف الباحثة ان نقاط التقصير بحسب خطب واحاديث الشيخ اليعقوبي في:

١.قلة المعرفة والتعليم بشأن شخصيتها، سيرتها وأثرها، بحيث يكون الكثير من الناس لا يعرفون كل المواقف التي قامت بها الزهراء.

٢.ضعف التطبيق للخصال التي تحلت بها الزهراء: الزهد، الصبر، الوقوف على الحق، الأمانة، الرفق، وغيرها من الخصال الأخلاقية والدينية.

٣.ضعف الشعائر الواقعية، أي أن المناسبات الدينية المتعلقة بها تُكتفى بها شعائرياً دون تحويلها إلى برامج إصلاح وتوعية.

٤.بطء التشريع والتطبيق العملي لقوانين وأحكام الشريعة التي تتصل بحقوق، الميراث، الوصية، الحقوق الاجتماعية، وغيرها مما ورد في سيرتها أو مواقفها، فمثلاً القول بالحق لا يقابله في كثير من الأحيان فعل يُجسد هذا الحق.

بسبب الفقرات أعلاه، كان لابد ان تكون هناك حلول سنذكرها في المحورين

الآتيين.

المحور الثاني: نصرة السيدة الزهـراء بالحجـة والبرهـان، يـدعو سـماحة المرجع الشيخ، ان تكون هناك حوارات عقائدية مبنية على أساس الحجة والبرهان في رد الشبهات وعند المواجهات الفكرية والعقائدية، لمـا لحجـة العلـم مـن علويـة علـى حجة العاطفة، دعا سماحة المرجع الشيخ لمثـل هـذه الأمـور عنـد لقـاءه بالمؤسسـات الإعلامية ومنها عندما التقى سماحته بالكوادر العاملة لقناة النعيم الفضـائية ومكـاتبهم الفرعية في المحافظات، اذ استهل حديثه في رواية منقولة عن الزهراء فـي ثـواب مـن يحاور بالحجة والبرهان لنصرة الدين وتقوية المؤمنين في مناظراتهم مع اهـل العقائـد والأفكار المنحرفة، [٤٣]انعكست هذه الكلمة لسماحته على رؤيا المؤسسات الإعلامية في مشروعه الرسالي الا وهي قناة النعيم الفضائية واذاعات محلية نخص بالذكر إذاعة البلاد في بغداد وإذاعة الامل في البصرة وذي قـار، اذ خرجـت مـن هـذه المؤسسـات الإعلامية برامج مختصة بالسيدة الزهراء دائمة وأخرى وقتية تبـث فـي مناسـبا محـددة نذكر منها على سبيل المثال[٤٤]:-

١. برامج تلفازية تعرض على قناة النعيم الفضائية، يشارك فيها رجال الدين وأسـاتذة الجامعات والمبلغات والرساليات العاملات مـن هـذه البـرامج، برنـامج الممتحنـة، وهو برنامج وثائقي في رحاب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، والاثر الخالد... حواري تلفزيوني في رحاب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، والطهـر البتـول... برنـامج تربـوي اجتماعي مستمدة من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وعلى خطى سيدة النسـاء، وهـو برنامج تلفزيوني في رحـاب الصـديقة الطـاهرة فاطمـة الزهـراء عليها السلام والسـير علـى دربها، وفاطمة اسوة وقدوة، والريحانة الزاكية، والمدرسـة الفاطميـة، علـى حـب

فاطمة عليها السلام،وتسبيح العاشقين، ومحطات فاطمية، والمسلسل التاريخي سيدة الضوء.

٢. برامج إذاعية تبث على اذاعات البلاد في بغداد والامل في البصرى وذي قار منها: تراتيل فاطمية، البضعة،الزهراء عليها السلام قدوتنا، والبرنامج الاذاعي الزهراء عليها السلام في فكر المرجعية، ادوار الزهراء عليها السلام،وام ابيها، وبلاغة البتول، وحوارء انسية، وصباح الامل الفاطمي، ومكاشفات تاريخية الفاطمي.

المحور الثالث:- الدراسات العلمية حول السيدة الزهراء عليها السلام، يرى المرجع الشيخ أن قيم فاطمة الزهراء (عليها السلام) ضرورة حيوية لأي مشروع نهضوي حقيقي، وهو ما يدعو إليه عبر القراء المعمقة لحياة الزهراء بقصد المناقشة العلمية ودفع الشبهات، لان النقاش هنا تكون بالحجة والبرهان عبر الكتابات العلمية في البحوث الرسائل الماجستير واطاريح الدكتوراة ودراسات بحثية لما بعد الدكتورة.[٤٥] ولعل هناك من لبى دعوى المرجعية سنذكر امثلة من الباحثين من مقلدي سماحة المرجع الشيخ واهم ما كتب في هذا المجال هو:-

١. أطروحة الدكتوراه الموسومة (خطابات القيام الفاطمي للشيخ محمد اليعقوبي مقاربة تداخلية) للباحثة شيماء عبد الستار نعمة، ط/١، النجف الاشرف: دار الصادقين، ٢٠٢٣.[٤٦]

٢. البحث الموسوم (المرأة المقاومة وأثرها في الفكر الإسلامي العراقي الشيعي، فاطمة الزهراء عليها السلام انموذجاً) بحث سيشارك في مهرجان روح النبوة الثقافي النسوي العالمي الثامن وتحت شعار (فاطمة الزهراء عليها السلام بناء الوعي واحياء القيم تقيمه العتبة العباسية، مكتب المتولي الشرعي للشؤون النسوية، شعبة مدارس

الكفيل الدينية النسوية في ١٨-٢٠٢٦/١/٢٠ للباحثة بشرى الزويني.[٤٧]

٣. البحث الموسوم (السيدة الزهراء عليها السلام في فكر سماحة آية الله العظمى المرجع الشيخ محمد اليعقوبي "دام ظله" دراسة في: الابعاد العقائدية والرسالية عبر كتبه وخطاباته، الذي سيقدم الى المسابقة البحثية السنوية الثامنة تحت شعار سيرة الزهراء عليها السلام صفحات نورانية في تاريخ الإسلام والإنسانية يقيمها مركز دراسات الفاطمية في البصرة بالتعاون مع كلية التربية للعلوم الإنسانية في البصرة للمدة ٢٠٢٥/٨/٢٤ لغاية ٢٠٢٥/١٢/١١.[٤٨]

٤. الكتاب الموسوم (السيدة الزهراء وتثبيت الامة على الصراط المستقيم) قراءة في خطاب سماحة اية الله العظمى محمد اليعقوبي (دام ظله) بمناسبة استشهاد الزهراء عليها السلام (٣ ج ٢)١٤٣٣ه اعداد جواد كاظم ردام.[٤٩]

٥. الكتاب الموسوم (رفع الظلام عن الزهراء فاطمة، التوثيق الكامل لزيارة امير المؤمنين المخصوصة بذكرى شهادة الزهراء عليها السلام والتي سنتها المرجعية الرشيدة اعداد الشيخ فلاح الحسناوي، ٢٠٠٨.[٥٠]

ان قلة البحوث العلمية التي تستند على الحجة والمنطق، هي بذات الوقت دعوى لسماحة المرجع الشيخ للكليات والجامعات ومراكز البحوث لدراسة النموذج الفاطمي لإنقاذ الاسرة أولا وإصلاح المجتمع ثانيا وبناء الدولة فالعودة إلى النموذج الفاطمي، بفكرها وقيمها، عند المرجع الشيخ توفر قاعدة صلبة لإطلاق مشروع نهضة شامل في البناء الاجتماعي، والثقافي، والسياسي.[٥١]

المبحث الثالث: السيدة الزهراء عليها السلام في مشاريع المرجع الشيخ محمد اليعقوبي للإصلاح الاجتماعي والسياسي.

لم يقتصر فكر الشيخ محمد اليعقوبي عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) على الجانب النظري فقط، بل تجاوزه إلى التطبيق العملي، اذ سعى إلى تحويل رؤية الزهراء إلى واقع ملموس يخدم المجتمع الإسلامي، ويعزز مكانة المرأة ودورها في المشروع الرسالي. يستعرض هذا المبحث أهم التجليات العملية التي اتخذها الشيخ مستلهماً فكر الزهراء (عليها السلام) عبر المحاور الاتية: -.

المطلب الأول:ـتوظيف سيرة السيدة الزهراء في الإصلاح.

ان بحث هذا الموضوع على عمقه الا اننا سنذكر النزر اليسير فيه، وسيقسم الى المحاور الاتية.

المحور الأول:-مؤسسات المجتمع المدني. وهي مؤسسات غير حكومية وغير ربحية تهتم بالعمل الاجتماعي للمرأة، ترعى الارامل والمطلقات والايتام، وإقامة دورات محو الامية، معنية بقضايا المرأة، اذ دعم الشيخ اليعقوبي إنشاء مراكز ثقافية وتعليمية تهدف إلى تربية المرأة على القيم الفاطمية، هذه المراكز تعمل على تأهيل المرأة لتكون فاعلة في المجتمع، قادرة على حمل الرسالة والدفاع عن العقيدة عبر منظمات المجتمع المدني، كرابطة بنات المصطفى ومؤسسة الزهراء الام، وبيت الزهراء للعطاء، فضلا عن دعوات المرجع الشيخ بشكل دوري ومنتظم الى ضرورة اقامة فعاليات مجتمعية وندوات ومحاضرات حول شخصية الزهراء (عليها السلام) وأثرها في الفكر الإسلامي، لتوسيع دائرة الوعي والاهتمام بها مع دعم المبادرات التي تكرم دور المرأة لاسيما الاحتفاء تكريم بنات التكليف الشرعي، تشجيع العمل التطوعي

والخيري كجزء من الالتزام بقيم التضحية والعطاء التي جسدتها الزهراء (عليها السلام).[٥٢]

المحور الثاني:- مركز الدراسات الفاطمية، دعا المرجع الديني سماحة الشيخ محمد اليعقوبي إلى إنشاء مركز مشترك بين الحوزة العلمية والجامعات الأكاديمية يتخصّص بالدراسات المتعلقة بالصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء، ليكون لهذه المراكز دور في بناء شخصية متوازنة تجمع بين العلم والروحانية، فكانت خطابات المرجع الشيخ تؤكد بأن الزهراء (عليها السلام) هي القائدة التي أسست لبناء وعي ديني واجتماعي، مستندة إلى الرسالة المحمدية التي تربي الأمة على القيم الإسلامية الأصيلة، لاسيما ان خطاب الزهراء (عليها السلام) كان يركز على التربية والنهضة الفكرية، اذ شكلت القدوة في الصبر، والتضحية، والعمل من أجل المجتمع، هذا البناء المعرفي والروحي يعد حجر الأساس في فكر الشيخ اليعقوبي لتطوير المجتمع وفق مشروع رسالي متكامل ونجد هنا تطبيق لهذه الدعوة في مركز الدراسات الفاطمية في البصرة تتركز حول السيدة الزهراء عليها السلام من حيث المضمون، فضلا عن مركز حمل اسم السيدة الزهراء عليها السلام وهو المركز الفاطمي للدراسات والتنمية البشرية في النجف الاشرف.[٥٣]

المحور الثالث:- جامعة الزهراء النسوية الدينية، وهي جامعة مختصة بالنساء على غرار جامعة الصدر الدينية في نظامها الدراسي ومراحلها تستند إلى قيم ورسائل الزهراء (عليها السلام)، فخطاب المرجع الشيخ دفع بالمرأة للانخراط الفعلي في هذه البرامج، مستفيدا من سيرة الزهراء كمصدر للإلهام والتحفيز، منها كانت وقتية اثناء أيام محددة كدورات المبلغات والخطيبات ومنها دائمية مستمرة منها جامعة الزهراء الدينية في النجف الاشرف وفروعها في المحافظات كافة.[٥٤] لرفع وعي المرأة

الشيعية بأهميتها ودورها الفاعل، ما أوجد حالة من المشاركة النسائية المتزايدة في النشاطات الدينية والاجتماعية، أثرت في تعزيز الهوية النسوية الإسلامية، وإعادة صياغة أدوار المرأة بما يتوافق مع التراث والحداثة. تظهر بعض التجارب نجاحات واضحة في دمج هذه القيم في التعليم والعمل الاجتماعي والسياسي.(٥٥)

المطلب الثاني: تحليل كتب وخطابات الشيخ محمد اليعقوبي حول الزهراء (عليها السلام)

تعد مؤلفات الشيخ محمد اليعقوبي وخطاباته من المصادر المهمة التي تعكس رؤيته المميزة لشخصية فاطمة الزهراء (عليها السلام). في هذا المبحث سنستعرض أبرز كتبه وخطاباته التي بحثت الزهراء (عليها السلام) او التي نوهت النساء الى اتخاذ الزهرة كقدوة حسنة، ونسلط الضوء على أهم محتوياتها، مع التركيز على الرسائل الفكرية والنهضوية التي تتضمنها عبر المحاور الاتية: -.

المحور الأول: كتب سماحة المرجع المعنية بالسيدة الزهراء عليها السلام، بحث الشيخ محمد اليعقوبي في موضوع السيدة والزهراء في كتبه مباشرة وأخرى غير مباشرة منذ عام ٢٠٠٣ حتى يومنا لعل كتابه المباشر والموسوم (المعاني الرسالية من حركة السيد الزهراء عليها السلام) يبحث عبر خطبه فيه السيدة الزهراء من نواحي متعددة منها من ناحية تاريخية ودينية بفروعها المختلفة العقائدية والرسالية وغيرها، مع تركيز خاص على ان الزهراء نموذج فاطمي مثالي، كما يبرز الكتاب كيف قلب الإسلام، المفاهيم النمطية عن المرأة، بسبب شخصية الزهراء مكرسًا دورها القيادي والرسالي، يتضمن الكتاب تحليلاً مفصلاً لسيرة الزهراء ودورها في الدفاع عن العقيدة والمجتمع الإسلامي وهو ما تضمنه الكتاب في ثلاثة عشر فصل، باحث في مقامها في القران

الكريم وخصوصية بعض الآيات القرآنية بها او بآل البيت ولماذا يغضب الله لغضبها وكيف يمكن إقامة حكم الله تعالى عن طريق سيدة نساء العالمين لاسيما وقد حملت هم الدين ومسؤوليته مع ابيها او بعده، مع سؤال موجه لعامة الناس واجابته المدونة اذا ما اردنا ان نكون مع السيدة الزهراء، ونصائح للنساء بكيفية ان تشارك المرأة الرجل في قضايا الامة واسرار زياراتها المخصوصة وهي القدوة الحسنة مع التعرف على شرح اسمائها..الخ. (٥٦) فضلا عن الكتب بحث سير ال البيت ومنهم النساء مثل كتاب مع النسوة الصالحات في الإسلام، اذ عرض الكتاب جملة من نساء الإسلام مبتداءا بالسيدة امنة بنت وهي والدة الرسول صل الله عليه وعلى اله وسلم منتهياً بالسيدة زينب عليها السلام مشيرا في الكتاب الى بعض مشاكل النساء منه الطلاق مع الرد على بعض شبهات التاريخ... الخ، فكان التطرق بين طيات هذا الكتاب الى السيدة الزهراء عليها السلام لاسيما مواضيع ولادتها، وكيف كانت المعجزة الأولى لها ؟ عندما كانت تكلم أمها وهي جنين، وما هي أدوارها الرسالية ؟ وكيف اقتدت ابنتها السيدة زينب عليها السلام بأدوار الام ؟ وكررتها لمتطلبات المرحلة. (٥٧)

المحور الثاني: خطابات المرجع الشيخ المعنية بالسيدة الزهراء عليها السلام، يلقي الشيخ خطبًا في المناسبات الفاطمية (كذكرى ولادتها ووفاتها الزهراء) تبحث في شخصية الزهراء (عليها السلام) بعمق روحي وعقائدي، اذ حوت الخطابات على تحليل لمواقفها، ودعوتها، ورسالتها مع محاولة ربطها بالواقع المعاصر والتحديات التي تواجه الأمة، لذلك هناك دائما استعدادات لأحياء ذكرى استشهاد الزهراء في كل عام، كانت لغاية كتابة هذا البحث (٢١) خطاب كنتيجة لزيارة امير المؤمنين في الرواية الثالثة لاستشهاد السيدة الزهراء اخرها خطاب السيدة الزهراء ركن الدين وكهف

المؤمنين في المصادف ٣/ جمادي الاخرة/١٤٤٧ ه والموافق٢٠٢٥/١١/٢٥ الذي كانت فيه رسائل عديدة يوضح الدور المحوري للسيدة الزهراء وأولادها المعصومين "عليهم السلام" في حفظ الدين وصيانته ومَظَاهِرُ نصرة العلماء وحمايتهم وشواهد التاريخ في أهمية الناصِرفي الذود والدفاع عن الرسالات السماوية [٥٨].

المحور الثالث: الزيارات الفاطمية السنوية، يؤكد المرجع الشيخ ، ان شجاعة السيدة الزهراء وكل ما قدمته للسلام والمسلمين ووقوفها بوجه الانحراف عن العقيدة، ينبغي لمحبي السيدة الزهراء رد الجميل بالنزر اليسير المتمثل بأحياء ذكرى وفاتها بزيارة مخصوصة لأمير المؤمنين عليه السلام أي يتهأوا ويتعبأو لاقامة سنة سنوية لزيارة امير المؤمنين ففضل عما تحمله زيارة امير المؤمنين في ذكرى استشهادها على الرواية الثالثة المعمول بها عند المحققين وهي ٣/ جمادي الثانية، وقد صادفت اول ذكرى زيارة لها في ٢٠٠٦/٦/٢٩ ، واستمرت هذه الزيارة يسبقها رفع نعش رمزي للسيدة الزهراء الى يومن هذا أي قرابة ١٩ عاما لحد عام ٢٠٢٥، اذ يتوافد الالاف الزائرين القادمين لمواساة امير المؤمنين حتى وصل اكثر من مليون زائر في اخر زيارة فاطمية لحرم امير المؤمنين في ٢٥ /تشرين الثاني/٢٠٢٥ اكثر من مليون زائر [٥٩].

المطلب الثالث: التحديات والفرص لتفعيل النموذج الفاطمية عند المرجع الشيخ محمد اليعقوبي.

رغم ما يحمله النموذج الفاطمي من طاقات هائلة للتغيير، وما بذله المرجع الشيخ من جهد لتفعيله، إلا أن هذا المشروع يواجه عددًا من التحديات الواقعية والفكرية. ومع ذلك، تبقى هناك فرص كبيرة لتطويره وتوسيع أثره. هذا المبحث يحاول تقديم قراءة نقدية موزونة للواقع، بين ما هو كامن من إمكانات، وما يعترضه

من معوّقات عبر المحاور الاتية: -.

المحور الأول: التحـديات، ان خطابات المرحلة لسماحة الشيخ تؤكد ان التحديات المحيطة بنا كثيرة نذكر منها على سبيل المثال الاتي[٦٠]:-

١.لا تزال البيئة الاجتماعية التقليدية من المجتمعات الشيعية تتعامل مع الزهراء (عليها السلام) من زاوية عاطفية أو طقوسية فقط، مما يحدّ من تحويل خطابها إلى وعي عملي ونهضوي.

٢.قصور الوعي النسوي الرسالي مع ضعف التثقيف العقائدي والرسالي لدى فئة من النساء، جعل بعضهن يرين في الزهراء (عليها السلام) نموذجًا مثاليًا غير واقعي في هذا العصر ما يصعب الاقتداء به في الحياة اليومية .

٣.المؤسسات الدينية غير المتفاعلة، لا تتبنى جميع المؤسسات الدينية أو الحوزوية خطابًا متجددًا يستوعب الطرح الفاطمي الحركي، مما يؤدي إلى بقاء المشروع محصورًا في خطب وبيانات دون امتداده إلى واقع المؤسسات.

٤.تضاعف المسؤولية امام ضغوط الحداثة والعولمة، المفاهيم الغربية حول المرأة، الهوية، والأسرة تطرح بدائل مضادة للفكر الرسالي، وتؤثر على قدرة الخطاب الفاطمي في الانتشار ما لم يُقدّم بطريقة معاصرة ومقنعة.

٥.محاولة تغييب القدوة، بل وإبراز شخصيات نسوية غير حقيقية على مر التاريخ هدفها الأساسي ابعاد النظر عن الشخصيات القدوة الحقة، أدى ذلك الى ذيع صيت نساء غير موجودات أصلا، الا ان الحقد التاريخي قال قوله.

المحور الثاني: - الفرص، يشير سماحة الشيخ في خطاباته الى وجود فرص بالإمكان استثمارها وتحويلها الى قصص نجاح في تعزيز دور النساء عبر النموذج

الفاطمي اذ تمتاز الرؤية الفاطمية التي يطرحها الشيخ بالاتساق العقائدي، والشمولية الفكرية، والقدرة على أن تكون أساسًا لمشروع إصلاحي متكامل لاسيما مع [٦١]:

١. رغبة الشباب والنساء الرساليين في استحضار شخصيات أصيلة وملهمة، والزهراء (عليها السلام) تُمثّل هذا النموذج، لاسيما حين يُعرض بطريقة عملية وواقعية.

٢. توفر المنصات الإلكترونية فرصة لتوسيع تأثير الخطاب الفاطمي، سواء عبر إنتاج محتوى مرئي او دراما، أو دورات تعليمية رقمية، أو حملات توعية.

٣. الاهتمام بالمشاريع الإصلاحية المؤسساتية لجميع الفئات العمرية بدءا بالأطفال والاهتمام بسن التكليف اناث وذكور.

نجد ان التحديات التي تعيق، والفرص التي تفتح آفاقًا جديدة، يبقى المشروع الفاطمي في حاجة دائمة إلى التجديد والتفعيل، ويمثل خطاب الشيخ محمد اليعقوبي نقطة انطلاق فكرية وعملية مهمة، تحتاج إلى مزيد من الجهود المؤسساتية والمجتمعية لترسيخها كمسار نهضوي متكامل.

المحور الثالث: ما ينبغي تقديمه، فهي مقترحات مستنبطة من قراءة لخطابات المرحلة اذ ستتيح هذه الدراسة إمكانية الكتابة في عناوين عديدة منها:- [٦٢]

١. تحليل ودراسة خطب المرجعيات في المناسبات الفاطمية منذ القرن الهجري الأول حتى يومنا هذا، لتتبع التحولات والمستجدات في بحث حياة وسيرة الزهراء (عليها السلام).

٢. دراسة السيدة الزهراء عليها السلام عند المرجعيات الأخرى كالمرجع السيد محمد محمد باقر الصدر أو المرجع الديني السيد محمد محمد صادق الصدر، ومقارنة الأبعاد

العقائدية والرسالية في طرح كل مرجع.

٣. دراسة المرأة في فكر المرجع الشيخ محمد اليعقوبي دراسة شاملة لمجمل أطروحات الشيخ عن المرأة، وموقفه من قضايا المرأة والأسرة والتعليم والاجتهاد والدور القيادي لهن على سبيل المثال:-.

أ. تكليف المرأة في مرحلة الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب في فكر سماحة الشيخ محمد اليعقوبي.

ب. الفقه السياسي للمرأة المسلمة في فكر سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي دام ظله الوارف.

ت. مخاطر تعويم مصطلحات وسلوك الحضارة الغربية على قضايا المرأة في فكر سماحة الشيخ محمد اليعقوبي.

٦. دراسات متعددة المواضيع المجتمعية مستمدة عناوينها من عناوين خطابات المرحلة يمكن الإشارة باختصار الى ما يهم الباحثة على الأقل منها على سبيل المثال:[٦٣]

أ. التعايش السلمي وحفظ حقوق الأقليات في الإسلام في فكر سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي دام ظله الوارف.

ب. ظواهر اجتماعية منحرفة وكيفية العلاج لدى سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي دام ظله الوارف.

د. العشائر والدور الإيجابي لبناء الدولة في فكر سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي دام ظله الوارف.

ز. دور وسائل الإعلام في صناعة الرأي العام للمرأة في فكر سماحة الشيخ محمد اليعقوبي.

ه. الشباب والمرأة والعولمة (التحديات والفرص) فكر سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي.

و. دور المرجعية الدينية في ترسيخ الهوية الوطنية (المرجع الشيخ محمد اليعقوبي انموذجاً).

نجد في النهاية ان المبحث الثالث يؤكد على أهمية التوازن بين النظرية والتطبيق في مشروع المرجعية المعاصرة، ويبرز الزهراء (عليها السلام) كنموذج حي قابل للتفعيل العملي، يُسهم في بناء نهضة إسلامية معاصرة تستجيب لاحتياجات المجتمع وتحدياته.

الخاتمة

في هذا البحث، استعرضنا شخصية فاطمة الزهراء (عليها السلام) من منظور عقائدي ورسالي، ودراسة تحليلية قدر المستطاع لرؤية سماحة الشيخ محمد اليعقوبي حول شخصية الزهراء عليها السلام، مستندين إلى كتبه وخطاباته، فتبين أن طرح الشيخ محمد اليعقوبي لشخصية السيدة الزهراء (عليها السلام) لا يقتصر على البعد التاريخي أو الديني التقليدي، بل يتجاوزه ليقدم مشروعًا فكريًا – عقائديًا متكاملًا، يستند إلى قراءة واعية لدورها الرسالي، ويقترح توظيفًا عمليًا لمكانتها في السياقات التربوية والاجتماعية المعاصرة.

ولم يقتصر دور الشيخ على الجانب النظري، بل عمل على تفعيل هذا الخطاب الى الانب العملي عبر مؤسسات وبرامج عملية تهدف إلى تجسيد القيم الفاطمية في

الواقع الاجتماعي، لاسيما في دعم المرأة الرسالية والتربية على النموذج الفاطمي.

في الختام، يمثل هذا البحث محاولة لجمع بين التأسيس العقائدي والتفعيل العملي لشخصية الزهراء (عليها السلام) في فكر مرجع معاصر كالشيخ محمد اليعقوبي، مع التأكيد على أهمية استمرار البحث والتطوير في هذا المجال، سواء عبر مقارنة رؤى مراجع أخرى أو تعميق الفهم والتطبيق في الواقع.

المقترحات

أبرز ما توصلنا إليه من مقترحات عبر ما استشف من فكر المرجعية هو:-

١.ضرورة إدماج فكر الزهراء (عليها السلام) في المناهج التعليمية الاكاديمية وليس فقط الحوزوية، وتفعيل النموذج الفاطمي في برامج الإصلاح الثقافي والاجتماعي، بما ينسجم مع احتياجات العصر ويحافظ على أصالة المبدأ.

٢.توسيع دائرة البحث حول خطاب المرجعيات المعاصرة بشأن الزهراء (عليها السلام)، لما لذلك من أثر في إثراء الخطاب الديني وتعميق فهمنا لدور المرأة في المشروع الإسلامي الأصيل.

٣.تعزيز الخطاب الفاطمي في المناهج الحوزوية والدينية بضرورة دمج الأبعاد الرسالية والعقائدية لشخصية الزهراء (عليها السلام) في المناهج التعليمية في الحوزات والمدارس الإسلامية، لتكوين وعي رسالي مبكر لدى الطلبة.

٤.تحويل فكر الزهراء (عليها السلام) إلى مشاريع مجتمعية عملية، ينبغي تحويل القيم التي مثلتها الزهراء (عليها السلام) — كالعفة، الوعي، الدفاع عن الحق، والقيادة الرسالية إلى برامج ثقافية وتربوية تستهدف المرأة والشباب.

٥.تمكين المرأة عبر النموذج الفاطمي، عبر دعم مبادرات مراكز المرأة الرسالية، وتشجيع إنشاء منتديات فكرية تُعنى بتقديم فاطمة الزهراء (عليها السلام) كقدوة واقعية ومُلهمة للنساء في العالم الإسلامي.

٦.توسيع التغطية الإعلامية للفكر الفاطمي والاستفادة من المنصات الإعلامية (الرقمية والمرئية) لنشر خطاب الزهراء (عليها السلام) وفكر المرجعية المعاصرة عنها، بلغة عصرية وتفاعلية تصل إلى الأجيال الجديدة.

٧.إقامة ملتقيات علمية سنوية حول فكر الزهراء (عليها السلام) وتشجيع عقد مؤتمرات وندوات تجمع الباحثين والمهتمين بالفكر الإسلامي لتبادل الرؤى حول سيرة الزهراء (عليها السلام) وتوظيفها في بناء النهضة الإسلامية المعاصرة.

٨. إطلاق مبادرات مجتمعية تنسجم مع مبادئ العدالة، التضحية، والوعي التي جسدتها الزهراء (عليها السلام) ترعاها وتتبناها الجامعات والمعاهد والمدارس.

هوامش البحث

(١) سورة الأحزاب، الاية ٣٣.

(٢) حوار الذي أجرته فضائية (العراقية) مع سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) وعُرض بمناسبة ذكرى استشهاد الصديقة الزهراء (عليها السلام) يوم ٣/ج٢/١٤٢٨ المصادف ٢٠٠٧/٦/١٩ تاريخ الدخول للموقع ٢٠٢٥/١١/١ الساعة السابعة مساءاً.

https://yaqoobi.com/arabic/index.php/permalink/2673.htm

(٣) سورة آل عمران، الاية ٦١.

(٤) خطاب المرحلة رقم (١٨٦): إلى مواكب الوعي الحسيني للجامعات والمعاهد العراقية وملتقى العلم والدين، سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) خطاب المرحلة، توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق ابعد استشهاد

استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، ج ٥، تشرين الأول ٢٠٠٦-تشرين الثاني ٢٠٠٨، ص٢٦٥-٢٧٣.

(٥) سورة الكوثر، الاية ١.

(٦) خطاب المرحلة رقم(١٢٠): فاطمة الزهراء: ميزان الحق، سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) خطاب المرحلة توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق ابعد استشهاد استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، ج ٤،شباط ٢٠٠٥- تشرين الأول ٢٠٠٦م، ص٢٩٨-٣٠٣.

(٧) سورة الانسان الايات ٨ و٩.

(٨) تفسير الشيخ اليعقوبي للاية القرآنية الانسان منشورة على موقع

https://yaqoobi.com/arabic/index.php/permalink/6152.html تاريخ زيارة الموقع ٢٠٢٥/١٠/٢٣ الساعة ١٠ مساءاً

(٩) خطاب المرحلة رقم (٢٢٠): الزهراء (عليها السلام): الاسوة الحسنة، سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق ابعد استشهاد استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، ج ٦ تشرين الثاني ٢٠٠٨- كانون الأول ٢٠١١، ص٩٠.

(١٠) استخدم الشيخ محمد اليعقوبي في كثير من خطبه لقب سيدة نساء العالمين في خطبه على سبيل المثال مقالات بعنوان (فاطمة الزهراء (عليها السلام) الاسوة الحسنة وكذلك القرآن الكريم ومقامات السيدة الزهراء واهل البيت (عليهم السلام) منشورة هذه المقالات في موقعه الرسمي

https://yaqoobi.com/arabic/index.php/5/829/2667.html?utm_source تاريخ زيارة الموقع في ٢٠٢٥/١١١/٢٢ الساعة ٩ مساءاً وكثيرة هي المصادر الامامية في ذكر هذا الحديث سنشير الى اثنين فقط هما:- الشيخ الطوسي، الامالي، قم: دار الثقافة، ط/١، ١٤١٤ هـ ص٢٩٥. وكذلك:المجلسي، بحار الانوار، بيروت: مؤسسة الوفاء، ج٤، ١٤٢٩هـ ص ٢٤-٢٧.

(١١) ينظر لهذه الاحاديث عن آل البيت في حق الزهراء موقع العتبة الحسينية المقدسة في

https://imamhussain.org/islamic/6484 تاريخ الدخول للموقع ٢٠٢٥/١١/١٢ الساعة ٧ عصراً.

(١٢) سورة الأحزاب الاية ٣٣

(١٣) حوار الذي أجرته فضائية (العراقية) مع سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) وعُرض بمناسبة ذكرى استشهاد الصديقة الزهراء (عليها السلام) يوم ٣/ج٢/١٤٢٨ المصادف٢٠٠٧/٦/١٩.مصدر سبق ذكره.

(١٤) ثائر العقيلي، الخطاب الفاطمي لعام ٢٠٠٧، ص١٩

(١٥) https://yaqoobi.com/arabic/index.php/permalink/2673.html.تاريخ الدخول للموقع ٢٠٢٥/١٠/١٢ الساعة ٩ مساءً.

(١٦) سورة الشورى الاية ٢٣

(١٧) https://yaqoobi.com/arabic/index.php/permalink/845915.htm تاريخ الدخول للموقع ٢٠٢/١٠/١٢ الساعة ٩.١٢ مساءاً

(١٨) للمزيد ينظر: https://www.islam4u.com/ar/maghalat تاريخ الدخول للموقع ٢٠٢٥/١٠/١٢ الساعة ٩ مساءاً

(١٩) https://yaqoobi.com/arabic/index.php/permalink/845915.htm

(٢٠) خطاب المرحلة٤٠٥: السيدة الزهراء (عليها السلام) وإقامة حكم الله تعالى، سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) خطاب المرحلة، توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق ابعد استشهاد استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)،ج ٨/ اب ٢٠١٢- نيسان ٢٠١٤، ص٤٣٩-٤٤٩.

(٢١) عن مصادر الشيعة مئات الكتب نذكر هنا على سبيل المثال. بتصرف عن:-محمد كاظم القزويني، فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد، كربلاء المقدسة، بيروت: دار المرتضى، ٢٠٢١، ص١٨٣ - ٣٥٠. تتفق مع هذه المصادر اهم الكتب لديهم مثلاً: عبدالله البخاري، صحيح البخاري، ط١/، بيروت: دار صادر، بلا تاريخ، ص٧٤٥.

(٢٢) ينظر بالتفصيل لهذه الكتب على موقع مركز الفاطميات https://alfatimi-basra.com/archives/6932 تاريخ الدخول للمقع ٢٠٢٥/١١/٢١ الساعة ١١ مساءاً.

(٢٣) خطاب المرحلة رقم (٣٣٢): ربيبة القرآن زينب (عليها السلام) تعيد للامة بصيرتها، سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) خطاب المرحلة، توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي

ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق ابعد استشهاد استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، ج ٧، كانون الثاني واب ٢٠١٢ م-١٤٣٣ه، ص٣٣٩-٣٤٤.

(٢٤) نقلا عن: يشرى الزويني، المرأة المقاومة وأثرها في الفكر الإسلامي العراقي الشيعي، فاطمة الزهراء عليها السلام انموذجاً، بحث سيشارك في مهرجان روح النبوة الثقافي النسوي العالمي الثامن وتحت شعار (فاطمة الزهراء عليها السلام بناء الوعي واحياء القيم تقيمه العتبة العباسية، مكتب المتولي الشرعي للشؤون النسوية، شعبة مدارس الكفيل الدينية النسوية في ١٨-٢٠/١/٢٠٢٦.

(٢٥) خطاب المرحلة رقم (٢٢٠):، سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق ابعد استشهاد استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، ج ٦، مصدر سبق ذكره، ص٧٤

(٢٦)خطاب المرحلة رقم (٤٠٧): السيدة الزهراء وإقامة حكم الله تعالى، الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) خطاب المرحلة، توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق ابعد استشهاد استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره) عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) خطابه رقم ٤٠٥ الزهراء وإقامة حكم الله، ج/ ٨، مصدر سبق ذكره، ص٤٣٩-٤٤٩.

(٢٧) المصدر نفسه، ص١٨٥-١٩٣

(٢٨) خطاب المرحلة رقم (٢٣): سيدة عراقية تنتصر للقرآن الكريم، سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) خطاب المرحلة توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق ابعد استشهاد استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، ج ٣، ص١٧٤-١٧٥.

٢٩. خطاب المرحلة رقم (٧١٧): دليل فاطمة على امامة علي ابن ابي طالب، سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق ابعد استشهاد استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام

١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، ج/ ١٣، تموز ٢٠٢١-تموز ٢٠٢٣،٤٠١-٤٠٤

(٣٠) الشيخ محمد اليعقوبي، من خطب سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف) سيرة الائمة الاثني عشر عليهم السلام: دراسة وتحليل، ط/١، النجف الاشرف،دار الصادقين: لطباعة ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)،٢٠١٣، ص ٨٧.

(٣١) خطاب المرحلة رقم(٣١): سن زيارة مخصوصة الى مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذكرة وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام، سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق ابعد استشهاد استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره) عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، ج ٤، مصدر سبق ذكره، ص٢٧٦-٢٧٨.

(٣٢) عقيدة مدرسة اهل البيت في الامامة، سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق ابعد استشهاد استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره) عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)،ط/٢، ج /١، القسم الأول ١٩٩٩-٢٠٠٣ ص٢١٩-٢٢٧.

(٣٣) شخصية السيدة الزهراء وابنتها العقيلة زينب، سماحة الشيخ محمد اليعقوبي، ج ١٣ منشور على الموقع الالكتروني:https://library.yaqoobi.net تاريخ الدخول للموقع ٢٠٢٥/١٢/١ الساعة ١١ صباحاً.

(٣٤) دارت الأيام والسنين ويسقط فيه دكتاتور العصر في ذات يوم الاعتقال المذكور آنفاً، ولان عدالة الله تظهر مهما طال الزمان فبعد (٤٥) عاماً، فقد القي القبض في الاشهر الاخير الماضية على من اعدم كل من السيد الشهيد اية الله العظمى محمد باقر الصدر واخته العلوية الطاهر امنة الصدر، اذ اعلن جهاز الامن الوطني في اعتقال مسؤولين أمنيين سابقين متورطين في تنفيذ الاعدام بحق العلوية الطاهرة وشقيقها مرجع المسلمين، كل من المجرم سعدون صبري وجميل القيسي الذي اعترف بتنفيذ الاعدام بسلاحه الشخصي، وان تبقي هؤلاء المجرمين حتى اعمار تجاوزت الـ ٧٠ عاما، يقيناً كي لا تكون نهايتهم نهاية طبيعية، انها عدالة السماء، مقابلة مع الخبير الأمني فاضل اب رغيف في ٢٠٢٥/٧/١٠.

(٣٥)حول مبادرة الجيش الرديف في ١١/حزيران /٢٠١٤

ينظـــــــر موقـــــــع https://yaqoobi.com/arabic/index.php/mobadarat/mobadrat-1-5/8260.html وفتوى الدفاع بالواجب الكفائي في ١٣/ حزيران/٢٠١٤الساعة ١١ مساءاً.

ينظر موقع السيد السيستاني https://www.sistani.org/arabic/archive/24918/ تاريخ الدخول للموقع ٢٠٢٥/٦/١٣ الساعة ١٠ مساءاً.

(٣٦) بيان حول شهيدة الفضيلة الدكتورة خولة محمد تقي زوين، خطابات المرحلة، مصدر سبق ذكر، ج ٤، ص١٦٨-١٦٩.

(٣٧) تم استخدام المنهج التحليلي المعتمد على الفهم البسيط للباحثة.

(٣٨) حول المرأة والاجتهاد ينظر: سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) خطاب المرحلة، توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق ابعد استشهاد استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره) عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، ط/٢، ج ٩، مايس ٢٠١٤- ٢٠١٥، ص ٤٩٤.

(٣٩) خطاب رقم (٣١): ظاهرة الطريحة وأصحاب النور، سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) خطاب المرحلة، توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق ابعد استشهاد استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره) عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، ج/٢، القسم الثاني /عام ١٩٩٩ – ٢٠٠٣، ص٤٤٣-٤٤٥.

(٤٠) فيصل التميمي، دروس حركية من خطاب المرجع اليعقوبي دام ظله في عيد القادة، مؤسسة الرحمن الإسلامية: جامعة الصدر الدينية فرع كربلاء المقدسة، بلا تاريخ، ص٥٣.

(٤١) خطاب المرحلة رقم (٦٢٢) بشارة السيدة الزهراء للشيعة مشروطة بالورع، سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق ابعد استشهاد استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)،ج/١٢، حزيران ٢٠١٩- حزيران ٢٠٢١، ص١٧٢-١٧٤.

(٤٢)احياء الزيارة الفاطمية في النجف الاشرف، سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة

الإسلامية في العراق ابعد استشهاد استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)،ج ١٠/، بداية ٢٠١٦ – اب ٢٠١٧، ص٣٧٤- ٣٧٥.

(٤٣) لمعرفة الرواية المنقولة عن السيد الزهراء ينظر: المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي:فاطمة الزهراء القيام الفاطمي، مصدر سبق ذكره، ص٢٠٩.

(٤٤) حديث مع مدير العلاقات في قناة النعيم الفضائية ومدير الامل في البصرة السيد مخلد محمد شاكر في ٢٠٢٥/١٢/٣ الساعة ١١.٤٥ دقيقة صباحاً.

(٤٥) خطاب رقم (٥١٤): ثواب عظيم ببركة الزهراء لمن ينصر الدين، خطابات المرحلة، سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق ابعد استشهاد استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)،ة،ج١١، آب ٢٠١٧-أيار ٢٠١٩، ص٧٤-٧٥.

(٤٦) بتصرف عن: شيماء عبد الستار نعمة، الموسومة (خطابات القيام الفاطمي للشيخ محمد اليعقوبي مقاربة تداولية)، ط١/، النجف الاشرف: دار الصادقين، ٢٠٢٣.

(٤٧) اعلان المؤتمر منشور في https://home.ruh-alnubua.alkafeel.net/news/the-brochure-of-the-8th-international-festival-of-ruh-al-nubua

(٤٨) الإعلان منشور في الموقع file:///C:/Users/Dr%20boshra/OneDrive/Desktop

(٤٩) بتصرف عن: جواد كاظم ردام، السيدة الزهراء وتثبيت الامة على الصراط المستقيم، قراءة في خطاب سماحة اية الله العظمى محمد اليعقوبي (دام ظله) بمناسبة استشهاد الزهراء عليها السلام (٣ ج ٢)١٤٣٣.

(٥٠) بتصرف عن: الشيخ فلاح الحسناوي، رفع الظلام عن الزهراء فاطمة، التوثيق الكامل لزيارة امير المؤمنين المخصوصة بذكرى شهادة الزهراء عليها السلام والتي سنتها المرجعية الرشيدة، ٢٠٠٨.

(٥١)للاستفاضة ينظر: خطاب المرقم(٣٨٧): المرأة وطلب المعالي، خطاب المرحلة، ج٨، مصدر سبق ذكره، ص٣٠٣-٣٠٩.

(٥٢) موضوع كفالة الايتام وعلاقته بالزهراء ينظر: هل تريد ان تكون مع الصديقة الزهراء عليها السلام في درجتها) نشر في مصادر متعددة ينظر: ثائر العقيلي، الخطابات الفاطمية السنوية، مصدر سبق ذكره، ص٥٧-٦٨.

(٥٣) للمزيد حول هذا المركز ينظر: الشيخ الدكتور ثائر العقيلي، مركز الدراسات الفاطمية السيرة والمسيرة ٢٠١٢-٢٠٢٣، مصدر سبق ذكره، ص٥-١٨٤. فضلا عن حديث مع كل من مدير مركز الدراسات الفاطمية في البصرة الدكتور ثائر العقيلي في ٢٠٢٥/١١/١٧، وحديث مع السيد باسم الحسني مدير مركز المركز الفاطمي للدراسات والتنمية البشرية في النجف الاشرف في ٢٠٢٥/١٢/٢.

(٥٤) للاستفاضة حول مشاريع المرجعية ينظر: سليم الحساني، ربيع الامة المرجعية والقيادة الرسالية، بحوث في مرجعية وقيادة سماحة اية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) /ط١/، ٢٠١٢، ص٣٤١-٣٤٦.

(٥٥) برزت لنا سيدات فاعلات كانت البداية لهن عبر جامعة الزهراء الدينية ثم منظمات المجتمع المدني لعل ابرزهن هي العلوية المرحومة نداء شبر عبر رابطة بنات المصطفى التي أصبحت لاحقا عضو مجلس مفوضين في مؤسسة الشهداء وهي احدى مؤسسات العدالة الانتقالية في عراق ما بعد العام ٢٠٠٣، فضلا عن ظهور سياسيات خرجن من ذات المؤسسة المذكورة آنفا وهن العلوية رغد الشديدي والعلوية زهراء الهاشمي والعلوية كميلة الموسوي والسيدة بشرى الكناني والدكتورة سهام كاظم والوزيرة الباحثة لهذه الدراسة والسيدة سوزان السعد والدكتورة زينب الجياشي، والتحق مؤخرا سيدات رساليات ومبلغات في مجلس النواب العراقي في دورته السادسة وهن في الأصل اما مبلغات رساليات او ناشطات إغاثة إنسانية،او طالبات او خريجات جامعة الزهراء، فضلا عما ارفدته الجامعة من عضوات مجالس المحافظات ونساء تقلدن مناصب قيادية في مؤسساتهن الرسمية خارطة الطريق لاي سيدة حول دورها في عراق ما بعد عام ٢٠٠٣ ينظر: خطاب المرحلة رقم (٣١) دور المرأة في المجتمع الجديد، ج ٣، مصدر سبق ذكره ص٢١٨- ٢٢٤.

(٥٦) بتصرف عن:- المعاني الرسالية من حركة السيدة الزهراء عليها السلام من خطب سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، ط١/ النجف الاشرف: دار الصادقين، ١٤٣٥ه-٢٠١٤، ص٧-١٧٤.

(٥٧) بتصرف عن: مع النسوة الصالحات في الإسلام: من خطب سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، ط٢/ النجف الاشرف: دار الصادقين، ١٤٤٣ه ٢٠٢٢ م،ص٥-٨٩.

(٥٨) أخر خطاب لعام ٢٠٢٥ منشور على الموقع الموقع <https://www.alnaeem-news.iq

(٥٩) المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، سن الزيارة المخصوصة الى مرقد امير المؤمنين عليه السلام في ذكرى وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام خطاب منشور في كتاب فاطمة الزهراء القيام الفاطمي، النجف الاشرف: دار الصادقين ص٤٦-٤٩. وكذلك المرجع اليعقوبي يُلقي خطابه الفاطمي السنوي بعنوان "السيدة الطاهرة الزهراء (ع) ركن الدين وكهف المؤمنين منشور على الموقع <https://www.alnaeem-news.iq

(٦٠) كيف استبدلت ام البنين عليها السلام واستهاد أربعة من ابناءه بقصة الخنساء عبر احاديث مجهولة والاسانيد في وهمية هذه السيدة ينظر بالتفصيل في:انتصاراً لام البنين: هل كان للخنساء أربعة بنين استشهدوا في معركة القادسية، سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) خطاب المرحلة رقم ٣١، توثيق لخطابات وبيانات سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق ابعد استشهاد استاذه السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، بيروت لبنان: دار الصادقين لطبع ونشر مؤلفات سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، **ج ٢ القسم الثاني**، نيسان ٢٠٠٣ – كانون الثاني ٢٠٠٥، ص١٥٥-١٧٤.

(٦١) عشرات الخطابات الفاطمية بل يكاد يكون كل خطاب يحمل في مضامينه فرص استثمار شخصية الزهراء عليها السلام في اصلاح المجتمع منها خطاب المرحلة المرقم (٣٢٧):السيدة فاطمة الزهراء وتثبيت الامة على الصراط المستقيم المنشور في خطاب المرحلة،ج٧، **مصدر** سبق ذكره، ص٣٠٩-٣١٨.

(٦٢) يستطيع الباحث المهتم بقضايا علمية وإنسانية ان يستشف الى عشرات المواضيع المستنبطة من خطابات المرحلة.

(٦٣) ان قراءة لخطاب واحد من خطابات المرحلة يستطيع ان يأتي بعشرات المواضيع وفي شؤون متعددة.

منهج السنن في القرآن الكريم بين المرجعين الشيخ محمد اليعقوبي والسيد الشهيد محمد باقر الصدر(قدس سره)

الدكتور أحمد حميد الموسوي

مقدمة

يحتلّ مفهوم «السنن الإلهية» أو «السنن التاريخية» مكانة مركزية في الدراسات القرآنية المعاصرة، بوصفه مدخلاً منهجياً لفهم القوانين التي تحكم حركة المجتمعات والأمم، والعلاقات السببية التي تضبط مسار التاريخ الإنساني في ضوء الرؤية القرآنية. وقد شكّل هذا المفهوم أحد أعمدة «التفسير الموضوعي للقرآن»، وهو المنهج الذي برز بوضوح في نتاجات الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره)، ولا سيّما في كتابه «السنن التاريخية في القرآن الكريم»، الذي يُعد من أوائل المحاولات الجادّة لتأسيس قراءة قانونية ـ اجتماعية للنص القرآني.

وفي هذا السياق الفكري صدر حديثاً كتاب «السنن الإلهية في القرآن الكريم» للمرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي، بوصفه امتداداً تطبيقياً لذلك المشروع التأسيسي، ومحاولة لتوسيع دائرة والبحث في السنن القرآنية وتصنيفها واستعراض مظاهرها في مختلف سور القرآن الكريم. والبحث قراءة مقارنة في كتابَي: «السنن الإلهية في القرآن الكريم» و«السنن التاريخية في القرآن الكريم يهدف إلى تقديم قراءة مقارنة بين المنهجين، والكشف عن نقاط الالتقاء والاختلاف بين المدرستين، في ضوء النص القرآني والنتاج التفسيري المعاصر.

المبحث الأول: المقارنة المنهجية في قواعد السنن الإلهية

أولاً: التأسيس المنهجي لمفهوم السنن القرآنية

ينطلق السيد محمد باقر الصدر في كتابه من مقدمة منهجية واسعة يؤسس فيها لمفهوم «التفسير الموضوعي»، معتبراً أنه المنهج القادر على «استخلاص النظرية القرآنية المتكاملة في أي موضوع من خلال جمع الآيات وتحليلها في إطار وحدوي» (الصدر، المدرسة القرآنية). ومن هذا المنطلق ينتقل إلى دراسة «السنن التاريخية» بوصفها قوانين عامة تحكم حركة المجتمعات، وتفسّر صعود الأمم وسقوطها، بعيداً عن التفسيرات العشوائية أو القدرية الجامدة.

أما الشيخ محمد اليعقوبي، فيتجاوز مرحلة التأسيس النظري، ويدخل مباشرة إلى صلب المبحث التطبيقي، متخذاً من «السنن الإلهية» محوراً مركزياً لكتابه. وهو بذلك يفترض ضمنياً اكتمال الإطار المنهجي الذي وضعه الصدر، وينشغل بتوسعة المحتوى عبر استعراض عشرات السنن القرآنية وتحليل مصاديقها التاريخية والاجتماعية (اليعقوبي، السنن الإلهية في القرآن الكريم).

ثانياً: السنن الكونية وحدود حضورها في القرآن

يتفق العالمان على أن القرآن الكريم لم يُعنَ بعرض القوانين الكونية ـ الفيزيائية والكيميائية ـ بأسلوب تفصيلي، لأن غايته ليست تأسيس العلوم التجريبية، بل ترسيخ الوعي التوحيدي وإيقاظ الحس التأملي بعظمة الخالق. ويستشهد الصدر بقوله تعالى:

(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) [آل عمران: ١٩٠]، ليؤكد أن وظيفة هذه الآيات «تحريك العقل نحو الإيمان

لا نحو بناء نظرية علمية» (الصدر، السنن التاريخية في القرآن الكريم).

ويذهب اليعقوبي إلى المعنى نفسه، مؤكداً أن القرآن يذكر هذه السنن «على نحو العموميات التي ترسم صورة العظمة الإلهية وتفتح آفاق التفكير»، من دون الدخول في تفاصيل تقنية لا تنسجم مع الهدف الهدايتي للنص (اليعقوبي، المصدر نفسه).

ثالثاً: طابع الحتمية والاطراد في السنن الإلهية

من المسلّمات المشتركة بين المؤلفين أن السنن الإلهية سنن مطردة ثابتة، لا تقوم على الصدفة أو الاتفاق، بل على علاقات سببية موضوعية، مصداقاً لقوله تعالى: (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) [الأحزاب: ٦٢].

ويرى الصدر أن هذه الآية تؤسس لمفهوم «القانون التاريخي» في القرآن، حيث تخضع حركة الأمم لقوانين عامة لا تحابي أحداً، وإنما تجري وفق تحقق الشروط والأسباب (الصدر، المصدر نفسه). ويؤكد اليعقوبي المعنى ذاته حين يقرر أن هذه السنن «حتمية الوقوع متى ما تحققت أسبابها، ولا تتخلف إلا لحكمة إلهية استثنائية» (اليعقوبي، الفصل الأول).

رابعاً: سنة الاستبدال ونموذجها المعاصر

من أبرز التطبيقات التي يتوسع فيها اليعقوبي «سنة الاستبدال»، المستندة إلى قوله تعالى: (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) [محمد: ٣٨].

ويعرض لهذه السنة من خلال مثال حركة السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره)، حيث يرى أن بعض النخب الدينية حُرمت من هذا الفضل الإلهي بسبب تقصيرها،

بينما مُنحت الفرصة لجيل شاب امتلأ إيماناً وحيوية، فتسلّم مسؤولية المشروع الرسالي واستمر بعد الاستشهاد. ويعدّ هذا المثال تجسيداً عملياً لما يسميه القرآن «تداول الأمانة التاريخية» (اليعقوبي، مبحث سنة الاستبدال).

خامساً: تنوّع السنن واتساع مجالاتها

يتميّز طرح اليعقوبي باتساع دائرة السنن التي يناقشها، إذ يتناول سنن نصرة المؤمنين ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ [محمد: ٧]، وفتح البركات ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات﴾ [الأعراف: ٩٦]، واليسر بعد العسر (فإن مع العسر يسراً) [الشرح: ٥]، ودفع البلاء بالتوبة (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) [الأنفال: ٣٣]. ويرى أن هذه السنن تشكّل منظومة متكاملة تحكم مسار الفرد والمجتمع.

كما يتوقف عند سنن الأسرة بوصفها نواة المجتمع، مستشهداً بقوله تعالى:

﴿ووصّينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾ [العنكبوت: ٨]، في تقاطع واضح مع ما قرره العلامة الطباطبائي في الميزان في تفسير القرآن من أن طاعة الوالدين مقيدة بعدم التعارض مع التوحيد.

سادساً: خلاصة المقارنة المنهجية:

يتضح من هذه القراءة المقارنة أن السيد الشهيد محمد باقر الصدر أسس الإطار النظري لمنهج السنن القرآنية في سياق التفسير الموضوعي، واضعاً الأسس المنهجية لفهم القوانين التي تحكم حركة التاريخ في ضوء القرآن. في حين جاء الشيخ محمد

اليعقوبي ليبني على هذا الأساس، موسعاً دائرة البحث، ومقدماً موسوعة تطبيقية واسعة تنتهي إلى تصنيف شامل للسنن الإلهية عبر سور القرآن الكريم.

وبهذا تتكامل المدرستان في مشروع معرفي واحد، يهدف إلى إعادة قراءة القرآن الكريم بوصفه كتاب هداية وتشريع، وكتاب سنن وقوانين، يكشف للإنسان معالم الطريق في بناء الحضارة وصناعة التاريخ، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ [آل عمران: ١٣٧].

المبحث الثاني: الكشاف الموضوعي للسنن القرآنية

كانت خاتمة كتاب المرجع اليعقوبي عبر «كشاف السنن الإلهية في القرآن الكريم»، حيث يقوم اليعقوبي بتتبع السنن سورة: في الفاتحة سنة الهداية، وفي البقرة سنة الابتلاء والإمامة ﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾، وفي آل عمران سنة تداول الأيام ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾، وفي الأنفال سنة وحدة الصف والطاعة (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا). ويعدّ هذا الجهد محاولة تصنيفية رائدة تذكّر بمحاولات فهرسة الموضوعات القرآنية، كما في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، ولكن بمنهج تحليلي موضوعي يتجاوز الإحصاء اللفظي إلى البناء الدلالي.

نورد هنا نماذج مستفيضة من هذه السنن لمن يريد التوسع اكثر في مضامين هذا الكتاب. ونختم بحثنا هذا بإرفاق الجدول الكشاف نفسه بكامل مضامينه لمن اراد التأمل والتدبر.

اولا: القرآن الكريم يدعو الى التعامل مع الحياة بإيجابية

١-معنى أن نقول المؤمن خيِّر:

قال اللّه تبارك وتعالى مخاطبا نبيه الكريم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاك إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الانبياء ١٠٧). وقال تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾" والكوثر تعني الخير الكثير، وقال تعالى على لسان زكريا في دعائه لطلب الولد ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم ٦). وقال على لسان عيسى بن مريم ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتَ﴾ (مريم ٣١)، أي كثير البركة والعطاء، ونحو ذلك من الآيات التي ضمّت مجموعة من صفات الإنسان الصالح ويجمعها الوصف الذي نطلقه على المؤمن بانه (خَيِّر) وهي من صيغ المبالغة أي لا ترى منه إلا الخير، لذا وصفته بعض الاحاديث الشريفة بانه "الْخَيْرَ مِنْهُ مَأْمُولٌ والشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُون".

و قد وردت احاديث كثيرة تدعو إلى ان يكون الأنسان مصدر خير وعطاء وعنصراً مثمراً في المجتمع كالاحاديث التي تحث على السعي في قضاء حوائج الناس ومساعدتهم وإدخال السرور عليهم ورفع الأذى عنهم وفعل المعروف لجميع الناس بغض النظر عن الدين أو القومية أو النسب ونحو ذلك وتذكر لهذه الأعمال الإنسانية الصالحة ثوابا عظيما يفوق اكثر العبادات أهمية.

٢-أمثلة من التفكير الإيجابي:

خذ مثلاً ما جرى في واقعة كربلاء التي مثّلت اشرس جريمة عبر التاريخ لكن أصحاب الأمام الحسين عليه السلام كانوا فرحين سعداء لانهم نظروا إلى صورتها الأخرى

المتمثلة فيما اعدَّ لهم من الكرامة والمقام المحمود عنده تبارك وتعالى والبركات العظيمة التي تثمرها إلى نهاية الدنيا.

وحينما حاول ابن زياد أن يظهر حقده وسمومه على عقائل النبوة وخاطب العقيلة زينب شامتاً (كَيْف رَأَيْت صُنْعَ اللَّه بأخيك وأَهْل بَيْتك؟ فَقَالَتْ عليها السلام:مَا رَأَيْتَ الا جَمِيلًا هَؤُلَاء قَوْمٌ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ القتل فَبَرَزَوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وسَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَك وَبَيْنَهُمْ فَتُحَاجُّ وتُخَاصَمُ فَانْظُرْ لِمَن الفَلْجُ يَوْمَئذٍ ثكِلَتْكَ أُمُّك يَا ابْنَ مرْجَانَة) (بحار الأنوار (ط - بيروت) ؛ ج ٤٥ ؛ ص ١١٥) فوصفت ما حصل بأنه جميل.

ثانيا: سنة النصر الإلهي

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد ٧)، تبيّن الآية إحدى القواعد والسنن الالهية، وهي ثنائية متلازمة عبّر القران الكريم المعبّر عنها بجملة شرطية، الشرط فيها (إن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾ والجزاء (يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ وهي متلازمة تكرّرت في القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج ٤).

١-معنى نصرة اللّه تعالى:

ولا بدّ أن نفهم أولاً معنى نصرة اللّه لأن اللّه تعالى غنيّ عن العالمين ولا يحتاج الى معونة ونصرة احد بل الكل محتاج اليه، وفي نهج البلاغة قول امير المؤمنين (فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍ ولَمْ يَسْتَفْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍ، اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوات وَالْأَرْض وهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَاسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِن السَّمَاواتِ وَالْأَرْض وهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا) (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ؛ ج ١٠

؛ ص١٢٣). فنصرة اللّه بنصرة رسوله مَا اله وأوليائهِ وحججهِ الذين يدعون الى طاعته ويقيمون الدين ويعملون لتطبيق منهج اللّه تبارك وتعالى في الأرض وتتحقق نصرة اللّه بنصرة دينه وتحكيم شريعته واحكامه في واقع الحياة، قال تعالى ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ الله﴾ (الصف: ١٤) فنصرة اللّه تعالى تعني نصرة السائرين الى اللّه تعالى والهادين الى اللّه تعالى والعاملين لإعلاء كلمة اللّه تعالى، فهي نصرة لهؤلاء قال تعالى ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (الحشر ٨).

ثالثا: سنّةُ فَتْح البركات مع الإيمان

﴿وَلَو أَنَّ أَهلَ القُرَى ءامَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَّحنَا عَلَيهِم بَرَكَات﴾ (**الأعراف**: ٩٦).

سُنّة من سنن اللّه تعالى في خلقه تكشف عنها الآية الكريمة، وهي أنّ الناس إذا آمنوا بالله تعالى وبما أنزل على رسوله ﷺ وتمسكوا بتعاليم الدين وثبتوا عليه، فإن اللّه تعالى سيفتح لهم بركات مادية ومعنوية من السماء والأرض كانت مغلقة عليهم، والتعبير بالجمع للإشارة إلى تنوع البركات وتعددها، هذا الفتح الذي قال عنه اللّه تبارك وتعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ (فاطر٢).

وهذه البركات خاصة غير النعم العامة التي يفيضها اللّه تعالى على جميع خلقه سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين، وبها يعيشون حياتهم ويتمتعون بها، وهي أيضاً غير النعم الذي يغدق اللّه تعالى بها على العاصين استدراجاً لهم. ولقطع أعذارهم، فتكون وبالاً عليهم لأنها تكون سبباً في تماديهم وزيادة آثامهم، قال تعالى في الآية السابقة ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْاْ وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ

فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (الاعراف ٩٥).

وقد وصفت الآية الكريمة هذه النعم المفتوحة بالبركات وهي الخيرات الخالصة الطيبة التي تكون سبباً لحياة أفضل للناس مع ما فيها من الاستمرارية والنماء، وليست هي كالحسنة التي ذكرتها الآية السابقة فإن الحسنة ما يوافق طبع الإنسان وليس بالضرورة أن تكون خيراً له بل قد تكون وبالاً عليه كما في الاستدراج.

ومثاله اليوم الأمم الغربية فإنهم بعد أن خاضوا حربين عالميتين أهلكت عشرات الملايين منهم ودمّرت مدنهم، نشأ جيل في عافية (حتى عفوا) ورغد من العيش وانهمرت عليه النعّم، فأصبح همّه الانغماس في الشهوات والملذّات بلا حدود حتى أصبح يشر عن الشذوذ الجنسي ويبيح قتل أجنّة الحوامل، ويستحلّ إبادة الشعوب المستضعفة لاستعبادهم، ويظهرون عراة أمام الملأ، ويعبثون بما أنعم اللّه تعالى عليهم من الثمرات، وهم يظنون أنهم قد عفوا مما ابتلي به آباؤهم.

رابعا: المستضعفون وخلافة الارض

﴿وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾ القصص: ٥

لما عقد المنقلبون على الاعقاب المجتمعون في سقيفة بني ساعدة والنبي مسجى لم يدفن بعد عزمهم على نبذ كتاب الله تعالى وراء ظهورهم ومخالفة وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الخليفة من بعده وإقصاء أمير المؤمنين (عليه السلام) عن مقامه، وواجهوا النبي بذلك الكلام القاسي الذي فيه إعلان الحرب على اللّه تعالى ورسوله في رزية يوم الخميس عندما أراد أن يؤكد الوصية ويكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً، وقال قائلهم (إن الرجل ليهجر)"(كتاب الطبقات الكبرى)، جمع النبي أهل بيته

خاصة ونظر اليهم وبكى وقال لهم: ﴿أَنْتُمُ الْمُسْتَضْعَفُونَ بَعْدِي﴾ (عيون اخبار الرضا).

الأمل بوراثة المستضعفين:

ولما كانت الآيات القرانية لا تختص بزمان دون زمان وإنما تعالج حالات وظواهر وتبيّن سنناً قابلة للتكرار في كل زمان إذا توفرت أسبابها وظروفها، فإن الآية التي تليها وهي قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (سورة الروم: ٦) تعطي للحديث معنى آخر ملؤه التفاؤل والأمل وفيه وعد بالنصر والتمكين في الأرض ووراثتها ومن عليها واستعادة الحق لأهله وجعل الأئمة والقادة منهم لأن الإرادة الإلهية تعلقت بذلك ونريد) فلا تتخلف (وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَه) (الروم ٦)، فوصف النبي مل اله أهل بيته بالمستضعفين فيه إشارة الى انطباق الآية عليهم ولعلهم مقصودون أكثر من موسى وهارون اثينا بالوعد الإلهي لورود كلمة (منهم) فيها وليس (منه) أو (منهما) فيما لو كان المقصود موسى الشاية أو هو وأخاه هارون، بل أن لفظ الحديث يفيد حصر الوصف بهم علين كما لا يخفى على المتأمل في الحديث، ويجعلهم أيضاً المقصودين بالآية الشريفة. هذه سنة الهية ثابتة، في عباده المستضعفين واعدائه المستكبرين قال تعالى ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا ما كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ (الاعراف ١٣٣٧).

كشاف السنن الإلهية في القرآن الكريم

(مرتبة حسب المصحف)

م	اسم السنّة	السورة	الآية
١	الهداية لمن طلبها	الفاتحة	٦–٧
٢	الابتلاء والتمحيص	البقرة	١٥٥–١٥٧، ٢١٤
٣	الجزاء من جنس العمل	البقرة	٢٦١–٢٧٤
٤	عدم التكليف بما لا يطاق	البقرة	٢٨٦
٥	الإمامة لا تنال الظالمين	البقرة	١٢٤
٦	تداول الأيام بين الناس	آل عمران	١٤٠–١٤٢
٧	عدم ضياع العمل	آل عمران	١٩٥
٨	النصر المشروط بالصبر والتقوى	آل عمران	١٢٥، ٢٠٠
٩	العدل الإلهي ونفي الظلم	النساء	٤٠، ١٣٥
١٠	تحمّل تبعة السيئة	النساء	٧٩
١١	سقوط العذاب بالشكر والإيمان	النساء	١٤٧
١٢	التعاون على البرّ والتقوى	المائدة	٢

١٤	الاستبدال عند الارتداد	المائدة	٥٤
١٥	الأجل المسمّى	الأنعام	٢
١٦	الانفساح أو الضيق بالهدى	الأنعام	١٢٥
١٧	الاستدراج	الأنعام	٤٤
١٨	قيام الحجة قبل العقوبة	الأنعام	١٣١
١٩	فتح البركات مع الإيمان	الأعراف	٩٦
٢٠	الابتلاء بالحسنات والسيئات	الأعراف	١٦٨
٢١	الأخذ بعد الإنذار	الأعراف	٤–٥، ١٦٥–١٦٧
٢٢	تغيّر النعم بتغيّر النفوس	الأنفال	٥٣
٢٣	وحدة الصف والطاعة	الأنفال	٤٦
٢٤	قيمة الصبر في موازين القوى	الأنفال	٦٥–٦٦
٢٥	الابتلاء بالمال والولد	التوبة	٥٥، ٨٥
٢٦	الولاية الإيمانية	التوبة	٧١
٢٧	تسطير العواقب على السابقين	التوبة	٦٩
٢٨	التوكّل مع القضاء	التوبة	٥١
٢٩	نفع الإيمان قبل العذاب	يونس	٩٨
٣٠	الأجل المحفوظ	يونس	٤٩

٣١	الاستئصال بعد الحجة	هود	١٠٢–١٠٣
٣٢	وجود المصلحين مانع للهلاك	هود	١١٧
٣٣	محو السيئات بالحسنات	هود	١١٤
٣٤	التمكين للصابرين المتقين	يوسف	٢١، ٥٦–٥٧، ٩٠
٣٥	الفرج بعد البلاء	يوسف	٨٧
٣٦	التغيير من الداخل	الرعد	١١
٣٧	الطمأنينة بذكر الله	الرعد	٢٨
٣٨	الزيادة بالشكر	إبراهيم	٧
٣٩	الإمهال لا الإهمال	إبراهيم	٤٢
٤٠	تراكم أثر الكلمة الطيبة	إبراهيم	٢٤–٢٦
٤١	حفظ الذكر (القرآن)	الحجر	٩
٤٢	العمران بالعدل والإحسان	النحل	٩٠
٤٣	الحياة الطيبة	النحل	٩٧
٤٤	زوال الأمن بالكفر	النحل	١١٢
٤٥	المقابلة بالمثل	النحل	١٢٦–١٢٨
٤٦	قيام الحجة قبل المؤاخذة	الإسراء	١٥
٤٧	الجزاء بحسب المقصد	الإسراء	١٨–٢١
٤٨	ثبات السنن (سنة الأولين)	الإسراء	٧٧

٥٠	زوال النعمة بالكبر	الكهف	٣٢–٤٤
٥١	الأخذ بالأسباب مع التوكل	الكهف	٩٥–٩٨
٥٢	خفاء الحكمة وتأخر الفهم	الكهف	٦٠–٨٢
٥٣	زيادة الهدى للمهتدين	مريم	٧٦
٥٤	الغيّ عند إضاعة الصلاة	مريم	٥٩
٥٥	الضنك بالإعراض	طه	١٢٤–١٢٦
٥٦	قذف الحق على الباطل	الأنبياء	١٦–١٨
٥٧	الابتلاء بالخير والشر	الأنبياء	٣٥
٥٨	وراثة الأرض للصالحين	الأنبياء	١٠٥
٥٩	التدافع	الحج	٤٠
٦٠	التمكين بإقامة الدين	الحج	٤١
٦١	فساد الأهواء	المؤمنون	٧١
٦٢	انقطاع العمل بالموت	المؤمنون	٩٩–١٠٠
٦٣	الاستخلاف المشروط	النور	٥٥
٦٤	عقاب إشاعة الفاحشة	النور	١٩
٦٥	الطيبين للطيبات	النور	٢٦
٦٦	الأعداء فتنة	الفرقان	٢٠

٦٨	توريث المستضعفين	القصص	٥–٦
٦٩	القوة بالثبات	القصص	٣٥
٧٠	التمحيص بالإيمان	العنكبوت	٢–٣
٧١	نصر المؤمنين	العنكبوت	٦٢
٧٢	الفطرة	الروم	٣٠
٧٣	الفساد بما كسبت الأيدي	الروم	٤١
٧٤	الجزاء الفردي	لقمان	٣٣
٧٥	إنظار الأمم	السجدة	١٣–١٤
٧٦	ثبات السنن	الأحزاب	٦٢
٧٧	الاستدراج	فاطر	٤٤
٧٨	ثبات السنن (تأكيد)	فاطر	٤٣
٧٩	إحياء الأرض	يس	٣٣
٨٠	إهلاك المكذبين	الصافات	١٧١–١٧٣
٨١	نصرة الرسل	غافر	٥١
٨٢	المصائب بما كسبت الأيدي	الشورى	٣٠
٨٣	اتباع المترفين للهلاك	الزخرف	٢٣–٢٥
٨٤	الاستبدال	محمد	٣٨

٨٦	خلق الخلق للعبادة	الذاريات	٥٦
٨٧	إرسال الرسل والكتاب والحديد	الحديد	٢٥
٨٨	الحشر والإجلاء	الحشر	٢
٨٩	الابتلاء بالحياة والموت	الملك	٢
٩٠	الأخذ العام بالاستكبار	نوح	٢٥
٩١	الاستقامة تجلب الرزق	الجن	١٦
٩٢	التخيير بين الشكر والكفر	الإنسان	٣
٩٣	تجلّي الأعمال	الزلزلة	٧–٨
٩٤	الخسارة إلا بالمنهج الرباعي	العصر	١–٣
٩٥	العطاء مقابل العبادة	الكوثر	١–٢
٩٦	التوحيد الخالص	الإخلاص	١–٤
٩٧	الاستعاذة والحماية	الفلق/الناس	١–٦

كتاب ما وراء الفقه
رؤية تجديد لربط الفقه بالعلوم المعاصرة

بقلم: نافع علوان الشاهين

المقدمة

كتاب ماوراء الفقه للشهيد الصدر الثاني كان حين صدوره فتحاً كما عبر عن ذلك ناشر الكتاب حين كتب في تقديمه للمجلد الثاني منه: ولما تم نشر الكتاب تناولته ايدي العلماء بالتقدير والاكبار لانه فتح جديد في باب الفقه[١].

وهذا الفتح حري بالدراسة وتسليط الضوء عليه وهو دعوة للتجديد الفقهي وربط الفقه بالعلوم المعاصرة واعتبره البعض[٢] من مصاديق ما اطلقوا عليه ب(فلسفة الفقه). وسنتطرق في هذه الدراسة لكتاب (ماوراء الفقه) وابرز خصائصه ومميزاته ومصادره واقوال العلماء فيه ضمن عدة فصول. مع الاشارة لمصادر هذه الدراسة في اخر المطاف.

المبحث الأول: تاريخ طباعة المجلدات

صدر المجلد الاول من الكتاب كما في مقدمة الناشر جعفر الدجيلي بتاريخ ٦ربيع الاول-١٤١٣هـ الموافق ٤-ايلول-١٩٩٢م، فيما صدر المجلد الثاني منه بتاريخ ١٠جمادي الثاني-١٤١٤هـ الموافق ٢٤-١١-١٩٩٣م، اما المجلد الثالث فصدر بتاريخ ٢٠-صفر-١٤١٦هـ الموافق (١٩٩٤من الكاتب)، وخلا المجلد الرابع من مقدمة للناشر وبالتالي لايمكن بالدقة تحديد تاريخ صدوره، اما المجلد الخامس فصدر

بتاريخ ٢٢-جمادي الاخرة-١٤١٦هـ الموافق١٦-١٠-١٩٩٥م حسب مقدمة الناشر، وخلا المجلد السادس من اي تاريخ للنشر، اما المجلد السابع فصدر حسب مقدمة الناشر بتاريخ ١٥-جمادي الاول-١٤١٧هـ الموافق ٢٨-٩-١٩٩٦م، وصدرت المجلدات الثلاثة المتبقية من الموسوعة الثامن والتاسع والعاشر سوية حسب مقدمة الناشر بتاريخ ٦-ذو القعدة-١٤١٧هـ الموافق ١٤-٣-١٩٩٧م.

وبذلك يكون نشر الكتاب قد استغرق حوالي خمس سنوات(١٩٩٢-١٩٩٧) وقد تكفلت بطباعته دار الاضواء للطباعة والنشر في بيروت لصاحبها المرحوم جعفر الدجيلي(المتوفي عام٢٠٠٨م).

المبحث الثاني: اقوال العلماء والباحثون في الكتاب :

١. الشيخ جعفر السبحاني(مرجع ديني معاصر في قم المقدسة):

كتاب ماوراء الفقه مبتكر في موضوعه جامع لشتات مايحتاج اليه الفقيه في الدورة الفقهيه وقد اجاد السيد الشهيد كل الاجادة في جمعها وتحقيقها وقدمها للمحققين من الفقهاء والاصوليين في موسوعة ضمن عشرة اجزاء تثير العجب في بعد غوره وغزارة علمه وسعة اطلاعه على العلوم الكونيه [٣].

٢. جعفر الدجيلي(اديب وباحث ١٩١٠-٢٠٠٨):

أ- اتحفنا السيد الصدر بكتابه الحديد (ماوراء الفقه) هذا الكتاب المدهش الذي نأمل ان يخظى بتقدير اعاظم العلماء في العالم الاسلامي.[٤].

ب-لما تم نشر كتاب(ماوراء الفقه) تناولته ايدي العلماء بالتقدير والاكبار لانه فتح في باب الفقه[٥].

ت-لايخفى على ذوي الفكر والاختصاص ان(كتاب ماوراء الفقه) يعتبر حدثاً جديداً في عالمه لم يسبقه اليه احد وقد نال اعجاب الفضلاء من اهل العلم [٦].

٣. ابو احمد البصري(عبد الرحمن الراشد)/كاتب عراقي: ان الافق الواسع والافكار الممتازة التي نلاحظها في موسوعة (ماوراء الفقه) لم تات بشكل عفوي وانما هي ذات ارتباط وثيق بطبيعة الشخصيةالعلمية للمؤلف(قُدِّسَ سِرُّهُ) وهو الفقيه المحترف بما كان يتوفر عليه من اخلاص وعمق استيعاب ووعي متميز بالواقع وتشخيص دقيق لعوامل النهضة العلمية والاجتماعية[٧]

٤. الباحث محمد طاهر الملحم الحسيني(من مواليد العراق١٩٦٣): يجد الباحث في بحوث كتاب(ماوراء الفقه) لغة فقهية متخصصة وابحاثاً معمقة لاتقل باية حال عما عليه الكتب الفقهية الاستدلالية[٨]

٥. الشيخ محمد اليعقوبي(مرجع ديني في النجف الاشرف):

من اهم الخطوات واوسعها واغزرها-التي تربط الفقه بالعلوم العصرية- تلك التي قام بها سيدنا الاستاذ سماحة اية الله السيد محمد الصدر(دام ظله) الشريف في كتابه(ماوراء الفقه) الذي يقع في عشر مجلدات عرض فيه كما يوحي عنوانه الجوانب الاخرى للمسألة الفقهية مما سوى فقه المسألة نفسها [٩].

٦. الشيخ قاسم الكعبي(رجل دين وكاتب):

ماوراء الفقه مؤلف كتبه السيد في ظروف التقية المشددة كما يذكر في لقاء الحنانة وكُتب مواكباً لعصره مستفيداً من علوم عصره وزج الثقافة الحديثة في الفقه كون السيد حصل على شئ من الدراسات الحديثة في كلية الفقه التي اسسها الشيخ المظفر[١٠].

المبحث الثالث: محتويات الكتاب

بلغت عدد صفحات الكتاب (٣٩٤٣صفحة) بمجلداته العشر وفقاً لطبعة دار الاضواء للطباعة والنشر في بيروت، وكان الجزئين الاول والثاني مخصصان للعبادات والأجزاء من٣-٩ لابواب المعاملات اما الجزء العاشر فكان لابواب فقهية متفرقة وشملت الموسوعة باجزائها العشرة الكتب الفقهية الاتية:

١. المجلد الاول وشمل الكتب الفقهية الأتية (كتاب الاجتهاد والتقليد باربع فصول، كتاب الطهارة بتسع فصول، كتاب الصلاة بثلاث عشر فصلاً).
٢. المجلد الثاني وشمل الكتب الفقهية الاتية (كتاب الزكاة بخمس فصول، كتاب الصوم بفصلين، كتاب الحج باربع فصول، كتاب الاعتكاف بفصل واحد، كتاب الجهاد بفصل واحد، كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بفصل واحد).
٣. المجلد الثالث وشمل الكتب الفقهية الاتية (كتاب المكاسب المحرمة باثني عشر فصلاً، كتاب البيع بسبع فصول، كتاب الربا بثلاث فصول)
٤. المجلد الرابع وشمل الكتب الفقهية الاتية (ابتدأ باربع فصول تخص عمل المصارف، كتاب الحجر بست فصول، كتاب الاجارة بثلاث فصول، كتاب الضمان بست فصول، كتاب العمل بثلاث فصول).
٥. المجلد الخامس وشمل الكتب الفقهية الاتية (كتاب الايداع باربع فصول، كتاب النيابة بفصلين، كتاب الشركة بفصلين، كتاب الصلح بفصلين، كتاب الوصايا بثلاث فصول).
٦. المجلد السادس وشمل الكتب الفقهية الاتية (كتاب النكاح باربعة عشر فصلاً، كتاب الطلاق بتسع فصول).

٧. المجلد السابع وشمل الكتب الفقهية الاتية (كتاب الاقرار بفصلين، كتاب اليمين بفصلين، كتاب الاطعمة والاشربة بست فصول، كتاب الصيد والذباحة بفصلين، كتاب الغصب بفصلين، كتاب الشفعة بفصل واحد)

٨. المجلد الثامن وشمل الابواب الفقهية الاتية (كتاب الارث بخمسة عشر فصلاً، والحق بالكتاب بحث الرياضيات والفقه للشيخ محمد اليعقوبي بالصفحات ٥٢١-٥٧٢).

٩. المجلد التاسع وشمل الابواب الفقهية الاتية (كتاب القضاء بست فصول، كتاب الشهادات بفصل واحد، كتاب الحدود والتعزيرات بفصل واحد، كتاب القصاص بثلاث فصول، كتاب الديات بثلاث فصول)

١٠. المجلد العاشر وشمل ثمانية عشر فصلاً من مختلف ابواب الفقه الاسلامي.

وعليه يكون عدد الكتب الفقهية التي تناولها الكتاب بمجلداته العشرة (٣٤كتاباً فقهياً) وعدد الفصول الفقهية للمسائل المتنوعة (١٨٠فصلاً).

المبحث الرابع: مصادر الكتاب

شكى السيد محمد الصدر(قدس سره) من قلة المصادر تحت يديه في مقدمة موسوعته الفقهية(ماوراء الفقه) فلقد اشار لذلك بقوله: ان هذه البحوث مما تقل فيها المصادر لدى المؤلف [١١].

ومع ذلك فقد اعتمد على عدد من المصادر تم تقسيمها منقبل الباحث لأربع أقسام هي القسم الفقهي والقرآني واللغوي والعام وكالأتي:

١. **المصادر الفقهية** : وشملت كتب (الوسائل للحر العاملي، التنقيح في شرح

العروة الوثقى للميرزا علي الغروي، المكاسب للشيخ الانصاري، المستمسك للسيد محسن الحكيم، منهاج الصالحين للسيد محمد باقر الصدر، علل الشرائع للشيخ الصدوق، منهاج الصالحين للسيد الخوئي، مناسك الحج للسيد الخوئي، المستند في شرح العروة الوثقى للشيخ مرتضى البروجوردي، شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني، بلغة الفقيه للسيد محمد آل بحر العلوم، شرائع الاسلام للمحقق الحلي، مستحدثات المسائل للسيد الخوئي، وسيلة النجاة للسيد ابو الحسن الاصفهاني، القواعدة الفقهية للبجنوردي، التهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي، الخصال للشيخ الصدوق، جواهر الكلام لمحمد حسن النجفي ، مباني العروة الوثقى للسيد محمد تقي الخوئي، مستدرك الوسائل لحسين النوري، مباني تكملة المنهاج للسيد الخوئي ، اصول الكافي للكليني، البنك اللاربوي في الاسلامي للسيد محمد باقر الصدر).

٢. **المصادر القرانية** : وشملت الكتب الاتية (تفسير الميزان للطباطبائي-البيان في تفسير القران للسيد الخوئي، القراءات القرانية، نظرات في علم التجويد، ابواب قراءة القران).

٣. **المصادر اللغوية والنحوية**: وشملت الاتي (لسان العرب، فقه اللغة، جواهر الادب).

٤. **المصادر العامة**: وشملت الاتي (نهج البلاغة- مقتل بحر العلوم، مفاتيح الجنان، بدائع السماء، دليل السماء والنجوم، تاريخ مابعد الظهور، تاريخ الغيبة الكبرى، دليل الحاج المصور، في الطريق الى مكة، الاحتجاج، الفتوحات المكية، الدرة البهية، دليل المعاملات المصرفية، كراس مصرف الرافدين، مصرف الرافدين

نشاته وتشكيلاته، اقتصادنا، الموسوعة العربية الميسرة، معجم رجال الحديث، المعجم الزيلوجي الحديث، الادمان على الكحول، ظاهرة تعاطي الحشيشة، التكامل في الاسلام ، قضاء امير المؤمنين، كيمياء السادس الاعدادي).

وقد بلغت المصادر الكلية لهذه الموسوعة الضخمة (٥٦مصدر فقط) وهي قليلة جداً والاغرب انه (قُدِّسَ سِرُّهُ) يستعين في بعض طيات الموسوعة باراء مناهج دراسية مدرسية[١٢].

المبحث الخامس: مميزات الكتاب.

١- صدر الجزء الاول من الكتاب في حياة السيد الخوئي(قُدِّسَ سِرُّهُ) ويلحظ ذلك عند مناقشته لبعض ارائه كان يردفها بعبارة(دام ظله)[١٣].

وقد كان لاراء السيد الخوئي (قُدِّسَ سِرُّهُ) الحصة الاكبر من المناقشات في طيات الموسوعة وكذا السيد محسن الحكيم والشهيد محمد باقر الصدر(قدس سريهما) وخلت الموسوعة من ذكر اي رأي فقهي للسيد الخميني(قُدِّسَ سِرُّهُ) لحساسية الوضع يومذاك.

٢- حظيت مناقشات الشهيد الصدر الثاني في التعاملات المصرفية في المجلد الرابع على اشادات عدد من الباحثين فلقد عبر احدهم عنه بالقول: امتاز (البحث المصرفي) في كتاب(ماوراء الفقه) بمساحة اوسع من غيره ولعل هذا البحث من اجمل واروع ابداعات المؤلف في هذا الكتاب[١٤].

ونفس (البحث المصرفي)وصفه باحث اخر بانه لانظير له في الكتب الفقية السائدةفضلاً عن الكتب الموروثة [١٥].

٣- حفلت موسوعة (ماوراء الفقه) بحصة كبيرة من الرياضيات ويتبين ذلك في المجلدين الثامن والتاسع وقد ناقش في احد المسائل احد المتخصصين في علم الرياضيات (وهو الاستاذ احمد امين في كتابه التكامل في الاسلام)[١٦] وكان محقاً في نقاشه بحسب شهادة احد طلبته [١٧] المتخصصين بعلم الهندسة والرياضيات .

٤- من مميزات منهج الشهيد الصدر الثاني التعريف بالمصطلحات الفقهية "التي تكشف عن الدقة بالتعريف بالمصطلح مضافاً الى البساطة والتوضيح والحرص على الشاهد القراني" [١٨].

وذلك واضحاً وجلياً في شرح حوالي١١٥مفردةفي باب الارث بالجزء الثامن من الموسوعة وحوالي ٣٥٠مصطلح قانوني تحت عنوان (قاموس اصطلاح الدعاوى) في المجلد التاسع من الموسوعة.

٥- ومن مميزات الشهيد الصدر الثاني احاطته الكبيرة بعلم الفلك وناقش اهل الاختصاص في مبحث الهلال [١٩] وقد عبر احد الباحثين عن مناقشاته بقوله: فبخصوص علم الفلك يكون اروع ماقدمه هو بحثه حول تحديد الهلال فقد كتب بحثاً متكاملاً في ذلك مارس فيه دور الفلكي الخبير بل المثير انه طرح عشر اشكالات على بعض مسائل الفلك الحديث[٢٠].

٦- لايخلو فصل من فصول الكتاب الا وكانت فيه اثارات علمية لافتة وقد اعتمد (قدس سره) في طيات الموسوعة على كل العلوم المساعدة التي صنفها هو (قدس سره) لخمسة عشر (٢١)علماً مشيراً لارتباط الفقه بعلوم الفلك والجغرافيا واللغة والاقتصاد والامور المالية والكيمياء والرياضيات والمنطق والنحو والطب وعلم

الاجتماع والتفسير والدراية وغيرها.

٧- لايمكن اعتبار كتاب(ماوراء الفقه) كاشفاً عن التراث الفقهي للشهيد الصدر ولايمكن معرفة معالم مدرسته الفقهية من خلال هذا الكتاب فقط بل لابد للباحث من الاحاطة بكل نتاجه الفقهي المتمثل بتقريراته لدروس اساتذته بالفقه والتي طُبعت مؤخراً ورسالتة العملية(منهج الصالحين) بخمس مجلدات وكتاب (فقه الموضوعات الحديثة) الذي قرره احد طلبته وتقريرات طلبته لمبحث (صلاة الجمعة) التي طبعت مؤخراً مع كتاب (مسائل وردود) باجزائه الاربع لتكون الصورة شاملة لارائه الفقهية وتجديده الفقهي.

٨- تحت عنوان الكتاب (ماوراء الفقه) وعلى واجهة الكتاب كتب المؤلف هذه العبارة: يحتوي على مفاهيم واستدلالات وحسابات تدور حول مسائل فقهية مثيرة يصلح للثقافة الفقهية المعمقة.

فالكتاب ليس استدلالياً(٢٢)كما اشار هو(قدس سره) في مقدمته لكن اهل الاختصاص شخصوا ممارسته للاستدلال في بعض فصول الكتاب وعلو كعبه الاصولي الذي ترشح من بعض المناقشات.

٩- الكتاب يعكس ثقافة كبيرة للمؤلف وخوضه في مسائل عصرية كما يتبين في مناقشاته في مباحث الكحول والمخدرات ومهارته في الكيمياء والمعادلات الكيمياوية ومناقشاته لمبحث التلقيح الاصطناعي وتعداده لانواع الطيور وتحديد المحلل من المحرم منها وغيرها من المناقشات وحتى الادبية والنحوية منها كمناقشة بشكل جميل لمبحث الشعر والقراءات القرانية وامثالهما من المناقشات.

١٠- الكتاب للاسف لم يحظى بحيز اوسع من الدراسات التخصصية الحوزوية

وحتى في اوساط الجامعات العراقية فكان حصته من الدراسات ثلاث اطاريح فقط-بحسب اطلاع الباحث-وهي كالاتي:

أ- المنهج الحديثي عند السيد محمد محمد صادق الصدر (قده) في كتاب ما وراء الفقه: دراسة تحليلية /رائد عكلة حلبوت الزيدي.

ب- دلالة المنطوق غير الصريح في كتاب ما وراء الفقه للسيد الشهيد محمد الصدر/ سالم رحيم معله.

ج- البحث الحديثي الدلالي عند السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر (قدس سره): كتاب ما وراء الفقه انموذجاً- فاطمة يونس قنبر البديري..

خلاصة البحث:

١- يرى الباحث ان كتاب (ماوراء الفقه) وان كانت مباحثه فقهية لكنه كاشف عن عبقرية كاتبه وسعة اطلاعه وقدرته الفائقة على توظيف العلوم العصرية في الاستدلال الفقهي.

٢- مازال كتاب(ماوراء الفقه) لم يحظى حوزوياً واكاديمياً بالاهتمام المناسب، وحتى الدراسات الاكاديمية تناولت كتاب(منة المنان) لنفس المؤلف بعشرات الدراسات في الجامعات العراقية واقتصرت الدراسات حول كتاب (ما وراء الفقه) على محاولات تعد بعدد اصابع اليد الواحدة.

٣- الكتاب كاشف عن العمق العلمي والمعرفي لحوزة النجف الاشرف وللمعاهد الدينية فيها وهذا مما يجب ان تفخر به حوزة النجف الاشرف ويصار الى تدارسه وتعاهده والتقدم عليه بمؤلفات مشابهة تربط الفقه بالعلوم العصرية المتنوعه ليستطيع الفقيه تغطية كل متطلبات الافتاء في المسائل العلمية والمستحدثة

والعصرية ليكون الفقه مواكباً لمتغيرات الزمان والمكان.

٤- من الضروري ان يتم تسليط الضوء على موسوعة ما وراء الفقه بدراسات والبحوث وان تقام مسابقة بحثية بالكتب والفصول الفقهية للكتاب وبأشراف حوزوي-اكاديمي في مؤتمر علمي تخصصي وتعاد طباعته مع المؤلفات والبحوث والاطاريح التي كُتبت عنه ليكون بمتناول الباحثين في الاوساط العلمية الدينية والجامعات الاكاديمية ويقترح الباحث ان تقام مسابقة بحثية بالكتب والفصول الفقهية للكتاب وباشراف حوزوي-اكاديمي في مؤتمر علمي تخصصي وتعاد طباعته مع المؤلفات والبحوث والاطاريح التي كُتبت عنه ليكون بمتناول الباحثين في الأوساط العلمية الدينية والجامعات الاكاديمية.

هوامش البحث

١. تقديم الناشر جعفر الدجيلي للمجلد الثاني لكتاب ماوراء الفقه بتاريخ ١٠-جمادي الاخرة-١٤١٤هـ الموافق ٢٤-١١-١٩٩٣م
٢. عبد الرحمن الراشد نقلاً عن محمد مجتهد المهريزي في بحث للكاتب بعنوان(فلسفة الفقه عند الامام الشهيد الصدر) منشور بكتاب رجل الفكر والميدان-اعداد لجنة احياء الذكرى الاولى لشهادة السيد الصدر-الطبعة الاولى-٢٠٠٤م.
٣. الشهيد الصدر الثاني بحوث في فكره ومنهجه-ج١-ص ١٤٠
٤. ماوراء الفقه-السيد محمد الصدر-المجلد الاول-مقدمة الناشر.
٥. نفس المصدر-المجلد الثاني-مقدمة الناشر.
٦. نفس المصدر-المجلد السابع-مقدمة الناشر.
٧. رجل الفكر والميدان-مجموعة باحثين-صدر عام٢٠٠٤،وهو نفس البحث المنشور في مجلة قضايا اسلامية معاصرة العدد عام١٩٩٩م بعنوان(فلسفة الفقه عند الامام الشهيد الصدر).
٨. الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده-مجموعة باحثين/وكان بحث الكاتب بعنوان (الشهيد محمد الصدر ومنهجه الفقهي في ملامحه العامة).

٩. الرياضيات للفقيه-محمد اليعقوبي-المقدمة.
١٠. الثورة البيضاء-قاسم الكعبي-ص ١٣١
١١. ماوراء الفقه-المجلد الاول-المقدمة-ص١٣.
١٢. المصدر نفسه-ص٤١٧
١٣. المصدر نفسه-ص ٢٠
١٤. رجل الفكر والميدان/مجموعة مؤلفين /بحث بعنوان(فلسفة الفقه عند الامام الشهيد الصدر) للاستاذ عبد الرحمن الراشد/ص٣٧٨-٣٩٤
١٥. الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده-مجموعة باحثين/ بحث الكاتب محمد طاهر الملحم الحسيني بعنوان (الشهيد محمد الصدر ومنهجه الفقهي في ملامحه العامة)/ص٥٥-ص٧٤.
١٦. ماوراء الفقه-المجلد التاسع-فصل قضاء امير المؤمنين(ع)-ص١٤٣-١٧٢
١٧. الرياضيات للفقيه-محمد اليعقوبي-مقدمة الكتاب.
١٨. الصدر الثاني دراسات في فكره وجهاده-مجموعة باحثين/ بحث الكاتب د.ابراهيم الجعفري بعنوان (الصدر الثاني..منهج جديد في موسوعته ماوراء الفقه)/ص٧٥-ص٩٦.
١٩. ماوراء الفقه-المجلد الثاني- بحث الهلال-ص١١٣-١٦٦
٢٠. رجل الفكر والميدان/مجموعة مؤلفين /بحث بعنوان(فلسفة الفقه عند الامام الشهيد الصدر) للاستاذ عبد الرحمن الراشد/ص٣٧٨-٣٩٤
٢١. ماوراء الفقه-المجلد الاول-مقدمة المؤلف.
٢٢. نفس المصدر.

قواعد المسيرة الإيمانية
(اتباع السنن التاريخية- والإحسان للأخرين - وتصحيح المسار التاريخي)
قراءة في خطاب المرجع اليعقوبي (دام ظله) في الأعياد الثلاث

بقلم: جاسب المحمداوي

تأتي هذا القراءة التحليلية، والمعمقة في الفكر التجديدي الرشيد لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، متخذة من خطبه وبياناته في ثلاث مناسبات إسلامية كبرى وعابرة للمحلية وهي(عيد الفطر المبارك، عيد الأضحى المبارك، ويوم الغدير الأغر) منصة معرفية تفكيكية تنتمي إلى حقل (النقد الحضاري) وسوسيولوجيا الأديان.

إن الأطروحة المركزية التي تبرهن عليها هذا القراءة هي أن هذه المناسبات الثلاث لا تشكل محطات زمنية منفصلة للاحتفال العاطفي، بل هي هندسة متكاملة ومصفوفة استراتيجية موحدة صممها الفكر الإسلامي الشيعي الحركي لإعادة بناء الإنسان، وتحصين النواة المجتمعية الصغرى (الأسرة)، وإدارة الصراعات، وصولاً إلى رسم خارطة الطريق السياسية والقيادية للأمة.

ولأجل استيعاب هذا الامتداد المعرفي، تم تقسيم هذا الجهد التحليلي إلى ثلاثة محاور وأركان رئيسية تعكس بنية الخطاب المرجعي.

الركن الأول: سوسيولوجيا السنن التاريخية وهندسة الأمن الفكري (عيد الفطر).

الركن الثاني: العمارة الأخلاقية وثقافة الإحسان كآلية لإدارة الصراعات (عيد الأضحى).

الركن الثالث: استراتيجية التحشيد المليوني وتصحيح المسار التاريخي (يوم الغدير).

إن هذا القراءة ليس مجرد توثيق تاريخي، بل هو دعوة مفتوحة للنخب الفكرية، والأكاديمية، والمؤسسات التربوية والتبليغية، للوقوف على جرح الأمة المعرفي والمؤسساتي، وتفكيك المضامين الإصلاحية للخطاب المرجعي وتحويلها إلى برامج عمل واقعية.

ملخص القراءة تمثل

أولاً: مثلث بناء الأمة الحضاري (السنن، السلوك، والقيادة) (عيد الفطر)

ثانياً: تراتبية الهداية ومنظومة (الأمن من الزيغ)(عيد الاضحى)

ثالثاً: الثورة على الجمود وتفعيل (الفقه الحركي والعملي)(عيد الغدير)

رابعاً: نقد الحداثة المادية والتمهيد المشترك لدولة العدل الإلهي(الغاية الرئيسية)

المبحث الأول: التأصيل المنهجي، الفلسفة التفسيرية، وسوسيولوجيا السنن التاريخية

مقدمة

لم تكن الخطبة المباركة التي ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في غرة شهر شوال لعام ١٤٤٧ هـ (الموافق ٢١ آذار ٢٠٢٦ م)

مجرد وعظ خطابي ديني تقليدي يقتصر على التبريك بـ "عيد الفطر"، بل جاءت بوصفها **وثيقة معرفية وأطروحة فكرية متكاملة** تنتمي إلى حقل "النقد الحضاري" وسوسيولوجيا الأديان. لقد اتخذ سماحته من النص القرآني في سورة سبأ (الآيتين ١٨-١٩) منصة إبستمولوجية لتفكيك أزمات الإنسان المعاصر، رابطاً بنبوغ فذ بين البنى التحتية للمجتمعات (الاقتصاد والأمن والتعليم) والبنى الفوقية (العقيدة، والأخلاق، والوعي المعرفي).

تكمن أهمية هذه القراءة الأكاديمية في تسليط الضوء على قدرة الفكر الإسلامي الشيعي الحركي، المتمثل في المرجعية الرشيدة، على تحويل النص المقدس من حالة "الجمود التاريخي" إلى حالة "الحركية الدائمة"، واستنطاق الآيات القرآنية لتقديم حلول بنيوية لأعقد المشاكل الاجتماعية والمؤسساتية التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين.

أولاً: المنهج التفسيري وثنائية (الظاهر والباطن) فلسفة "الجري والتطبيق" وتجاوز التاريخانية

إن المرتكز الأساس الذي انطلقت منه الخطبة في مقاربتها للتنزيل الحكيم هو رفض "التاريخانية المغلقة" التي تحبس النص القرآني في إطار أسباب النزول أو الحوادث الغابرة. اعتمد المرجع اليعقوبي على قاعدة "**الجري والتطبيق**"، وهي آلية تفسيرية عميقة أسس لها أئمة أهل البيت (عليهم السلام). هذه الآلية تنظر إلى القرآن الكريم بوصفه كائناً حياً متجدد العطاء، يتجاوز الزمان والمكان.

في هذا السياق، يُستحضر الحديث التأسيسي للإمام محمد الباقر (عليه السلام) الذي يشكل العمود الفقري لهذا المنهج:

«لو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكل قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شر».

بناءً على هذا التأصيل، تصبح قصة "سبأ" في الخطبة اليعقوبية ليست مجرد حكاية تاريخية عن شعب باد في اليمن القديم، بل هي **نموذج إرشادي** (Paradigm) وقانون اجتماعي يتكرر كلما تشابهت الشروط الموضوعية والظروف النفسية والاجتماعية لأي أمة من الأمم.

١- القراءة التنزيلية: الظاهر السوسيولوجي لـ "سبأ"

في المستوى الظاهري، تقدم الخطبة تحليلاً سوسيولوجياً دقيقاً لحضارة سبأ في أوج ازدهارها. لقد منّ الله عليهم بنظام اقتصادي وبيئي فريد تمثل في "البلدة الطيبة" التي يغذيها "السد العظيم" (سد مأرب)، مما خلق حالة من الاكتفاء الذاتي والرفاه المادي والنوعي.

- **الوفرة الاقتصادية:** وجود الجنتين عن يمين وشمال، وهو رمز للإنتاج الزراعي المستدام.
- **الأمن الاستراتيجي البنيوي:** اتصال القرى وتقاربها جغرافيّاً، مما جعل السير والاتصال البشري والتجاري آمناً لا يحتاج إلى مشقة حمل الزاد أو الخوف من قطاع الطرق (﴿سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين﴾).

إلا أن هذا الازدهار المادي، وبسبب غياب الكوابح الأخلاقية والمعرفية، تحول إلى بيئة حاضنة للبطر الطبقي، وكفران النعم، مما أدى في نهاية المطاف إلى انهيار

السد وتدفق "سيل العرم" الذي مزق شملهم وحول جناتهم الخصبة إلى نباتات برية عديمة الفائدة (خمط وأثل وسدر قليل).

٢- القراءة التأويلية: الانتقال إلى الجغرافيا الروحية والمعرفية

ينتقل المرجع اليعقوبي بمرونة تفكيكية فائقة من "الجغرافيا الصلبة" إلى "الجغرافيا الروحية والمعرفية"، محولاً المفردات المكانية في الآية إلى شخوص ورموز حية في تاريخ الأمة العقدي:

المفردة القرآنية	المدلول الظاهري (التنزيلي)	المدلول الباطني (التأويلي / الجري والتطبيق)
القرى التي باركنا فيها	مدن الشام والقدس أو القرى المتصلة باليمن	**أهل البيت** (عليهم السلام) بوصفهم منبع البركة الروحية والمعرفية
القرى الظاهرة	القرى والمنشآت المرئية على طريق المسافرين	**العلماء الربانيون والمراجع العدول** الواضحون للناس كخطوط إمداد فكري
تقدير السير	توازن المسافات والمراحل الجغرافية	**منهجية تلقي المعرفة الدينية** بالتدرج واليسر دون إفراط أو تفريط
السير الآمن	الأمن من السباع واللصوص في السفر المادي	**الأمن الفكري والعقدي** من الزيغ، والضلال، والشبهات الهدامة

هذا التفكيك الثنائي يعيد صياغة مفهوم "الوطن" و"الأمن"؛ فالأمن الحقيقي ليس هو الأمن الجغرافي أو العسكري الفطري فحسب، بل هو الأمن المعرفي الذي يحمي الهوية الإنسانية من التشرذم والضياع.

ثانياً: سنن التاريخ وسوسيولوجيا الانهيار الحضاري: جدلية النعمة والشكر وفلسفة الاستبدال الحضاري

ركزت الخطبة المباركة على مفهوم "**السنن الإلهية الحاكمة**" في التاريخ. فالكون والمجتمعات البشريّة لا تسير وفق مصادفات عشوائية، بل تحكمها قوانين صارمة لا تحابي أحداً. وتبرز هنا جدلية (النعمة والشكر) كمعيار لبقاء الحضارات أو زوالها.

الشكر في الرؤية اليعقوبية ليس لقلقة لسان، بل هو "**شكر إجرائي عملي**" يتجسد في توظيف النعم في مواضعها الصحيحة، وإقامة العدل الاجتماعي، ورعاية الفئات الهشة والمحرومة. فعندما غاب الشكر عن مجتمع "سبأ"، وتفشت الأنانية والاستئثار بالثروة، تفعّلت تلقائياً "سنة الاستبدال الحضاري". إن الحضارة التي لا تحمي قيمها الأخلاقية تنهار من داخلها قبل أن تنهار بفعل المؤثرات الخارجية؛ فسيل العرم لم يكن مجرد كارثة طبيعية، بل كان النتيجة المادية الحتمية للفساد الأخقي والاجتماعي.

[وفرة مادية وأمن استراتيجي] ⟵(غياب الشكر والأخلاق)⟵ [بطر طبقي واستعلاء] ⟵ [تفعيل سنة الاستبدال والانهيار]

١- مفهوم "المخترم" والطغيان السلوكي للمترفين

أدخل المرجع اليعقوبي في خطبته مصطلحاً كلامياً وسوسيولوجياً هاماً وهو "**المخترم**"، ويقصد به الأجل المفاجئ والقاطع الذي يصيب الأمم والدول عندما تبلغ ذروة طغيانها السلوكي. هذا المفهوم يفسر كيف أن الأمم قد تبدو في ظاهرها قوية،

متماسكة، وذات تكنولوجيا متطورة، لكنها تنطوي على بذور فنائها بسبب ترف نخبها الحاكمة والمؤثرة.

وعندما يطلب المترفون المباعدة بين أسفارهم (﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾)، فإنهم في الحقيقة يعبرون عن رغبة سيكولوجية في "**العزل الاجتماعي والطبقي**". لقد ضاقوا ذرعاً برؤية الفقراء والمساكين يشاركونهم نفس الطرق والمحطات الآمنة، فأرادوا احتكار فضاءات الرفاهية والتميز المادي؛ وهذا الترف السلوكي الاستعلائي هو المطبخ الحقيقي لدمار الأمم، تماشياً مع النص القرآني الحاكم ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾

٢- التمزق الشامل والتشظي الاجتماعي

إن عقوبة كفران النعمة والبطر لم تقف عند حدود خسارة السد والجنان المادية، بل امتدت لتضرب العمق البنيوي للمجتمع: (﴿فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق﴾). هنا تفكك الخطبة معنى "التمزق الشامل":

أ- **التمزق الجغرافي والبشري**: هجرة القبائل السبئية وتشرذمها في بقاع الأرض بعد أن كانوا وحدة جغرافية وسياسية واحدة.

ب- **التحول إلى "أحاديث"**: صيرورتهم مجرد حكايات وعبر وتاريخ يُروى يتندر به الناس، بعد أن كانوا صناعاً للتاريخ والقرار الحضاري.

ت- **التمزق النفسي والاجتماعي المعاصر**: وهنا يسقط المرجع اليعقوبي الآية على الواقع المعاصر، محذراً من أن التشرذم، والتحزب الضيق، والنزاعات السياسية

والمكوناتية داخل المجتمع الواحد هي الصورة العصرية لـ "التمزق كل ممزق".

ولتعزيز هذا المفهوم السوسيولوجي الخطير، استحضرت الخطبة مقاطع تفكيكية من "**الخطبة القاصعة**" لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، والتي تعد من أعمق النصوص الإسلامية في تشخيص أسباب سقوط المجتمعات، حيث يقول (عليه السلام):

«فانظروا ما صاروا إليه في آخر أمورهم، حين وقعت الفرقة، وتشتتت الألفة، واختلفت الكلمة والأفئدة، وتفرعوا عوازل، وتشتتوا شذراً مَذراً، وتدابروا عداوةً وتقاطعاً، فخلع الله عنهم لباس كرامته، وسلبهم غضارة نعمته، وبقي ركام قصصهم فيكم عبرةً للمعتبرين».

إن هذا الربط بين الآية القرآنية ونص أمير المؤمنين يوضح أن التمزق ليس عقاباً غيبياً مفصولاً عن حركة الإنسان، بل هو نتيجة طبيعية عندما تتخلى الأمة عن تماسكها الاجتماعي وقيمها الأخلاقية المشتركة.

هندسة الأمن الفكري والإسقاطات الواقعية للحوزة والمجتمع

ثالثاً: إبستمولوجيا الهداية وهندسة الأمن العقدي (القرى المباركة والظاهرة): سيميائية "القرية" في الفضاء المعرفي القرآني.

في هذا المحور التأويلي المعمق، يتناول المرجع اليعقوبي الرموز الدلالية للآية الكريمة، مستنداً إلى المناظرات التاريخية المعرفية التي خاضها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مع فقهاء ومفسري عصورهم (كأبي حنيفة، والحسن البصري، وقتادة) الذين اختزلوا مفهوم "القرى" في أبعادها الطينية والحجرية.

تفكك الخطبة سيميائية مفردة "**القريـة**" في الاستعمال القرآني؛ فالقرية في عمقها الإنساني لا تعني الجدران، بل تعني:

- **الحصانة والمنعة**: البيئة التي توفر الحماية لساكنيها.
- **الوفرة والتغذية**: المكان الذي يُقصد للتزود بالمعاش والحياة.

لذا، فإن تحويل القرى في الباطن إلى شخوص معصومة (أهل البيت) وإلى علماء ربانيين هو ارتقاء بالفهم المعرفي من "الفيزياء" إلى "الميتافيزيقيا الإنسانية". فالإنسان لا يحيا بالخبز وحده، بل بالكلمة الطيبة والمعرفة الحقة التي تؤمن له مسيرته الإنسانية نحو الكمال.

١- القرى المباركة والقرى الظاهرة: جدلية الاتصال في زمن الغيبة

تضع الخطبة خارطة طريق إبستمولوجية واضحة المعالم لضمان الأمن الفكري والعقدي للأمة، وتتجلى هذه الخارطة في تراتبية العلاقة بين القرى المباركة والقرى الظاهرة:

[القرى المباركة: أهل البيت (ع)] ——(فيض روحي وتشريع)——▶ [القرى الظاهرة: العلماء الربانيون] ——(نيابة عامة وترشيد)——▶ [طالبو الحق: الأمان من الزيغ]

أ- **أهل البيت (عليهم السلام) كالقرى المباركة**: هم معادن الرسالة، ومحالّ المعرفة الإلهية المستمرة، الذين بارك الله فيهم وفي علمهم وجعلهم سفن النجاة.

ب- **العلماء الربانيون كالقرى الظاهرة**: هم المراجع العدول الثقاة الواضحون وضوحاً جلياً للمجتمع، والذين تقع على عاتقهم مسؤولية "النيابة العامة" عن الإمام

المعصوم في زمن الغيبة الكبرى. هم الجسر المعرفي الرابط، وبدونهم يقع الناس في تيه الجهل والضلال، لعدم قدرتهم على الوصول المباشر إلى المنبع المعصوم الغائب عن الأنظار.

من هنا، تضفي الخطبة شرعية مؤسساتية واجتماعية كبرى على "**المرجعية الدينية الرشيدة**"، معتبرة إياها صمام أمان ضروري لاستقرار الأمة الفكري والديني، وليست مجرد منصب تشريعي جاف.

٢- تفرد المدرسة المعرفية لأهل البيت بمفهوم "الأمن من الزيغ"

أثارت الخطبة التفاتة تفسيرية فريدة ومهمة للغاية من خلال استحضار رواية الإمام الحسين بن علي أو الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) في حواره مع أبي حمزة الثمالي. فقد سأل الإمامُ أبا حمزة عن تفسير العامة لهذه الآية (﴿سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين﴾)، فقال أبو حمزة: يقولون إنه الأمن في طريق مكة. فنفى الإمام ذلك بعمق علمي مشهود قائلاً ما معناه:

«يُستجَار بالرجل في طريق مكة فيُسرَق ويُقتَل، فكيف يكون آمناً؟ بل إنما عنى بذلك: آمنين من الزيغ».

إن هذا التفسير ينقل مفهوم الأمن من مستواه البيدرولوجي (البدني/المادي) الطارئ الذي قد يخترق بأي لحظة عبر اللصوص أو الحوادث، إلى "**الأمن المعرفي والعقدي الاستراتيجي**". فالذي يسير في خط المرجعية الرشيدة المرتبطة بأهل البيت (عليهم السلام) يأمن على دينه، وعقله، وهويته من الانحراف، والوقوع في شرك الأفكار المنحرفة والدعوات الضالة.

رابعاً: النقد المعرفي والإسقاطات الإجرائية المعاصرة

لم تقف خطبة المرجع اليعقوبي عند حدود التنظير المعرفي أو الترف الفكري، بل امتازت بـ"**الشجاعة النقدية والعملية**"، حيث قام سماحته بإسقاط هذه المفاهيم القرآنية والتأويلية مباشرة على واقعه المعاصر ومؤسساته الدينية والاجتماعية عبر ثلاثة محاور بنيوية:

١- ترشيد المناهج الحوزوية وثورة "العلم النافع" ضد "الترف العلمي"

في واحدة من أجرأ اللفتات النقدية، وجه سماحة المرجع اليعقوبي بوصلة النقد إلى داخل **المؤسسة العلمية الدينية (الحوزة العلمية)**. فقد قام بتطبيق الآية الكريمة ﴿ربنا باعد بين أسفارنا﴾ على ظاهرة "**الترف العلمي**" والمباحث المعقدة والمطولة الزائدة التي أُقحمت على مدى عقود في المناهج الدراسية الحوزوية، دون أن تترتب عليها ثمرة عملية أو فقهية تخدم واقع الأمة.

واعتبر سماحته أن الاستغراق في هذه المباحث الافتراضية الجافة يشبه إلى حد كبير تحول الجنات النضرة لسبأ إلى ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾؛ فهو علم لا ينفع، بل قد يساهم في:

- إضاعة أعمار الطلبة النوابغ في قضايا تجريدية بعيدة عن واقع الإنسان.
- قسوة القلوب وجفاف الأرواح بسبب خلو هذه المباحث من الأبعاد الروحية والأخلاقية.
- إبعاد الحوزة العلمية عن غايتها الأساسية والوجودية وهي: **هداية الناس، ومعالجة مشاكلهم المعاصرة، وإرساء قيم العدل.**

ودعا سماحته بوضوح إلى ثورة منهجية قائمة على "العلم النافع"، واختصار الأسفار والمناهج الدراسية الطويلة لتمكين الطلبة من النزول المبكر إلى الميدان الاجتماعي لممارسة دورهم بوصفهم "قرىً ظاهرة" تهدي الحيارى وتؤمّن فكر المجتمع.

٢- المسؤولية الاجتماعية للنخب ومواجهة قطاع الطرق العقائديين

حذرت الخطبة بشدة من الفراغات الفكرية الناتجة عن تقاعس النخب أو قلة الإقبال على دراسة العلوم الدينية الواعية. ووجه سماحته نداءً حاراً ووديّاً إلى **الشباب الواعي من خريجي الجامعات والكفاءات العلمية** للانخراط في سلك الحوزة العلمية الرشيدة.

إن غياب أو قلة "القرى الظاهرة الحقيقية" (العلماء الربانيين الواعين بمتطلبات عصرهم) يفتح الباب على مصراعيه لظهور "**أدعيّاء الدين**" و"**قطاع الطرق العقائديين**"، وهم الحركات المنحرفة، والمضللون، والجهلة الذين يستغلون العطش الروحي للمجتمع ليقودوهم نحو التطرف، أو الإلحاد، أو التسطيح المعرفي. ومن ثم، فإن التواجد الفاعل للعلماء الصادقين هو خط الدفاع الأول لحماية السلم الأهلي والاستقرار الفكري.

٣- تحصين النواة الصغرى: الأسرة كـ "بلدة طيبة"

لم يغفل المرجع اليعقوبي عن البنية الأساسية للمجتمع البشري، ألا وهي "**الأسرة**"؛ فقام بإسقاط المفهوم القرآني ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾ على الأسرة الصالحة.

إن الزوجة الصالحة والزوج الصالح هما اللذان يمثلان "المسكن" الحقيقي والآمن للإنسان وسط عالم مليء بالاضطرابات والتحديات الأخلاقية والمادية الحادة. وحذر سماحته بشدة من خطورة تحويل هذا المسكن إلى "بيئة طاردة وممزقة" بسبب:

- الانغماس في الذنوب والآثام والمعاصي التي ترفع البركة من البيوت.
- النزاعات والخلافات المستمرة المفتعلة وغياب لغة الحوار والمودة.
- التأثر الأعمى بـ "الثقافات الدخيلة" والمنصات الرقمية التي تهدف إلى تفكيك الأسرة وقيم العفة والحياء والمشتركات الروحية.

ولتقديم الوصفة العلاجية والوقائية لهذا المحور، استشهدت الخطبة بالحديث الشريف المأثور عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حول الأثر الطاقي والروحي لقراءة القرآن في البيوت:

«إن البيت الذي يُقرأ فيه القرآن، ويُذكر الله عز وجل فيه، تكثر بركته، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض، وإن البيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن، ولا يُذكر الله عز وجل فيه، تقل بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين».

٤- خلاصة واستنتاج: أطروحة الأمن الشامل ومآلات الحداثة المشوهة

تُمثّل خطبة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في صلاة عيد الفطر لعام ١٤٤٧ هـ **نموذجاً راقياً للفكر الإسلامي التجديدي والتحليلي**. لقد نجح سماحته في تحويل النص القرآني الخاص بحركة التاريخ وسقوط حضارة سبأ إلى مرآة كاشفة تعكس أزمات الكيان الإنساني المعاصر وبنيته الاجتماعية والمؤسساتية.

إن النتيجة الحتمية والرسالة المركزية التي تخلص إليها الخطبة هي تفكيك

العلاقة الجدلية بين "المادي" و"الروحي"؛ حيث تؤكد الخطبة بصورة قاطعة أن:

أي نهوض حضاري مادي (بناء سدود، تنمية اقتصادية، عمران، تكنولوجيا، رقمنة) لا بد أن يرتكز بالضرورة على **أمن باطني عقدي وأخلاقي صلب**، يُؤخذ من مناهله الحقيقية الأصيلة المتمثلة في العترة الطاهرة (أهل البيت) عبر وسائطهم الشرعية الواعية (العلماء الربانيون والمراجع العدول).

وبخلاف ذلك، فإن مصير أي "حداثة مادية مشوهة" تنفصل عن القيم الإنسانية والأخلاقية، وتغرق في الترف، والأنانيّة، وكفران النعم، والبطر الطبقي، لن يكون بأفضل من مصير سد مأرب وجنان سبأ؛ ستؤول حتماً إلى تشرذم، وضياع، وتمزق شامل، وتتحول منجزاتها الكبرى إلى مجرد حكايات وعبر في طيات التاريخ، وتتحول جناتها الوافرة إلى شوك، وأثل، وسدر قليل. إنها دعوة مرجعية رشيدة لإعادة بناء الإنسان والمجتمع والمؤسسة التعليمية على أسس متينة من العلم النافع، والشكر الإجرائي، والأمن المعرفي المستدام.

٥- هندسة الأمن الاجتماعي والمؤسساتي والآليات الإجرائية للتغيير الحضاري

إذا كان الجزء الأول من هذه القراءة الأكاديمية قد تكفّل بتفكيك المرتكزات الإبستمولوجية والمنهجية لخطبة عيد الفطر المبارك (١٤٤٧ هـ / ٢٠٢٦ م) لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، وسلّط الضوء على سوسيولوجيا السنن التاريخية في نموذج "سبأ"؛ فإن **الجزء الثاني** يتجه نحو **المقتربات التطبيقية والإجرائية**.

ينتقل الخطاب المرجعي هنا من التنظير السننّي إلى الهندسة المؤسساتية؛ حيث

تُعاد صياغة أدوار "القرى الظاهرة" (العلماء الربانيين) في مواجهة تحديات العولمة، ويُقدّم نقدٌ بنيوي شجاع للمناهج التعليمية داخل الحوزة العلمية، وصولاً إلى تحصين النواة الصغرى للمجتمع (الأسرة) باعتبارها جدار الصد الأخير في معركة الهوية المعرفية والأخلاقية.

ثالثاً (موسع): التفكيك الإبستمولوجي والسياسي لـ "القرى الظاهرة" (المؤسسة المرجعية كصمام أمان)

١. النيابة العامة وأزمة القيادة في زمن الغيبة

في الفضاء التأويلي للخطبة المباركة، لا تُعد "القرى الظاهرة" مجرد رتبة تشريفية أو موقع إداري، بل هي **ضرورة وجودية لإحياء الأمة وتأمين مساراتها.** في غياب "القرى المباركة" (المعصومين عليهم السلام) بجسدهم الشريف بفعل الغيبة، تتحول "القرى الظاهرة" (العلماء الربانيون) إلى خطوط الإمداد المعرفي والروحي الوحيدة.

تفكك الخطبة اليعقوبية هذه العلاقة عبر أبعاد سياسية واجتماعية هامة:

- **شرعية الامتداد:** إن شرعية المرجعية الدينية الرشيدة القائمة على النيابة العامة ليست نتاج توافق اجتماعي طارئ، بل هي امتداد للمشروع الإلهي الذي صممه أهل البيت لضمان عدم انقطاع الأمة عن منبع الوحي.
- **الوضوح والبروز (ظاهرة):** اختيار الوصف "ظاهرة" يشير إلى وجوب كون العلماء في متناول الأمة، قريبين من همومها، واضحين في مواقفهم، يسهل الرجوع إليهم والوصول إلى فتاواهم وتوجيهاتهم دون حجب أو تعقيد.

٢. مفهوم "الأمن من الزيغ" في فضاء العولمة والسيولة الرقمية

بناءً على الحوار التأسيسي بين الإمام السجاد (عليه السلام) وأبي حمزة الثمالي، تنقل الخطبة مفهوم "الأمان" من بعده الفيزيائي المحدود إلى بعده الفكري الشامل. في العصر الراهن، يواجه الإنسان المعاصر ما يسميه علماء الاجتماع بـ "الحداثة السائلة" أو "السيولة الفكرية"، حيث تتلاطم الشبهات، وتنهار القيم بفعل الخوارزميات الموجهة والمنصات الرقمية.

هنا يبرز دور المرجعية الرشيدة في تحقيق **الأمن المعرفي**:

"إن السير الآمن بين القرى المباركة والقرى الظاهرة يعني امتلاك البوصلة العقائدية التي تمنع الفرد والمجتمع من الانجراف وراء تيارات الإلحاد النفعي، والتسطيح المعرفي، وقطيعة القيم."

إن الأمن من الزيغ يعني حصانة العقل من الاستلاب الثقافي، وحماية الهوية المجتمعية من التشرذم والذوبان في الآخر المستكبر.

رابعاً (موسع): ثورة المناهج ونقد "الترف العلمي" في الحوزة المعرفية

١. تفكيك الاستعارة القرآنية ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ وتطبيقها التعليمي

في لفتة نقدية امتازت بها الخطبة، وظّف سماحة المرجع اليعقوبي العقوبة التي حلت بسبأ (﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أُكُلٍ خَمْطٍ وأثْلٍ وشيءٍ من سِدرٍ قليل﴾) ليطبقها على **الواقع التعليمي والأكاديمي داخل المؤسسة الدينية**.

- **الأُكُل الخمط والأثل**: يرمز في القراءة المعرفية إلى العلوم أو المباحث التجريدية المعقدة التي لا يترتب عليها ثمرة عملية في هداية المجتمع أو حل مشاكله المستجدة.

• **الترف العلمي**: هو الاستغراق في افتراضات عقلية جافة، وتطويل أسفار الدراسة ومراحلها لسنوات طوال دون مبرر فقهي أو اجتماعي واقعي. هذا الترف يؤدي -بحسب الخطبة- إلى قسوة القلب، ويستهلك أعمار الطاقات الشابة في قضايا هامشية، مما يباعد بينهم وبين دورهم الرسالي في النزول الميداني لإنقاذ الناس.

٢. خارطة طريق المرجع اليعقوبي لإصلاح التعليم الديني

لم تكتفِ الخطبة بتشخيص الداء، بل طرحت ملامح أطروحة إصلاحية متكاملة لترشيد الخطاب والمناهج الحوزوية:

• **أولاً: فلترة المناهج وتنقيتها**: التخلص من الحشو الزائد في علم الأصول والفقه التجريدي، والتركيز على القواعد الكلية والمسائل المعاصرة (الفقه الاجتماعي، فقه الدولة، فقه الأسرة).

• **ثانياً: تفعيل "العلم النافع"**: ربط التحصيل العلمي بالوظيفة الاجتماعية؛ فالغاية من دراسة الدين هي ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾.

• **ثالثاً: النزول المبكر للميدان**: حث الطلبة والنخب على عدم انتظار المراحل المتقدمة جداً للبدء بالتبليغ، بل يجب ممارسة الدور الإرشادي بالتوازي مع التحصيل العلمي لسد الفراغات الفكرية في المجتمع.

جدول مقارنة تحليلية: بين الترف العلمي والعلم النافع (حسب رؤية الخطبة)

وجه المقارنة	الترف العلمي (المناهج التقليدية المحشوّة)	العلم النافع (الأطروحة الترشيدية للمرجعية)
المدلول القرآني	تشبه ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ﴾ (جاف ولا يغذي)	تشبه ﴿القرى الظاهرة﴾ (خطوط إمداد وحياة)
الأثر النفسي	يورث قسوة القلب والاستعلاء التجريدي	يورث التواضع، والرحمة، والقرب من الناس
الامتداد الزمني	تمطيط المناهج والمباعدة بين الأسفار العلمية	ترشيد الوقت واختصار المراحل للنزول الميداني
الغاية والهدف	الاستغراق في افتراضات ذهنية معزولة	معالجة مشاكل الإنسان المعاصر وهداية المجتمع

خامساً: سوسيولوجيا الأسرة وتحصين النواة المجتمعية الصغرى

١. الأسرة بوصفها ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ في مواجهة التفكيك الثقافي

تنتقل الخطبة من الفضاء المؤسساتي العام (الحوزة) إلى الفضاء المؤسساتي الخاص والأكثر خطورة: **الأسرة**. تعيد الخطبة صياغة الاستعارة القرآنية ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ لتسقطها على الأسرة الصالحة القائمة على السكن والمودة.

في ظل الهجمة الثقافية المعاصرة التي تسعى لتفكيك مفهوم "الأسرة التقليدية" واستبدالها بنماذج مشوهة أو قائمة على الفردانية المطلقة والأنانيّة النفعية، يرى

المرجع اليعقوبي أن تحصين الأسرة هو الخطوة الأولى لبناء مجتمع "الشكر" المقاوم للانهيار. الزوج والزوجة الصالحان هما "المسكن الآمن" الذي يتزود منه الأبناء بالأمن الفكري والعاطفي، وبدونه تتحول البيوت إلى بيئات طاردة تنتج أفراداً مشتتين وقابلين للانحراف العقدي والاجتماعي.

٢. البعد الروحي والوقائي للممارسات العبادية داخل المنزل

لضمان استقرار هذا المسكن، لا تكتفي الخطبة بالتوجيه الأخلاقي العام، بل تقدم **وصفة إجرائية عملية** مستندة إلى حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) حول أثر ذكر الله وقراءة القرآن في البيوت.

منظور الخطبة يتجاوز التفسير الغيبي البسيط ليوضح أن البيوت التي يُتلى فيها القرآن تشيع فيها أجواء الطمأنينة السيكولوجية، وتقل فيها التوترات والنزاعات التي تصنع الفجوات الفوارق والخصام بين أفراد الأسرة.

"إن حضور الملائكة وهجرة الشياطين من المنزل يمثل رمزية عالية لسيادة قيم الهدوء، والعفة، والتسامح، وطرد قيم القلق، والعدوانية، والاضطراب التي تروج لها الثقافات الدخيلة عبر الشاشات المفتوحة."

سادساً: الأبعاد التنموية والاستراتيجية المعاصرة (نقد الحداثة المادية المشوهة)

يربط المرجع اليعقوبي في ختام قراءته التفكيكية بين مصير "سبأ" ومصير **الحداثة المادية المعاصرة**. لقد بلغت حضارة سبأ قمة التنمية المستدامة بمقاييس عصرها: سدود عملاقة، خطوط نقل آمنة، واكتفاء اقتصادي؛ لكن غياب الركيزة

الأخلاقية والمعرفية حوّل هذه المنجزات إلى رماد.

هذا المآل يساق في الخطبة كتحذير شديد اللهجة للمجتمعات المعاصرة ولصناع القرار:

• **وهم البناء المادي المنفصل عن القيم:** إن امتلاك التكنولوجيا الرفيعة، وتشييد البنى التحتية، وتحقيق الرفاه المادي لا يضمن بقاء الدولة أو المجتمع إذا كان هذا الرفاه مبنياً على كفران النعم، واضطهاد الفقراء، واستئثار المترفين بالثروات والقرارات.

• **سيل العرم المعاصر:** قد لا يكون سيل العرم القادم دفقاً مائياً مادياً، بل قد يتجسد في شكل انهيارات اقتصادية كبرى، أو حروب أهلية مدمرة، أو أزمات نفسية واجتماعية تسلب المجتمعات أمنها واستقرارها نتيجة لانفصال المادة عن الغاية الأخلاقية والإلهية.

الاستنتاجات الختامية والتوصيات الأكاديمية الاستراتيجية

تأسست خطبة عيد الفطر المبارك للمرجع اليعقوبي (دام ظله) لعام ١٤٤٧ هـ / ٢٠٢٦ م كـ **منظومة معرفية شاملة وعملية ومترابطة**، وضعت يدها على جرح الأمة الفكري والمؤسساتي، ويمكن إجمال أبرز استنتاجات هذه القراءة وتوصياتها في النقاط الآتية:

• **أولاً:** إن الأمن الفكري والاجتماعي كلّ لا يتجزأ، ويبدأ من تلقي المعرفة الدينية الصافية من "القرى المباركة" عبر قنواتها الشرعية الواضحة وهي "القرى الظاهرة" (المرجعية الدينية الرشيدة)، مما يحمي الأمة من الزيغ والانحراف.

• **ثانياً:** ضرورة المباشرة الفورية بترشيد مناهج التعليم الديني في الحوزات العلمية، والتحول نحو "العلم النافع" المقترن بالمسؤولية الاجتماعية، والابتعاد عن الترف العلمي والتعقيد التجريدي الذي يستهلك طاقات النخب ويعزلها عن الواقع.

• **ثالثاً:** حماية الأسرة وتحصينها باعتبارها بيئة الاستقرار الأخقي والروحي، ومواجهة الهجمات الثقافية الدخيلة عبر تفعيل الأنشطة والسنن العبادية والتربوية داخل البيوت لتكون ﴿بلدة طيبة﴾.

• **رابعاً:** إن أي نهوض أو تنمية مادية معاصرة لا ترتكز على الأمن الباطني والعدالة الاجتماعية والشكر الإجرائي للنعم، محكومة بالفشل والانهيار الحضاري، تفعيلًا للسنن الإلهية الصارمة التي لا تجامل مجتمعاً ولا تحابي أمة.

المبحث الثاني: الإحسان آلية للنهوض الحضاري:

قراءة تحليلية في مضامين خطبتي عيد الأضحى المبارك (١٤٤٧ هـ) لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي

مقدمة: السياق المعرفي والوظيفة الرسالية للخطاب المرجعي

يمثل الخطاب المرجعي في الحاضرة العلمية بالنجف الأشرف ركيزة أساسية من ركائز التوجيه الفكري والاجتماعي، وحلقة وصل بنيوية بين التنظير الفقهي الإسلامي والواقع المعاش المعقد. وفي هذا السياق، تأتي خطبتا صلاة عيد الأضحى المبارك لعام ١٤٤٧ هـ اللتان ألقاهما سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه بالنجف الأشرف، لتطرحا مقاربة أخلاقية واجتماعية شاملة تتمحور حول مفهوم "الإحسان" بوصفه آلية للنهوض بالإنسان وصياغة المجتمع

الصالح.

إن اختيار سماحته لعنوان "إشاعة ثقافة الإحسان" في محفل عبادي واجتماعي حاشد يضم جموع المؤمنين والزائرين الوافدين لزيارة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، يحمل دلالات استراتيجية واضحة؛ فهو ينقل الخطاب الديني من الدوائر التجريدية إلى الفضاء السلوكي التطبيقي، معيداً صياغة الأولويات المجتمعية في ظل التحديات المعاصرة. وتأتي هذه القراءة التحليلية لتفكيك المضامين الفكرية والتربوية والاجتماعية التي تضمنها هذا الخطاب المرجعي الهام، واستظهار أبعاده التنموية والحضارية.

أولاً: التأصيل القرآني والمفهومي لقيمة الإحسان

انطلق سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي في تأسيسه المعرفي لمفهوم الإحسان من النص القرآني المحكم، مستهدفاً إرجاع هذه القيمة إلى جذرها التوحيدي والتشريعي الأصيل. ولم يكن استحضار الآيات القرآنية مجرد استشهاد تبركي، بل جاء ضمن منهجية استقرائية تبين موقع الإحسان في المنظومة القيمية الإسلامية.

١.الارتباط بالمحبة الإلهية كأعلى غايات السلوك

استهل سماحته الخطبة بالاستدلال بقوله تعالى(وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) (البقرة: ١٩٥). وفي هذا التوجيه إشارة عميقة إلى هندسة الدوافع البشرية؛ فالإسلام لا يريد من الإنسان أن يتحرك في مشاريعه الصالحة بدافع الخوف أو المنفعة المادية الضيقة فحسب، بل يربط السلوك الإيجابي بأسمى غاية وجودية يتطلع إليها المؤمن، وهي الفوز بمحبة الله تعالى. إن المحبة الإلهية هنا تمثل طاقة دفع روحية كبرى تمنح الفرد القدرة على التضحية المستمرة والعطاء العابر للأنانيات الشخصية،

مما يحول الإحسان من مجرد فعل عابر إلى نمط حياة مستدام.

٢.معية الله وقرب الرحمة:

عزز سماحته هذا التأصيل بالانتقال إلى آيات أخرى تكشف عن الآثار التكوينية والروحية المترتبة على ممارسة الإحسان، مستشهداً بقوله سبحانه(إن رحمت الله قريب من المحسنين) (الأعراف: ٥٦)، وقوله(وإن الله لمع المحسنين)(العنكبوت: ٦٩).

من خلال هذين النصين، يتبين أن الخطاب يوضح نوعين من الجزاء المترتب على الإحسان:ـ

القرب الإلهي: المتمثل في تدفق الرحمة الخاصة التي تنعكس على السكينة النفسية والتوفيق في شؤون الحياة.

المعية التسديدية: وهي معية النصرة والتأييد والهداية، حيث يكون الله تعالى مع المحسن بفضله ورعايته، مما يعصمه من الانزلاق في متاهات الإحباط أو التراجع أمام التحديات.

ثانياً: التمييز المعرفي بين منظومتي العدل والإحسان

من أهم المفاصل النظرية التي طرحها سماحة المرجع اليعقوبي في خطبته هو التمييز الدقيق بين مفهومي "العدل" و"الإحسان"، مستنداً إلى الآية المباركة(إن الله يأمر بالعدل والإحسان) (النحل: ٩٠).

وبيّن سماحته أن المجتمع الإسلامي لا يمكنه الاكتفاء بالعدل القانوني الجاف؛ لأن القوانين وحدها قد تضمن الانضباط الظاهري لكنها لا تبني روح التكافل

والتراحم. فالإحسان هو الذي يضفي اللمسة الإنسانية على العلاقات البشرية، ويحول المجتمع من مجرد آلة تعمل بالحقوق والواجبات الصارمة إلى جسد واحد يتألم لألم أعضائه ويفرح لفرَحهم.

ثالثاً: الشمولية الوظيفية والسلوكية للإحسان في مفاصل الحياة

لم يقصر سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي دام ظله الوارف مفهوم الإحسان على دلالته التقليدية الضيقة المحصورة في الصدقات المالية أو الإعانة المادية للفقراء، بل وسع الدائرة لتشمل كل الأنشطة الإنسانية والوظائف الاجتماعية، مسترشداً بالقاعدة التكوينية الشاملة في قوله تعالى(الذي أحسن كل شيء خلقه)(السجدة: ٧). فكما أن الخلق الإلهي قائم على الإتقان والإحسان والجمال، يجب أن يكون الفعل الإنساني مرآة لهذا الإتقان.

وقد فكك سماحته هذه الشمولية إلى نماذج تطبيقية تغطي المشهد اليومي للمجتمع:ـ

المستوى الأسري (الأب): يتجلى الإحسان هنا في حسن تربية الأبناء، ورعايتهم نفسياً وفكرياً وأخلاقياً، وتوفير البيئة الصالحة لنموهم كعناصر نافعة في أمتهم، وليس مجرد توفير الاحتياجات المادية الأساسية.

المستوى المعرفي (المعلم): يتمثل إحسان المعلم والأكاديمي في أداء رسالته العلمية بأمانة وإخلاص، والحرص على بناء عقول الطلبة، وتطوير المناهج، وغرس القيم الإنسانية والوطنية في نفوسهم.

المستوى السياسي والإداري (المسؤول):يتجسد الإحسان عند صاحب المنصب والمسؤول في بذل أقصى الجهد لخدمة الناس، وتسهيل معاملاتهم، ومحاربة الفساد،

وتقديم المصلحة العامة على المصالح الفئوية أو الشخصية الضيقة.

المستوى الاقتصادي (التاجر):يكون إحسان التاجر والمسار الاقتصادي عبر التعامل بإنصاف، والابتعاد عن الاحتكار والجشع، ومراعاة ظروف ذوي الدخل المحدود، والصدق في البيع والشراء.

رابعاً: التوصيف المنهجي للمجتمع المحسن عبر تراث أهل البيت (عليهم السلام)

في إطار صياغة الملامح السلوكية للمجتمع المحسن، استدعى سماحة المرجع نصاً حديثياً باليت الأهمية للإمام محمد الباقر (عليه السلام) يحدد فيه الصفات البنيوية للمؤمنين المحسنين. يقول الإمام (عليه السلام) (ما كانوا يعرفون إلا بالتواضع، والتخشع، والأمانة، وكثرة ذكر الله، وبر الوالدين، وتعاهد الجيران من الفقراء والمساكين، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلا من خير).

إن القراءة التفكيكية لهذا الحديث الشريف ضمن الخطاب المرجعي تكشف عن مصفوفة سلوكية متكاملة تجمع بين الأبعاد الروحية، والذاتية، والاجتماعية.

البعد النفسي والذاتي: (التواضع، والتخشع)؛ وهما صفتان تكسران كبرياء النفس وتجعلان الفرد منفتحاً على الآخرين ومستعداً لخدمتهم دون استعلاء.

البعد الروحي والعبادي: (كثرة ذكر الله، وتلاوة القرآن)؛ وهما المصدر الأساس لشحن الطاقة الروحية وتثبيت الرقابة الذاتية.

البعد الأخلاقي والعملي: (الأمانة، وصدق الحديث)؛ ويمثلان أساس الثقة المتبادلة ورأس المال الاجتماعي الذي بدونها تنهار العلاقات الاقتصادية والاجتماعية.

البعد التكافلي والاجتماعي: (بر الوالدين، وتعاهد الجيران من الفقراء

والمساكين)؛ وهو توجيه مباشر نحو رعاية الدوائر الاجتماعية الأقرب فالأقرب، مما يضمن شبكة أمان اجتماعي محلي تلبي احتياجات المعوزين بروح من الكرامة والمودة.

البعد الأمني واللساني:(كف الألسن عن الناس إلا من خير)؛ حيث يعتبر ضبط اللسان وصيانته من الغيبة والنميمة والتحريض ركيزة أساسية لصيانة السلم الأهلي والاستقرار النفسي للمجتمع.

خامساً: الأبعاد الاستراتيجية والتمهيدية لثقافة الإحسان

يتجاوز الخطاب المرجعي لسماحة الشيخ محمد اليعقوبي الأثر الفردي الآني لثقافة الإحسان ليربطه بمسارين استراتيجيين يمسّان مستقبل الأمة وهويتها الحضارية.

١. مواجهة التحديات وتحقيق الاستقرار المجتمعي

أكد سماحته أن المجتمع الذي تسوده قيم الإحسان والتكافل يمتلك مناعة ذاتية عالية وقدرة مرنة على مواجهة الأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. ففي فترات الأزمات، يعمل الإحسان كامتصاص للصدمات يمنع حدوث الانفجارات الاجتماعية أو التفكك البنيوي. وفي المقابل، حذر سماحته من البديل القاتل وهو "الأنانية والاستئثار"، مبيناً أن هذه الآفات الأخلاقية تؤدي حتماً إلى تآكل الثقة، وضياع الطاقات البشرية، وتحويل المجتمع إلى جزر معزولة متصارعة.

٢. البعد التمهيدي لدولة العدل الإلهي

في مقاربة فكرية ترتبط بالمنظومة المهدوية الوعود، أشار سماحته إلى أن المجتمع الممهد لدولة العدل الإلهي (بقيادة الإمام المهدي عجل الله فرجه) ليس مجرد مجتمع ينتظر التغيير الخارجي السلبي، بل هو المجتمع الذي ينخرط بنشاط في

صناعة بيئة التغيير. إن مجتمع التمهيد هو الذي تنتشر في أوساطه قيم الرحمة، والإيثار، والتعاون، والإحسان. وبذلك يكون الإحسان شرطاً موضوعياً من شروط التمكين والتهيئة الحضارية لاستقبال دولة العدل المطلق.

سادساً: المرتكزات الروحية والأخلاقية لضمان قبول العمل الإحساني

التفت سماحة المرجع اليعقوبي في خطبته إلى قضية منهجية بالغة الخطورة، وهي أن الفعل الإحساني قد يفرغ من محتواه القيمي ويتحول إلى أداة للهدم إذا لم يحصن بالشروط الروحية والأخلاقية الصحيحة. ولذلك، حدد سماحته ثلاثة مرتكزات لضمان سلامة العمل وقبوله:

١.الإخلاص وتصحيح النية

استشهد سماحته بالحديث النبوي الشريف:(إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى)، مؤكداً أن الإحسان الحقيقي ينبثق من الإخلاص لله تعالى وحده. وعزز ذلك بالتعريف النبوي السامي للإحسان في مقولة(أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). إن هذا المستوى من المراقبة الذاتية يرفع العمل البسيط إلى مصاف العبادات الكبرى، ويجعل المحسن متحرراً من طلب الثناء أو الشهرة أو المكاسب الدنيوية.

٢.التحذير من مبطلات العمل (المن والأذى والرياء)

حذر سماحته بشدة من الآفات الأخلاقية التي تحبط الأعمال وتذهب ببركتها، مستدلاً بقوله تعالى(لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى)(البقرة: ٢٦٤). فالمن يستعلي به المحسن على المحسن إليه، والأذى يكسر كرامة المحتاج، والرياء يحول العمل من عبادة لله إلى عبادة للذات والمظاهر.

٣.الخصال الثلاث لسلامة المعروف

ساق سماحته حديثاً عميق الدلالة للإمام جعفر الصادق (عليه السلام) يمثل دليلاً إجرائياً متكاملاً لكل من يريد ممارسة العمل الخيري، حيث يقول (عليه السلام)(رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال: تصغيره، وستره، وتعجيله).

ويمكن تحليل هذه الخصال الثلاث التالية.

تصغير المعروف: أي ألا يعظمه المحسن في عينه أو يستكثر ما قدمه، مما يعصمه من العجب والغرور الأخلاقي.

ستر المعروف: إخفاؤه عن أعين الناس قدر الإمكان لصيانة كرامة المحتاج وحفظ حياء وجهه، وضمان إخلاص النية لله.

تعجيل المعروف: المبادرة إليه دون تسويف أو مماطلة، لأن حاجة الإنسان المعوز قد لا تحتمل التأجيل، ولأن تعجيل الخير يقطع وساوس الشيطان والتردد.

سابعاً: الإحسان كآلية لإدارة الصراعات وترسيخ السلم الأهلي

انتقل الخطاب المرجعي إلى مستوى العلاقات البينية وحل النزاعات، طارحاً الإحسان بوصفه استراتيجية فعالة في تفكيك العداوات وبناء الجسور بين الفرقاء. واستشهد سماحته بقوله تعالى(ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينك عداوة كأنه ولي حميم)(فصلت: ٣٤).

إن هذه الآية السامية تؤسس لنظرية رائدة في علم النفس الاجتماعي وإدارة الصراعات؛ فالرد على الإساءة بمثلها يؤدي إلى حلقة مفرغة من الانتقام وتصاعد النزاع، في حين أن مقابلة الإساءة بالإحسان تحدث صدمة إيجابية في نفس المسيء، تحرك ضميره وتجبره على مراجعة مواقفه، مما يحول العداوة المستحكمة إلى صداقة

وحميمية.

وعزز سماحة الشيخ اليعقوبي هذا المفهوم بالحديث الشريف(جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها)، مبيناً أن الإحسان يمتلك سلطة ناعمة وقدرة جاذبة تفتح القلوب المغلقة، وهو ما يحتاجه المجتمع لترسيخ ثقافة الحوار، والتسامح، ونبذ لغة العنف والإقصاء.

ثامناً :نقد الحداثة المادية وحاجة العالم المعاصر إلى هندسة القلوب

في الربع الأخير من الخطبة، اتسعت الرؤية عند سماحة المرجع اليعقوبي لتشمل المشهد العالمي المعاصر، حيث قدم قراءة نقدية حضارية لواقع الحداثة المادية التي تعيشها البشرية اليوم.

١.اختلال التوازن بين التطور المادي والتطور الأخلاقي

شخص سماحته الأزمة الراهنة للعالم بأنها ليست أزمة نقص في التطور المادي أو التكنولوجي؛ فالإنسانية بلغت شأواً عظيماً في مجالات العلوم، والذكاء الاصطناعي، والقدرات الصناعية، إلا أن هذا التطور المادي الهائل لم يقترن بتطور مواز في المنظومة الأخلاقية والروحية. ونتج عن هذا الاختلال تصاعد مظاهر القسوة، والظلم، والحروب، والعدوان، وسيطرة الأنانية والجشع على السياسات الدولية والعلاقات الإنسانية.

٢.عجز القوانين الوضعية المجردة عن الأخلاق

أشار سماحته إلى حقيقة معرفية هامة، وهي أن سن القوانين وتشريع النظم، على أهميتها، تظل "حبراً على ورق" إن لم تقترن بأخلاق حسنة تنبع من ضمير حي وإصلاح حقيقي للقلوب وتهذيب للنفوس. فالقوانين يمكن الالتفاف عليها وتوظيفها

لصالح القوي إذا غاب الوازع الأخلاقي، بينما يمثل الإحسان المنبثق من الأخلاق الإلهية الضمانة الحقيقية لتطبيق العدالة وحماية حقوق الإنسان.

٣.تحقيق الاستخلاف الحضاري

خلص سماحته إلى أن العودة الصادقة لقيم الإحسان والرحمة هي المخرج الوحيد للبشرية من أزماتها الوجودية، وبها يتحقق المعنى الحقيقي لـ "خلافة الإنسان" على الأرض، ليكون الفرد بحق مصدراً للخير والسلام والرحمة، مصداقاً للوعد الإلهي(إن الله يحب المحسنين).

خلاصة

تأتي خطبتا صلاة عيد الأضحى المبارك لعام ١٤٤٧ هـ لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي كوثيقة إصلاحية متكاملة تقرأ الواقع بوعي ومسؤولية وتضع الحلول منسجمة مع المنابع الأصيلة للشريعة الإسلامية. ويمكن تلخيص أبرز الاستنتاجات والمخرجات الفكرية لهذه الخطبة في النقاط التالية:

التحول من الفردية إلى المجتمعية: إعادة تمحيص مفهوم الإحسان ليتحول من ممارسة فردية معزولة إلى ثقافة مجتمعية شاملة تحكم كافة مفاصل الحياة والوظائف الإدارية والاجتماعية.

التكامل الأخلاقي والقانوني: التأكيد على أن القانون (العدل) يضع الهيكل الخارجي للمجتمع، لكن الأخلاق (الإحسان) هي التي تمنحه الروح والحياة والترابط.

الرقابة الذاتية كبديل عن الإكراه:بناء الرقابة الذاتية عبر مفهوم "أن تعبد الله كأنك تراه"، مما يقلل من الحاجة إلى أدوات الإكراه القانوني ويزيد من كفاءة الأداء الأخلاقي.

التمهيد النشط: ربط القضايا العقائدية كقضية الانتظار والتمهيد لظهور المصلح العالمي بالسلوك اليومي الفعال القائم على الإيثار ونشر الرحمة.

الاستجابة للأزمة الحضارية: تقديم نقد موضوعي للحضارة المادية المعاصرة، وطرح النموذج الإسلامي القائم على "إصلاح القلوب وتهذيب النفوس" كبديل لإنقاذ الإنسان من شقائه المادي وجشعه الوجودي.

إن هذه الرؤية المرجعية الشاملة تضع أمام النخب الفكرية والأكاديمية والمؤسسات التربوية والتبليغية مسؤولية كبرى لتفكيك هذه المضامين وتحويلها إلى برامج عمل ومناهج سلوكية تسهم في بناء الإنسان وصياغة المجتمع الصالح الممهد لدولة الحق والعدل الإلهي.

المبحث الثالث: يوم الغدير يوم تصحيح المسار التاريخي

المطلب الأول: إعادة قراءة الغدير من المنظور الفلسفي، الاجتماعي، والحركي المعاصر

في قراءة تفكيكية وتأصيلية في كتاب (من وحي الغدير)لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي نجد ان عيد الغدير كأطروحة بناء أمة وليس مجرد حدث تاريخي اذ تنزع القراءات التقليدية لحادثة(غدير خم) في الفكر الإسلامي نحو حصر الواقعة في إطارها السردي التاريخي، أو اختزالها في جدل كلامي وعقائدي حول أحقية الخلافة السياسية. غير أن سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي في كتابه (من وحي الغدير)، القائم في أصله على سلسلة من المحاضرات الفكرية المعمقة التي ألقاها في رحاب مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) وتحديداً في مسجد الرأس

الشريف بالنجف الأشرف، يقدّم قراءة مغايرة تماماً. يغادر المؤلف منصة الجدل التقليدي ليحلّق في فضاء (فلسفة الاجتماع السياسي الإسلامي)، معتبراً الغدير محطة مفصلية في التخطيط الإلهي والنبوي لصيانة هوية الأمة وحفظ مسيرتها التراكمية من الانحراف والارتداد بعد غياب القائد المؤسس (صلى الله عليه وآله).

إن القيمة المعرفية لهذا الكتاب تكمن في شمولية نظرته؛ فهو يمتد عبر صفحاته وفصوله ليفكك بنية المجتمع الإسلامي الأول، ويحلل طبيعة النفس البشرية وصراعاتها حول السلطة والّجاه، ثم يربط ذلك بالواقع المعاصر للأمة الإسلامية في عصر الغيبة الكبرى، مما يجعل الكتاب وثيقة حركية تجيب على أسئلة الحاضر بوعي الماضي.

المحور الأول:ـ التأصيل الفلسفي والعقلي لضرورة القيادة والإمامة

يبدأ سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي أطروحته في الفصول الأولى من الكتاب بتأسيس قاعدة عقلية متينة تنطلق من فلسفة الاجتماع البشري. فالإمامة في نظره ليست حكماً تعبدياً صرفاً يفتقر إلى التعليل العقلي، بل هي ركيزة أساسية لا يستقيم نظام العيش البشري بدونها.

يرى سماحته أن الإنسانية، بطبيعتها الفطرية والاجتماعية، لا يمكن أن تعيش في حالة من السيولة السياسية أو الفوضى الإدارية.، يصيغ سماحته هذه الضرورة بعبارة حاسمة "إن الإمامة وولاية أمر الناس ضرورة اجتماعية لا يختلف فيها اثنان، وقد أطبق عليها جميع العقلاء، ولا يمكن لحياة المجتمع المتحضر ونظام معاشه أن يستقيم بدون إمام ورئيس يدير مع جهازه شؤون الأمة ويدبر أمورها."

ولكي يثبت ديمومة هذه القاعدة وصحتها حتى في الحالات الاستثنائية، يستحضر سماحته الفكر السياسي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) كما ورد في نهج البلاغة، معلقاً على مقولة الخوارج الشهيرة (لا حكم إلا لله). يوضح سماحته أيضاً كيف أن وجود سلطة ضابطة، حتى وإن شابتها النواقص، هو خير مطلق مقارنة بالفراغ الدستوري والأمني، مقتبساً "لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح بر ويستراح من فاجر."

ينتقل سماحته بعد ذلك ليربط بين هذه الضرورة العقلية واللطف الإلهي؛ فإذا كان البشر بحاجة غريزية وعقلية لقائد يسوسهم في أمور دنياهم المادية، فكيف بالرسالة الإلهية الخاتمة التي جاءت لترسم مسار البشرية الأخلاقي والروحي والتشريعي؟ من هنا، تصبح الإمامة امتداداً طبيعياً ووظيفياً للنبواة، وجزءاً لا يتجزأ من منظومة اللطف الإلهي بالعباد.

المحور الثاني:ـ نقد أطروحة (الإهمال النبوي) والتخطيط اللوجستي للمستقبل

يفرد سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي مساحة واسعة في الثلث الأول من الكتاب لرد الشبهة التاريخية والكلامية التي تدعي أن النبي (صلى الله عليه وآله) رحل عن هذا العالم تاركاً الأمة دون تعيين بديل أو رسم معالم واضحة لآلية الحكم، تاركاً الأمر لظروف (الشورى) العفوية التي حدثت في السقيفة.

يقدم سماحته هنا مرافعة استدلالية تعتمد على سيرة النبي الاكرم صلى الله عليه وآله العملي وسلوكه الإداري والقيادي طوال ثلاثة وعشرين عاماً. يستعرض سماحته كيف أن

النبي ﷺ كان دقيقاً في تفاصيل الإدارة اللوجستية؛ فلم يكن يغادر المدينة المنورة لغزوة أو سفر إلا ويعين شخصاً يدير شؤونها بغيابه، ولم يكن يرسل جيشاً أو سرية صغيرة إلا ويسمي لها أميراً، بل إن توجيهاته امتدت لتعيين قيادات بديلة في حال مقتل القائد الأول (كما حدث في معركة مؤتة).

يطرح الشيخ هذا التساؤل الاستنكاري القائم على التحليل الاستقرائي كان (ﷺ) لا يخرج سرية إلا عليها أمير مهما قل أفرادها... وكان إذا خرج لغزوة لا يترك المدينة بدون خليفة له... فهل يعقل بعد هذا كله أن يترك الأمة كلها عند وفاته هملاً دون أن يعين لها من يقوم مقامه ويسد مسده؟!"

ويتعمق سماحته في تتبع السيرة النبوية ليشير إلى أن حرص النبي على منع الفوضى وتحديد المرجعيات وصل إلى أدق التفاصيل اليومية والاجتماعية، حيث ينقل في الحديث النبوي(اذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم.)

بناءً على هذا الاستقراء المنطقي، يخلص سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي إلى أن افتراض رحيل النبي ﷺ دون نص وتعيين هو طعن مبطن في حكمة النبي وحنكته القيادية، وهو أمر يتنافى مع عبقريته وشعوره بالمسؤولية الرسالية تجاه أمة وليدة محاطة بالأخطار والامبراطوريات المتربصة بها (كالروم والفرس).

المحور الثالث: المصالح الاستراتيجية الأربع خلف النص على الخليفة

ينتقل الشيخ اليعقوبي من مرحلة إثبات الواقعة إلى مرحلة (تحليل الغايات والمقاصد). يسأل سماحته(ما هي المصالح الحقيقية والجوهرية التي دعت الشريعة الإسلامية عبر إرادتها الإلهية الصارمة إلى فرض تعيين إمام محدد بالنص والاسم؟)

ويلخصها في أربع مصالح استراتيجية كبرى.

١. **ديمومة الرسالة وحفظها من التحريف البنيوي:** يشير سماحته إلى أن الأنبياء السابقين (كعيسى وموسى عليهما السلام) انتهت رسالاتهم عملياً أو انحرفت عن مسارها الصحيح فور رحيلهم بسبب غياب الوصي المستوعب لأسرار الشريعة، والقادر على مواجهة التأويلات الفاسدة. وبما أن الإسلام هو الرسالة الخاتمة، فلا بد من وجود قائد معصوم يملك ذات الأهلية العلمية والروحية للنبي (باستثناء الوحي) ليكون مرجعاً فكرياً وتشريعياً يحفظ نقاء الدين.

٢. **سد الطريق أمام الطامحين وطلاب الجاه والسلطة:** النفس البشرية مجبولة على حب الرئاسة والتسيد، والزعامة السياسية والدينية للأمة الإسلامية المتنامية كانت تمثل مطمعاً هائلاً للكثير من القيادات القبلية والشخصيات النفعية. إن ترك الباب مفتوحاً دون نص إلهي قاطع من شأنه أن يشعل صراعاً دموياً على السلطة. يقتبس سماحته الحكمة المأثورة التي تفسر التحركات السياسية لبعض الأطراف "آخر ما ينزع من قلوب الصديقين حب الجاه."

٣. **صيانة الوحدة الداخلية للأمة ومنع التشتت الملي:** بدون قطب رحى تجتمع عليه الأمة، تتقاذفها الأهواء والنزعات القبلية والإقليمية. يستشهد المؤلف هنا بالخطبة الفدكية التاريخية للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، والتي لخصت فيها البعد السوسيولوجي للإمامة. يذكر سماحته "قالت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وجعل إمامتنا نظاماً للملة، وأماناً من الفرقة."

٤. **الطمأنينة النفسية والروحية للرسول الأكرم:** إن القائد الذي يجهد طوال حياته لبناء صرح عقائدي واجتماعي لا يمكن أن يذوق طعم الراحة أو يطمئن بالاً

وهو يرى مشروعه مهدداً بالضياع بعد موته. تعيين الوصي الكفوء هو الجائزة الإلهية لطمأنة النبي على ديمومة خطه. ويقارن سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي ذلك بموقف النبي موسى (ع) حينما سأل ربه وزيراً من أهله (هارون) ليشد به أزره ويكون خليفته في قومه.

المحور الرابع: ـ(تفكيك صراع الإرادات ورزية يوم الخميس" كمنعطف تاريخي):

لا يتهيب سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي في كتابه من اقتحام الملفات التاريخية الشائكة بجرأة وشجاعة فكرية وتفكيكها بأدوات التحليل السياسي الحديث. بركز سماحته على الأيام الأخيرة من حياة النبي (صلى الله عليه وآله)، واصفاً إياها بفترة (صراع الإرادات) بين الإرادة النبوية التشريعية الحريصة على تثبيت نص الغدير، وبين تيار معارض داخل مجتمع الصحابة كان يرى في التعيين الإلهي إقصاءً لطموحاته السياسية والقبلية.

يتوقف سماحته ملياً عند حدثين بارزين:-

١- التخلف عن جيش أسامة بن زيد) حيث أمر النبي صلى الله عليه وآله أكابر الصحابة بالالتحاق بالجيش وإخلاء المدينة، في محاولة لوجستية منه لتأمين الأجواء للإمام علي (ع) لتسلم زمام الأمور دون معارضة، إلا أن التلكؤ والتخلف المتعمد أحبط هذا المخطط.

٢- (رزية يوم الخميس) عندما طلب النبي صلى الله عليه وآله وهو في فراش الموت دواة وكتفاً ليكتب كتاباً يعصم الأمة من الضلال.

يحلل سماحته هذه الحادثة المفجعة بكثير من الأسى الفكري، مبيناً خطورة الكلمة التي قيلت في وجه النبي صلى الله عليه وآله ("إن الرجل ليهجر" أو "غلبه الوجع") حينما منعوه من كتابة كتاب لا يضلون بعده أبداً في رزية يوم الخميس... فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب."

يرى سماحته أن هذا المنع لم يكن عفوياً أو ناتجاً عن خوف على صحة النبي صلى الله عليه وآله، بل كان خطوة استباقية مدروسة ومقصودة من تيار سياسي أدرك تماماً أن الكتاب الذي يريد النبي صياغته لن يكون سوى تأكيد خطي ومكتوب وصريح لولاية علي بن أبي طالب التي أعلنها شفهياً في غدير خم أمام الآلاف.

المحور الخامس:- التشريح السوسيولوجي للمجتمع الإسلامي الأول وأسباب الانحراف:

من أجمل وأعمق ما قدمه الشيخ اليعقوبي في هذا السفر هو دراسته لطبيعة التركيبة السكانية والاجتماعية للمجتمع الذي عاصر النبي الأكرم. يرفض المؤلف النظرة الساذجة التي تضفي هالة من العصمة الجماعية المطلقة على مجتمع الصحابة، بل يعمد إلى تشريحهم اجتماعياً ونفسياً لمعرفة أسباب الارتداد السريع عن عهد الغدير فور وفاة النبي صلى الله عليه وآله. يوضح سماحته أن هذا المجتمع كان يتألف من شرائح متباينة جداً:-

١. (الخلّص من المهاجرين والأنصار) وهم القلة الواعية التي استوعبت جوهر الرسالة وصهرت نفوسها في بوتقة الإسلام.

٢. (المؤلفة قلوبهم ومسلمة الفتح) الذين دخلوا الإسلام في اللحظات الأخيرة

بدافع الخوف أو المصلحة، وحافظوا على نزعاتهم الجاهلية الدفينة.

٣. (الأعراب وسكان البوادي) الذين يمثلون الأغلبية الساحقة رقمياً، والذين وصفهم القرآن الكريم بأنهم "أشد كفراً ونفاقاً". هؤلاء أسلموا ظاهرياً ولم يتغلغل الإيمان في أعماق قلوبهم.

يقول الشيخ اليعقوبي مفسراً هذا الواقع الاجتماعي، "إن الانتشار السريع للإسلام في الجزيرة العربية جعل الآلاف يدخلون في الدين الجديد دون أن ينالوا القسط الكافي من التربية والتزكية النبوية... هؤلاء ظلوا يحملون في طيات نفوسهم رواسب العقلية القبلية والجاهلية، وكانوا ينتظرون غياب الشخصية الكاريزمية للنبي ليعودوا إلى توازناتهم القديمة."

هذا التحليل السوسيولوجي يفسر كيف استطاع تيار السقيفة أن يمرر مشروعه السياسي بسرعة وسهولة؛ إذ اعتمد على تحريك الروابط القبلية والمخاوف الاقتصادية والسياسية لدى هذه الشرائح غير المرباة عقائدياً، مما أدى لعزل الإمام علي (عليه السلام) وإقصاء أطروحة الغدير الإلهية.

المحور السادس:ـ أبعاد الغدير المعاصرة والامتداد الحركي في عصر الغيبة:

يطرح سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي رؤية بالغة الأهمية حول "ديمومة الغدير" في العصر الحالي، مؤكداً أن الغدير ليس مجرد مناسبة للاحتفال وذرف الدموع أو استذكار المظلومية، بل هو (منهج عمل واستراتيجية بناء)، يتساءل سماحته" إذا كان النبي قد عين الإمام علي غدير خم تلبية لحاجة الأمة لقائد معصوم، فكيف تلبي الأمة حاجتها للقيادة في عصر الغيبة الكبرى للإمام المهدي (عجل الله فرجه)؟".

يرى سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي أن (المرجعية الدينية الرشيدة) القائمة على شروط العلم، العدالة، الشجاعة، والوعي بالواقع، هي الامتداد الخطّي والشرعي والوظيفي لخط الغدير. فالغدير أسس لرفض الفوضى ورفض التبعية للحكام الجائرين، والمرجعية في عصر الغيبة هي الحصن الذي يمنع الأمة من التشتت والضياع.

وفي لفتة تربوية وأخلاقية بالغة الأثر، يوجه الشيخ خطابه للنخب الواعية والشباب المسلم، محذراً إياهم من الانزلاق في ذات المطب الذي وقع فيه مجتمع الصحابة وهو "تقديم المصالح الشخصية وحب الدنيا والجاه على التكليف الشرعي". يقتبس سماحته في أواخر كتابه حكمة بليغة تحث على المسؤولية "من مات ولم يوص مات ميتة جاهلية... فإذا كان الإنسان العادي مطالباً بالوصية لشؤونه الخاصة وأمواله لكي لا تضيع، فكيف يترك الرسول الأكرم الأمة ومستقبلها وحفظ كيانها من الضياع دون وصية؟!"

المحور السابع: ـ التفكيك اللغوي والسياقي لمفردة (المولى):

ينبري سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي لمناقشة الإشكاليات الدلالية التي أثارها المتكلمون والمفسرون عبر التاريخ حول كلمة (المولى) الواردة في النص النبوي "من كنت مولاه فهذا علي مولاه". يرفض سماحته السطحية في تفسير اللفظ، ويعتمد على منهج (القرائن السياقية والحالية)لإثبات أن المراد بالمولى هو (الأولى بالتصرف والقيادة والولاية العامة)، وليس مجرد المحب أو الناصر.

يشير سماحته إلى أن السياق الذي حُفّت به الكلمة يمنع حملها على معانٍ

هامشية كالمحبة؛ فليس من الحكمة النبوية أن يجمع النبي آلاف البشر في حر الهجير وفي بقعة قاحلة ليخبرهم فقط بأن علياً "محبهم" أو "ناصرهم"، فهذا أمرٌ قرره القرآن لعموم المؤمنين (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض).

ويركز سماحته على (القرينة التلازمية الصارمة) بين التمهيد النبوي والنتيجة؛ إذ صدر النبي كلامه بسؤال تقريري للأمة (ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا بلى يا رسول الله). ويعلق الشيخ اليعقوبي على هذا الترابط الدلالي قائلاً "إن تفريع قوله (صلى الله عليه وآله) 'فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه' على قوله 'ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم' يمثل قرينة قطعية لا تقبل التأويل على أن الولاية المجعولة لعلي (عليه السلام) هي عين الولاية الثابتة للنبي، وهي ولاية الأمر، والطاعة المطلقة، وإدارة شؤون الأمة."

وينقد سماحته المحاولات التاريخية لتمييع دلالة النص، معتبراً أن التبادر العرفي وفهم الصحابة الحاضرين (الذين بادروا لتهنئة الإمام بقولهم(بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة) هو الحجة اللغوية والاجتماعية الدامغة على أن الفهم السائد للكلمة حينها كان يعني تسلم مقاليد الزعامة والقيادة بعد النبي

المحور الثامن: ـ الجغرافيا السياسية والزمنية لاختيار (غدير خم):

ينتقل سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي في الفصول المتقدمة من وسط الكتاب إلى تحليل (لوجستيات الحدث). يطرح سماحته تساؤلاً جغرافياً واستراتيجياً(لماذا لم يبلغ النبي هذا الأمر العظيم في مكة أثناء خطبة عرفة حيث الجمع الأكبر؟ أو في المدينة المنورة بعد العودة؟ لماذا اختار "غدير خم" تحديداً؟)

يقدم سماحته تحليلاً قائماً على فكرة (الجغرافيا السياسية للمواصلات في

الجزيرة العربية). غدير خم هو نقطة الجحفة، وهي الموضع الذي تتشعب منه طرق الحجاج؛ فمنه يتفرق أهل المدينة، وأهل الشام، وأهل مصر، وأهل العراق، وأهل اليمن.

يوضح سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي أبعاد هذا الاختيار اللوجستي:-

١. (الانتشار السريع والواسع للنبأ) لو أعلن النبي(ص) الأمر في مكة، لربما انشغل الناس بمناسكهم ولتداخل النبأ مع بقية أحكام الحج. أما إعلانه في مفترق الطرق، فهو يضمن أن تحمل كل فدية وكل جماعة هذا البلاغ الصادم والواضح إلى إقليمها الجغرافي فوراً قبل أن يتشتتوا.

٢. (صناعة الحدث الصادم والملفت) توقيف الآلاف في بقعة لا ماء فيها ولا كلأ، والأمر برد المتقدم وانتظار المتأخر، وصناعة منبر من أحداج الإبل، كل هذه الصدمات البصرية واللوجستية كانت تهدف إلى حفر الحادثة في الذاكرة الجمعية للأمة، بحيث لا يمكن نسيانها أو ادعاء عدم الانتباه لها.

ويعلق سماحته على هذا التدبير النبوي بقوله "لم يكن اختيار غدير خم صدفة جغرافية، بل كان تدبيراً إلهياً ونبوياً فائق الدقة، لضمان أعلى مستويات الإشهار والإعلام العقائدي، وتحميل كافة الوفود الإسلامية مسؤولية التبليغ لأقاليمهم قبل أن ينقطع حبل التواصل بينهم برحيلهم إلى بلدانهم الشاسعة."

المحور التاسع: - فلسفة آيتي ("التبليغ" و"الإكمال" والربط العقدي):

يتناول سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي بالبحث والتحليل الآيتين القرآنيتين اللتين شكلتا الإطار الدستوري ليوم الغدير: قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ

ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)، وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً).

يفكك سماحته (حول فصول فلسفة التشريع) لغة التهديد والاشتراط في آية التبليغ. يسأل(كيف توازن كفة "ولاية علي" كفة رسالة الإسلام طوال ٢٣ عاماً، بحيث إن عدم التبليغ بالولاية يعادل عدم تبليغ الرسالة بأسرها؟).

يجيب سماحته بأن الرسالة الإسلامية بدون قيادة معصومة تحرسها وتطبقها وتدير أبعادها السياسية والاجتماعية، ستحول الإسلام إلى (نص نظري) مجرد متاح للتحريف والتمزيق والتأويل المصلحي على أيدي الملوك والسلاطين. وبالتالي، فإن بقاء الإسلام كنظام حياة حقيقي وفاعل مرهون بوجود القيادة، وبدونها يموت المشروع، فكأن النبي(صلى الله عليه وآله) لم يبلغ شيئاً إذا ترك رسالته دون حارس معصوم.

أما عن آية الإكمال، فيربط سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي بينها وبين ختام حركة النبوة "إن كمال الدين لم يكن بزيادة حكم شرعي كالصلاة أو الصوم، بل كان بتأسيس 'المؤسسة القيادية البديلة' التي تضمن استمرار جريان هذه الأحكام وتطبيقها عبر الزمن. الغدير هو إعلان دستوري بنقل الأمة من قيادة شخص النبي إلى قيادة خط الإمامة، وبهذا الاستقرار الدستوري يئس الذين كفروا من دينكم، لأنهم كانوا يراهنون على موت النبي لتفكيك دينه، فلما وجدوا البديل الكفوء المعين بالنص يئسوا وانكسرت شوكتهم."

المحور العاشر:- التداعيات التاريخية والمواجهة بعد الغدير:

ينتقل سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي إلى دراسة (عصر ما بعد الغدير) حيث يستعرض حركة الاحتجاج السلمي والشرعي التي قادها الإمام علي (عليه السلام)

والسيدة الزهراء (عليها السلام) لرفض واقع السقيفة وتذكير الأمة بعهد الغدير.

يحلل سماحته الأسباب النفسية والسياسية التي دفعت غالبية المجتمع إلى السكوت والمداهنة. يرى سماحته أن الأمة أصيبت بصدمة رحيل النبي(ص)، واستُغلت هذه الصدمة لتمرير شرعية جديدة قوامها (الواقعية السياسية)والمصالح القبلية على حساب (الشرعية الإلهية الغديرية).

ويحلل سماحته بتفصيل معمق النتائج الكارثية الطويلة الأمد التي ترتبت على إقصاء الغدير، ويرى أن الانحرافات التاريخية الكبرى التي منيت بها الأمة الإسلامية لاحقاً - كتحول الخلافة إلى ملك عضوض وكسروي مستبد على يد الأمويين والعباسيين، وظهور حركات الغلو والتكفير، وتمزق وحدة المسلمين - لم تكن إلا نتيجة طبيعية وحتمية لتنحية القيادة الربانية المعصومة واستبدالها بقيادات خاضعة للأهواء والمطامع السياسية.

ويصيغ سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي هذا الترابط السببي والتاريخي بقوله "إن كل قطرة دم سُفكت في تاريخ الإسلام، وكل انحراف عقائدي أو قمع سياسي واجهته الأمة، يعود في جذوره وأسبابه العميقة إلى ذلك اليوم الذي نُحّي فيه الغدير عن واجهة الحياة السياسية والإدارية للمسلمين، واستُبدل النص الإلهي بالاجتهادات البشرية القاصرة والمحكومة بالمصالح الحزبية والقبلية."

المحور الحادي عشر: ـ أطروحة الغدير المعاصرة - القيادة الرشيدة وبناء الوعي:

يبلغ سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي ذروة أطروحته الحركية؛ إذ

يرفض بقوة بقاء الغدير أسيراً للماضي أو مجرد جرح تاريخي نكفأ عليه. يطرح سماحته "فلسفة الغدير في عصر الغيبة الكبرى".

يؤكد سماحته أن حاجة الأمة إلى القيادة والتوجيه لم تنتهِ بغيبة الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، بل إن إرادة الغدير تفرض على الأمة أن تبحث عن (القيادة الرشيدة والمرجعية الواعية) التي تتوافر فيها شروط النيابة العامة عن المعصوم.

ويفصل سماحته في هذه الفصول الأخيرة مواصفات القيادة الغديرية المعاصرة:-

١. (الوعي بالواقع ومواكبة العصر) لا يكفي الفقه التقليدي المنعزل، بل يجب أن تكون المرجعية عارفة بزمانها، قادرة على تفكيك المخططات السياسية والاقتصادية التي تحاك ضد الأمة.

٢. (النزاهة ومحاربة الفساد) القيادة الغديرية هي امتداد لزهد الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وعدالته؛ لذا يجب أن تكون المرجعية خطاً أول في محاربة الفساد المالي والإداري والسياسي، وحماية حقوق الطبقات المستضعفة والمحرومة.

٣. (صناعة الوعي الجماهيري) يرى أن السبب الأساسي لفشل تطبيق الغدير تاريخياً هو غياب الوعي والتربية لدى الجماهير؛ لذا فإن الواجب الأول للمرجعية والمثقفين اليوم هو بناء الوعي العقدي والسياسي والاجتماعي لدى الناس، لكي يكونوا قاعدة واعية قادرة على نصرة القيادة الحقة وتأصيل قيم العدل.

ويختتم سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي بصرخة حركية وتكليفية تلخص جوهر "إن إحياء الغدير الحقيقي ليس برفع الشعارات والاحتفالات الجافة، بل هو بإقامة دولة العدل الإلهي في سلوكنا اليومي، وفي مؤسساتنا، وفي رفضنا لكل

أشكال الظلم والتخلف والفساد. الغدير أمانة في عنق كل فرد مسلم لكي يحول قيم الامام علي بن أبي طالب عليه السلام في الإدارة والحكم والعدالة الاجتماعية إلى واقع معاش، تمهيداً لليوم الموعود الذي تشرق فيه الأرض بنور ربها بظهور القيادة الغديرية الخاتمة المتمثلة بالإمام الحجة بن الحسن (أرواحنا لتراب مقدمه الفداه)."

من خلال هذه القراءة المتكاملة لكتاب (من وحي الغدير) للمرجع الديني سماحة الشيخ محمد اليعقوبي، يتضح لنا أن الكتاب عبارة عن مشروع فكري متكامل ومترابط الحلقات:ـ

أ- يبدأ بتأسيس عقلي وفلسفي لضرورة القيادة في حياة البشر. ينتقل إلى استقراء تاريخي وإداري لسيرة النبي يثبت حتمية التخطيط للمستقبل.

ب- يغوص في التفكيك الدلالي واللوجستي والجغرافي لواقعة الغدير ومصالحها الاستراتيجية.

ت- يحلل سوسيولوجية المجتمع وسيكولوجية الصراع السياسي الذي أدى للانحراف وتغييب النص وتداعياته الكارثية عبر التاريخ.

ث- يختم برؤية حركية تجديدية تربط الغدير بالمرجعية الرشيدة المعاصرة وبناء وعي الجماهير ومحاربة الفساد، ليكون الغدير بوصلة دائمة للبناء الفكري والاجتماعي والسياسي للأمة.

ختاما: يمكننا تلخيص القراءة المعمقة لكتاب "من وحي الغدير" في نقاط جوهرية تمثل هيكل الأطروحة الفكرية للشيخ المرجع محمد اليعقوبي:ـ

١. (الكونية والضرورة) الإمامة أصل عقلاني واجتماعي كوني يرتبط بحفظ النظام العام وصيانة الكرامة الإنسانية، وليست مجرد ترف فكري أو حكم تعبدي

غامض.

٢. (العبقرية الرسالية) سيرة النبي الإدارية والقيادية واللوجستية تنفي قاطعاً فرضية إهماله لمستقبل الأمة، وتؤكد أن واقعة الغدير هي التتويج الطبيعي لمشروع التخطيط النبوي.

٣. (البنية المقاصدية) النص على إمامة أمير المؤمنين (ع) جاء لتحقيق أربع مصالح عليا حفظ الرسالة، قطع دابر النفعيين، صيانة الوحدة، ومنح الطمأنينة للمشروع الرسالي.

٤. (شجاعة التفكيك) الأزمات التي لحقت بوفاة النبي(ص) (رزية يوم الخميس وجيش أسامة) كانت نتاج صراع إرادات منظم بين التشريع الإلهي والتيارات الطامحة للسلطة.

٥. (الوعي الاجتماعي) الانحراف عن الغدير يجد تفسيره العلمي في التشريح السوسيولوجي لمجتمع المدينة، الذي طغت عليه الكثرة العددية غير المربأة إيمانياً (الأعراب ومسلمة الفتح) على حساب القلة الواعية.

٦. (الحركية والمعاصرة) الغدير مشروع حي ومستمر، ويتجسد في عصرنا الحاضر عبر الالتفاف حول المرجعية الدينية الرشيدة التي تمثل الامتداد الشرعي لخط المعصومين، ومن خلال تمثل قيم الغدير أخلاقياً وحركياً وميدانياً.

يظل كتاب (من وحي الغدير) محاولة رائدة وناجحة لضخ دماء جديدة في عروق الأبحاث العقائدية والتاريخية، ناقلاً إياها من زوايا المأثور المغلق إلى رحاب الفكر الإنساني الحركي المنفتح على قضايا الأمة وهمومها المعاصرة.

المطلب الثاني: التحشيد المليوني ليوم الغدير:

قراءة في حث المرجع الديني الولي الشيخ محمد اليعقوبي لزيارة الغدير عام ٢٠١٩م (١٤٤٠ه) (نحو استراتيجية التحشيد المليوني في يوم الغدير الأغر).

يمثل الحث الصادر عن المرجع الديني الولي الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في عام ٢٠١٩ (١٤٤٠ هـ) تحولا نوعيا في التعاطي مع المناسبات الدينية، والانتقال بها من إطار الطقوس العبادية الفردية والمحلية إلى فضاء الحركة الاستراتيجية وصناعة الوعي الجمعي العالمي. إن القراءة الفاحصة لهذا الحث تكشف عن رؤية تجديدية لا تتوقف عند حدود التذكير بالفضائل المستحبة، بل تسعى إلى إعادة بناء الهوية الرسالية للأمة من خلال إحياء (يوم الولاية).

في هذا المنشور، سأحاول تفكيك المضمون الفكري، والسياسي، والاجتماعي، والفقهي لكلام المرجع الولي اليعقوبي، مستند إلى الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تؤصل لهذه الرؤية الاستراتيجية.

أولا–التأسيس العقدي والقرآني لعيد الغدير (يوم إكمال الدين)

ينطلق المرجع الولي اليعقوبي في خطابه من نقطة الارتكاز المركزية في الوعي الإسلامي، وهي الرؤية القرآنية ليوم الغدير بوصفه محورا لاكتمال الرسالة الخاتمة. ويستشهد البيان بالآية المباركة(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينا)

إن التحليل المعرفي لهذه الآية في سياق كلام المرجع يوضح أن (الإسلام) بدون ركيزة الإمامة والامتداد الرسالي المتمثل في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) والأئمة المعصومين من بعده، كان سيبقى عرضة للضياع والانحراف بعد

رحيل النبي (صلى الله عليه وآله).

التكامل بين النبوة والإمامة

يرى المرجع الولي اليعقوبي أن اكتمال الدين وتمام النعمة لم يكن مجرد حدث تاريخي عابر، بل هو تشريع إلهي جذري حدد مسار الأمة. فالنبوة تؤسس للتشريع، والإمامة تضمن سلامة التطبيق وحفظ النص من التحريف. وتتأكد هذه الحقيقة بآية التبليغ التي سبقت إعلان الغدير(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس)

ومن هنا، يصف المرجع الولي اليعقوبي عيد الغدير بأنه (أعظم أعياد الإسلام)، مستندا إلى المأثور عن أهل البيت (عليهم السلام). فقد روي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عندما سئل(هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر؟ قال نعم، أعظمها حرمة، قال الراوي: وأي عيد هو؟ قال اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام علما للناس، فقال من كنت مولاه فعلي مولاه)

ثانيا –أبعاد حديث الإمام الرضا (عليه السلام) وسوسيولوجيا الحشود

في قراءة النص الروائي الذي اعتمده المرجع الولي اليعقوبي كمرجعية شرعية لخطابه، نجد حديث الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) لأحد أصحابه المقربين (ابن أبي نصر البزنطي) (يا ابن أبي نصر أينما كنت فأحضر يوم الغدير عند أمير المؤمنين (عليه السلام) فإن الله يغفر لكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة ذنوب ستين سنة ويعتق من النار ضعف ما أعتق في شهر رمضان وليلة القدر وليلة الفطر والدرهم فيه بألف درهم لإخوانك العارفين)

يتضمن هذا النص أبعادا تفكيكية مهمة ركز عليها المرجع الولي في قراءته التحليلية:-

١. عالمية الخطاب وإلغاء الحدود الجغرافية

عبارة (أينما كنت) تعني بوضوح إطلاق الخطاب وتجاوزه للحدود المكانية. إنها دعوة موجهة إلى كل فرد في الأمة الإسلامية عبر العالم. ويلفت المرجع الانتباه إلى أن هذا الإطلاق لا يستثني أحدا إلا من عجز لعذر قاهر، وفي هذه الحالة ينتقل التكليف إلى(الزيارة من بعد)، مما يعني إشراك الأمة جمعاء في لحظة الوعي الغديري.

٢. البعد التحفيزي الأخروي والمادي

يركز الحديث على مضاعفة الثواب بشكل غير مسبوق في الروايات الأخرى:- غفران ذنوب ستين سنة. وعتق من النار يعادل ضعف ما يعتق في محطات الغفران الكبرى (رمضان، ليلة القدر، ليلة الفطر). ومضاعفة قيمة التكافل الاجتماعي (الدرهم بألف درهم). هذا التحفيز الهائل يستهدف تحريك السلوك الجمعي للمؤمنين نحو التضحية بالوقت والجهد والمال لإنشاء الحشد المليوني.

ثالثا-صراع السرديات(موازنة تحليلية بين زيارة الأربعين والتحشيد الغديري)

يقدم المرجع الولي اليعقوبي في حثه رؤية نقدية وفكرية عميقة جدا عند مقارنته بين (زيارة الأربعين وزيارة الغدير). هذه المقارنة تكشف عن فهم دقيق لآليات عمل الإعلام المعادي وكيفية إجهاض الثمرات السياسية والفكرية للحركات المليونية الدينية.

٣- وجه المقارنة بين زيارة الأربعين وزيارة الغدير:

أ- في زيارة الأربعين طبيعة الحدث الجمعي(حشد مليوني عالمي منقطع النظير)، في حين أن زيارة الغدير دعوة لتأسيس حشد مليوني مماثل ومكمل.

ب- في زيارة الأربعين يكون تركيز الإعلام المعادي على تحويل الفعالية إلى مجرد طقس بكاء وحزن وعاطفة مجردة. بينما في زيارة الغدير يصعب تحجيمه لأنه يطرح مسألة القيادة والشرعية والخلافة.

ت- الأربعين الهدف السياسي العقدي هو التبرؤ من الظالم التاريخي (يزيد) كحالة فردية. أما في يوم الغدير إثبات إمامة وولاية الامام علي (عليه السلام) كمنهج حكم وإدارة للأمة.

ث- ان الثمرة الإستراتيجية في زيارة الأربعين لم تقطف الأمة ثمراتها الكاملة بسبب حصرها في العاطفة. في حين ان يوم الغدير يتم إعادة صياغة الوعي السياسي للأمة وتصحيح مسار التاريخ.

٤- تفكيك إجهاض السردية الحسينية:

يوضح المرجع الولي اليعقوبي أن حضور الملايين في زيارة الأربعين أثار تساؤلات الملل والأديان الأخرى حول سر هذه التضحية، لكن الآلة الإعلامية المضادة نجحت جزئيا في تسطيح القضية عبر تصويرها كحالة (عزاء تاريخي) على مقتل سبط النبي الاكرم(صلى الله عليه وآله)، مما سهل حصر الجريمة في شخص يزيد بن معاوية لعنة الله عليه وتبرئة الفكر الإقصائي الذي أنتج الملعون يزيد.

٥-الغدير كبديل استراتيجي للمواجهة الإعلامية:

هنا تكمن عبقرية الفكرة الفكرية للمرجع الولي اليعقوبي في التحشيد ليوم الغدير لا يمكن تسييله أو تحويله إلى مجرد طقس حزين. إن الغدير بطبيعته يطرح أسئلة السياسة، والشرعية، والعدالة الاجتماعية، وإدارة الأمة. الحشد المليوني في النجف يوم الغدير يجبر العالم على مواجهة الحقيقة الفكرية الكبرى،هل ترك النبي أمته بلا راع؟ أم أنه وضع خارطة طريق دقيقة لمستقبل الأمة؟

رابعا-البعد العقلاني والحجاجي في فكر المرجع الولي اليعقوبي:

لا يكتفي المرجع الولي اليعقوبي بالدليل النقلي (القرآن والحديث)، بل يطرح حجة عقلية متماسكة توافق سيرة العقلاء ومبادئ الحكمة السياسية والاجتماعية.

لكان في ذلك نصرة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وردا على من يقول بأنه مات ولم يترك خليفة من بعده وهو منطق يخالف الحكمة وسيرة العقلاء

نقض نظرية (الوفاة دون استخلاف):

من الناحية العقلية، فإن أي قائد أو مصلح إنساني، ناهيك عن كونه نبي يوحى إليه ويمتلك مشروعا عالميا للبشرية، لا يمكن أن يغادر ساحة العمل دون تعيين قيادة بديلة تضمن استمرار المشروع. ترك الأمة دون مرجعية واضحة ومحددة بالاسم يعني فتح الباب أمام الفتن، والصراعات، والانقسامات، وهو ما يتنافى مطلقا مع الحكمة الإلهية والحرص النبوي الشديد على الأمة والمذكور في القرآن ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

لذا، فإن التحشيد المليوني في الغدير هو رسالة عقلية للعالم بأن الأمة تعي حكمة نبيها وتلتزم بالبديل الشرعي والعقلي الذي نصبه في غدير خم.

خامسا –الأبعاد الغيبية والمهدوية للتحشيد الغديري

يربط المرجع اليعقوبي بين إحياء يوم الغدير وقضية الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف). هذا الربط ليس عاطفيا، بل هو ربط عضوي بين البداية والنهاية، بين التأسيس والتحقيق.

١.إنصاف أمير المؤمنين ،رفع الظلامة التاريخية المتمثلة في إقصاء الحق الشرعي المبرهن بالدليل.

٢.التمهيد للظهور الميمون، إن دولة الإمام المهدي العالمية هي التطبيق الفعلي الكامل لعهد الغدير. الأمة التي تعجز عن الاحتشاد والالتفاف حول راية الغدير، ستكون عاجزة عن الالتفاف حول راية القائم من آل محمد.

٣.الحضور المعنوي للإمام، يؤكد المرجع الولي اليعقوبي أن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) سيكون على رأس المرحبين بالزوار والداعين لهم. هذا التصور يمنح الزائر شعورا بالمعاصرة والارتباط الحي بإمام زمانه.

سادسا –التكافل الاجتماعي والمرونة الفقهية الحركية:

يمتاز فكر المرجع الولي اليعقوبي بالعملية؛ فهو لا ينظر للشعائر من برج عاجي، بل يضع الحلول اللوجستية والفقهية لتسهيل حركة الجماهير.

١. الدعم اللوجستي والمادي

وجه المرجع الولي دعوة صريحة للميسورين وأصحاب المواكب (ندعو كل

الميسورين وأصحاب المواكب لتوفير الطعام وسائر مستلزمات الخدمة والدعم اللوجستي والنقل للزوار الكرام).هذا التوجيه يهدف إلى تحويل القيمة العبادية لـ (مضاعفة ثواب الدرهم بألف) إلى حركة اقتصادية تكافلية على الأرض، ترفع العبء المالي عن كاهل الزوار ذوي الدخل المحدود وتسهل عملية النقل الجماعي.

٢. الفقه الحركي وتذليل العقبات (مسألة الصوم)

أحد أهم تجليات العبقرية الفقهية في هذا البيان هو معالجة المعضلة التي قد تواجه المؤمن المبادر إلى المفاضلة بين ثواب صيام يوم الغدير (وهو مستحب مؤكد) وبين ثواب السفر للزيارة (حيث السفر يسقط الصوم عادة).

فقد قدم المرجع الولي موازنة فقهية دقيقة قائمة على أمرين:-

أ- تفوق أجر الزيارة والحشد المليوني لما فيه من نصرة للمذهب وإعلاء لكلمة الحق، وهي مصالح عامة تقدم على المصلحة العبادية الفردية.

ب- تقديم رخصة فقهية مرنة تعتمد على امتداد وقت النية في الصوم المستحب. فالمسافر يستطيع الإمساك عن المفطرات طوال رحلته، فإذا عاد إلى موطنه أو مكان إقامته ولو قبل الغروب بلحظات، أمكنه تجديد نية الصوم ليحسب له صيام اليوم كاملا ويجمع بين فضيلتي الزيارة والصوم. هذا النمط من الفتاوى يسمى (الفقه الحركي) أو (فقه التسهيل)الذي يهدف إلى تذليل العقبات أمام تحقيق الأهداف الاستراتيجية الكبرى للأمة.

خارطة الطريق للمستقبل:

إن حث المرجع الولي اليعقوبي لعام ٢٠١٩ ليس مجرد منشور تاريخي، بل هو

خارطة طريق مستمرة تهدف إلى:-

١.تحويل(الغدير إلى حدث عالمي) يتجاوز النطاق المحلي لمدينة النجف الأشرف ليصبح محط أنظار الإنسانية.

٢.(تطوير أدوات الصراع الإعلامي) عبر تقديم سردية الغدير الفكرية والسياسية لمواجهة محاولات تسطيح القضية الشيعية وحصرها في مظلومية البكاء فقط.

٣.(تفعيل الطاقات الشعبية والمادية) (المواكب والميسورين) لبناء بنية تحتية قادرة على استيعاب الحشود المليونية الغديرية.

٤.(ربط الوعي الجماهيري بالمرجعية الدينية الحية) وبالإمام المنتظر (عجل الله فرجه) كقادة للمشروع الرسالي الإنساني.

إن الاستجابة الواعية لهذا النداء المرجعي تسهم بشكل مباشر في رفع الظلامة التاريخية، وتصحيح المسارات الفكرية، وتهيئة الأمة جيل بعد جيل لتحقيق الوعد الإلهي بسيادة العدل والحق في الأرض.

و الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة واتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين ابي القاسم محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعداءهم إلى قيام يوم الدين.

أصالة الماهية
دراسة تحليلية نقدية على ضوء آراء السيد الداماد

بقلم: محمد الخالدي

المقدمة

تعتبر الحكمة اليمانية التي أسسها المحقق الميرمحمد باقر الداماد ٩٦٠-١٠٤١هـق[١]، من المدراس الفلسفية العميقة والدقيقة في التحليل والمنهج البرهاني، فهي مع تأثرها الشديد بالمدارس الاخرى السابقة عليها كمدرسة المشاء والاشراق والتصوف[٢] حاولت ان تنحى منحى جديد في تحليلاتها الفلسفية، وقد حاول مؤسسها الابداع في المباحث الفلسفية،خصوصاً في طريقته التحليلية العميقة لاصول التفكير العقلي في مباحث الحمل واعتباراته،كما حاول التأسيس لكثير من المباحث الفلسفية كالحدوث الدهري للعالم وغيرها[٣]، ومن اهم المسائل التي عالجها السيد الداماد في مدرسته اليمانية هو القول بإصالة الماهية،فهذا المبنى مع انه قديم الرواج قبله، منسوب إلى شيخ الإشراق والمحقق الدواني وصدر الدين الدشتكي،بل نسبه البعض إلى عامة الحكماء قبل صدر المتألهين، إلا أن طريقة السيد الداماد- كما سنحاول التركيز عليها مع عدم إهمال كلمات وبيانات الأخرين لها- اتم واكمل في بيان هذا المبنى الأساس في المقام والبرهنة عليه وسنحاول العرض له بصورة تفصيلية، لبيان مبانيه والبراهين التي إقيمت لإثباته، مع بيان النقد والتحليل اللازم لماذكر في تقريره على طبق مباني السيد الداماد قدس سره، وسنجعل البحث في فصول ومحاور:

المبحث الاول: في تاريخ المسألة

من الأمور المهمة جداً في أي مسألة -والتي تعتبر من المحددات الموضوعية لها- هو معرفة تأريخها؛ ذلك لما له من التأثير البالغ في فهم السير التكاملي للمسألة، وكذلك التأثير الكبير في تحرير المعاني المتنازع فيها، بل الفلسفات الغربية المعاصرة تعطي لتاريخية المباحث الدور الرئيس في بلورتها وتطورها، وذلك بسبب ما يعتقدونه من ان الأساس لعملية الفهم هو المسبوقات المعرفية التي تبنى على أساسها المعرفة، ونحن وإن كنا لا نوافق على ماذكروه، ولكننا نعتقد بإهمية البعد التأريخي ومدى تأثيره في فهم مرادات القوم وبيان مباحثهم؛ فإن الباحث إذا لم يستطع ان يعيش ضمن الجو العلمي الذي كان يعيشه اولئك الأعلام، ويحيط علما بشكل كامل بتصوراتهم عن المسألة التي يبحثونها، فلن يستطيع الوصول إلى مغزى كلامهم ولن يملك القدرة على نقد آراءهم تصويباً لها وتخطئةً لبعضها.

وهذا الأمر -مع الأسف- من الأمور التي غفل عنه المصنّفون عادة في الكتب الفلسفية مما ادى إلى الوقوع -احيانا- في النزاعات اللفظية الناشئة من حمل كلمات الأوائل على معنى لا يريدونه.

وفي مسألتنا يوجد في بيان تأريخها رأيان أساسيان:

الرأي الأول

من يعتقد ان المسألة من المسائل التي طرحت عند المحدثين من الحكماء، كشيخ الإشراق والمحقق الدواني وصدر الدين الدشتكي والمحقق الداماد وصدر المتألهين الشيرازي، ولم تكن مطروحة سابقا عند المتأخرين، ـ أمثال الشيخ الرئيس والفارابي ـ والقدماء من الحكماء اليونانيين، و«لذا لا تجد في كتب الشيخ قدس سره وأمثاله

أثراً منها أبداً، ولو أنها طرحت في كلماتهم فلا شك بأن الحكماء الراسخين سيذهبون إلى أصالة الوجود فيها دون الماهية، ولكن لما كان ذهن الإنسان من شأنه التغافل عنها امكن ان نجد في عبارات القدماء ما يوهم القول بأصالة الماهية – كالبحث عن وجود الكلي الطبيعي في الخارج والبحث عن المقولات - ولهذا نُسب إلى الشيخ والقدماء قولهم بأصالة الماهية والحق ان هذه النسبة إلى الشيخ باطلة ولا يمكن القبول بها وانما منشأها عدم التعرض للمسألة عند الشيخ صريحا»[٤]، بل لما كان موضوع أصالة الوجود لم يكن مطروحاً من قبل ولم يكن مفهومه بيِّنا بشكل تام بما يميزه عن الموجود والواقعية الأعم منه ومن الماهيّة، لا يمكن بسهولة القطع بأن القول بأصالة الوجود من خصائص المشَّائين وان القول بأصالة الماهية من مختصات الاشراقيين كما فعل المحقق الملا هادي السبزواري في شرحه على منظومته[٥].

ولكن أعترض بعضهم على هذا القول بإنه مجافٍ للحق والحقيقة إذ كيف يدعى عدم كون المسألة مطروحة أو ملتفت إليها مع تصريحهم-كما سياتي- بإن الماهية هي ذات الشيء وحقيقته، كما انهم كانوا يطلقون الوجود بمعنى الماهية في الإعيان، مما يشهد على اعتقادهم بإصالتها دون الوجود،كما ان المتتبع لجميع موضوعات العلوم والإحكام يرى بسهولة أن موضوعها الماهية دون الوجود، وكيف يدعى عدم تعرضهم لها مع انه يلزمهم ان تكون موضوعات أحكامهم مبهمة عندهم غير مبينة، او أن تكون موضوعات العلوم هي الماهيات الذهنية الشبحية دون الحقائق العينية الخارجية!. ومما يكذب هذا الكلام أيضا تصريح صدر المتألهين قدس سره - مع تصلّبه في أصالة الوجود- بانه " كان شديد الذب عنهم في اعتبارية الوجود، وتأصّل الماهيات"[٦]،إذ هذا التصريح يكشف بوضوح عن ارتكازية القول باصالة الماهية

ووضوحه في ذهن الحكماء السابقين[٧].

ولكن هذا الإعتراض لايمكن القبول به، فإن تصريحهم بكون الماهية حقيقة الشي وذاته، إنما هو من جهة أن ماهية الشيء تمثل جهة الإمتياز الذاتي للإشياء المشتركة في الموجودية خارجاً، وهذا لادخل له بإصالتها، وإنما هو إصطلاح دارج بينهم في إطلاق الحقيقة والذات على الماهية في الإعيان، ودعوى تفسيرهم الوجود بمعنى الماهية في الإعيان لم نتحققه من عباراتهم بل الموجود فيها-كماسياتي تحقيقه- هو ان الوجود كونها وتحققه لاكون وتحقق شيء لها، وهذا إنما ينسجم مع الأصالتين لإن فيه إشارة إلى الوجود العام المفهومي، وانه ليس إلا التحقق العيني للماهيات، وليس فيه بيان لكون المتأصل هل هو الوجود الخاص أم الماهيات، إذ النزاع بين المتنازعين إنما هو في إنسانية الإنسان ووجوده الخاص لا في الوجود العام المفهومي والمعقول الثاني الفلسفي، وأما ذكره الفارابي في كتابه الحدود والرسوم من أن " الوجود هو الماهية أو جزء الماهية"[٨]، فيمكن حمله على البيان المصداقي وليس بيان معنى الماهية ومفهومها كما ان تحديد موضوعات العلوم غير مرتبط بالتمييز بين الماهية ووجودها، لإن القائلين بإصالة الوجود لاينكرون وجود الكلي الطبيعي في الخارج، وهو المصحح لتعيين موضوعات العلوم دون الإلتفات إلا ان الموجود في الإعيان بحسب الدقة البرهانية، بل البصيرة العرفانية هو وجود الطبيعة او ماهيتها،ولايلزم من القول بإعتبارية الماهية كون موضوعات الأحكام هو الماهية الذهنية الشبحية، إذ ستبقى الماهية حيثية واقعية لها نسبة الى الوجود الخارجي للطبيعي، سواء كانت نسبة الحد إلى المحدود أو الشأن لذي الِشأن أو كالمادة مع صورتها.

نعم قد يتوهم ان الذهاب إلى أصالة الماهية يوجب كونها شبحاً وخيالاً مما يجعل موضوعات العلوم امراً ذهنياً، ولكن هذا الوهم غير مقبول؛ إذ بعد الإعتراف بإصالة الوجود- لوتمت أصالته- سيكون الموضوع الحقيقي للعلوم هو الوجود المحدود أو المتعين أو نفس تعينات الوجود وأطواره، **ودعوى** ان الوجود "لايمكن إدراكه إلا بالمشاهدة والعيان لا بالحد والبرهان كما يصرح القائلون بإصالته"[٩]، فلايمكن جعل الوجود مطلقاً موضوعاً للعلوم **ممنوعة**؛ إذ بعد القول باصالته واعتباريتها، ستصبح الماهية شبح ذهني لواقعيته وتكون خيالاً حاكياً عن تعيِّنه، وإشارةً ذهنيّةً لتطوّره، وحيث أن موضوعات العلوم هي أطواره وشؤونه، فتكون قابلة للإدراك من خلال إدراك الماهيات، غاية الأمر، توجد مرتبة أعمق لادراك شؤونه هي مشاهدتها العيانية.

واما الدعوى بإن نفس صدر المتالهين يعترف بارتكازية المسألة لدى السابقين فمن المحتمل قوياً أن يكون ناظراً إلى حوزة شيراز وإصفهان التي شاع فيها البحث في أصالة الماهية واشتهر قبل صدر المتالهين على نحو صارت المسألة واضحة في إذهانهم، وليس نظره إلى السابقين من حكماء اليونان او الإسلام كارسطو وافلاطون والمعلم الثاني والشيخ الرئيس، بل كيف يدعى القول بإصالة الماهية عند المشاء من حكماء اليونان، وهم لم يؤثر عنهم التفكيك بين الوجود والماهية أصلا ولا الدخلو في الفلسفية الألهية من مدخل الإمكان والوجوب بل الموروث عنهم البحث عن المادة والصورة ولوازمهما من القوة والفعل،حتى ان المعلم الأول أرسطو قد أثبت المبدا الاول للعالم عن طريق برهان الحركة الطبيعية والمحرك الإول الذي لايتحرك، ولذا ذكر ابن رشد ان ثبوت المبدأ الأول للعالم إنما يكون في الطبيعيات لاغير[١٠].

الرأي الثاني

من يعتقد ان هذه المسألة وان لم تُعنُّون في كتب القدماء والمتأخرين ولكنها يجب ان تكون موضع التفاتهم وبناءهم لأنها هي المحدد لموضوع البحث الفلسفي، وأنه الماهية أو الوجود والمؤثر الكبير في المباني التي سيبنون عليها، وقد انقسم أصحاب هذا الرأي على قسمين:

القسم الأول: من يعتقد ان المتأخرين والقدماء من المشائيين قائلون بأصالة الوجود[١١] وخالفهم في ذلك الشيخ الاشراقي شهاب الدين السهروردي المقتول[١٢]، ويمكن ذكر بعض الشواهد لهذا القول:

١. ما ينقله صدر المتألهين في الاسفار[١٣]، وكذا العلامة الطباطبائي في النهاية[١٤]، من عبارة بهمنيار في التحصيل بأنه قال: "وبالجملة فالوجود حقيقته انه في الأعيان لا غير، وكيف لا يكون في الأعيان ماهذه حقيقته".

٢. ما ينقله صدر المتألهين عن تعليقات الشيخ الرئيس انه: إذا سئل هل الوجود موجود أو ليس موجود؟ فالجواب إنه موجود بمعنى أن الوجود حقيقته أنه موجود، فإن الوجود هو الموجودية"[١٥].

ولكن لم نجد العبارتين السابقتين المنقولتين في التحصيل والتعليقات وانما ورد في التحصيل ما يدل على ان الوجود ليس شيئاً وراء الموجودية بالمعنى المصدري لأنه كون الماهية في الأعيان ليس إلا فلامعنى لنسبة أصالة الوجود إلى الشيخ الرئيس على أساس هذه العبائر، بل يمكن توجيهها بأن الأولى بيان للوجود الواجبي، فإنه هو الذي حقيقته انه في الأعيان، إذ لا ماهية له وتوجيه العبارة الثانية على عكس مافهمه الملا صدرا من أصالة الوجود بل المراد أن الوجود لاحقيقة له

وراء موجودية الأشياء بالمعنى المصدري ولنا على ذلك شواهد:

١. ما ذكر في التحصيل من أن الوجود ليس هو ما يكون به الشيء في الأعيان بل كون الشيء في الأعيان أو صيرورته في الأعيان، ولو كان الشيء يكون في الأعيان بكونه في الأعيان لتسلسل إلى غير النهاية، فما كان يصحّ كون الشيء في الأعيان، فاذن الوجود الّذي هو الكون في الأعيان هو الموجوديّة»[١٦].

٢. ماذكره الميرداماد قدس سره تحت عنوان دقيقة استشراقية تحقيقية "لكنّ الوجود هو الموجوديّة المصدريّة. وليس هناك شيء يؤخذ منه ذلك المفهوم وراء نفس الذّات الواقعة، كالإنسانيّة والفلكيّة. وكذلك العدم ليسيّة الذّات وبطلانها"[١٧].

٣. ماذكره الميرداماد قدس سره أيضا من انه "قد استبان أنّ نسبة الوجود إلى الماهيّة المتقرّرة على شاكلة نسبة المعانى المصدريّة المأخوذة من الماهيّات أنفسها، إليها كالإنسانيّة والحيوانيّة والجسميّة المنتزعة من الإنسان والحيوان والجسم"[١٨]، فكون الوجود نسبته إلى الماهية كنسبة المعاني المصدرية إلمأخوذة منها إنما يدل على ان الوجود ليس له في الواقع ونفس الأمر إلا المعنى المصدري لاغير.

٤. ما في تجريد الاعتقاد: "وليس الوجود معنى به تحصل الماهية في العين بل الحصول"[١٩]

القسم الثاني: من يعتقد بأصالة الماهية في الممكنات[٢٠]،أويعتقد بها وينسبها إلى القدماء والمتأخرين[٢١] . وذلك من خلال عدة دعاوى[٢٢]:

الدعوى الاولى: دلالة البحث عن الكلي الطبيعي والمقولات على القول بإصالة الماهية، فإن الفلاسفة أتفقوا على وجود الكلي الطبيعي في الأعيان سواء وجودا مجرداً هو المثل الأفلاطونية أو وجود في ضمن أفراده كما يراه المشاءون من

زمن أرسطو إلى المشاء المتاخرين،ووجود الكلي الطبيعي في الأعيان أدل دليل على القول بأصالة الماهية.

وهذا الكلام اجبنا عنه سابقاً بإن البحث عن الكلي الطبيعي في الفلسفة كما يصح انعقاده على أصالة الماهية،كذلك يصح عقده على إصالة الوجود، ولهذا ترى الحكيم السبزواري ذهب إلى القول بإصالة الوجود مع إعتقاده بالبحث عن الكلي الطبيعي وأنه موجود في الخارج[٢٣].

الدعوى الثانية: جعلهم موضوع الفلسفة الموجود بما هو موجود دون الوجود يدل على قولهم بأصالة الماهية.

وهذا المدعي أغرب من الأول إذ لافرق بين المبنيّين في تقرير ماهو موضوع الفلسفة، لإن المراد من الموجود بماهو وجود هو البحث عن الموجود الواقعي دون ان يتعين ويتحصل بتحصل طبيعي او تعليمي وليس المراد من الموجود مايقابل الوجود، ولهذا نجد السيد الداماد قدس سره ذكر أن موضوع الفلسفة الاولى والعلم الأعلى هو " طبيعة الحقيقة المتقررة والموجود في نفس الأمر مطلقاً"، وان قوله " في نفس الأمر مطلقاً إنما إشارة إلى " أن خصوصيات انحاء الظروف ملغاة في طبيعة موضوع هذه الصناعة"[٢٤]،وهو شامل للماهية والوجود فإن اعتبارية احد الامرين لايعني عدم تقرره في وعاء الواقع ونفس الأمر في ذاته، كما ان الموجود يعني ماله الوجود سواء كان هو الوجود او ذات موصوفة او منسوبة الى الوجود، ولهذا فحسم مسالة أصالة الوجود او الماهية لايغير من الموضوع شيء، وإلا لو كان القول بإصالة الوجود يغير من موضوع الفلسفة الاولى للزم إخراج مباحث الماهية والجواهر والأعراض من البحث الفلسفي، كما أننا لو قلنا بأصالة الماهية للزم خروج معظم المباحث عن

الفلسفة لانها انما تعرض الوجود دون الماهية وخصوصاً البحث عن الأمور العامة.

الدعوى الثالثة: التعبير عن الماهية بإنها حقيقة الشيء وعن الوجود بإنها من المعقولات الثانية الفلسفية يدل على أصالة الماهية عندهم وإعتبارية الوجود، ويمكن ذكر مجموعة من الشواهد على هذه الدعوى:

١.ما قاله الشيخ الرئيس في الهيات الشفاء"، ونرجع فنقول: إنه من البين أن لكل شيء حقيقة خاصة هي ماهيته"[٢٥].

٢.ما ذكره بن رشد في تلخيص كتاب ما بعد الطبيعة: "و لو لم تكن كليات الشيء الذاتية هي الشيء المفرد بعينه لما كانت ماهية الشيء هى الشيء" [٢٦].

٣. ما قاله الشريف الجرجاني في شرح المواقف" فصرح ابن سينا في الشفاء أنه- أي الوجود- من المعقولات الثانية فليس في الأعيان عين هو وجود أو شيء انما الموجود» أو الشيء في الخارج «جواد أو انسان» أو غيرهما من الحقائق فهذه الماهيات موجودات عينية متأصلة في الوجود وأما الوجود والشيئية فلا تأصل لهما في الأعيان بل هما من المعقولات الثانية التي تعرض للمعقولات الأولى من حيث أنها في الذهن ولا يحاذى بها أمر في الخارج"[٢٧].

٤.ما الشيخ في الشفاء " أن حقيقة كل شيء الخاصة به غير الوجود الذي يرادف الاثبات".[٢٨]

ولكن هذه الشواهد لا تصلح للاستشهاد على أصالة الماهية عند القدماء والمتأخرين؛ وذلك لماذكرناه سابقا من أن المراد من كون الماهية حقيقة الشي هو بيان مابه يتميز الشيء ذاتياً عن غيره، وان الوجود الذي هو من المعقولات الثانية الفلسفية أنما هو المفهوم العام العرضي الذي يحمل على الوجود والماهية أيضا،

والذي يعني الموجودية بالمعنى المصدري.

الدعوى الرابعة: سبق الماهية على الوجود بالتقرر في نفس الأمر يدل على إصالة الماهية خصوصاً على تقرير السيد الداماد للإصالة كما سياتي بيانه، ولهذا الأمر عبارات كثيرة دالة عليه في عبارات السابقين على المحقق الداماد كقول الشيخ الرئيس في مدخل الشفاء من أن " كل واحدٍ من الوجودين لايثبت إلا بعد ثبوت تلك الماهية"[٢٩].

وهذه الدعوى أيضا يمكن دفعها فإن التقدم المقصود في عبارة الشيخ إنما هو تقدم المعروض على العارض بحسب التحليل والتصور، وهو لايعني تقدم الماهية على الوجود في نفس الأمر كما هو المدعى، ولو سلم التقدم في التقرر –كما سياتي في عبارة السيد الداماد– ولكن هذا لايعني أصالة الماهية في التأثير، إذ يمكن أن يقال أن الماهية متقدمة في تقررها على الوجود أي في وجودها العلمي في الحضرة العلمية ولكنها متأخرة على الوجود في الأعيان الخارجية، بل يمكن القول بتقدم الماهية على الوجود في نفس الأمر والواقع بمعنى ثبوت الشي في نفسه، ومع ذلك لايعني أنه هي منشأ الآثار، وذلك أن الذوات المستجنة في غيب الذات هي الأساس للعلم الإلهي، ومع ذلك ليست هي منشأ الآثار،إذ منشأية الآثار لاسماء الفواعل التي هي الأسماء وليست لاعيان القوابل التي هي الذوات أو الاعيان الثابتة، نعم تكون الماهيات منشأ لتكثر الآثار من جهة تحدد الوجود وعدم ظهوره بتمام آثاره.

الصحيح في المقام

فالصحيح في المقام أن البحث بصورة أرتكازية كان مؤثراً في بعض المباحث

الفلسفية، كإنكارهم للحركة الجوهرية واتحاد العاقل بمعقوله ووامتناع التشكيك في الطبيعة، لإن جميع هذه المباحث إنما تنسجم مع أصالة الماهية، بينما بناءهم على أرتسام الصور العلمية دون ان توجب الكثرة في العقل الأول، أو بناءهم على وقوع الحركة الاشتدادية في بعض المقولات العرضية كالكم والكيف، بل في طبيعة الوجود، يدل على إرتكازية أصالة الوجود عندهم، ولعل عدم استحضار المسألة ولوازمها بصورة تفصيلية هو الذي أدى إلى وقوعهم في التناقض المذكور.

المبحث الثاني: بيان مباديء المسألة

وهنا محوران للبحث:

المحور الاول: بيان المباديء التصورية للمسألة

ونقصد منها بيان معنى الوجود والماهية والأصالة والإعتبارية.

المبدأ الأول: معنى الوجود

ونبحث فيه عن أمور:

أولاً: معنى الوجود في العرف العام

لم يستعمل الوجود في الاستعمال العربي القديم إلا بمعنى الموجودية المصدرية والوجود من المعاني التي اخذت بمعنى المقابل للعدم أو بمعنى المعدوم والعرب تستعمل الوجود لبيان اصابة الشيء بعد فقدانه، قال الفراهيدي في العين «وجد: الوَجْد: من الحُزْن والمَوْجِدَة من الغَضَب. والوِجْدان والجِدَة من قولك: وَجَدْت الشيء، أي: أصبته»[٣٠].

قال الراغب في المفردات: «الوجود أضرب: وجود بإحدى الحواسّ الخمس. نحو: وَجَدْتُ زيدا، ووَجَدْتُ طعمه، ووجدت صوته، ووجدت خشونته. ووجود بقوّة الشّهوة نحو: وَجَدْتُ الشّبع. ووجود بقوّة الغضب كوجود الحزن والسّخط. ووجود بالعقل، أو بواسطة العقل كمعرفة اللّه تعالى، ومعرفة النّبوّة، وما ينسب إلى اللّه تعالى من الوجود فبمعنى العلم المجرّد، إذ كان اللّه منزّها عن الوصف بالجوارح والآلات. نحو: ﴿وما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وإِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ﴾[٣١]. وكذلك المعدوم يقال على هذه الأوجه. فأمّا وجود اللّه تعالى للأشياء فبوجه أعلى من كلّ هذا، ويعبّر عن التّمكّن من الشيء بالوجود. نحو: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾[٣٢]. أي: حيث رأيتموهم، وقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ﴾[٣٣]. أي: تمكّن منهما، وكانا يقتتلان، وقوله: ﴿وَجَدْتُ امْرَأَةً إلى قوله: يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾[٣٤]، فوجود بالبصر والبصيرة، فقد كان منه مشاهدة بالبصر، واعتبار لحالها بالبصيرة،لولا ذلك لم يكن له أن يحكم بقوله: ﴿وَجَدْتُها وقَوْمَها﴾، وقوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا ماءً﴾[٣٥]، فمعناه: فلم تقدروا على الماء. وقوله: ﴿مِنْ وُجْدِكُمْ﴾[٣٦]، أي: تمكّنكم وقدر غناكم، وقد يعبّر عن الغنى بالوجدان والجدة، وقد حكي فيه الوَجْد والوِجْد والوُجْد، ويعبّر عن الحزن والحبّ بالوَجْد، وعن الغضب بالمَوْجِدَة، وعن الضالّة بالوُجُود.

و قال بعضهم: «الموجودات ثلاثة أضرب: موجود لا مبدأ له ولا منتهى، وليس ذلك إلا الباري تعالى، وموجود له مبدأ ومنتهى كالنّاس في النّشأة الأولى، وكالجواهر الدّنيويّة، وموجود له مبدأ، وليس له منتهى، كالنّاس في النّشأة الآخرة»[٣٧]، وقال بن

سعيد الحميري «ت ٥٧٣هـ ق»، في كتابه تحت مادة الايجاد «[الإيجاد]: أوجد الشيءَ فوجده، وأوجد اللّه تعالى الخلقَ بعد العَدَم: أي كَوَّنه بعد إذ لم يكن، وأوجده اللّه تعالى بعد فقرٍ: أي أغناه»[٣٨].

وقال صاحب التحقيق في كلمات القران: «أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو إدراك شيء على حالة حادثة. ويذكر الفعل في جملة أفعال القلوب التي تنصب اسمين، وقريب منه لفظ الإلفاء، **فيلاحظ في الأصل قيدان: الإدراك، وحصول حالة حادثة**، ومن مصاديق الأصل: إدراك الحزن إذا استعمل باللام. وإدراك الغضب في نفسه إذا استعمل بحرف على الدالّ على الاستعلاء. والإصابة إذا كان القيدان ملحوظين، وهكذا مفهوم العلم والإحساس والتعقّل. وإذا لم يلاحظ القيدان فيكون تجوّزاً.

ثمّ إنّ مفهوم الأصل يقتضي وجود مفعولين، حتّى يدرك شيء على حالة مخصوصة. وقد يحذف المفعولان أو أحدهما عند وجود قرينة، «و حذف ما يعلم جائز» كما في قولنا- وجدت الضالّة، وجدت عليه، وجدت له وبه: فإن المعنى- أدركت الضالّة حاضرة، وأدركت نفسي غضوباً عليه وأدركت نفسي حزيناً له"،إلّا إذا أريد معنى مجازيّ لا يحتاج إلى وجود مفعولين، **والإيجاد**: جعل شيء واجدا ومدركا، فهو موجود بالنسبة إلى الموجد، أى موجد، وواجد بالنسبة إلى شيء يدركه، فالإيجاد في العرف بمعنى التكوين وجعل شيء موجوداً، كما أنّ الوجود في العرف وفي اصطلاح المتكلّمين: هو الكائن والمتكوّن.

فظهر أنّ المعنى الحقيقيّ لكلمة الوجود: هو الإدراك على حالة، وإطلاقه على مفهوم الكائن والكينونة المطلقة: تجوّز، وعلى هذا لم يستعمل لفظ الوجود في رابطة

الربّ المتعال، بل لم تستعمل هذه المادّة في القرآن المجيد إلا في المعنى الّذى ذكرناه، وهذا يدلّ على أنّ الأصل في المادّة هو الّذى قلناه، فإن الاستعمال في كلامه تعالى دليل الحقيقة»[٣٩].

ويمكن أن نستخلص من مجموع كلمات المحقق المصطفوي أمرين مهمين:

الأمر الأول: إن الوجود هو الإدراك على حالة معينة، وإذا استعمل في الكائن أو الكينونة أو كون الشيء فيكون على نحو المجاز.

الأمر الثاني: أن الوجود لم يستعمل عند العرب بمعنى التحقق أبداً إلا ما نقله أهل اللغة من علم الكلام ثم طغى المعنى الكلامي على المعنى اللغوي حتى صار هو المتبادر دون المعنى اللغوي الذي هو الوجدان للشيء وادراكه، وسيتضح ان صدر المتألهين استعمل الوجود بمعنى وجدان الشيء أيضاً.

ثانياً: معنى الوجود في العرف الخاص

أي عند المتنازعين في أصالة الوجود أو الماهية، ويمكن نقل عدة معان اساسية في المقام:

المعنى الأول: الوجود بمعنى الموجودية

أي كون الماهية وتحققها في الأعيان لا ما به تحقق الماهية في الاعيان، وهذا المعنى تارة يراد منه المعنى المصدري، أي الموجودية بلحاظ صدورها من الجاعل وتارة يراد منه الاسم المصدري، أي الموجودية بلحاظ الموجود القابل لها والحاصلة فيه.

ويظهر كلا الأمرين من كلمات جمع غفير

١.بهمنيار في التحصيل حيث قال: «فإن الموجود هو الوجود والمضاف هو الاضافة؛ وذلك لأن الوجود ليس هو ما يكون به الشيء في الأعيان بل كون الشيء في الأعيان أو صيرورته في الأعيان، ولو كان الشيء يكون في الأعيان بكونه في الأعيان لتسلسل إلى غير النهاية»[٤٠].

٢.الشيخ الرئيس في التعليقات كما نقل عنه صدر المتألهين في الأسفار فقال: «وقال أيضاً في التعليقات: إذا سئل عن الوجود موجود أو ليس موجود؟ فالجواب: إنه موجود، بمعنى أن الوجود حقيقته أنه موجود، فإن الوجود هو الموجودية»[٤١].

٣.المحقق الطوسي في التجريد حيث قال: «وليس الوجود معنى به تحصل الماهية في العين بل الحصول» وقال العلامة في شرحه «بل الوجود هو نفس تحقق الماهية في الاعيان»[٤٢].

٤.الفخر الرازي في المباحث المشرقية حيث قال: «الفصل الثامن في ان الوجود ليس ما يكون الشيء به ثابتا بل هو نفس كونه ثابتا»[٤٣].

٥.المحقق الداماد في القبسات حيث قال: «وقد دريت إنّ الوجود هو نفس الموجوديّة المصدريّة المنتزعة من الذات المتقرّرة؟»[٤٤].

المعنى الثاني: الوجود هو الماهية في الأعيان أو الذات

وهذا ما يمكن فهمه من عدة كلمات:

١. ما ذكره الفارابي في كتابه الحدود والرسوم «الوجود هو الماهيّة أو جزء ماهيّة... وكلّ ما كانت ماهيّته غير منقسمة فهو إمّا أن يكون موجودا لا يوجد، وإمّا أن يكون معنى وجوده وانّه موجود شيئا واحدا، ويكون أنّه وجود وأنّه موجود معنى

واحدا بعينه»[٤٥].

٢. ما ذكره بن رشد في تلخيص كتاب مابعد الطبيعة لارسطو حيث قال: «إن الموجود يقال على أنحاء: أحدها على كل واحد من المقولات العشر، وهو من أنواع الأسماء التي تقال بترتيب وتناسب، لا التي تقال باشتراك محض ولا بتواطؤ ؛ ويقال على الصادق، وهو الذي في الذهن على ما هو عليه خارج الذهن، كقولنا: هل الطبيعة موجودة؟ وهل الخلاء موجود؟. ويقال أيضاً على ماهية كل ماله ماهية وذات خارج النفس، سواء تصوّرت تلك الذات أو لم تتصوّر»[٤٦].

المعنى الثالث: الوجود يقال على الوجود الرابط في القضايا

وهذا مانقله السيد الحيدري في تحرير محل النزاع ثم قال آنه غير مراد في محل الكلام لأنه «لايعدوا كونه اصطلاحاً منطقياً وضع للحكاية عن الرابطة والعلاقة الحاصلة بين المحمول والموضوع في القضايا الحملية»[٤٧].

المعنى الرابع: الوجود بمعنى المفهوم العام البديهي

الصادق على جميع الموجودات على نحو الاشتراك المعنوي، وهذا المعنى استبعده السيد الحيدري عن محل الكلام لأنه «مفهوم انتزاعي لاثبوت له في الخارج إلا باعتبار منشأ الانتزاع، ولايوجد أحد من الحكماء والفلاسفة قائل بأصالة هذا المفهوم الانتزاعي، بل هو أعتباري عند الجميع، ولهذا قال صدر المتألهين: "في ان الوجود العام البديهي اعتبار عقلي غير مقوم لأفراد"، وقال بهمنيار: "وإذا كان الوجود أمراً عاماً فيجب أن يكون وجوده في النفس، فإن الوجود يوجد في النفس بوجود، إذ هو كسائر المعاني المتصورة، والذي في الأعيان منه هو موجود ما"[٤٨].

المعنى الخامس: الوجود بمعنى ذات الحقيقة العينية التي يقابلها العدم

وهي التي يتألف منها الواقع الخارجي ويحكى عنها بمفهوم الوجود العام البديهي الذي يُعد من المفاهيم الفلسفية، وقد قيل أنه محل الكلام والنزاع في بحث أصالة الوجود أو الماهية[٤٩].

المعنى السادس: الوجود يراد به معنى الوجود المقابل للمفهوم والخارج

وقد أشار إليه الشيخ الفياضي، بدعوى أنَّ عندنا أموراً ثلاثة لابدّ من التفريق بينها، وهي:

١. المفهوم: أي نفس الصورة الذهنية التي موطنها الذهن.

٢. المصداق: الذي موطنه الخارج.

٣. المعنى: الذي هو الذات أعم من الماهية والوجود والعدم والتي تشكل الواقع ونفس الأمر.

والوجود قد يراد منه المفهوم - كما في المعنى الرابع-، وقد يراد منه الخارج - كما في المعنى الخامس-، وقد يراد منه غيرهما، وهو المعنى والذات للوجود، وهو هذا المعنى السادس، وهذا المعنى على ثلاث انحاء يتصور:

- معنى الوجود بالمعنى المصدري: فيقال الوجود بمعناه المصدري أمر اعتباري.
- معنى الوجود بمعناه الاسم المصدري: ويراد منه حقيقة الوجود المعبر عنها بالفارسية بـ «هستى».
- معنى الوجود بمعناه الاسم المصدري الأعم من سابقه: والذي ينقسم إلى الوجود بالمعنى الاخص- أي المعنى الاسم المصدري السابق-والعدم والاعتبار

والذي هو موضوع البحث الفلسفي هو هذا المعنى الثالث من معنى الوجود.

ثم اختار الشيخ الفياضي حفظه الله تعالى ان محل النزاع هو المعنى الثاني لمعنى الوجود أي يراد منه حقيقة الوجود[٥٠].

المعنى السابع: الوجود بمعنى مايقبل الوجدان وما يخبر عنه

وقد أشار صدر المتألهين إلى هذا المعنى في معرض بيانه لكلام علاء الدولة السمناني في رسالة الشارد والوارد حيث قال: «لأن فوقها -يعني فوق طبيعة الوجود- عالم العدم المحض وظلمة العدم محيطة بنور الوجود المحدث وفيها أي في الظلمات توجد عين الحياة»، فقال في بيان كلامه: «فظهر أنه قد يكون مرادهم من العدم ما يقابل هذا النحو من الوجود الظلي وإن لم يكن هذا الإطلاق على سبيل الحقيقة بل على المجاز لأن الوجود في عرفهم ما يكون مبدأ الآثار ومنشأ الأكوان- ويمكن أيضاً أن يكون مرادهم من الوجود ما يكون معلوما ومخبراً، عنه وكل ما لا يكون للعقل سبيل إلى معرفة ذاته وكنه هويته فغير موجود بهذا المعنى- فالوحدة الحقيقية بشرط لا وغيب الغيوب حيث لا يكون لأحد من الخلق قدم في شهوده وإدراكه، فيصدق عليه أنه غير موجود لغيره على أن الوجود قد يطلق على المأخوذ من الوجدان وهو أيضاً مرجعه إلى الوجود الرابطي فيكون مسلوباً عنه تعالى، إذ لا يمكن نيله وظهوره لأحد إلا من جهة تعيناته ومظاهره»[٥١].

ولا بُدّ قبل محاكمة المعاني وإيها محل الكلام والنزاع من تقديم مجموعة من المقدمات:

المقدمة الأولى: من الأمور الثابتة والواضحة عند المناطقة ان المفهوم والمعنى

والوجود الذهني والمراد والمدلول مفادها واحد، وإنما الاختلاف في اللحاظ فالصورة الذهنية من حيث الحكاية يقال لها وجود ذهني، ومن حيث إنها تفهم من اللفظ يقال لها مفهوم – أي مافهم من الشيء–، ومن حيث إنها تراد وتقصد باللفظ أو بالصورة الذهنية يقال لها معنى ومقصود ومراد –من معناه أي قصده–، وإلا فالمفاد بالجميع واحد وهو ذات الشيء وحقيقته، قال صاحب الحاشية على تهذيب المنطق: «"المفهوم" أي ما حصل عند العقل اعلم ان ما أستفيد من اللفظ باعتبار أنه فهم منه يسمى مفهوماً، وباعتبار أنه قصد منه يسمى معنى وباعتبار أن اللفظ دال عليه يسمى مدلولاً»(٥٢).

المقدمة الثانية: إن معنى العلم الحصولي عند كافة الحكماء هو حكاية الصورة الذهنية عن الواقع ونفس الأمر سواء كان في الخارج أو الذهن وسواء كان عدماً أو وجوداً أو ماهية أو أمراً عدمياً أو وجودياً، فإن التصور لا يحكي سوى ذات الشيء في نفس الأمر والواقع – ان لم يكن من مصنوعات النفس وخيالها–.

نعم، إذا لوحظ ظرف تحقق المحكي أو سنخه الخاص قيل انه خارجي أو ذهني أو معدوم أو موجود فإن هذه أحكام تصديقية بعد التصور.

المقدمة الثالثة: إن المصداق والحقيقة العينية والصورة الذهنية والفرد وغيرها، كلها من شؤون المحكي بلحاظ ظرف تحققه وواقعيته لا بلحاظ نفسه، فيقال إن الإنسان –مثلاً– خارجي وذهني بلحاظ تحققه لافي نفسه والا فإنه في نفسه ليس إلا انسان لا خارجي، ولا ذهني، ولا مصداق، ولا مفهوم، ولا كلي، ولا جزئي، ولا غير ذلك من الأحكام اللاحقة له باعتبار ما يلحقه من نسب واضافات وأوصاف.

المقدمة الرابعة: إنّ الإنسان يدرك بعقله بلا تعمّل وتحليل وتجزئة، أنّ مفهوم

الإنسان ومعناه يختلف عن مفهوم وجود الإنسان أو الوجود ومفهوم عدم الإنسان أو العدم فيرى ان الأول هو الانسانية لا غير والثاني مجرد تحقق الانسانية أو التحقق لا غير وان الثالث هو مجرد اللا تحقق للإنسانية أو اللا تحقق مطلقا والبطلان المحض لا غير.

إذا اتضحت هذه المقدمات نقول:

أولاً: لا معنى لما ذكره الأستاذ الفياضي حفظه الله تعالى من التفريق بين المفهوم والمعنى والصورة الذهنية بدعوى «إن الأول حالة حكاية النفس عن المعنى والثاني هو المحكي الواقعي لهذه الحكاية والثالث هو المحكي الذهني لتلك الحكاية مستنداً إلى ما بنى عليه الملا صدرا من ان العلم الحصولي ليس عبارة عن الانفعال النفساني والكيف النفساني الذي هو الصورة الحاصلة لدى العقل بل العلم الحصولي على أساس مبنى اتحاد العاقل والمعقول هو حالة مرآتية النفس للمعنى والمحكي الواقعي ولاوجود لأيّ صورة ذهنية في النفس»[٥٣]، فإنّ الخلاف بين صدر المتألهين والحكماء في حقيقة العلم لا يعنى عدم الاحتياج إلى الصورة الحاصلة بل تصوير حصول الصورة بطريقة ابداعية للنفس حاصلة من مشاهدة المثل الافلاطونية للأشياء والتعبير عن النفس بالنهاية لها حالة الحكاية عن الواقع وإن كان تاماً لكنه لا ينفي وجود الصورة الذهنية بل يعني كون الصورة الذهنية هي النفس في مرتبة الذهن لا غير.

ثانياً: لا معنى لما ذكره أيضاً من التفريق بين الصورة الذهنية، بأنها المحكي الذهني للمفهوم والمعنى بأنه المحكي الواقعي له[٥٤] إذ لو كان الأمر كذلك لامتنع تصديق النفس بما في الخارج لأن المفروض ان المطابقة مع المحكي الذهني لا

الخارجي، وكيف يمكن اثباته لما في الخارج بل للمعنى أيضاً فإننا نحتاج إلى إجراء البرهان لإثبات أن حالة حكايةالنفس مطابقة للصورة الذهنية –أي المحكي الذهن– ثم إثبات مطابقة الصورة للمعنى، – أي المحكي الواقعي– ثم إجراء برهان المساواة– أي مطابق المطابق مطابق– لإثبات مطابقة حكاية النفس للمعنى والخارج وهذا ما لا نجده بوجداننا الإدراكي، فإن مطابقة الصورة للخارج أمر نتلقاه بالبداهة لابطريقة استدلالية يغفل عنها الانسان المدرك.

ثالثاً: لا معنى لما أفيد من تفسير للوجود في المعنى الأول أو الثاني، لأنهما مبنيان على أساس أصالة الماهية أو على الأقل مع الغفلة عن أصالة الوجود أو بتوجيه ان تحقق الماهية هو المتحقق في الأعيان لا نفس الماهية كما عن صدر المتألهين في الاسفار[٥٥].

رابعا: إن المعنى الثالث والرابع من معاني الوجود هي من شؤون ما هو محل البحث والنزاع في أصالته إذ مفهوم الوجود وكذا الوجود الرابط بين المحمول والموضوع في القضايا من شؤون الوجود وأقسامه، لأن الوجود – بعد إثبات أصالته– سيكون له شؤون ثلاثة:

١ـ الوجود الذهني للأشياء وأثره الحكاية عنها. ٢ـ والوجود الخارجي لها وأثره ترتب آثار الأشياء عليها في الخارج. ٣ـ ومفهوم الوجود وشأنه الحكاية عن الوجود وانحاءه.

خامساً: لا معنى لما قيل في المعنى الخامس والسادس من أن محل النزاع هو الحقيقة العينية للوجود إذ البحث– كما سيتضح– في أن للوجود حقيقة عينية يترتب عليها الأثار أم لا، فلو كان محل النزاع هو نفس تلك الحقيقة لكان مصادرة على

المطلوب، وأخذ الأصالة التي تعني أن للوجود حقيقة عينية في موضوع النزاع فتكون المسألة في محل الكلام من قبيل الضرورة بشرط المحمول، أي الحقيقة العينية التي هي معنى الوجود هل لها حقيقة عينية أم لا؟!.

الصحيح في معنى الوجود

والصحيح في بيان محل النزاع أن يقال: إنّ ما يدركه العقل من الوجود المحمولي والذي هو مشترك معنوي – كما ستأتي الإشارة إليه- والمعبر عنه بالتحقق في الأعيان- بالمعنى الاسم المصدري- والذي يمثل حيثية الاشتراك بين الموجودات هو معنى الوجود في محل النزاع.

نعم هذا المعنى للوجود بعد إثبات أصالته سيأخذ تفسيرا آخر على أساس مبنى صدر المتألهين من تفسير التشكيك بما ينسجم مع الوحدة الشخصية وهو ان التحقق في الممكنات بمعنى الظهور لا ان يكون لها وجود مغاير لوجود الحق تعالى لأن الحق تعالى هو الوجود الحقيقي و«الوجود الحقيقي ظاهر بذاته بجميع انحاء الظهور ومظهر لغيره بالعرض.... ولولا ظهوره في ذوات الأكوان- وإظهاره لنفسه بالذات ولها بالعرض لما كانت ظاهرة موجودة بوجه من الوجوه بل كانت باقية في حجاب العدم وظلمة الاختفاء إذ قد علم أنها بحسب ذاتها وحدود أنفسها معرّاة عن الوجود والظهور فالوجود والظهور يطرأ عليها من غيرها فهي في حدود أنفسها هالكات الذوات باطلات الحقائق أزلا وأبد»[٥٦].

تنبيه: ما ذكرناه في المعنى السابع من معاني الوجود وانه بمعنى ما يقبل الوجدان أو ما يخبر عنه وإن كان معنى صحيح في نفسه، ولكنهم أوردوه لبيان أن

الحقيقة الوجودية واللا بشرط المقسمي باصطلاح العارف له مرتبة خالية عن المجالي لا تقبل الشهود ولا يخبر عنها بخبر ولا يحكم عليها بحكم إلا عدم الحكم، فلا معنى لجعلها محلاً للكلام والنقاش في بحث أصالة الوجود أو الماهية، وأنه أيهما منشأ الآثار.

المبدأ الثاني: معنى الماهيّة:

١.**الماهيّة لغة:** ذكر الزبيدي في تاج العروس ان الصورة الحاصلة في العقل من حيث أنها مقولة في جواب ما هو تسمى ماهية ومن حيث ثبوتها في الخارج تسمى حقيقة»[٥٧].

وقال صاحب التحقيق «وماهية الشيء: حقيقته. وربما فرق بينها وبين الحقيقة: أن الحقيقة لا تكون إلا للموجودات الخارجية، والماهية أعم من أن تكون موجودة في الخارج أم لا»[٥٨].

٢.**الماهيّة اصطلاحاً:** ذكر للماهية ثلاثة معاني في لسان الحكماء اشتهر منها اثنان واضاف السيد الحيدري والشيخ الفياضي معنى ثالث:

المعنى الأول: الماهية بالمعنى الأخص:

وهي عبارة عما يقال في جواب ما هو والتي تبيين تمام حقيقة الشيء المعقولة بتمام ذاتياته، قال الشيخ الرئيس في «الإشارات»: «إعلم أن كل شيء له ماهية، فإنه إنما يتحقق موجوداً في الأعيان أو متصورا في الأذهان، بأن يكون أجزاءه حاضرة معه».

وقال المحقق الطوسي في شرحه: «المهية مشتقة عمّا هو، وهي مابه يجاب عن

السؤال بما هو والمراد ههنا كل شيء له مهية مركبة دون البسائط»[٥٩].

أقول: وهذا يعني ان الماهية تشمل كل ما يكون الوجود عارضا عليه لازماً له أو مفارقاً ولا تشمل الواجب تعالى إذ ماهيته عين انيِّته -كما سيأتي ان شاء الله تعالى تفصيله في هذه الرسالة-، وكما لاتشمل المفاهيم الفلسفية كالوحدة والامكان وكذا الصفات المشتركة بين الحق تعالى وبين الممكنات كالقدرة والعلم والحياة والتي هي أيضاً من المفاهيم الفلسفية.

المعنى الثاني: الماهيّة بالمعنى الأعم:

وقد عرفوها بأنها: «ما به الشيء هو هو»، أي ما به تحقق الشيء، قال الشيخ الآملي في تعليقته على المنظومة: «الماهية تطلق على معنيين: **أحدهما:** ما يقال في جواب ما هو، وهي الماهية بالمعنى الأخص الذي في مقابل الوجود. **وثانيهما:** ما به الشيء هو هو، وهو الماهية بالمعنى الأعم الذي يطلق على الوجود وعلى الماهية بالمعنى الأخص التي في مقابل الوجود»[٦٠].

المعنى الثالث: الماهية بالمعنى العام:

وهي كل معنى غير الوجود ويقبل الاتصاف بالموجودية بالمعنى الأخص أي التحقق كالإنسان والوحدة والمعلول والعلة ومفهوم القدرة والحياة والعلم ولا تشمل معنى الوجود والعدم وكذا صفات العدم والاعدام.

وبعبارة أخرى: الماهية بالمعنى العام: هي كل مفهوم لم يؤخذ فيه الوجود والعدم ويقبل ان يتصف بالوجود والتحقق سواء كان ماهية بالمعنى الأخص أو معقولا ثانيا فلسفيا وسواء كان وجوده بنفسه أو بمنشأ انتزاعه. ثم اختار كل منهما ان

المعنى الذي ينبغي ان يكون محلاً للنزاع في مسألتنا هو هذا المعنى الثالث ناسبين ذلك إلى صدر المتألهين مستشهدين بمجموعة من كلماته[٦١]، وما ذكروه من استشهادات ترجع إلى أمور ثلاثة كلها لا تثبت المعنى الذي يدَّعونه للماهية ولا يدخل في محل النزاع:

الأمر الأول: التعبير بأن الماهية غير الوجود

وقد ورد هذا التعبير في عدة موارد نذكر أهمها:

المورد الأول: ما في الأسفار من «أن الشيء إما ماهية أو وجود، إذ المراد بالماهية غير الوجود، ولامحالة تكون أمراً تعرضه الكلية والإبهام..... فقد ظهر أن ما هو غير الوجود إنما يكون موجودا بالوجود، والوجود موجودا بنفسه»[٦٢].

أقول: لا يدل هذا الكلام على ان معنى الماهية غير المعنى الأخص لأنه جعل المقسم الشيء وهو مساوق للموجود، وكذا كونه امراً يعرضه الابهام لاينسجم إلا مع الماهية بالمعنى الأخص دون الصفات الالهية، لأنها أمور عينية لا يعرضها الكلية والابهام اما المفاهيم الفلسفية، فإنها وان كانت توصف بالكلية ولكنها ليست موجودة أصلاً في الأعيان بل هي أحكام عقلية يحكم بها العقل النظري بعد مقايسة الموجود إلى غيره، وقد فسر صدر المتألهين كلامه في أكثر من موضع منها ما في المشاعر حيث قال «فهو- أي الوجود- بنفسه في الأعيان، وغيره- أعنى الماهيّات- به في الأعيان لا بنفسها».[٦٣]

المورد الثاني: ما في الأسفار أيضاً من قوله قدس سره: «لما كانت حقيقة كل شيء هي خصوصية وجوده التي تثبت له. فالوجود أولى من ذلك الشيء، بل من كل شيء،

بأن يكون ذا حقيقة. كما أن البياض أولى بكونه أبيض من ما ليس ببياض ويعرض له البياض، فالوجود بذاته موجود، وسائر الأشياء غير الوجود ليست بذواتها موجودة بل بالوجودات العارضة لها»[٦٤]، ولكن هذا المورد يدل على عكس المطلوب فإن صدر المتألهين يقول انها موجودة بالوجودات العارضة لها وليس شيء هكذا إلا الماهيات بالمعنى الأخص.

المورد الثالث: ما في تعليقة صدر المتألهين على حكمة الاشراق من أن: «الوجود هو الأصل في التحقق، وغير الوجود متحقق به بالعرض»[٦٥]، ولكن لا وجه لما أستظهر في المقام فإن صدر المتألهين ذكر في موردين نفس الجملة مع ذكر الماهية بدل الغير في كلامه، إذ قال في الأسفار: «فإن الوجود هو الأصل في التحقق والماهية تابعة له»[٦٦]، وكذلك ذكر العبارة في الشواهد الربوبية فقال فالحق أن المتقدم منهما على الآخر هو الوجود لكن لا بمعنى أنه مؤثر في الماهية لكونها غير مجعولة كما مر بل بمعنى أن الوجود هو الأصل في التحقق والماهية تبع له»[٦٧].

الثاني: التعبير عن الواجب ان له ماهية

مع أن صدر المتألهين يعتقد أن الواجب لا ماهية له، ولكنه ينسب في بعض عبائره الماهية للواجب تعالى فلا بدّ أن تحمل على الماهية بالمعنى العام ونذكر لذلك موردين:

المورد الأول: قال في الاسفار: «لا شبهة في أنه بملاحظة انضمام الوجود الانتزاعي الذي هو من المعدومات إلى الماهية لا يمنع المعدومية بل إنما يمنع باعتبار ملزومه وما ينتزع هو عنه بذاته وهو الوجود الحقيقي سواء كان وجوداً صمدياً واجبياً أو وجوداً ممكنياً تعلقياً ارتباطياً»[٦٨]، ولكن من الغريب جداً الاستشهاد بهذا المقطع

مع ان مقدمة كلامه تشير بوضوح إلى المعنى المراد فيه حيث قال «و قد يطلق ويراد منه الأمر الحقيقي الذي يمنع طريان العدم والـلا شيئية عن ذاته بذاته وعن الماهية بانضمامه إليها ولا شبهة في أنه بملاحظة...»[٦٩]، فان هذه العبارة بوضوح تبين ان الوجود الصمدي يطرد العدم عن ذاته بذاته لا أن له ماهية بانضمام الوجود الحقيقي لها تصبح طاردة للعدم بذاتها.

المورد الثاني: قال في موضع آخر من الاسفار: «لو لم يكن للوجود أفراد حقيقية وراء الحصص لما اتصف بلوازم الماهيات المتخالفة الذوات أو متخالفة المراتب لكنه متصف بها فإن الوجود الواجبي مستغن عن العلة لذاته ووجود الممكن مفتقر إليها لذاته إذ لا شك أن الحاجة والغنى من لوازم الماهية أو من لوازم مراتب الماهية المتفاوتة كمالا ونقصاناً، وحينئذٍ لا بد أن يكون في كل من الموجودات أمراً وراء الحصة من مفهوم الوجود، وإلا لما كانت الوجودات متخالفة الماهية كما عليه المشاؤون أو متخالفة المراتب كما رآه طائفة أخرى، إذ الكلي مطلقا بالقياس إلى حصصه نوع غير متفاوت»[٧٠]، ولكن ذكر المحقق السبزواري معلقا على قول صدر المتألهين «لما أتصف بلوازم الماهيات...» ان المراد من الماهية في المقام ما به الشيء هو هو وهي منطبقة على الماهية بالمعنى الأخص، فلا داعي لأبداع معنى جديد مادامت العبارة قابلة للحمل على الماهية بالمعنى الأعم، ولا معنى للقول ان محل النزاع هو الماهية بالمعنى الأخص على المشهور فحمل العبارة على الماهية بالمعنى الأعم خلاف محل النزاع، فإن الماهية بالمعنى الأعم في الممكنات تصدق على الماهية بالمعنى الأخص وفي الواجب ماهيته انيّته فيتم المراد.

المورد الثالث: التعبير عن صفات الواجب تعالى بأنها أمور معقولة ماشمت

رائحة الوجود. قال في الأسفار عند تعرضه للصفات الإلهية: «بل كما وقع التنبيه عليه من أنها معان متكثرة معقولة في غيب الوجود الحق تعالى، متحدة في الوجود، واجبة غير مجعولة، ومع ذلك يصدق عليها أنها بحسب أعيانها ما شمت رائحة الوجود، لما ثبت وتبين أن الموجود بالذات هو الوجود، فهي ليست بما هي هي موجودة ولا معدومة، وهذا من العجائب التي يحتاج نيلها إلى تلطّفٍ شديدٍ للسريرة»[٧١]، ولكن ينبغي أن يعلم إن نسبة الأعيان الثابتة –التي هي الماهيات باصطلاح الحكيم– إلى الصفات والاسماء الإلهية نسبة الماهيات الامكانية إلى الوجودات الخاصة الامكانية، ولهذا يكون المراد في قوله: «يصدق عليها أنها بحسب أعيانها...». أن الأسماء بحسب الأعيان الثابتة التي هي ماهياتها يصدق عليها انها ما شمت رائحة الوجود والاعيان الثابتة من الماهيات بالمعنى الأخص وليس المراد أن نفس الأسماء التي هي انحاء الوجودات الخاصة الإلهية ما شمت رائحة الوجود كيف والاسم في حقيقته عندهم ليس إلا الذات باعتبار تعين خاص فلو كان الاسم اعتبارياً لا تحقق له في الأعيان لكانت الذات كذلك امراً اعتباريا ما شمت رائحة الوجود تعالى الله عن ذلك علّواً كبيراً فلذلك لا يتم الاستشهاد بهذه العبارة على المعنى الجديد.

وبذلك يتضح ما في بقية الشواهد التي ذكرت للمعنى الثالث تركنا ذكرها بغية الاختصار، على ان فيها وفي الاستشهادات التي ذكرناها خلطاً بين الاعتباري بمعنى مايقابل الأصيل والاعتباري بمعنى ما ليس له ما بإزاء كما سيأتي تحريره في معنى الاصالة.

المعنى المختار

فالصحيح في محل الكلام ما أشار إليه الأعلام جميعاً ونبه عليه صدر المتألهين في المشاعر من اننا «نريد به أنّ كلّ مفهوم- كالإنسان مثلاً- إذا قلنا انّه ذو حقيقة أو ذو وجود، كان معناه انّ في الخارج شيئاً يقال عليه ويصدق عليه انّه انسان. وكذا الفرس والفلك والماء والنار وساير العنوانات. والمفهومات التي لها أفراد خارجيّة، هي عنوانات صادقة عليها»[٧٢]، وكذلك ما ذكره في الأسفار حيث قال: «فالوجود بذاته موجود وسائر الأشياء غير الوجود ليست بذواتها موجودة بل بالوجودات العارضة لها»[٧٣]، فإنه من الواضح ان المراد بالاشياء هي الماهيات المتحققة في الأعيان بوجوداتها الخاصة، وأيضاً ما ذكره في الشواهد الربوبية «الوجود أحق الأشياء بالتحقق لأن غيره به يكون متحققاً وكائنا في الأعيان وفي الأذهان»[٧٤]. ومن الواضح ان ذلك الغير الذي يكون متحققاً وكائناً في الأعيان وفي الأذهان هو الماهية بالمعنى الأخص دون غيرها من المعقولات الثانية الفلسفية التي لا موطن لها بنفسها إلا الذهن ودون الصفات الإلهية التي هي عين الهوية الإلهية الخارجية.

المبدأ الثالث: معنى الأصالة والاعتبارية

يطلق لفظ الاعتبار على عدة معاني من خلالها يحدد معنى الأصيل الذي يقابلها:

١.يطلق لفظ الاعتباري على جميع المفاهيم الفلسفية والمنطقية أي المعقولات الثانية التي عروضها في الذهن وليسلها ما بإزاء في الخارج بل منشأ انتزاع اما في الذهن أو الخارج، ويقابلها المفاهيم الحقيقية والمعقولات الأولى الماهوية التي لها ما بإزاء في الخارج، وتارة توجد في الذهن وتارة توجد في الخارج.

٢.يطلق الاعتباري على ما ليس له وجود مستقل في الواقع الخارجي في مقابل ماله وجود كذلك.

٣.يطلق لفظ الاعتبار على المعاني التصورية والتصديقية التي لا تحقق لها وراء ظرف العمل، ومآل الاعتبار فيها إلى استعارة المفاهيم النفس الأمرية الحقيقية بحدودها لأنواع الاعمال ومتعلقاتها للحصول على الغايات الحياتية المطلوبة كاعتبار الرئاسة لرئيس القوم ليكون من الجماعة بمنزلة الرأس من البدن في تدبير أمورهم وهدايتهم إلى واجب العمل[٧٥].

وهذه المعاني الثلاث غير داخلة ولا مرادة في محل النزاع.

٤.الاعتباري مايقابل الأصيل بمعنى منشئية الأثار بالذات وما يكون الواقع مصداق له بالذات فيكون معنى الاعتباري ما لا يكون منشأ للأثار، ولا يكون مصداقاً بالذات، بل بالعرض والمجاز الفلسفي.

تنبيه: ليس المراد من أن الواقع مصداق له بالذات في قبال كل ما يكون الواقع مصداقا له بالعرض – أي مايحتاج إلى حيثية تعليلية وتقيدية- وبالتبع أيضاً -اي ما يحتاج إلى حيثية تعليلة فقط - إذ المفروض ان البحث شامل للوجود الامكاني والواجبي، إذ من الواضح جداً أنه لانزاع بين القائلين بأصالة الوجود أوالماهية في إحتياج الماهية إلى حيثية تعليلية في حمل الموجودية عليها وأنما النزاع بينهم في أنها تحتاج إلى حيثية تقييدية أيضاً لحمل الموجودية عليها أم لا[٧٦]، فما عن الشيخ الفياضي حفظه الله، من تعميم البحث إليهما معاً بدعوى ان المراد من بالذات ما ليس بالعرض ولا بالتبع[٧٧] محل نظرواشكال.

وبعبارة أخرى: إنّ معنى الأصالة هي التحقق في الخارج حقيقة ويقابلها

الاعتباري بمعنى عدم التحقق في الخارج حقيقة وليست الأصالة بمعنى التحقق في الخارج بالذات والاعتباري التحقق في الخارج ولكن بالتبع، ومن الغريب ماجاء في بعض الكلمات من تحريرٍ لمعنى الأصالة وان لها معنيين" أحدهما التحقق في الخارج وعدمه والاخر التحقق في الخارج بالذات- بمعنى عدم الاحتياج إلى الحيثية التقييدية- وعدمه...وان البراهين التامة في هذه المسألة تثبت المعنى الثاني من الأصالة والاعتبار..."[٧٨]، مع ان المعنى الثاني للاصالة والاعتبارية لامحصل له إلا المعنى الأول فإن الشيء إذا احتاج إلى حيثية تقييدية في حمل الموجودية عليه صارت نسبة الموجودية إليه نسبة مجازية ولاتصيره- الحيثية التقييدية- موجوداً في الخارج لا بالذات ولا بالتبع؛ إذ الموجود بالتبع معناه المفتقر إلى حيثية تعليلية ولعل عدم التمييز بين مابالذات في مقابل مابالعرض ومابالذات في مقابل مابالتبع اوقع الباحث المذكور في هذا البيان والتطويل الذي لا فائدة فيه، ثم ان التعبير عن الأسماء الإلهية بأنها "بحسب اعيانها ماشمت رائحة الوجود وانه كما ان الماهيات الامكانية موجودة بوجوداتها الامكانية وبالعرض والمجاز كذلك الأسماء الإلهية موجودة بوجوده تعالى وبالعرض والمجاز"[٧٩]، ليس المراد منه اعتبارية الأسماء في نفسها بل باعتبار الأعيان الثابتة التي تمثل ماهيات الأشياء عند الحكيم وتكون نسبتها إلى الأسماء نسبة الماهيات الامكانية إلى وجوداتها فتكون واسطة في عروض احكامها على الأسماء من الامكان وانها في نفسها متساوية النسبة إلى الوجود والعدم فتكون في حد ذاتها ماشمت رائحة الوجود ولن تشم.

نعم يمكن إعتبار الوجود علة تحليلية لثبوت الآثار للماهية او بالعكس فيكون معنى الأصالة التحقق بالذات والإعتبارية التحقق بالتبع فتأمل.

المحور الثاني: المباديء التصديقية للمسألة

ونذكر مجموعة من المباديء التي تعتمد عليها المسألة

المبدأ الأول: الإيمان بأصل الواقعية

إذ ما لم نؤمن بأصل واقعية الاشياء- ومنها نفوسنا – ونؤمن بقدرتنا على الارتباط بتلك الواقعيات والوصول إليها عن طريق العلم فلن يكون للبحث عن الأصيل في تلك الأشياء وجه، والدليل على وجود الواقعية وادراكها، أننا ندرك بوجداننا بذواتنا وإن معنا أشياء خارجة عن ذواتنا ربما فعلت فينا أو انفعلت عنا كما أننا نفعل فيها وننفعل عنها وتارة نطلبها ونقصدها ولامعنى ان نطلب ما هو سراب وخيال لنا بل لابد من ان تكون لها واقعية وراء علمنا نطلبه لأنه هو الذي يحقق لنا اغراضنا منها لا العلم والادراك لها فالطفل حينما يطلب ضرع أمه يطلب ما هو واقعي لاما هو موهوم له والشاة التي تخاف من الذئب تخاف مما هو واقع لاما هو توهم لها وهكذا جميع ما نحسه أو ندركه بوجداننا ونهرب منه أو نندفع نحوه انما نفعل ذلك عن واقعيته لا عن مجرد صورته التي عندنا.

نعم كما أننا ندرك ذلك ندرك أن بعض علومنا مخطئة وغير مطابقة للواقع، وهذا لأننا ندرك بالبداهة أن هناك واقعاً نصيبه تارةً ونخطئه أخرى[٨٠].

المبدأ الثاني: الوجود مشترك معنوي

جرى النزاع بين الحكماء واغلب المتكلمين من جهة، وبين أبو الحسن الاشعري وأبو الحسين البصري من جهة أخرى فالحكماء ومن تابعهم يقولون ان الوجود مشترك معنوي بمعنى أن للوجود مفهوما واحداً يحمل على جميع

الموجودات بمعنى واحد وفي مقابلهم نسب إلى أبي الحسن الاشعري وأبـي الحسـين البصري أنهما قالا بأن الوجود مشترك لفظي بمعنى أنه يحمل في كل موجـود بمعنـى يغاير المعنى الذي يحمل به على الموجود الآخر ويكون معنى الوجود المحمول فـي كل موجود هو عـين ماهيتـه المـأخوذة كموضـوع فـي القضـية الحمليـة فمعنـى قولنـا «الإنسان موجود» هو «الإنسان إنسان». والحق أن الوجود مشـترك معنـوي بـين جميع الموجودات سواء الممكن والواجب تعالى لأننا نرى اننا ندرك الشـيءبذاته أو صـفاته ونشك في وجوده كمـا نـدرك وجـود الشـيء ونشـك فـي حقيقتـه أو صـفاته فلوكـان الوجود مشترك لفظي لزم من الشك باحدهما الشك بالاخر.

وما يقال من ان الوجود لوكان مشتركاً لفظيّاً بين الممكن والواجب لزم تحقـق المثل له تعالى مندفع بأنه من بـاب الخلـط بـين المفهـوم والمصـداق بـل لـو لـم يكـن الوجود وسائر الصفات كالعلم والحياة والقـدرة وغيرهـا مشـترك معنـوي لـزم تعطيـل العقول عن معرفته تعالى بصفاته ولا نسد باب التكليف بمعرفته وهو واضح الفساد[٨١].

المبدأ الثالث: الوجود زائد على الماهية تصوراً

بمعنى ان ما يتعقله الإنسان من أحدهما غير الآخر فليس الوجـود جـزءاً للماهيـة ولا عينهـا، وإلا لـزم اسـتحالة انفكاكـه عنهـا واسـتحالة عـروض العـدم عليهـا مـع ان الماهيات في حد ذاتها تقبل الوجود والعدم على حدٍ سواء[٨٢].

المبحث الثالث: تصوير محل النزاع

توجد عدة تصويرات في تحرير محل النزاع نذكر منها:

١. **التصوير الأول:** كيفية انتـزاع مفهـوم الوجـود أو الماهيـة: وهـو مـا اعتمـده

السيد الداماد في الافق المبين وغيره[٨٣]، إذ اعتبر ان الوجود لايمثل إلا الموجودية التي ينتزعها العقل من الماهيات، ونفس التحقق المصدري، ولايثبت له فردٌ يقوم بالماهية سوى الحصص المعينة بالإضافة او بالوصف كالوجود الذي لاسبب له، وبذلك يكون النزاع في نظره على أساس ماهو المنتزع من الأخر وماهو الذي يمثل الواقع ونفس الأمر، وهذا التقرير فاسد لما سياتي من مناقشته عند ذكره كدليلٍ على أصالة الماهية.

وهذا التصوير لمحل النزاع يربط المسألة بنظرية المعرفية وكيفية إنتزاع المفاهيم وسبقها في عالم الادراك، وسيتضح أن هناك فرقاً بين عالم الانتزاع وعالم الخارج والتأثير وأن الإنتزاع يخضع لضوابط وقواعد تختلف عن السبق في عالم التحقق الخارجي.

٢.**التصوير الثاني**: على أساس التقدم في نفس الامر والواقع: وهو أيضا ما يفهم من كلمات المحقق الداماد[٨٤]، وقد بنى عليه أصالة الماهية بمعنى انها المتقررة أولاً في نفس الأمر والواقع بحسب المرتبة العقلية لا العينية، فإن التقرر الفعلي للماهية يحصل أولا ثم يلحقها الوجود المتحد معها في الخارج، وهذا السبق إنما هو سبق بالماهية لا سبق بالطبع أو بالعلية؛ إذ ليس للماهية مرتبة وجودٍ يتصور بحسبها سلب الخلط بالوجود، وإنما لها مرتبة فعليةٍ وتقررٍ ليست هي هي بعينها مرتبة إنتزاع الوجود، أي الموجودية المصدرية، بل إنما هي مستتبعتها وغير منسخلة عن اقترانها مطلقاً.

وهذا المعنى من التقدم أيضا سيتضح ابتناءه على أصالة الماهية ولايصلح وجهاً لبناءها عليه كما سياتي مناقشته أيضاً.

وهذان التصوير بغض النظر عن الاشكال فيه ناظر إلى عالم تقرر المعاني لا عالم تحققها وإلا فإن الوجود والماهية في الخارج متحدان، ولا إثنينة بينهما حتى يرى المتقدم والمتأخر، وسيتضح أن الإعتماد على التقدم النفس أمري لايعني الأصالة بمعنى منشأية الآثار.

٣.**التصوير الثالث**: بالاعتماد على الحيثيات: وذلك من خلال تحليل الموجودات الخارجية إلى حيثية مختصة وحيثية مشتركة وحيث أن مابه الأمتياز يغاير مابه الأشتراك والواقع الخارجي واحد، فلابد أن يكون أحد الحيثيتين صادقة بالذات وإلأخرى بالتبع او بالعرض والمجاز بحسب ماقررناه من معنى الاصالة والاعتبارية في المقام[٨٥].

٤.**التصوير الرابع**: التأمل في نفس طبيعة الوجود او الماهية المتقررة من الجاعل لا في الموجودات المتعددة في الخارج، إذ ان التأمل بطبيعة الوجود أو الماهية المتقررة من الجاعل يقودنا إلى أصالة الوجود او الماهية، بإن يدعى ان طبيعة الوجود مثلا متحققة بنفس ذاتها بلا حاجة إلى حيثية تقييدية، أو أن طبيعة الماهية المتقررة بالفعل من الجاعل مصحح حمل الموجودية عليها بلا حاجة إلى ضم حيثية تقييدية هي الوجود[٨٦]، ومن هنا يتضح ان مركز النزاع في نظر السيد الداماد إلى إعتبار الحيثية التقييدية وعدم إعتبارها كما صرح بذلك في التقديسات[٨٧]،فما عن المحقق السبزواري من ان هناك إتفاق على أعتبار الحثيثة التقييدية في حمل الموجودية على الماهية[٨٨] غريب جداً.

المبحث الرابع: الأقوال في المسألة

يمكن احصاء أربعة أقوال رئيسية في المسألة:

القول الأول: القول بأصالة الوجود:

وهو مختارصدر المتألهين وكلّ من جاء بعده، كالمحقق السبزواري، والعلامة الطباطبائي، وغيرهم، ونسبه السبزواري إلى المحققين من المشَّاء.

قال صدر المتألهين في الاسفار: «في أن للوجود حقيقة عينية» وقال العلامة الطباطبائي في نهاية الحكمة «فقد تحصل أن الوجود أصيل والماهية إعتبارية» وقال المحقق السبزواري في شرحه على المنظومة «وهو المختار كما في النظم: إن الوجود عندنا أصيل»[٨٩].

القول الثاني: القول بأصالة الماهية:

واختاره صريحا المحقق الداماد وهو مذهب شيخ الاشراق شهاب الدين السهروردي المقتول، قال المحقق الداماد في التقديسات: «وأنّه كما ليس الوجود إلا الموجوديّة المصدريّة، لا حيثيّة ما تقييديّة وراء الماهيّة هي ما به الموجوديّة». وقال أيضاً في التقديسات: «الوجود ليس إلا نفس الموجوديّة التي ينتزعها العقل من الماهيّات ونفس تحققها بالمعنى المصدريّ، ولا يثبت له فرد يقوم بالماهيّة سوى الحصص المعيّنة بالإضافة أو بالوصف»، وقال في الأفق المبين: «تلويح استناري: عسيت أن اثبّتك على التّفطّن بأن ليس الوجود حقيقته إلا نفس الموجوديّة بالمعنى المصدريّ، أي: صيرورة نفس الماهيّة في ظرف مّا، لا معنى مّا ينضمّ إلى الماهيّة أو ينتزع منها». وقال أيضاً فيه: «إفصاح: أما تعرّفت أنّ الوجود ليس إلا نفس الموجوديّة

التي ينتزعها العقل من الماهيّات ونفس تحقّقها بالمعنى المصدرى»[٩٠]،وقال شيخ الاشراق في كتابه حكمة الاشراق: «حكومة: الوجود يقع بمعنى واحد... فندعي أن هذه المحمولات- ومنها الوجود- عقلية صرفة». وشرحه القطب الشيرازي في شرحه على حكمة الاشراق: "أي لاوجود لها إلا في الاذهان»[٩١]، وهذا القول هو الذي سنهتم به ونذكر ألادلة على إثباته ودفع الإيرادات المتوجهه إليه، وإن كان معظمها كما تنطبق عليه تنطبق على القول بالتفصيل الآتي ذكره بل لعل الحق أن القولين في الواقع قول واحد.

القول الثالث: القول بالتفصيل بين أصالة الماهية في الممكنات واصالة الوجود في الواجب

ونسبه السيد العلامة الطباطبائي إلى المحقق الدواني[٩٢]، ونسبه المحقق الاملي قدس سره في درر الفوائد إلى المحقق الداماد قدس سره[٩٣]، ولعل الوجه فيه هو القول بإمتناع ثبوت الماهية في الواجب تعالى مما يحصر النزاع في الممكنات كما هو واضح، إلا على من فسر الماهية في محل النزاع بالماهية بمعنى الذات والحقيقة أعم من الماهية بالمعنى الأخص.

القول الرابع: القول بأصالتهما معاً

وتصويره على نحوين:

النحو الأول: أن يكونا متأصلين في الخارج بنحو التركيب الخارجي من أمرين خارجيين.

أما بنحو التركيب من الجوهر مع الجوهر- كما في التركيب من المادة مع الصورة أو من النفس والبدن- أو بنحو التركيب من الجوهر مع العرض- كما في التركيب من الجسم مع البياض-، وهذا التصوير نسبه المحقق السبزواري في تعليقته على شرحه على المنظومة إلى بعض معاصريه وذكر المحقق الهيدجي في تعليقته على المنظومة ان المقصود منه الشيخ أحمد الأحسائي[٩٤].

النحو الثاني: أن يكونا متأصلين في الخارج على نحو العينية:

وذلك بأن يدعى أن حيثية الماهية وإن كانت غير حيثية الوجود عند التعقل ولكن بينهما عينية خارجية على نحو البساطة فليست الماهية حد عدمي للوجود ولا هي ظهورات الوجود لدى الاذهان ولا هي حكاية انحاء الوجود وانما هي عين الوجود الخاص بكل موجود، ويمكن نسبة هذا القول إلى الشيخ الفياضي في تعليقته على النهاية، حيث قال: «ومن هنا نقول: أن الحق في هذه المسألة أن الوجود والماهية كليهما موجودان، بمعنى أن لكل منهما الواقعية العينية لا بمعنى أن لكل منهما واقعية تخصه-كما يذهب إليه بعض من ينسب إليه القول بأصالتهما- بل بمعنى أن الواقعية الخارجية وهي واحدة مصداق حقيقي لمفهوم الوجود كما أنها مصداق حقيقي لمفهوم الماهية، يحكي الأول ما به الاشتراك مع غيره والثاني يحكي ما به يمتاز عن غيره في حين أن ما به الاشتراك عين ما به الامتياز بحسب الواقع الخارجي.

نعم الماهية اعتبارية بمعنى أنها لو لوحظت في حد نفسها لم تكن موجودة وأنها

تصير موجودة بالوجود لا بنفسها»[٩٥].

نعم فسّر الشيخ الفياضي الماهية بمعنى آخر غير المعنى المتعارف في محل النزاع ونسبه إلى صدر المتألهين وقد مرَّ النقاش في نسبته إلى صدر المتألهين وسيأتي النقاش في هذا القول.

ويمكن ان يصور هذا القول كتصويرٍ آخر للقول بأصالة الوجود في الجعل وان الماهية تابعة له في الجعل أي مجعولة بالتبع فيقال بأن «للأصالة والاعتبار معنيين مختلفين أحدهما التحقق في الخارج وعدمه، والاخر التحقق في الخارج بالذات وعدم...»، وأن «البراهين التامة في هذه المسألة تثبت المعنى الثاني من الأصالة والاعتبار»[٩٦].

المبحث الخامس: أدلة القول بإصالة الماهية

يمكن تقسيم الإدلة التي ذكرت لاثبات أصالة الماهية إلى قسمين أساسيين:

القسم الاول: الادلة المثبتة لاصالة الماهية بصورة مباشرة

وهي التي تعتمد على البرهان المباشر في الاثبات، وهي عدة أدلة منتزعة من كلمات المحقق الداماد:

الدليل الإول: كيفية إنتزاع مفهوم الوجود من الماهية

لما كان الوجود لايمثل في حقيقته إلا موجودية الماهية التي ينتزعها العقل من الماهيات المتقررة في الاعيان ونفس تحققها المصدري لاغير، وليس له فرد سوى الحصص المعيَّنة باضافته الى الماهيات فلاغرو ان تكون الماهية هي الاصيلة ومنبع الاثار والوجود اعتبار عقلي ومعقول ثان فلسفي، فليس معنى وجود الماهية في

الأذهان او الاعيان إلا صيرورة نفس تلك الماهية في ذلك الوعاء دون إنضمام ضميمة إليها، وإنما العقل بنوع من التحليل بعد انتزاع الموجودية من الماهية يصفها بها ويحملها عليها، فيكون مصداق الحمل ومطابق الحكم هو الماهية المتقررة في الأعيان او الاذهان لاغير[٩٧].

وهذا التقرير بهذه الكيفية لايمكن قبوله لعدة وجوه:

١.ان دعوى أن الوجود ليس إلا موجودية الماهية في الاعيان أنه مفهوم انتزاعي هو نفس دعوى أصالة الماهية واعتبارية الوجود فكيف يكون دليلاً عليها؟! إذ القاءل بالاصالة يبني على ان المتحقق في الاعيان هو الماهية وبالتالي سيكون الوجود أمراً انتزاعياً لاغير.

٢.لو سلم أنه دليلٌ على ذلك، ولكن يمكن القول ان هذا دليل على اعتبارية الوجود العام المفهومي وليس حيثية الوجود الخارجية للانسان مثلاً، مع ان النزاع ليس في الوجود العام المفهومي الذي يعني الموجودية المصدرية.

٣.ان السيد الداماد ينقض هذا الكلام بنفسه في مقام آخر؛ إذ قد أفاد بان المفهوم المشترك لايمكن ان ينتزع إلا من جهة مشتركة هينية، فلو لم يكن للوجود حقيقية عينية للزم انتزاع المفهوم الواحد من جهات الامتياز وهو محال عنده إذ يقول في التقديسات" إنّ أيّ مفهوم يحمل على خصوصيّات عدّة، كان من جوهريّاتها أو من عرضيّاتها اللاحقة، وأيّ معنى يلحق بها أو ينتزع منها فإنّ مطابق الحمل ومستحقّ الالحاق ومبدأ الانتزاع إنّما هو الطّباع المشترك، ولا حظّ لشيء من الخصوصيّات من أن يكون لها بخصوصها مدخل في مصحّحيّة ذلك أصلا"[٩٨]

٤.لو سلمنا هذا الدليل فيمكن ان نقلبه لصالح أصالة الوجود فنقول: أن الوجود

الخارجي لما كان هو منشأ انتزاع مفهوم الموجود بحيث يكون مصداق الحمل ومطابق الحكم هو الوجود الامكاني يثبت أصالة الوجود دون الماهية.

الدليل الثاني:تقدم الماهية على الوجود في الواقع ونفس الامر يدل على اصالتها

وهذا الدليل يحتاج إلى تحرير مجموعة من المقدمات الت يحققها المحقق الداماد:

المقدمة الاولى: هناك فرقٌ بين مرتبة التقرر الفعلي والتقرر التقديري للماهية، فالماهية الواقعة في جواب "ما الشارحة" يعبر عن تقررها بالتقرر التقديري، بينما الماهية التي تعلق بها الجعل البسيط تسمى مرتبتها بالتقرر الفعلي، وبهذه المرتبة من التقرر الفعلي قسم المحقق الداماد الهلية البسيطة الى المشهورية التي مفادها وجود الماهية، والهلية البسيطة الحقيقية التي مفادها تقرر الماهية بالفعل، وجعل مفاد الحمل ومطابق الحكم في الهلية البسيطة الحقيقية هو المجعول بالجعل البسيط، بينما مفاد الحمل ومطابق الحكم في الهلية البسيطة المشهورية أمرٌ انتزاعي يتعلق به الجعل الانتزاعي بتبع جعل منشأ الانتزاع[٩٩].

المقدمة الثانية: أن الفرق والغيرية بين التقرر الفعلي والوجود ليس في مقام التحقق الخارجي حتى يبحث عن أصالة احدهما واعتبارية الآخر، وإنما في مقام التحليل النفس الأمري والواقعي، الذي يفيد تقدم الماهية في التقرر على الوجود ولهذا قال الحكماء " الماهية تقررت ثم امكنت فاحتاجت فأُوجبت فوجبت فأُوجدت فوجِدت" وعلى بيان المحقق الداماد تكون هكذا" الماهية تقرر بالتقرر التقديري فامكنت، فاحتاجت، فأوجبت- يعني صار التقرر الفعلي لها ضرورياً بعلتها - فوجبت _يعني صارت متقررة بالتقرر الفعلي بالضرروة- فاستتبعتها الموجودية الانتزاعية.

اذا اتضحت هاتين المقدمتين نقول: لماكانت الماهية هي السابقة على الوجود في التقرر الفعلي،فلايمكن ان تكون الآثار إلا للماهية المتقررة من قبل الجاعل اولاً، إذ السبق في التقرر الفعلي مساوق للسبق في ترتب الآثار.

فان قلت: لم لانقول بتقدم الوجود على الماهية في التقرر فينتج اصالة الوجود واعتبارية الماهية:

قلت: اجاب السيد الداماد عن هذا الاعتراض مسخّفاً له بقوله" وفي المقلدين من ينتكس ويسير على عكس المحصلين، فيقدم مرتبة الوجود على مرتبة الفعلية، ولايبالي بتقديم العارض على المعروض فيقول وجد فصار إنساناً "[١٠٠]، ولعل بقوله " ولايبالي بتقديم العارض على المعروض " يعرض بالجواب عنه بإنه منافٍ لبديهة العقل بتقدم المعروض على العارض.

ولكن أقول: هذا الدليل كسابقيه لايمكن الاعتماد عليه في اثبات أصالة الوجود وذلك لعدة وجوه:

١.إن هناك خلطاً بين السبق بالتقرر في الواقع ونفس الأمر والسبق في التقرر في الأذهان، فإن ماندركه بالوجدان هو سبق الماهية على الوجود في التقرر في الاذهان، بمعنى أن الذهن يتصور الماهية معروضة للوجود والوجود عارضٌ لها، وليس من البديهيات السبق في التقرر في نفس الأمر والواقع إلا بناءً على أصالة الماهية فيكون الدليل مصادرة واضحة، ودعوى مطابقة السبق في التقرر الذهني للتقرر الواقعي أولُ الكلام؛ لان السبق في التقرر الذهني له مناسباته المرتبطة بطبيعة الادراك وكيفية ادراك الذهن للوحدة والكثرة، فالوحدة وإن كانت اوضح لدى العقل من الكثرة ولكن الكثرة اوضح عند الخيال من الوحدة؛ ولهذا يجعل الذهن مابه الامتياز

موضوعاً ومابه الاشتراك محمولاً في الحمل الطبعي، وما ذلك ألا لأجل أُنسه بالماهيات الناشيء من اوضحيتها لدى الخيال.

٢.لو سلم السبق في التقرر للماهية على الوجود في الواقع ونفس الأمر، ولكن هذالايدل على ان منشا الآثار هو الماهية دون الوجود كما لايدل على ان الوجود مجرد امرٍ انتزاعي، إذ يمكن ان يدعى ان تقرر الماهية يعني تطور طبيعة الوجود وتشأنها في الخارج، مما يعني ان منشا الآثار هي أطوار الوجود وان الماهية المجعولة ماهي في الحقيقية إلا اعتبارات مكثرة لإثار الطبيعة الواحدة للوجود من جهة القبول لا من جهة التأثير والاقتضاء وهذا هو الأقرب الى مباني العرفاء.

٣.لو سلم السبق في التقرر للماهية وأنها منشأ الآثار ولكن هذا لايعني اعتبارية الوجود بل يمكن أن ينسجم مع أصالتهما معاص على نحو العينية الخارجية كما قرب سابقا في ذكر الاقوال فمالم يتم ابطال الاقوال البقية لن نصل الى القول باصالة الماهية واعتبارية الوجود.

٤.ما أجاب به السيد الداماد عن فرض تقدم الوجود على الماهية بان فيه "تقدمٌ للعارض على المعروض وهو خلاف طباع العقل" فيه مغالطة واضحة؛ إذ القائل باصالة الوجود يعتبر المعروض في نفس الأمر والواقع هو الوجود الانساني لا الماهية الانسانية حتى يلزم تقديم العارض على المعروض، وإنما الذهن لإنسه بالماهيات يجعل الماهية هي المعروض والوجود هو العارض.

الدليل الثالث: التمسك بالجعل في اثبات الاصالة

وذلك من خلال مقدمات:

المقدمة الاولى: ان متعلق الجعل البسيط هو تقرر الماهيات لا وجودها، فأثر الجاعل أولا وبالذات نفس الماهية ثم يستتبعه الجعل المؤلف للموجودة ولكن لا بافاضة جديدة من قبل الجاعل، أو باقتضاء من قبل الماهية الفائضة، بل يستوجبه نفس الجعل البسيط الأول في المقام على سبيل الاستلزام او الاستتباع[١٠١].

المقدمة الثانية: مايتعلق به الجعل هو الذي يكون منشأً للآثار ومصداقاً بالذات، لإن أثر الجاعل حقيقي فلابد ان يكون هو الاصيل.

ولايصح الاعتراض على هذا الدليل بإن الجعل موقوف على الأصالة فماكان أصيلا فهو المجعول، لإن المفروض أن النزاع في الجعل انما في المفتقر الى علة فاعلة وحيثية تعليلية، بينما النزاع في الاصالة حول المتحقق بالذات والمفتقر الى الحيثية التقيدية.

ولكن مع ذلك يمكن الجواب عليه بقلب الدليل عليه، إذ يمكن ان يقال ان المجعول لابد ان يكون متشخصاً، لان الجعل يساوق التشخص، والمتشخص هو الوجود دون الماهية، فالمجعول هو الوجود دون الماهية.

ولعل السيد الداماد قُدِّسَ سِرُّهُ تفطن إلى هذا الإشكال في الكلام، ولهذا ذكر في بحث التشخص ان الماهية إنما تتشخص بإضافتها للحق تعالى إضافة مجهولة الكنه معلومة التخصص بالبرهان، قال في الإيماضات" وإنما مبدأ شخصيته نحو الوجود أي امتناع حمله على كثيرين، إرتباطه بالموجود الحق المتشخص بنفس ذاته، إرتباطاً خاصاً يجهل كنهه ويعلم خصوصه بالبرهان"[١٠٢]، ولكن هذا الجواب مما لاينفع

بالنسبة إلى الماهية التي تتشخص بوجودها الخاص بها، إذ ليست حقيقة الإضافة إلى الحق تعالى إلا إضافة إشراقية هي عين وجودها المتشخص بذاته بلا حيثية تقيدية تفيده التشخص، ولعل الحق جرى على لسان السيد الداماد، حينما قال " إن تشخص الشيء من جهة نحو وجوده الذي يخصه العقل به، ممتازاً عن وجودات الأشياء، مبايناً في الحمل بماله من الخواص والأعراض اللاحقة، التي هي أمارات الوحدة الشخصية"[١٠٣]، إ قوله " ان تشخص الشيء من جهة نحو وجوده" شاهد عدل على أن التشخص بالوجود لابالماهية كما هو واضح، ومن الغريب مافسَّر به بعض الاساتذة نحو الوجود بفرد الماهية في الخارج، فإن هذا التفسير يرجع في الحقيقة إلى كون المشخّص هو العوراض المشخّصة المأخوذة في الفرد، وقدر رفض السيد الداماد كونها المشخّصة وجعلها أمارات التشخّص فتفطن، ودعوى أن المشخص هو الوجود الواجبي فيه خلط بين الحيثية التعليلية المفيدة للتشخص وبين الحيثية التقيدية الموجبة للاتصاف به.

ثم لو سلمنا أنّ متعلق الجعل هو الماهيات دون الوجود ولكن يمكن التفكيك بين مقام الجعل والاصالة بإن يدعى أن الاصيل هو الوجود ولكن المجعول هو الماهيات، وذلك بدعوى ان معنى جعل الماهيات تعيينها وتمييزها وتكثيرها للوجود خارجاً.

الدليل الرابع: انحفاظ الماهية في الكونين الذهني والخارجي

ويمكن بيانه بمقدميتن أيضاً:

المقدمة الاولى: ان الماهية محفوظة في الوجود الذهني والخارجي؛إذ الوجود

عارض الماهية والعارض لايبطل المعروض أو يبدله وإلا لـم يكـن عارضـا، فـالوجود الذهني أو الخارجي لايبدل من حقيقة الماهية[١٠٤].

المقدمة الثانية: مقتضى إنحفاظ الماهيات بحيث يطابق الحد والبرهان الواقع الخارجي، هو أصالة الماهيات وان المتحقق في الأعيان هو الماهيات دون الوجودات، إذ لو كانت الماهية اعتبارية والوجود هو المتحقق فـي الاعيـان لكـان الحـد والبرهـان غير مطابق للعيان لإن ماعليه الحد والبرهان هـو الماهيـات وبالماهيـات، بينمـا الواقع الخارجي هو الوجودات!

وهذا الاستدلال يمكن الجواب عنـه: بـان الماهيـات حتـى لـو كانـت اعتباريـة، يمكن القول بمطابقة الذهن للخارج في الماهية وصـدق الحـد والبرهـان اللمـي على التعينات العينية؛ لإن القائل باعتبارية الماهية لايقول بعدم تحققها في مقام العينيـة، بـل يعتبر الماهيات شؤون الوجودات الامكانية أو حدودها العدميـة او تعيّناتهـا الإمكانيـة، ولهذا ما انكر القائلون باصالة الماهية مطابقـة الـذهن للعين، ولا أنكـروا صـدق الحـد والبرهان على التعينات العينية الخارجية.

ويمكن قلب هـذا الـدليل علـى المسـتدل بـإن يقـال: لـو كـان الوجـود أمـراص اعتبارياً والماهية هي الاصيلة، فمع انحفاظها في الكونين وعدم التبـديل ألا فـي الأمـر الاعتباري يلزم اتحاد الأثار بـين الـذهن والخـارج، وهـو واضـح الفسـاد، ولاينفـع فـي جوابه ماقيل

القسم الثاني: الادلة المثبتة لاصالة الماهية بصورة الخلف

وهي مجموعة من الادلة الخلفية التي ذكرت في الحقيقة كنقوض علـى أصـالة الوجود تصلح لاثبات اصالة الماهية ونذكر ما ذكر منها او انتزع من كلمـات المحقـق

الداماد قدس سره.

الدليل الاول: لو كان الوجود هو المتحقق في الاعيان والماهية أمراً انتزاعيا للزم أما كثرة الخارج او ارتفاع المقولات خارجاً وكلاهما محال.بيان الملازمة: اننا لو فرضنا ان الماهية انتزاعية، فإما ان تكون أمراً وجوديا متحققاً في الاعيان منضماً إلى الوجود، فيلزم كثرة الواحد وهو باطل، وإما ان تكون أمراً عدمياً منتفياً من الخارج رأساً، فتنتفي المقولات التي هي الماهيات رأساً من الخارج وهو اضح الفساد[١٠٥].

ولكن هذا الكلام غريب فإن اعتبارية الماهية لاتساوق انتفاءها من الخارج رأسها بل يكون اتصافها بالوجود الخارجي بحيثية تقييدية هي الوجود الخاص الإمكاني، وبهذا يصح تحقق المقولات في الخارج.

الدليل الثاني: لو كان الوجود معنى محصّلاً في الأعيان لزم انقلاب الممكن واجباً وهو محال.

بيان الملازمة: إذا كان الوجود معنى محصّلاً في الخارج فإما ان يكون طبيعة كلية وإما ان يكون جزئياً حقيقياً.

فإن كان كلياً طبيعياً فإما أن يكون جنساً طبيعياً او نوعاً طبيعياً، فيلزم تقوّم الممكنات به تقوّم النوع بجنسه او الفرد بنوعه، فتكون نسبة الوجود إلى الممكنات هي الضرورة فتكون الممكنات واجبةً لاممكنة وهو محا، وأيضا لو كان الوجود نوعاً طبيعياً للزم أن لايكون أعم المفاهيم، وللزم أن يكون للواجب جنس وفصل وهو محال.

وإن كان جزئياً حقيقياً، فلابد ان يكون التشخص عين ذاته وليس معلولاً لذاته؛ إذ لو كان التشخص معلولاً لذاته لزم ان تكون ذاته متشخصة قبل لحوقه؛ إذ الشيء

لايكون مؤثراً مالم يتشخص، فيلزم إما أن تكون متشخصة بنفس هذا التشخص أو بتشخص آخر، والاول باطل للزوم تقدم الشيء على نفسه والثاني باطل للزوم تشخص الشيء بتشخصين وهو محال. فإذن لابد ان يكون التشخص عين ذاته وما كان التشخص عين ذاته كان الوجود عين ذاته أيضا، لإن علة التشخص هي الوجود، واذا كان الوجود عين ذاته لزم انقلاب الممكن الى الواجب؛ إذ نسبة الموجودية الى الوجود نسبة الضرورة لا الامكان[١٠٦]

وهذا الاستدلال أجاب عنه صدر المتالهين بإننا يمكن ان نقول بإن الوجود الإمكاني موجود بالضرورية الذاتية ولايلزمها الضرورة الأزلية حتى ينقلب الممكن واجباً، لإن معنى كون الشيء واحباص بالذات استغناءه عن الفعل والقابل، أي عن الحيثية التعليلية والتقييدية، بينما الوجود الامكاني وجوده وإن كان عين ذاته ولكنه ليس مقتضى ذاته، إذ هو متعلق الذات بعلته المفيضة له فكيف يكون الوجود مقتضى ذاته؟![١٠٧].

ولكن هذا الجواب كأنه لم يعجب البعض من جهة "ان الضرورة الذاتية في الهليات البسيطة تستلزم الضرورة الأزلية، فكون الإنسان ممكن الوجود لاينافي كونه واجب الناطقية، ولكنه ينافي كونه واجب الوجود بالذات، فلو كان الإنسان واجب الوجود بالضرورة الذاتية، فهذا يستلزم حتماً كونه واجب الوجود بالضرورة الأزلية"[١٠٨]، وكأن هذا الكلام اخذ من كلام السيد الداماد في رسالة الوجود والماهية حيث قال" كلّ أمر يكون نسبة الوجود إليه ضروريّة ذاتيّة يلزم أن يكون أزليّا وسرمديّا؛ كما أنّ القدم إذا كان ضروريّا ذاتيّا لأمر، يلزم أن يكون أزليّا سرمديّا، كالممتنع بالذّات، فإنّ عدمه لمّا كان ضروريّا ذاتيّا له يكون أزليّا سرمديّا. فيلزم أن

يكون جميع الموجودات المتحققة في الخارج أزليّا سرمديّا، ولم يتحقق وجود حادث أصلا، فيلزم قدم العالم بجميع أجزائه، وهو باطل اتّفاقا وبديهة"[١٠٩].

ولكن هذا الكلام يمكن الجواب عنه بإن المناط في الضرورة الذاتية لما كان الاستغناء عن الحيثية التقييدية دون التعليلية، بينما المناط في الضرورة الأزلية هو الإستغناء عن الحيثيتين معاً، صح لصدر المتالهين أن يجيب بكون الوجود الإمكاني وإن كان الوجود عين ذاته، ولكنه لما كان عين الفقر والحاجة إلى علته صار مفتقراً إليها في اصل تحققه ودوام تحققه، وهذا معنى ان الضرورة الذاتية فيه لم تستلزم الضرورة الازلية إذ الافتقار الذاتي لايتناسب مع الضرورة الازلية التي مناطها الاستغناء عن العلة.

الدليل الثالث: لو كانت الماهيات أموراً انتزاعية لزم عدم وجود الكلي الطبيعي في الخارج والتالي واضح الفساد.

بيان الملازمة: اذ قلنا بان الوجود هو الاصيل والماهية مجرد انتزاع ذهني منه فهذا يعني ان الطبيعي الذي يمثل الماهية مجرد أنتزاع ذهني، لان الوجود متشخص بذاته في الخارج بينما الطبيعي ليس متشخصاً بذاته، فلايكون موجوداً في الخارج[١١٠].

وهذا الكلام ممنوع، إذ القول بإصالة الوجود لايعني كون الماهية سراباً لاحقيقة لها ولاتحقق في الاعيان، وكون الطبيعي غير متشخص بذاته لايمنع من وجوده في الخارج بعد تشخصه بالوجود، إذ الوجود مابه التشخص الخارجي.

الدليل الرابع: لو كانت الماهية اعتبارية والوجودات الامكانية هي الأصيلة لزم وحدة المفهوم مع كثرة المصداق وهو محال[١١١].

بيان الملازمة: إذا قلنا أن المتشخص في الخارج هو الوجودات الإمكانية والماهيات مجرد انتزاعات ذهنية منها، يلزم ان تكون تلك الوجودات الأمكانية مع كثرتها وتعددها معنون لعنوان ومفهوم الوجود وهو محال، إذ وحدة العنوان تكشف عن وحدة المعنون المحكي به.

وهذا الوجه أغرب الوجوه المذكورة في كلمات المحقق الداماد، إذ من الواضح جداص أن الماهية لو كانت هي الاصيلة ومفهوم الوجود واحد للزم نفس الاعتراض، إذ الماهيات مثار كثرة أتت.

المبحث السادس: الاعتراضات الواردة على القول بإصالة الماهية

وهذه الاعتراضات في الحقيقية هي استدلالات خلفية ذكرها صدر المتالهين في كتبه[١١٢] لابطال أصالة الماهية واثبات أصالة الوجود:

الاعتراض الاول: لو كانت الماهية أصيلة لم يوجد شيء من الاشياء في الخارج والتالي باطل.

بيان الملازمة: أن الماهية لما كانت بذاتها لاتقتضي الوجود فلابد من انضمام شيء يوجب اتصافها بالوجود، وحيث أن الوجود اعتباري يلزم انتفاء الاشياء من الخارج رأساً.

ولايصح الجواب عن هذا الاعتراض بإن الماهيات مستحقة لحمل الموجودية عليها ببركة إنتاسبها الى الجاعل، إذ لنا أن ننقل الكلام إلى الى هذا الانتساب فغن كان إضافة مقولية ذهنية فهي تابعة في إعتبارية وواقعيتها لاعتبارية الطرفين وواقعيتهما، ويكفي في إعتباريتها أعتبارية أحد طرفيها، وإن كانت امراً خارجيا

وإضافة إشراقية وجودية، فهي الوجود المتأصل في الممكنات.

ومن عجيب الكلام ما اجاب به بعض الاساتذة من أنها موجودة بالوجود الاصيل الواجبي الذي هو حيثية تعليلية في المقام"[١١٣]، فإن الكلام في الحاجة إلى الحيثية التقييدة لا التعليلية، ودعوى عدم الحاجة في حمل الموجودية على الماهية إلى حيثية تعليلية أول لكلام وموضع النقض والإبرام.

الاعتراض الثاني: لو كانت الماهية أصيلة لاستوى الذهن والخارج، لان مابه الامتياز هو الوجود والمفروض انه أمرٌ اعتباري.

وقد استغرب البعض من هذا الاشكال بدعوى ان الماهية لاتقتضي بذاتها الوجود الخارجي او الذهني حتى يلزم الاشكال المذكور، بل يعرضها الوجود الخارجي والذهني بمعنى ثبوتها في ظرف الذهن والخارج واختلاف الآثار إنما باختلاف أنحاء الوجودين، وليس المراد من اختلاف الوجودين المعنى الصدرائي، بل المراد من الوجود الخارجي هو مصداق الماهية المجعولة من قبل الجاعل، ولهذا تترتب عليه الآثار، بينما المراد من وجودها الذهني هو مفهوم الماهية الذي هو من شؤونات الكيف النفساني ولهذا لاتترتب عليه آثار الماهية الخارجية، والمشترك بينهما هو الماهية من حيث هي هي[١١٤].

وهذا الجواب هو الغريب في بابه فنحن نسأل المجيب ان مصداق الماهية الأصيلة المجعولة بما يزيد على الماهية الاعتبارية ومن حيث هي هي ؟ فإن زاد عليها بالانتساب رجع الجواب هو الجواب، وإن زاد عليها بالوجود فالمفروض كونه أمراً اعتباري.

الاعتراض الثالث: لو كانت الماهية أصلية لامتنع التشخص على الانواع

الخارجية، إذ ضم ماهية إلى الماهية من قبيل ضم الكلي إلى الكلي لايفيد تشخصاً للإمر الخارجي.

وأيضا أجيب عليه: بإن مفيد الموجودية للماهية كما هو الجاعل الألهي فمفيد التشخص لها هو أيضا الجاعل الإلهي[١١٥].

ولكن هذا الجواب أيضا من باب الخلط بين الحيثية التعليلية والحيثية التقييدية كما هو واضح.

الاعتراض الرابع: لو كانت الماهية أصيلة لامتنع الحمل الشائع الصناعي بين الماهيات إذ هي مثار الكثرة والتباين، وحيثية الاتحاد المصحح للحمل هو الوجود دون الماهيات.

وقد حاول البعض الجواب عنه أيضا: بإن المراد من الإتحاد في الوجود في الحمل الشائع الصناعي، أنما هو الإتحاد في المصداق الواقعي، بحسب ظرف الإتصاف وهو الفرد الماهوي، إذ لامعنى للإتحاد في الوجود العيني في القضايا الذهنية والعدمية كقولنا" الحيوان جنسٌ" او الإنسان معدوم" مع أن الحمل فيهما من الحمل الشائع الصناعي، بل المحمول أصلا ليس من المفاعيم الماهوية حتى يكون الاتحاد بين الماهيات بل المحمول ليس إلا اعتباراً من اعتبارات الموضوع وليس له وجود مستقل في الاعيان حتى يتحد مع الموضوع[١١٦].

وهذا الكلام واقعاً في غاية الغرابة لإن الكلام ليس في نفس الحمل وظرف الحكم بل في ظرف الأتصاف ومفاد الحمل ومطابق حكم، وفي ذلك الظرف قد يقتضي وجود الحاشيتين كما في حمل المشتقات المأخوذة من المقولات، فلابد من جهة اتحاد وهي غير الماهيات، وقد لايستدعي ثبوت الحاشيتين، كما في القضايا

الذهنية والعدمية ؛إذ أن صدق القضايا لايتوقف على ثبوت الوصف؛ إذ ثبوت الاتصاف فرع ثبوت المثبت له لا الثابت، فحمل الجنس على الحيوان والمعدومية على الإنسان حملاً ايجابيا وبالحمل الشائع يصح بمجرد ان يكون للمثبت له ثبوت في ظرف الصدق والإتصاف، والمفروض أنه ثابت في ذلك الظرف.

وأما دعوى ان المحمول من اعتبارات الموضوع ومن المعقولات الثانية الفلسفية، فهو وإن كان تاماً في حمل العرضيات على الذات- إذ لحد هذه اللحظة في كتابة البحث لم يتضح كيف يكون الانسان المحمول على أفراده في قولنا" زيد إنسان" من باب الحمل الشائع ومع ذلك نعتبر فيه كون المحمول معقولاً ثانياً فلسفياً واعتباراً من إعتبارات الموضوع- ولكنه لايعني ان ظرف الاتصاف لايستدعي ثبوت الحاشتين دائماً كما صرح بذلك السيد الداماد في الافق المبين حيث قال" الاتصاف بشيء في ظرف ما: غما أنضماميٌّ بانضمام الصفة إلى الموصوف في ذلك الظرف، ولامحالة يستدعي ثبوت الحاشيتين معا في ظرف الإتصاف كما في الأعراض العينية"[١١٧].

الإعتراض الخامس: لو كانت الماهية أصيلة والوجود امراص اعتبارياً لامتنع اتصافها بالوجود بناءاً على قاعدة الفرعية؛ لإن ثبوت شيءٍ لشيءٍ فرع ثبوت المثبت له، فيلزم وجود الماهية قبل وجودها.

والجواب عنه كما أفاد المحقق الداماد ان القاعدة تكون بناءاص على أصالة الماهية هكذا: ثبوت شيءٍ لشيءٍ فرع تقرر المثبت له لا فرعه ثبوته ووجوده، فلايلزم من ثبوت الوجود للماهية أن تكون موجوداً قبل وجودها لغن معروض الوجود هو الماهية المتقررة بالتقرر الفعلي من قبل الجاعل، قال المحقق الداماد " مطلق ثبوت

شيءٍ لشيءٍ بماهو طبيعة ثبوت شيءٍ لشيءٍ على الإطلاق، فرع تقرر المثبت ومستلزم ثبوته، وأما بالنظر إلى خصوصية الحاشيتين، فربما يكون أيضاً على هذه الشاكلة، أي على الفرعية بالقياس إلى تقرر المثبت له والاستلزام بالقياس إلى ثبوته، كما في ثبوت الوجود للماهية"[١١٨].

وهذا الكلام –كماهو واضح– متفرع على القول بإصالة الماهية وانها هي متعلق الجعل اما لو قلنا بمجعلوية الوجود وأصالته فلايمكن تعديل القاعدة بالتعديل المذكور.

والصحيح في الجواب عن هذا الإعتراض ان يقال ان مفاد الهلية البسيطة ليس من قبيل ثبوت شيءٍ لشيءٍ، بل من قبيل ثبوت الشي فلاتجري القاعدة الفرعية فيه، او أن يتوسل بجواب صدر المتألهين في الشواهد الربوبي من انتفاء الإتصاف أصلاً بين الماهية والوجود إذ بعد القول بأصالة الماهية واعتبارية الوجود، يكون الوجود مفهوما منتزعاً من الماهية متحداً معها ضرباص من الاتحاد وليس وصفا لاحقاً لها في الخارج او حاق الذهن حتى يقال بدخوله في القاعدة الفرعية[١١٩].

الاعتراض السادس: لو كانت الماهية أصيلة لتحققت انواع غيرمتناهية بالفعل من المقولة المتحركة بين حاصرين وهو محال.

بيان الملازمة من خلال مقدمات:

المقدمة الأولى: ان الفلاسفة يقولون بامتناع التشكيك في الماهيات.

المقدمة الثانية: ان الحركة الاشتدادية في الكيف المحسوس مثلا،كما في تسود الجسم او احمرار الوجه وغيره، إنما يعني حصول حركة اشتدادية في الموجود الخارجي.

المقدمة الثالثة: لو كانت الماهية أصيلة والوجود امراً اعتباريا‌ص، فمع القول بامتناع التشكيك في الماهية فلابد ان يكون المتحقق بالفعل من السواد بين المبدأ والمنتهي هو انواع متباينة غير متناهية لان الحرة قابلة للانقسان إلى غير النهاية ومفتصى أصالة الماهية كون الأجزا التي تنقسم لها الحركة الاشتدادية انواعاً غير متناهية موجودة بالفعل بين حاصرين وهو محال.

وقد اجاب البعض عن هذا الاعتراض بالنقض والحل.

أما النقض: فبورود هذا الإعتراض بنفسه على ألقول بأصالة الوجود، لإن المفروض ان الماهية بناءاُ على اعتباريتها منتزعة من مراتب الوجود العينية فيقع، فيلزم وقوع مراتب عينية غير متناهية من الوجود بين حاصرين.

واما الحل: فهو ان الحركة من مقولة الإنفعال التي تعرض المقولات العرضية، ففي الحركة غير الإشتدادية، يفاض على الجسم نوعٌ واحد سيالٌ من مقولات الحركة العرضية كالاين والوضع والكم والكيف، فيكون هناك نوع واحد في فرد واحدٍ سيال من المبدأ إلى المنتهى، بينما في الحركة الإشتدادية، فيفاض على الجسم أنواع سيالة من مقولة يبقى كل نوع منهما زماناً ما، ويعقبه نوع آخر أكمل منه على نحو الإتصال، ويمكن للوهم ان يقسم كل نوع من تلك الأنواع إلى أنواع غير متناهية بالقوة والحال ان مافي الخارج من الانواع متناهي بالفعل"[١٢٠]

ألا ان هذا الجواب غريب نقضا وحلاً:

اما النقض: فهو غير وارد على القائلين باصالة الوجود بعد القول بان الوجود حقيقة واحدة مشككة يكون مابه الامتياز عين مابه الاشتراك فالوحدة والكثرة فيه ممتزجتان محتلطتان وليست المراتب على نحو الانفصال الخارجي حتى يلزم وقوع

اللامتناهي من المراتب بين حاصرين، فإن المراتب انما تتعدد بتعدد الحدود التي يلحظها الأنسان وينتزع منه الماهيات، فهو تعدد إثباتي ينقطع بانقطاع اللحاظ، وهذا بخلاف القول بتأصل الماهيات فإن التعدد واقعي وليس لحاظي والوحودة اعتبارية وهي وحدة مفهو الوجود لاغير.

واما الحل: فبإن الحركة الاشتدادية بناءاً على امتناع التشكيك في الماهية، لابد ان تتركب من انواع غير متناهية في الخارج إذ بعد، ارتفاع منشا الوحدة والأتصال وهو الوجود والقول بامتناع التشكيك في الماهيات لم يبق في الواق سوى عروض انواع غير متناهية من تلك المقولات الحاصلة فيها الحرة بين حاصرين، ودعوى اتصال الانواع في الخارج مع تباينها في الماهية النوعية غريبة جداً إذ ملاك الاتصال ام الوجود او التشكيك في الطبيعة الماهوية وكلاهما مفقود بحس بالفرض في المقام.

الاعتراض السابع: لو كانت الماهية أصيلة في الاعيان للزم ام التشكيك في الماهية او انتفاء التقدم والتاخر بين الأشياء في الخارج.

بيان الملازمة: ان ماهية العلق الاول متقدمة على ماهية الحسم تقدم العلة على معلولها مع كونهما متحدان في ماهية الجوهر، فإن كان ملاك التقدم خو الوجود فقد ارتفع لاعتباريته بحسب الفرض، وان كان ملاك التقدم هو الماهية، مع كونهما متحدين في الماهية الجوهرية لزم التشكيك في الماهية وهو محال، وان لم ملام ملاك للتقدم ارتفع التقدم بين الأشياء وهو محال.

وهذا الاشكال واقعاً في غاية الدقة والعمق ولايمكن إصلاحه بدعوى التقدم في التقرر، كما هو مقتضى مبنى المحقق النائيني، لإننا ننقل الكلام إلى التقدم في التقرر إذ هو عرضي وكل عرضي معلل فعلته إما الماهية او الوجود او الجاعل، وعلى

الاول يلزم التشكيك في الماهية، وعلى الثاني يلزم اصالة الوجود، وعلى الثالث، يلزم الترجيح بلا مرجح في تقديم الجاعل لماهية الجوهر على ماهية الجسم، ودعوى ان ماهية الحوهر يكفي في صدورها الامكان الذاتي، دون الجسم الذي يحتاج إلى الامكان الاستعدادي، ممنوعة من جهة ان الفرق المذكور أيضا فرق بإمرٍ عرضي يحتاج إلى علة ويعود الكلام جذعاً فتامل.

الاعتراض الثامن: لو كانت الماهية أصيلة لكانت مجعولة ولكان الجاعل يؤخذ في حدها، فتكون جميع الماهيات من مقولة الاضافة وهو محال.

والجواب: ان الجاعل ليس من علل القوام حتى يؤخذ في الحد فتندرج الماهيات تحت مقولة الاضافة بل هو من علل الوجود، أي من علل كونها في الاعيان فلايؤخذ في حدها.

والجواب عنه: انه بعد الذهاب لاعتبارية الوجود وعدم انضمام شيء للماهية في الاعيان، فلابد ان تكون الاضافة للجاعل معتبرةً في ذاتها حتى يحصل الفرق بين الماهية من حيث هي هي والماهية في الاعيان، ولو سلم عدم اعتبرها في حد الذات والحقيقية ولكن يمكن القول بإن تقوم الهوية الخارجية بالاضافة هو المشكلة الحقيقية فان اندراج الماهية تحت المقولات انما هو باعتبار وجودها الخارجي لا باعتبار ماهيتها من حيث هي هي، فإذا اعتبرت الاضافة الى الجاعل في الوجود الخارجي للمقولة صارت مندرجة تحت مقولة الاضافة بالحمل الشايع الصناعي، ولاينفع في المقام الجواب الذي اجيب به عن اندراج المقولة باعتبار وجودها الذهني تحت مقولتين بدعوى التفريق بينهما بالحمل الاوللالا والحمل الشائع او الحمل الشائع الذاتي والحمل الشائع العرضي كما ذكر في محله، إذ الاضافة محمولة على الوجود

الخارجي بالحمل الشائع الذاتي، فلايرتفع الاشكال.

والخلاصة انه لم يثبت عندنا دليل صحيح على القول باصالة الماهية كما ان بعض الاعتراضات التي اوردها صدر المتألهين واردة على القول باصالتها ولهذا لانوافق السيد الداملد في بناءه على اصالة الماهية.

المبحث السابع: النتائج المترتبة على القول باصالة الماهية

بناءاً على تمامية مبنى أصالة الماهية واعتبارية الوجود توجد مجموعة من النتائج المترتبة على القول باصالتها، يمكن تقسيمها الى عناوين متعددة[١٢١]:

١.**الآثار المعرفية لاصالة الماهية:** ونقصد منها تاثير البحث على كيفية التعرف على الواقع الخارجي، فبناءاً على اصالة الماهية سيكون الوقوف على حقائق الاشياء العقلية والتي تتطابق مع الذوات الخارجية ميسوراص وممكناص وبذلك ترتفع قيمة العلم الحصولي الذي يبتني عليه التعليم، إذ اكتساب الحد والبرهان سيكون ميسوراص في المباحث العلمية، ولكن هذا الأثر محل تامل ونظر، إذ حتى بناءاص على أصالة الوجود سيكون للعلم الحصولي قيمة عليا ص في التعرف على الواقع الخارجي،غاية مافي الباب سيكون نسبة معرفتنا الى الخارج نسبة اللازم إلى الملزوم، ولكن الانتقال منه يمكن ان يقال بانه من قبيل برهان الملازمات لاختصاص هذه اللوازم بهذه الملزومات وعدم عمومها لغيرها من الملزومات من مراتب الوجود الاخرى، فالوجودي الانساني يمكن التعرف على أثارها، واحكامه اللاحقة له بواسطة الماهيات، بل الامر في مقام الثبوت بالعكس ؛ فان الوجود هو الذي يصبغ الماهية بالآثار بناءاً على أصالة الوجود.

٢.الاثار الفلسفية لاصالة الماهية: وذلك من خلال تشكل لوح الواقع من كثرة متباينة بينها علية ومعلولية ملاك الحاجة فيها الامكان الماهوي لا الامكان الفقري النابع من صميم الوجود الامكاني،كما ان التباين الخارجي يمنع من القول بالحركة الجوهرية الموجبة لانتفاء الموضوع الواحد وتحول الحركة الى الكون والفساد، كما انه يمنع من الاتحاد بين العاقل ومعقوله وبين النفس وقواها، كما ان العلاقة بين الجوهر والعرض والمادة والصورة سيكون الانضمام، كما ان الجنس والفصل لايتعينان إلا بالنوع، وان فصول الاشياء ليست أموراً ماهوية بل عبارة عن مفاهيم وظيفتها تعيّن ماهية الجنس وتحصيلها، كما ان العينية بين الوجود الذهني والخارجية محفوظة على القول باصالة الماهية، لانحفاظ الماهيات في الوعائين دون الوجود، كما ان انه بناءاً على اصالة الماهية أضاف السيد الداماد نوعاً جديداً من التقدم أيماه التقدم بالتقرر الفعلي، وعلى هذا الأساس بنى مقولته في الحدوث الدهري الموجب لسبق عدم التقرر الفعلي على التقرر، والذي يكون شاملاً لجميع الممكنات، فإن الجميع من العقول المجردة الى الاجسام المادية لها حدوث دهري بمعنى سبق العدم الصريح في متن الواقع والدهر على وجودها المترتب على تقررها الفعلي، فتجتمع في الحادثات الزمانية انواع من الحدوث الزماني والذاتي والدهري. قال المحقق الداماد " إن هذه الأقسام – أي من الحدوث- إنما هي انواعٌ متباينة في المفهوم بحسب اختلاف المعاني، وليست متصادمة في التحقق بحسب الاجتماع في موضوع واحد، فكل حادث زماني تجتمع فيه أنواع الحدوثات الثلاثة جميعاً، فإنه حادث ذاتي من حيث وجوده بالفعل بعد ليسٍ مطلق في مرتبة نفس الذات، بعدية بالذات بحسب طباع الامكان الذاتي، وحادث دهري من حيث الوجود بالفعل بعد

سبق العدم الصريح بعدية دهرية، وحادث زماني من حيث اختصاص وجوده الحاصل بالفعل بزمان هو بعد زمان عدمه المستمر الممتد في امتداد الزمان بعديةً زمانية"[١٢٢]، كما ان القول بإصالة الماهية مع امتناع التشكيك فيها، يوجب امتناع القول بكون الماهيات النوعية للانواع الجسمانية ذات أفراد عقلية مجردة عن المادة تسمى بالمثل الافلاطونية، إ ذ تصحيح القول بها مبني إما على القول بالتشكيك في الماهية او الوجود وكلاهما منتف في المقام. وهذه الآثار التي أُفيدت ليست كلها بالدقة نتائج لاصالة الماهية بل في الحقيقية ترجع الى مبان أخرى لامجال لعرضها فشيخ الاشراق مع انه قائلٌ باصالة الماهية واعتباري الوجود ولكنه لم يرفض بعضالاثار التي ادعي ثبوتها لاصالة الوجود، كالقول بالمثل الالهية.

٣.**الآثار الإعتقادية:** فإن الايمان بإصالة الماهية يوجب ثبوت ثنائية الخالق والمخلوق كما ورد في الحديث" إن الله خِلوٌ من خلقه وخلقه خِلوٌ منه"[١٢٣].

النتائج المستحصلة من البحث:

١.اتضح من طيات البحث أن الادلة التي أقامها السيد الداماد غير كافية لاثبات أصالة الماهية واعتبارية الوجود.

٢.أن الآثار التي أدعي ترتبها على القول باصالة الوجود أكثرها لاتبنتي على القول باصالتها، وأنما تفتقر الى القول باصول أخرى كالقول بعدم التشكيك في الماهية وغيرها من المباني التي يمكن للقائلين باصالة الماهية ان يلتزموا بها، كما ألتزم الشيخ الاشراقي بالقول بالتشكيك مع ذهابه إلى أصالة الماهية بحسب ظاهر عباراته في حكمة الاشراق.

٣.ان المحاكمة بين القول باصالة الماهية واصالة الوجود تقتضي تحرير رسالة

في الأسس التي يبني عليها كل من الطرفين بناءهُ، فالسيد الداماد بعد ان اتحفنا، بمصطلحاته المتعددة، كالتفكيك بين التقرر الفعلي والوجود، وادعاءه ان الوجود ليس إلا الموجودية المصدرية وان المجعول لابد ان يكون الماهية وإلا لكانت من المفاهيم الانتزاعية، وأن الماهية لاتحتاج في حمل الموجودية عليها إلا لحيثية تعليلية دون الحيثية التقييدية، لم يقم لنا دليلاً واحداً على أصول هذه المدعيات، ولا أتعب نفسه في تصويرها، وإنما ارسلها إرسال المسلمات، ونحن لاندعي بإنه لايمكن اثبات مدعياته المذكورة ولكن ندعي بإنه لم تتضح تلك الاثباتات من كلماته المنقولة، ولعل اختصار عباراته وغموضها هو الذي اوقعنا في هذا الامر فعلى الباحث الحصيف ان يحرر هذه المباديء قبل الدخول في محل النزاع وان يبين موارد الحاجة إلى الحيثية التعليلية والتقييدية وأقسامها وكيفية تأثيرها في البحث المذكور، وغيرها من الأصول التي حاولنا العرض لها مجملاص في مقدمات البحث.

٤.إن الأقرب للحق هو الجمع بين القولين بجعل الاصيل في الشيئية هو الماهية والاصيل في التأثير هو الوجود، بمعنى ان الماهيات بلحاظ تقررها النفس الأمري توجب تعدد الأثار وتكثرها، بينما يكون منشا الآثار في الجميع هو الوجود الواحد الشخصي المتعين بتكثر الماهيات، واما الوجودات الامكانية فهي على مايدل عليه التحقيق في مطلب الوحدة الشخصية مجرد اعتبار عقلي حاصل من اشراق حقيقية الوجود على هياكل الممكنات المتقررة في صقع الذات، الموجب –ذلك الاشراق– تعينها علما وعيناً وبروز آثار الوجود ثبوتاً واثباتاً.

هوامش البحث:

(١) وهو محمد باقر شمس الدين بن محمد الحسيني الاسترابادي صهر المحقق الثاني الكركي، لقب بالسيد الداماد والمعلم الثالث والعقل الثالث عشر وسيد البشر، ولد في استراباد، ثم انتقل للدراسة في مشهد، ثم انتقل منها الى دار السلطنة قزوين ثم الى كاشان ثم الى إصفهان، وقد تتلمذ في العلوم النقلية والرياضية على يد المحقق الشيخ عبد الصمد والد الشيخ البهائي وخاله الشيخ عبد العالي الكركي ابن المحقق الكركي والسيد نور الدين الموسوي العاملي وأما في الحكمة فقد تتلمذ على يد الميرفخر الدين السماك الاسترابادي، وقد نقل تلميذ المحقق الداماد الملا عبد الرزاق اللاهيجي أن أكثر استفاداته من مطالعاته الذاتية للفلسفة، وذلك لما كان يتمتع به من الاستعداد القوي لفهم المطالب الفلسفية والتدقيق فيها ،قام بتشييد أكبر مدرسة فلسفية في تاريخ الاسلام وصار محط رحال طالبي الايقان والتفلسف في شتى انحاء العالم،عاصر علماء كبار امثال الشيخ البهائي والميرفندرسكي وغيرهم من عمالقة الحكمة والتحقيق في زمانه، وقد تتلمذ على يديه العديد من الحكماء اللذين ذاع صيتهم بعده او في اثناء حياته وكان من ابرزهم الملا صدرا الشيرازي الذي لاقى عناية خاصة من استاذه، والسيد احمد العلوي العاملي صهره وشارح افكاره وكتبه والملا عبد الرزاق اللاهيجي والفيض الكاشاني وغيرهم من جهابذة العلم والتحقيق في زمانهم، توفي سنة ١٠٤١هـق في منطقة ذي الكفل ونقل جثمانه الشريف ودفن في النجف الاشرف. انظر: مقدمة الافق المبين بقلم: عبد الله نوراني، مصنفات ميرداماد،ج٢ص٣٢.

(٢) انظر: عبد الخالق، أيمن، الأنظار العالية في نقض الحكمة المتعالية،ص٤٥-٤٧.

(٣) انظر: في إبداعاته المنطقية والكلامية والفلسفية: المصدر السابق،ص٤٩-٥١.

(٤) الشهيد مطهري، مرتضى، تقريرات شرح المنظومة: ج١، ص٥٨ بتصرف.

(٥) السبزواري ملا هادي، شرح المنظومة، تعليق اية الله حسن زادة املي، ج٢، ص٦٦.

(٦)، الشيرازي، صدر المتألهين، الأسفار،ج١ص٤٩.

(٧) انظر: عبد الخالق، أيمن، الأنظار العالي في نقض الحكمة المتعالية، ص٨٢، ص٨٧.

(٨) الفارابى أبو نصر، الفارابى فى حدوده ورسومه: ص٦٤٤.

(٩) انظر: الشيرازي، صدر المتألهين، الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية،ص١٣٤بتصرف.

(١٠) تلخيص مابعد الطبيعة،ص٤

(١١) انظر البداية ص١٥، والنهايةج١، ص١٩، الطباطبائي، محمد حسين. شرح المنظمة، السبزواري، ملا هادي، ج٢، ص٦٦.

(١٢) وهو يحيى بن جحش شهاب الدين السهروردي المولود في سهرورد في اطراف مدينة زنجان عام ٥٤٩هـق، درس على مجد الدين الجبلي في مراغة ثم عند ظهير الدين في اصفهان ثم أخذ بالتنقل بين عدة مدن في ايران وتركيا وسوريا التقى في احد اسفاره من حلب إلى دمشق بالملك ظاهر بن صلاح الدين الايوبي القائد المعروف. وقد انجذب إليه الملك ظاهر كثيرا وطلب منه البقاء في قصره، مما أثار حفيظة بعض المقربين في القصر خوفا على مناصبهم فكتبوا إلى صلاح الدين الايوبي مدعين مخالفته لعقائد المسلمين فكتب إلى الملك ظاهر ثلاث مرات إلى ان اضطر إلى سجنه، وكانت نهاية حياته في السجن سنة ٥٨٧هـق، وهو في الثامنة والثلاثين من عمره، وعلى رغم عمره القصير فقد كتب كتبا عديدة تصل إلى خمسين كتابا من أهمها حكمة الاشراق والمطارحات والتلويحات والمقاومات.

(١٣) الشيرازي، صدر المتألهين، الأسفار: ج١، ص٦٥.

(١٤) الطباطبائي، محمد حسين "النهاية: ج١، ص٢٠.

(١٥) الشيرازي،صدر المتألهين، الأسفار: ج١، ص٦٦.

(١٦) المرزبان بهمنيار، التحصيل: ص٢٨١.

(١٧) مصنفات مير داماد: ج٢ ص٢٢٥.

(١٨) المصدر السابق:ج٢ص١١٩.

(١٩) العلامة الحلي، كشف المراد: ص٢٩.

(٢٠) راجع مجموعة مصنفات مير داماد جلد دوم، الافق المبين، الداماد محمد باقر، ص٥، وأيضاً نسبه إلى المحقق الدواني العلامة الطباطبائي في بداية الحكمة مصدر سابق، ص١٧.

(٢١) يراجع في ذلك:المصري، ايمن عبد الخالق، الأنظار العالية في نقض الحكمة المتعالية،ص٨٧-٩٥.

(٢٢) أنظر: المصدر السابق،ص٨٥-٩٠.

(٢٣) انظر: السبزواري، ملا هادي، شرح المنظومة،ج١ص١٤٣-١٤٤.

(٢٤) الداماد،محمد باقر، تقويم الايمان مع شرحه كشف الحقائق للسيد أحمد العلوي، ص٢٠٠،ص٤٠١.

(٢٥) أبو علي سينا، الهيات الشفاء، المقالة الأولى، الفصل الخامس، ص٣١.

(٢٦) بن رشد تلخيص مابعد الطبيعة، المقالة الثانية، ص٤٥.

(٢٧) الجرجاني، مير شريف، شرح المواقف: ج٢، ص١٥٤.

(٢٨) أبو علي،سينا، المقالة الاولى،الفصل الخامس، الهيات الشفاء،ص٣١.

(٢٩) الشيخ الرئيس، بن سينا، الشفاء، المدخل،ص٣٤.

(٣٠) الفراهيدى، خليل بن احمد، كتاب العين: ج٨.

(٣١) سور الأعراف: ١٠٢.

(٣٢) سور التوبة: ٥.

(٣٣) سور القصص: ١٥.

(٣٤) سور النمل: ٢٣-٢٤.

(٣٥) سور النساء: ٤٣.

(٣٦) سور الطلاق: ٦.

(٣٧) اصفهانى، حسين بن محمد راغب، مفردات ألفاظ القرآن،ص٧٤٩.

(٣٨) حميرى، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم،ج١١ص٧٠٨٢.

(٣٩) مصطفوى، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم،ج١٣ص٣٣-٣٤.

(٤٠) بهمنيار المرزبان، التحصيل: ص ٢٨٠-٢٨١.

(٤١) صدر المتألهين، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: ج١، ص٤١.

(٤٢) العلامة الحلي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص ٤٠-٤١.

(٤٣) فخر الدين الرازي، المباحث المشرقية في علم الالهيات والطبيعيات: ج١، ص٤٣.

(٤٤) مير داماد، محمد باقر، القبسات: القبس الثاني، ص٧٣.

(٤٥) الفارابى أبو نصر، الفارابى فى حدوده ورسومه: ص٦٤٤.

(٤٦) بن رشد، تلخيص مابعد الطبيعة: ص٨.

(٤٧) الحيدري، السيد كمال، شرح كتاب الأسفار الأربعة، ج١، ص٢٣.

(٤٨) مصدر سابق: ص٢١-٢٢، بتصرف قليل.

(٤٩) مصدر سابق: ص٢٢ بتصرف.

(٥٠) نبويان، سيد محمد مهدي، جستارهايى در فلسفة إسلامي: ص١٥٥-١٥٨.

(٥١) صدر الدين الشيرازي، محمد بن ابراهيم، الحكمة المتعالية فى الأسفار العقلية الأربعة: ج٢، ص٣٤٦-٣٤٧.

(٥٢) اليزدي، ملا عبدالله، الحاشية على تهذيب المنطق لسعد الدين التفتازاني ص ٣٠.

(٥٣) نبويان، سيد محمد مهدي، جستارهايى در فلسفة إسلامي: ص ٣٠-٤٢.

(٥٤) مصدر سابق: نقل بالمعنى لأجل الاختصار.

(٥٥) راجع الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية: ج١، ص٤٣.

(٥٦) صدر الدين الشيرازي، محمد بن ابراهيم، الحكمة المتعالية فى الأسفار العقلية الأربعة: ج١، ص٦٩.

(٥٧) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس: ج١٩، ص٧١١.

(٥٨) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج٤٣٦٩.

(٥٩) المحقق الطوسي، الخواجة نصير الدين، شرح الاشارات والتنبيهات: ج١، ص٤٣.

(٦٠) الآملي، محمد تقي، تعليقة على شرح المنظومة للسبزواري: ج١، ص٢٤.

(٦١) راجع في ذلك: الحيدري، السيد كمال، شرح كتاب الأسفار الأربعة: الالهيات بالمعنى الأعم، ج١، ص١٢١-١٢٦. نبويان، سيد محمد مهدي، جستارهايى در فلسفة إسلامي: ص١٩٢-١٩٩.

(٦٢) الشيرازي، صدر الدين، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية: ج٢، ص١٠١-١٠٣.

(٦٣) عماد الدوله، امامقلى بن محمد على، المشاعر: ج١، ص١٠.

(٦٤) المصدر السابق: ج١، ص٣٨-٣٩.

(٦٥) الشيرازي، صدر المتألهين، تعليقة على حكمة الاشراق: ج١، ص٧٧.

(٦٦) صدر الدين الشيرازي، محمد بن ابراهيم، الحكمة المتعالية فى الأسفار العقلية الأربعة: ج٣، ص٣٢٨.

(٦٧) صدر الدين الشيرازي، محمد بن ابراهيم، الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية: ج١، ص٧.

(٦٨) صدر الدين الشيرازي، محمد بن ابراهيم، الحكمة المتعالية فى الأسفار العقلية الأربعة: ج١؛ ص٦٥.

(٦٩) المصدر السابق: ج١، ص٦٥.

(٧٠) المصدر السابق: ج١، ص٤٣.

(٧١) المصدر السابق: ج٦، ص١٤٤.

(٧٢) عماد الدوله، امامقلى بن محمد على، المشاعر: ج١، ص١٠.

(٧٣) صدر الدين الشيرازي، محمد بن ابراهيم، الحكمة المتعالية فى الأسفار العقلية الأربعة،ج١ص٣٩.

(٧٤) صدر الدين الشيرازي، محمد بن ابراهيم، الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية،ص٦.

(٧٥) راجع في هذه المعاني الثلاث العلامة الطباطبائي، محمد حسين، كتاب نهاية الحكمة: ص١٨٦-١٩٠.

(٧٦) راجع حاشية السبزواري على الاسفار: ج١، ص٣٨-٣٩.

(٧٧) نبويان، سيد محمد مهدي، جستارهايى در فلسفة إسلامي: ص١٩٩-٢٠١.

(٧٨) التميمي، قيصر، شرح كتاب الأسفار الأربعة: ج٢، ص١٣٨-١٤٠.

(٧٩) ينظر: صدر المتألهين، محمد بن إبراهيم القوامي، الأسفار الأربعة العقلية: ج٦، ص١٤٤. والمشاعر: ص٥٤.

(٨٠) راجع في ذلك العلامة الطباطبائي، محمد حسين، نهاية الحكمة: ج١، ص٧-٩، نقل بالمعنى.

(٨١) راجع في ذلك صدر المتألهين، الاسفار: ج١، ص٦١، السبزواري، ملا هادي، شرح المنظومة: قسم الحكمة، ص٧٨-٨٧. العلامة الطباطبائي، محمد حسين، نهاية الحكمة: ج١، ص١٥-١٧، كلها نقل بالمعنى وتلخيص.

(٨٢) راجع العلامة الطباطبائي، محمد حسين، بداية الحكمة: ص١٤. ونهاية الحكمة: ج١، ص١٨-١٩. والسبزواري، ملا هادي، شرح المنظومة: قسم الحكمة، ص٨٩-٩٥، كلها نقل بالمعنى وتلخيص.

(٨٣) الداماد، مير محمد باقر، الصراط المستقيم، ص٣٥٨: الافق المبين،ص٤-٦: التقديسات،ص١١٩،ص١٣٢: القبسات،ص٣٧.

(٨٤) انظر: الميرداماد، محمد باقر،ص٦: القبسات،ص٥١ص٣٨،ص٥٣: التقديسات،ص ١٣٠.

(٨٥) راجع في هذا التصوير العلامة الطباطبائي، محمد حسين، نهاية الحكمة، طبع مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، تعليق وتحقيق الشيخ عباس علي الزارعي، ج١، ص١٨-١٩.

(٨٦) راجع الملا صدرا، الحكمة المتعالية: ج١، ص٦٤-٦٥. والشواهد الربوبية: ص١٣٤. والمشاعر: ص٩.

(٨٧) الداماد، محمد باقر،التقديسات، التشويق السادس، ص١١٩.

(٨٨) الشيرازي، صدر المتألهين، الاسفار،ج١ص٦٤، الحاشية رقم٢.

(٨٩) راجع الحكمة المتعالية: ج ١، ص٦٣. العلامة الطباطبائي، نهاية الحكمة: ج١، ص١٩. السبزواري، ملا هادي، في شرح المنظومة: قسم الحكمة، ج١، ص٦٦.

(٩٠) المحقق الميرداماد، محمد باقر، مجموعة مصنفات مير داماد: ج١، ص ١٩٠، تقديس، وص٣٥٨/أساس، المجلد الثانيالافق المبين ص٥/تلويح استناري وص٣٦/ إفصاح. وأيضاً راجع القبسات: ص٧٤. تقويم الايمان: ص٢٠١.

(٩١) الشيرازي، قطب الدين، شرح حكمة الاشراق: ج١، ص ٣٥٠-٣٥١.

(٩٢) العلامة الطباطبائي، نهاية الحكمة: ج١، ص٢٢.

(٩٣) الاملي، محمد تقي، درر الفوائد وهو تعليقة على شرح المنظومة للسبزواري قدس سره: ج١، ص٨٨.

(٩٤) راجع المحقق السبزواري، ملا هادي، شرح المنظومة: قسم الحكمة، ج١، ص٦٥. وراجع الحكيم الإلهي الهيدجي، الحاج محمد، تعليقات على شرح المنظومة في المنطق والحكمة: ص١٥٧. وراجع الشيخ الاحساني، في شرحه على العرشية الفصول الأولى يظهر لك ذلك.

(٩٥) الطباطبائي، محمد حسين: ج١، ص٤٤.

(٩٦) الحيدري، السيد كمال، الفلسفة، شرح كتاب الأسفار الأربعة: الالهيات بالمعنى الأعم، ج٢، ص١٤٠بتصرف.

(٩٧) الـداماد، محمـد بـاقر، الصـراط المسـتقيم، ص٣٥٨: الافـق المبـين،ص٤-٦: التقديسـات،ص١١٩،ص١٣٢: القبسات،ص٣٧.

(٩٨) الداماد، محمد باقر، القبسات، ص١١٨.

(٩٩) انظر: الداماد، محمد باقر، الافق المبين،ص١٧: القبسات،ص٣٧: التقديسات،ص ١٢٠.

(١٠٠) انظر: الداماد، محمد باقر، القبسات،ص٥٣.

(١٠١) انظر: الداماد، محمد باقر،الافق المبين،ص ١٠،ص١٩: التقديسات،ص١١٩.

(١٠٢) الداماد، محمد باقر، الإيماضات،ص٥٣.

(١٠٣) المصدر السابق ص٥٣.

(١٠٤) الداماد، محمد باقر، القبسات،ص٣٩.

(١٠٥) الداماد، محمد باقر، مصنفات مير داماد(المختصرات/ رسالة مفهوم الوجود والماهية)، ج١ص٥٠٤.

(١٠٦) الداماد، محمد باقر، مصنفات مير داماد(المختصرات/ مفهوم الوجود والماهية)،ج٢ ص٥٠٦

(١٠٧) انظر: الشيرازي، صدر المتالهين، الاسفار ج١ص٦٥-٦٦: المشاعر،ص ٢٠.

(١٠٨) المصري، عبد الخالق، ايمن، الانظار العالية في نقض الحكمة المتعالية، ص١٨٢،ص ٢٠٥.

(١٠٩) الداماد، محمد باقر، مصنفات مير داماد(المختصرات/ رسالة مفهو الوجود والماهية)،ج٢ص٥٠٥.

(١١٠) انظر: المصدر السابق، ج٢ص٥٠٧.

(١١١) انظر: المصدر السابق: ج٢ص٥٠٧.

(١١٢) انظر: الشيرازي، صدر المتألهين،ص١٢ ومابعدها.

(١١٣) المصري، عبد الخالق، أيمن، الأنظار العالية في نقض الحكمة المتعالية،ص٢٠٨.

(١١٤) المصدر السباق، ص ٢١٠-٢١١.

(١١٥) المصدر السابق، ص ٢١١.

(١١٦) المصدر السابق: ص٢١٢.

(١١٧) الداماد، محمد باقر، الافق المبين، ضابط ميزاني ص ٢١.

(١١٨) المصدر السابق، تفريعات تأصيلية،ص١٨

(١١٩) انظر: الشيرازي، صدر المتألهين، الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، ص١٣٩.

(١٢٠) المصري، عبد الخالق، أيمن، الأنظار العالية في نقض الحكمة المتعالية، ص٢١٤.

(١٢١) ينظر في هذه الآثار: المصري، عبد الخالق، ايمن، الانظار العالية في نقض الحكمة المتعالية.

(١٢٢) الداماد، محمد باقر، القبسات،ص١٩.

(١٢٣) الصدوق، التوحيد، ص١٣٦،ح٤.

اللغة الدينية في علم الكلام الجديد
مبادئها الفلسفية والكلامية

بقلم: الشيخ عبد الحكيم الخزاعي

التمهيد

"يُعدُّ مبحث اللغة الدينية من أهم المباحث في فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد؛ حيث ظهرت عدة نظريات تأثرت بالفلسفة الغربية، لا سيما الوضعية المنطقية. ومن هذا المنطلق، انبثقت نظريات كـ الرمزية عند 'بول تيليش' وغيرها. ونحن هنا بصدد البحث في الأسس الصحيحة التي تعتمد عليها اللغة الدينية في الدين الإلهي؛ تفنيداً لتلك النظريات وردّاً عليها. وتتمثل هذه الأسس في الآتي:"

أولا: الواقعية: إن أول أصل جوهري تقوم عليه اللغة الدينية هو الواقعية، وذلك في مقابل الاتجاهات المنكِرة للواقع الموضوعي، ونقصد بالواقع الموضوعي هنا الواقع الإلهي، أي مباحث الإلهيات بالمعنى الأخص، وإن كنا نعتقد أن لغة الدين برمتها تقوم على واقعية تشمل الإلهيات بمعناها الأعم والأخص كليهما، فالإلهيات بالمعنى الأعم يتكفل بإثباتها علم الفلسفة، وإن كان التعبير بـ«إثبات الواقع» تعبيراً مسامحياً؛ إذ إن الواقع غني عن الإثبات، بل هو المثِبت لوجوده بالضرورة، وأما الإلهيات بالمعنى الأخص فيتكفل بها علم الكلام والفلسفة، وعليه، فإن تجليات اللغة الدينية حين تتحدث، إنما تتحدث عن حقيقةٍ مبرهَنٍ عليها، لا عن وهمٍ أو عدم، وهذا بخلاف ما ذهبت إليه الوضعية المنطقية من أن الواقع الإلهي غير متحقق أصلاً.

فيتحصل مما سبق أن المرتكز الأول للغة الدين هو الواقعية، لا السفسطة

المنكِرة للواقع مطلقاً، ولا المثالية التي تتبناها الرمزية، فالواقعية بهذا المعنى تردّ على كل من الرمزية والوضعية؛ أما الرمزية، فلأنها قالت لايمكن التعبير عن الله مطلقا بلغتنا، ومآل القول به هو نسبية الحقائق اوعدم تحققها في الخارج وهي قضايا ذاتية ولا يمكن ان نقول كونها موجودة بالواقع، وأما الوضعية، فقد أسست قاعدتها على أن «كل قضية لا يمكن التحقق من صدقها تجريبياً فهي لغوٌ خالٍ من المعنى»، وبمقتضى ذلك، فإن القضايا الدينية، ولا سيما الإلهيات بالمعنى الأخص، لا يمكن إثباتها حسياً أو تجريبياً، فتكون لغواً.

وعلى هذا فان أساس اللغة الدينية الحقة انما يقوم على الواقع ، فعندما تتحدث اللغة الدينية عن الله، فإنها لا تتحدث عن مخترَعٍ ذهني، بل عن حقيقةٍ متحققةٍ في خارج الذهن، ونقصد بالخارج هنا ما يتجاوز عالم المادة، وهذا بخلاف ما تذهب إليه نظريات نشوء الدين التي تجعل من الدين اختراعاً ذهنياً بشرياً، فلا يكون حديثه عن واقع موضوعي، كما أسلفنا بيانه.

ثانيا: المعنى: ويتفرع على الأصل الأول، وهو الواقعية، أصلٌ ثانٍ وهو المعنى، فإثبات الواقع الموضوعي هو الذي يفتح الباب للحديث عن المعنى، وبانتفاء الواقع ينتفي المعنى بالضرورة، فاللغة الدينية، إذن، لغةٌ ذات معنى.

وهذا ما يميزها عن الوضعية التي نفت المعنى عن القضايا الدينية، وعن الرمزية التي قالت بالمعنى المفتوح غير المنضبط، بل إننا نقول إنها تتحدث عن معنى محدد وواضح، وهنا يبرز سؤال جوهري في فلسفة الدين: ما هو هذا المعنى الذي تتحدث عنه اللغة الدينية؟ والجواب أن اللغة الدينية، في جوهرها، تتحدث عن معنى الحياة، فمجموع القضايا التي تتناولها، من قبيل الوجود وغيره، يجمعها جامع واحد يعبَّر عنه

بـ«معنى الحياة» أي الحياة الدنيا بما هي معبر للاخرة.

المبحث الأول: من نظريات الفلاسفة

اولاً: نظريات الفلاسفة حول معنى الحياة

وقد اختلف الفلاسفة والمفكرون في مسألة وجود معنى للحياة، وانقسموا في ذلك إلى نظريات ثلاث:

النظرية الأولى: وهي التي تنكر وجود أي معنى للحياة، وهو ما يُعرف بالاتجاه العبثي الذي شاع في الفكر الحديث وأفضى بكثيرين إلى الإلحاد واليأس والانتحار، ويكون هذا الإنكار تارةً تبنياً فلسفياً، وتارةً أخرى يظهر عملياً في سلوك الإنسان وتصرفاته التي تنم عن عدم الإيمان بوجود غاية للحياة.

النظرية الثانية: وهي التي تقر بوجود معنى، لكنه معنى مخلوقٌ يصنعه الذهن الإنساني ويضفيه على العالم، لا أنه كامن في العالم نفسه، وهذه هي رؤية إنسان الحداثة، المتأثرة بالفلسفات الوجودية وغيرها، حيث يُعَدُّ الإنسان هو خالق المعنى، ويرفض أصحاب هذا الاتجاه أي مرجعية خارجية، كالنص الديني، تفرض المعنى على الإنسان من دون أن ينبع من ذاته، إذ يعدّون ذلك نوعاً من «الاستلاب» وهو المفهوم الذي عالجه فلاسفة من أمثال هيغل وماركس، فالإنسان المستلب، في منظورهم، هو الذي يُعطى المعنى من الخارج ولا يشارك في خلقه، فعندما تأتي اللغة الدينية لتقرر أن الإنسان مخلوق لله وأن رسالته في الأرض هي عبادته، فإن هذا الاتجاه يرفض هذا المعنى المفروض، ويقرر أن الإنسان حر في خلق المعنى الذي يرتضيه لنفسه.

النظرية الثالثة: وهي التي تعترف بوجود معنى موضوعي للحياة، لكنها تمازج في اكتشافه بين الذات (الإنسان) والموضوع (العالم الخارجي)، مع الاعتراف بالمرجعية العليا للنص الديني في إضفاء المعنى وتوجيهه، وتعتقد هذه النظرية أن الكتب المقدسة، كالتوراة والإنجيل والقرآن، تمثل مخزوناً معرفياً وروحياً عظيماً لاكتشاف معنى الحياة الإنسانية، فالدين، وفق هذه الرؤية، يضفي على الوجود الإنساني معنى سامياً، هو الفارق الذي بدونه يهبط العيش إلى مستوى بهيمي لا غاية له، ومصداق ذلك قوله تعالى: (ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) [سورة الحجر - ٣].

إن إنكار مرجعية اللغة الدينية يفضي إلى إيكال الفرد إلى ذاته المحضة في اكتشاف المعاني، ولا بد من التنبيه هنا على أن اللغة الدينية لا تهدف إلى إلغاء دور الذات الإنسانية أو إنكار قدرتها على التأمل وخلق المعاني الجزئية، فالإنسان بما أوتي من عقل وروح قادر على ذلك؛ بل تهدف إلى تكميل هذا الدور، بأن تكون مرجعية عليا وقانوناً كلياً يهدي مسيرته ويحفظه من الشطط.

ثانياً: المعنى الباطني ودور الدين في تحقيقه

وفي الوقت نفسه، تضفي اللغة الدينية على حياة الإنسان معنىً باطنياً عميقاً، يتجاوز السطح الظاهري للحياة، ذلك أن حياة الإنسان ذات مستويات؛ فالمستوى الظاهري الذي يعيشه في عالم الحس، من أكل وشرب وزواج ومتاع، وإن كان يميزه عن سائر الموجودات، إلا أنه لا يمثل تمام إنسانيته، بل قد تتفوق عليه بعض الحيوانات في جوانب منه، وحتى الحياة العقلية المجردة، المتمثلة في الفلسفات

الفكرية، لا تستطيع وحدها أن تضفي ذلك المعنى العميق على الوجود الإنساني، ما لم تستند إلى معين اللغة الدينية وما تحمله من إرث معرفي وروحي، فالعقل النظري غاية ما يبحث فيه هو القوانين الكلية والمستلزمات العقلية العامة، كالعلة والمعلول، أما القضايا الوجودية الكبرى التي تميز حقيقة الإنسان، وفي طليعتها مسألة الروح، فإنها المجال الذي تخاطبه اللغة الدينية، فالروح الإنسانية سنخ وجودي متمايز عن سائر الأرواح، وهي والعقل معاً مناط الخطاب في تلك القضايا الدينية العميقة، وهذا الاعتقاد يرسخ في الإنسان يقيناً بأن له وجوداً آخر يتجاوز هذا الوجود الظاهري، فلا يكون ممن حُجِبوا عن الآخرة وغفلوا عنها، وهو ما يعبر عنه القرآن الكريم في موضع آخر بقوله: (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) [سورة النحل – ٩٧]، وهي الحياة التي يفسرها العلامة الطباطبائي بأنها ليست الحياة الظاهرية المادية، بل هي حياة باطنية عميقة، وهذه الحياة الباطنية تتمثل في معرفة الله ومحبته، والتنعم بألطافه المعنوية.

إذن، فاللغة الدينية هي التي تضفي هذه المعاني السامية على حياة الإنسان، وهو المعنى الذي إذا فقده المرء، آلت حياته إلى العبث واللاجدوى، وأضحت حياة سقيمة لا نفع فيها، وإن خطابنا اليوم موجه بالأساس إلى إنسان العالم المعاصر، ذاك الذي يرفض المرجعيات التقليدية، ويؤمن بـ«أصالة الإنسان» في مقابل «أصالة الوحي» أو «أصالة الله».

هذا الإنسان هو الذي ينبغي أن نخاطبه بخطاب ديني قادر على إقناعه، ولكن، بأي خطاب ديني نخاطبه؟ ليس بالخطاب التاريخي المحض، ولا بالخطاب الفقهي الصرف، ولا بالخطاب الشعائري المجرد؛ بل بالخطاب الذي يقدم له معنىً لحياته، فالإنسان المعاصر، الغارق في أزماته الوجودية، يبحث عن معنى، وما نشهده اليوم من

ظواهر مأساوية، كانتشار حالات الانتحار في مجتمعات مختلفة، حتى في تلك التي بلغت شأواً عظيماً في التقدم المادي والفتوحات العلمية، ليس إلا شاهداً على هذه الحقيقة المرة: لقد فقد الإنسان المعنى حين أنكر مرجعية الدين.

ومن هنا، فإن الدين حين يُقدَّم لهذا الإنسان، يجب أن يُقدَّم بجوهره الحقيقي، لا بالقشور أو الإضافات التي ليست من صلبه، وجوهر الدين هو هذا: أنه خالق للمعنى، إنه الخطاب الذي يخبرك بأنك متصل بالله تبارك وتعالى، ومتوكل عليه، ومسلِّمٌ أمرك إليه، فمفاهيم كالتوكل، والإيمان بالله، والاعتقاد بالبعث والنشور واليوم الآخر، هي التي تضفي معنىً حقيقياً على حياة الإنسان، وعندئذٍ، يجد الإنسان في نفسه حصانة ضد الأمراض النفسية والتشاؤم وخيبة الأمل، فيغدو قوياً ذا إرادة وبصيرة، أما إذا سُلبَت الحجية عن اللغة الدينية، وجُعلت كلغة الشعر أو الرمز التي لا تؤسس لمعنى واقعي في الحياة، ولا يفهمها إلا الخاصة، فإننا نفقد بذلك مخزوناً معرفياً وروحياً هائلاً، هو الكفيل بتأسيس المعنى الحقيقي للحياة، وهو القادر على الإجابة عن الأسئلة الوجودية الكبرى: من أين؟ وفي أين؟ وإلى أين؟ وعليه، فإننا نعتقد أن المعنى الذي تؤسس له اللغة الدينية هو معنى عميق وجوهري، وأن سلب الحجية عنها يستلزم بالضرورة فقدان هذا المعنى، وهو ما يفضي بالإنسان إلى هاوية العدمية والتشاؤم والإلحاد والإباحية، وذلك التحلل القيمي الكبير الذي تشهده الإنسانية اليوم.

وتأسيسًا على ما تقدم، فإن مرجعية اللغة الدينية تقوم على ركنين: الواقعية والمعنوية، وأن هذا المعنى الذي تؤسسه هو معنى عميق وذو شأن كبير، وهو ما يبحث في فلسفة الدين ولغة الدين، ويتفرع على ذلك البحث في أساليب اللغة

الدينية.

ثالثا: أساليب اللغة الدينية بين الحقيقة والمجاز والرمز

فما هو الأسلوب الذي تسلكه اللغة الدينية في إيصال هذه الواقعيات وتلك المعاني؟ أهو أسلوب واحد أم أساليب متعددة؟ وهل تقتصر على استعمال الألفاظ في معانيها الحقيقية، أم أنها توظف الكناية والمجاز والرمز؟ إن من يبعث رسولاً إلى الفرس، أيخاطبهم بلسان العرب أم بلسانهم؟ وعليه، فإن لغة القرآن الكريم هي لغة العرب، ولسان العرب لا يقتصر على أسلوب واحد، بل هو ذو أساليب متعددة، من كناية وتشبيه ومجاز.

بيد أن المتكلمين والفقهاء قد اختلفوا في هذه المسألة؛ فبعض النظريات ذهبت إلى لزوم حمل الألفاظ على معانيها الحقيقية، وهو ما أوقع أصحابها في التجسيم، كما في قوله تعالى: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) [الفتح: ١٠]، وقوله سبحانه: (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن: ٢٧]، فقالوا إن هذه الألفاظ محمولة على معانيها الحقيقية، ومآل القول بالتمسك بالمعنى العرفي البسيط والحمل على الحقيقة المحضة هو تبني نظريات عقيمة في فهم اللغة الدينية، تفضي إلى التجسيم والتشبيه، وقد أسلفنا أن أحد دواعي نشوء المذهب الرمزي كان الهرب من لوازم التشبيه، لأن البعض في داخل الأديان فهم أن اللغة كلها حقيقية، فوقعوا بين طرفي نقيض: فإما الحمل على الحقيقة المحضة، وإما الحمل على الرمزية المطلقة، وغفلوا عن المنهج الوسط، ونحن نقول بما ورد في المأثورحيث وقع البعض اما بالجبر او التفويض من أنه «لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ وَلَكِنْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ»،فالوسطية مطلوبة فنعترف بوجود المجاز

في اللغة الدينية، وهو واقع لا سبيل إلى إنكاره، وإن إنكار المجاز في الخطاب الديني يفضي بالفهم الديني والفكر الديني إلى نتائج كارثية، وقد قالت بعض المدارس الدينية بالمجاز والكناية.

أما مسألة الرمز، فالقرآن الكريم واضح في استخدامه لبعض أساليبه، كتشبيه المعقول بالمحسوس، بيد أن استعمال الرمز ليس مطلقاً على جميع المعاني، نعم، إننا نقر بوجود معانٍ باطنية، وقد بينا أن الباطنية لا ترادف الرمزية؛ فالمعنى الباطني، كالمقصد التوحيدي من الصلاة أو الحج، يبقى متصلاً باللغة وفي إطارها أما المعنى الرمزي -باصطلاح أهله- فينفصل عن دلالة اللفظ اللغوية ليخلق معاني بمعزل عنها، وعليه، فإن اللغة الدينية الصحيحة توظف الحقيقة والمجاز والكناية والتشبيه وسائر الأساليب البلاغية العربية ومقتضى ذلك أنه لفهم هذه اللغة، لا بد من الإحاطة بالقوانين التي تحكم هذه الأساليب كما استُعملت في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: ماهية لغة القرآن: بين العرف العام والخاص

وبعد بيان هذه المعالم العامة، ننتقل إلى مبحث مفصلي، وهو تحديد ماهية لغة القرآن الكريم، بوصفه المصدر الأول للغة الدينية في الإسلام، وهو محور بحثنا، لقد اختلفت في ذلك المذاهب والمشارب الفكرية، ويمكن إجمال الأقوال الرئيسة في ثلاث نظريات كبرى:

النظرية الأولى: لغة العرف العام: ومفادها أن القرآن الكريم استخدم أساليب الخطاب العقلائي السائدة، وخاطب الناس بالعرف اللغوي العام، فاستعمل المعاني التي يستعملها العقلاء في تخاطبهم.

النظرية الثانية: لغة العرف الخاص: وهي ترى أن للقرآن لغة خاصة، كلغة الفلاسفة أو العرفاء أو المتكلمين، لا يدركها إلا من خوطب بها، وهذا ما يميل إليه بعض الأخباريين الذين يوجبون في فهمه الرجوع إلى النص الروائي حصراً، قائلين بأن المخاطَب به ابتداءً هم أهل البيت عليهم السلام، لا عموم الناس، فالمخاطب فيها هم خصوص اهل النظر والاستدلال.

النظرية الثالثة: نظرية تعدد المخاطبين: وتقوم هذه النظرية على أن القرآن ليس ذا اتجاه خطابي واحد، بل فيه اتجاهات متعددة؛ فمن جهة يخاطب اللغويين والنحويين بما فيه من دقائق لغوية، ومن جهة أخرى يخاطب الفلاسفة بما فيه من قضايا عقلية، ويخاطب الفقهاء بما فيه من تشريعات، وهكذا دواليك، فهو خطاب يشمل الإنسان البسيط والمفكر المتخصص على السواء، ولعل هذه النظرية هي الأقرب للقبول، ولعل السيد الخوئي قدس سره مال الى ذلك في تفسيره البيان لذا قال قدس سره: والقرآن مرجع اللغوي، ودليل النحوي، وحجة الفقيه، ومثل الأديب، وضالة الحكيم،ومرشد الواعظ، وهدف الخلقي، وعنه تؤخذ علوم الاجتماع والسياسة المدنية،وعليه تؤسس علوم الدين، ومن إرشاداته تكتشف أسرار الكون، ونواميس التكوين والقرآن هو المعجزة الخالدة للدين الخالد، والنظام السامي الرفيع للشريعة السامية الرفيعة.

أما العلامة الطباطبائي قدس سره فيذهب إلى نظرية تجمع بين العرفين، العام والخاص، فهو يرى أن القرآن خاطب الناس بما هم عقلاء، ولذلك وصف نفسه بأنه هداية وبيان ونور، مما يقتضي وضوحه لعامة الناس وهذا هو المعنى العام للقرآن، وهو بيّن لا لبس فيه، بيد أن هذا لا ينفي وجود عرف قرآني خاص به وله حقيقة

لاتنالها الافهام العادية بل يمسها المطهرون منهم ، ويشهد لذلك ما قام به بعض الباحثين، كالمفكر الياباني توشيهيكو إيزوتسو في كتابه المرجعي، حيث تتبع مفردات عربية بعينها، ودرس تحولها الدلالي بعد استعمالها في السياق القرآني، ومن أمثلة ذلك كلمة «التقوى»، التي كانت تستعمل في الحسيات، كأن يقال: اتقى الطريق، فنقلها القرآن الكريم إلى معنى معنوي عميق، وجعل منها نظرية متكاملة تشمل الجانب العقدي، كما في قوله تعالى: (إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) [آل عمران: ٢٨]، والجانب الاجتماعي، والجانب الروحي، فأضحى للكلمة في عرف القرآن معنى خاص يتجاوز معناها اللغوي الأصلي. ولذلك نجد العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان يكثر من استعمال عبارة: «والكلمة في عرف القرآن...». وهذا يكشف عن كونه ذا طبقات وبطون، كما ورد في الحديث: «إن للقرآن ظهراً وبطناً»، وأن فهمه على مراتب، تصديقاً لقوله تعالى: (لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) [الواقعة: ٧٩].

ويتفرع على هذه النظريات في لغة القرآن تأثر مناهج التفسير بها تأثراً مباشراً، فالقول بأن القرآن نزل وفق العرف العام يقلل من الحاجة إلى التفسير المعمق، وقد يكتفي صاحبه بالتفسير اللغوي، وهو ما شاع قديماً عند بعض المدارس، وأما القول بتعدد اللغات فيفسح المجال لتفاسير جامعة تشتمل على أبعاد متعددة، كما يظهر في بعض التفاسير المعاصرة، والخلاصة أن النظرة المتكاملة للغة الدينية تقضي بأنها تتحدث عن واقع، وتؤسس لمعنى، وتستخدم أساليب اللغة التي نزلت بها، مع تميز الكتاب المقدس -كالقرآن الكريم- بعرف خاص يضيف عمقاً لدلالاته، وبهذا تتمايز اللغة الدينية عن سائر اللغات.

خلاصة البحث :

بناءً على ما تقدم، نخلص إلى أن اللغة الدينية في التصور الإلهي ليست مجرد أصداء انفعالية أو رموز هلامية تفتقر إلى الموضوعية، بل هي لغة واقعية بامتياز، تضرب بجذورها في حقائق الوجود الثابتة؛ فهي تخبر عن حقيقة الله وصفاته وعالم الغيب بوصفها حقائق موضوعية سابقة على إدراك الإنسان، لا مخترعات ذهنية أنتجتها الحاجة البشرية.

ويمكن تلخيص مرتكزات هذه اللغة في ثلاث نقاط جوهرية:

١.ثنائية الواقع والمعنى: إن واقعية اللغة الدينية هي الضامن الوحيد لمنح الحياة "معنى" حقيقياً ومستقراً. فالدين لا يقدم للإنسان مجرد إرشادات سلوكية، بل يمنحه "معنى باطنياً" يربط حياته الظاهرية المحدودة بأفق أبدي مطلق، مما يحمي الوجود الإنساني من الانزلاق إلى هاوية العبثية والعدمية التي وقعت فيها الحداثة الغربية.

٢.الوسطية في الأسلوب: ترفض اللغة الدينية الانحصار في "الحقيقة المحضة" التي قد تفضي إلى التجسيم، كما ترفض "الرمزية المطلقة" التي تفرغ النص من محتواه. بل هي لغة حيوية توظف الحقيقة والمجاز والكناية ضمن نسق بياني معجز، يجمع بين دقة القوانين اللغوية وعمق الإشارات الروحية.

٣.العرف القرآني المركب: تتجلى خصوصية اللغة الدينية (لا سيما القرآنية) في قدرتها على مخاطبة البشر كافة بـ "عرف عام" مفهوم، مع احتفاظها بـ "عرف خاص" عميق يفتح آفاق التدبر لأهل الاستدلال والطهور الروحي. هذا التعدد في بطون النص هو ما يجعل الخطاب الديني صالحاً لكل زمان ومكان، وقادراً على الإجابة عن التساؤلات الوجودية الكبرى (من أين؟ وفي أين؟ وإلى أين؟).

٤.استعادة الثقة باللغة:إن استعادة الثقة بحجية اللغة الدينية وواقعيتها هي الخطوة الأولى والضرورية لترميم الوعي الإنساني المعاصر، وإخراجه من أزماته الوجودية، عبر إعادة وصله بمصدر المعنى الحقيقي والوجود الأسمى.

قائمة المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. آرزو زارع زاده، بابك عباسي، علي رضا دارابي. "دراسة الشأن المعرفي للغة الدين من وجهة نظر لودفيغ فتغنشتاين المتأخر ونقده في ضوء آراء العلامة الطباطبائي". مجلة الاستغراب، العدد ٣٦.
٣. الخوئي، السيد أبي القاسم. البيان في تفسير القرآن. النجف الأشرف.
٤. الطباطبائي، السيد محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. ط٥، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٣م.
٥. الكليني، محمد بن يعقوب. الكافي. تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٤، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧هـ
٦. بن عبد الرحمن، عبد الله. معنى الحياة في العالم الحديث.
٧. شاكر، د. محمد كاظم. "لغة القرآن: قراءة في فهم العلامة معرفت". مجلة نصوص معاصرة.
٨. هنديجاني فرد، عارف. علوم القرآن عند العلامة الطباطبائي. ص ٧٠-٧٥.

ملف العدد:

الصهيونية من المعتقد الى بناء إسرائيل الكبرى
(أضواء على الصراع الإسلامي الصهيوني)

- المعتقدات اليهودية في الألوهية والنبوة- بقلم الشيخ ارشد اللامي
- المقاومة والعرفان في سلوك السيد الشهيد حسن نصر الله (قدس سره) - بقلم : الشيخ هاشم الكندي
- جريمة العدوان الأمريكي و الصهيوني على البلدان الإسلامية في الشرق الأوسط (٨ نيسان ٢٠٢٦م)أبعادها القانونية وأثارها السياسية - بقلم : الدكتور عمار طعمة الحميداوي

المعتقدات اليهودية في الألوهية والنبوة

الشيخ ارشد اللامي

المقدمة

تُعَدّ العقيدةُ الدينية الركيزةَ الأساسية التي تتشكّل من خلالها هوية الأمم ورؤيتها للعالم، إذ تُوجّه مبادئها الفكرية والسلوكية وتحدد علاقتها بالخالق والوجود. وتبرز العقيدة اليهودية — بوصفها إحدى أقدم العقائد الإبراهيمية — كإحدى المنظومات التي مرّت بمراحل معقدة من التدوين، مما جعل عناصرها العقدية مزيجًا من الوحي الإلهي والتجربة التاريخية لبني إسرائيل؛ وقد أدى هذا التداخل إلى ظهور تصوّرات متباينة حول الألوهية والنبوة، لا سيما بعد فترات الشتات والتأثيرات الخارجية.

وتأتي أهمية هذا البحث من كونه يتناول بالتحليل والمقارنة أبرز المفاهيم العقدية اليهودية المتعلّقة بذات الله وصفاته، وصورة الأنبياء ووظيفتهم، ويقارنها بما قدّمه الإسلام من تصور رباني خالص في القرآن الكريم، الذي أعاد ضبط المفاهيم العقدية وحرّرها من التشويه التاريخي الذي طالها عبر الأجيال، ويكشف هذا البحث الفجوة بين مفهوم "إله الوحي" كما عُرف في الرسالات الإلهية، وبين "إله التاريخ" الذي صاغته روايات بشرية لاحقة داخل الأسفار.

أما مشكلة البحث فتتمثّل في وجود تناقض واضح بين الصورة المنقولة عن الأنبياء في العهد القديم وما تنسبه إليهم من سلوكيات بشرية لا تليق بمقام النبوة، وبين الصورة القرآنية التي تؤكّد عصمتهم وطهارتهم ورفعة شأنهم، كما تتجلّى

المشكلة في تحوّل المفهوم الإلهي من تنزيه مطلق إلى صفات بشرية كالتعب والندم والغضب القومي، مما يستدعي دراسة نقدية مقارنة تكشف جذور هذا التحول.

ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في تتبع النصوص الدينية اليهودية وفهم سياقها التاريخي، وعلى المنهج المقارن لمقارنة هذه النصوص بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتحليل الفروق المفاهيمية بينهما.

ويهدف البحث إلى تقديم رؤية علمية واضحة تُبرز مكانة الإسلام في تصحيح مسارات الفكرة العقدية وإعادة الأنبياء إلى مقامهم الرباني الصحيح.

المبحث الأول: ذات الله وصفاته في الفكر اليهودي والإسلامي

المطلب الأول: التوحيد ونشأة التصوّرات العرقية

١. مفهوم التوحيد في "الشماع" اليهودية:

يشكّل نصّ "الشماع" الوارد في سفر التثنية: ((اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد))[١] الأساس العقدي للفكر اليهودي، ويُتلى في المجامع والصلوات بوصفه إعلانًا للوحدانية الإلهية.

وعلى الرغم من صياغته التي تبدو مُطلقة، فإنّ دلالاته ارتبطت عبر العصور بالسياق القومي لبني إسرائيل؛ إذ يُخاطَب به الشعب المختار تحديدًا، مما أضفى على التوحيد اليهودي بُعدًا خاصًا يربطه بجماعة معينة بدلًا من كونه مفهومًا كونيًا عامًا.

٢. تحوّل مفهوم "إله العالمين" إلى "إله بني إسرائيل" (الإله القومي):

مع تطوّر التجربة التاريخية لبني إسرائيل، وبخاصة خلال عصر الملوك وما بعد السبي البابلي، ظهر تحول واضح في تصور الإله من كونه ربّ العالمين إلى كونه إلهًا

مرتبطًا بشعب واحد، ينصرهم على أعدائهم ويعاقب من يعاديهم[٢]؛ وقد قاد هذا التحول إلى بناء عقيدة قومية تجعل العلاقة مع الله علاقةً وراثية تستند إلى الانتساب القبلي، لا إلى الإيمان والعمل، وهو ما انعكس بوضوح في الأسفار التاريخية التي تُبرز الاصطفاء العرقي كجزء من العقيدة.

٣. نقد القرآن لمقولة «نحن أبناء الله وأحباؤه»:

يأتي القرآن الكريم ناقدًا لهذه الرؤية القومية، وينفي أن تكون العلاقة مع الله مبنية على الانتماء لشعب معين أو عِرق محدد، ليعيد التوحيد إلى صفائه العالمي. ويظهر ذلك في قوله تعالى: (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم)[٣]؛ إذ تُبيّن الآية بوضوح أنّ القرب من الله لا يتحقق بالوراثة، بل بالطاعة والتقوى[٤].

وبهذا يعيد القرآن صياغة مفهوم التوحيد بصورة شاملة تُناسب ربوبية الله للعالمين، وتنقض الحصرية القومية التي ظهرت في العقيدة اليهودية جيلاً بعد جيل.

٤. مقارنة بين التصورين اليهودي والإسلامي لمفهوم التوحيد:

يتمايز التصوران في جذورهما ومآلاتهما:

- في اليهودية: التوحيد ذو طابع قومي يُوجّه إلى شعب بعينه، ويُقاس على أساس العهد الموروث أكثر من كونه علاقة روحية عالمية[٥].

- في الإسلام: التوحيد مفهوم كوني، رباني، يقرّر أن الله ربّ الجميع، لا يختص بنصرة قوم، ولا تُؤسَّس العلاقة معه على النسب أو العرق[٦].

من هنا، يتضح أنّ الإسلام قدّم تصوّرًا تنزيهيًا شاملًا للألوهية، بينما حملت اليهودية — عبر تراكم نصوصها — صورةً قومية أضيق مدى.

المطلب الثاني: صفات الله بين التنزيه والتجسيم:

١. نصوص الأنسنة في العهد القديم (المصارعة، الندم، الاستراحة)

تتضمّن أسفار العهد القديم عددًا من النصوص التي تُسند إلى الله صفات بشرية، وهو ما يعرف في الدراسات العقدية بمفهوم الأنسنة أو التجسيم. ومن أبرز هذه النصوص رواية مصارعة يعقوب "لرجل" فسّره الحاخامات بأنه الرب ذاته، مما يوحي بتشخيص واضح للإله[٧].

كما يرد في مواضع أخرى أنّ الله "ندم" على خلق الإنسان، وهو ما يتنافى مع العلم الإلهي الأزلي ويؤدي إلى نسب الجهل أو الخطأ إلى الله[٨].

كذلك تُشير النصوص إلى "استراحة" الرب في اليوم السابع من الخلق، وهي صفة تُسقط على الذات الإلهية خصائص الحاجة والتعب[٩].

وهذه الروايات على اختلافها تعبّر عن تأثر النصوص بالعوامل التاريخية والثقافية التي أحاطت بعملية التدوين.

٢. الردّ الإسلامي: عقيدة التنزيه المطلق (ليس كمثله شيء):

يُقدّم الإسلام مفهومًا إلهيًا يقوم على التنزيه التام لله سبحانه وتعالى، حيث تُنصُّ النصوص الشرعية على افتراق الخالق عن خلقه وعدم مشابهته لهم في صفاتهم أو أفعاله. وتُعدُّ الآية: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[١٠] أصلًا جامعًا في هذا الباب، إذ تقطع كلّ سبيل للتشبيه والتجسيم[١١].

وقد اعتمد علماء العقيدة منهجًا يقوم على إثبات الصفات الإلهية كما وردت دون تشبيه أو تمثيل، مع تأويل ما يوهم التشبيه إذا دعت الحاجة بما يليق بجلال الله. وبهذا حافظ الإسلام على صفاء المفهوم الإلهي، بعيدًا عن التأثيرات التاريخية أو

الأسطورية.

٣. محاولات الفلسفة اليهودية المتأخرة في تنزيه النصوص (موسى بن ميمون نموذجًا):

مع تطور الفكر الديني اليهودي واحتكاكه بالفلسفة الإسلامية واليونانية، ظهرت محاولات لرفع الإشكال التجسيمي عن النصوص. وأبرز من يمثل هذا الاتجاه الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون في كتابه "دلالة الحائرين"، حيث أكّد أن صفات مثل اليد والوجه والنزول ليست إلا تعابير رمزية مجازية تهدف إلى تبسيط المعنى للمخاطبين[١٢].

كما ذهب إلى نفي الصفات الخبرية منعًا من التشبيه، معتبراً أن الكمال الإلهي لا يسمح بأي صورة من صور التجسيم. ومع ذلك، رفضت الأوساط الحاخامية التقليدية هذا التوجه، متمسّكة بظاهر النصوص كما هي دون تأويل فلسفي.

٤. التحليل المقارن بين الموقفين الإسلامي واليهودي:

يكشف النظر المقارن عن اختلاف جوهري بين التصورين:

– في اليهودية: يظهر الإله في نصوص عديدة بصفات بشرية نتيجة تراكمات تاريخية وتدوينية، كما تُركت مسألة التجسيم مفتوحة بين المدارس الحاخامية دون إطار عقدي موحّد[١٣]

– في الإسلام: تمّ إرساء منهج واضح في التعامل مع صفات الله، قائم على نفي التشبيه وإثبات الكمال المطلق لله تعالى[١٤].

– بينما اعتمدت اليهودية المتأخرة على التأويل الفلسفي هربًا من الإشكالات النصية، جاء الإسلام بنص محفوظ خالٍ من صور التجسيم ابتداءً.

وبذلك يظهر أنّ الإسلام قدّم المفهوم الأكثر تنزيهًا للألوهية، بينما تظل النصوص اليهودية محصورة بين ظاهر تشبيهي وتأويل فلسفي لاحق لا يغيّر من طبيعة النص الأصلي.

المبحث الثاني: النبوة والأنبياء بين التوقير والاتهام

المطلب الأول: مفهوم النبوة ووظيفة النبي:

١. شروط النبوة في اليهودية (الرؤيا، الروح القدس)

تقوم اليهودية على تصور خاص لطبيعة النبوة ودورها، إذ تُعرِّف النبي بأنه شخص يختاره الله ليكون واسطة بينه وبين بني إسرائيل، ويستقبل الوحي عبر وسائل متعددة أبرزها الرؤيا والإلهام الروحي، وتعدّ الرؤى أحد أبرز مصادر المعرفة النبوية كما يظهر في أسفار الأنبياء، مثل رؤى حزقيال ودانيال التي اتخذت طابعًا رمزيًا مكثفًا(١٥).

ويُضاف إلى ذلك مفهوم "روح الرب" أو "الروح القدس"، التي يُنظر إليها في الفكر اليهودي كقوة تحلّ على النبي في لحظة الوحي دون أن تكون ملازمة دائمة له(١٦).

وتنعكس في هذا المفهوم رؤية تقصر النبوة على إطار قومي ضيق، حيث تُعدّ الهبة الإلهية حكرًا على بني إسرائيل دون سواهم.

٢. عصمة الأنبياء في الإسلام مقابل بشرية الأنبياء في اليهودية

يختلف التصور الإسلامي جذريًا عن التصور اليهودي فيما يتعلق بقدسية الأنبياء وصورتهم الأخلاقية، إذ يقرّر الإسلام عصمة الأنبياء ويُثبِت لهم الطهارة السلوكية

والنقاء العقائدي، ويعرضهم كنماذج رفيعة في الإيمان والأخلاق والدعوة[١٧].

وفي المقابل، يُظهر العهد القديم الأنبياء بوصفهم شخصيات تاريخية تعاني من الضعف البشري، وقد تُنسب إليهم أخطاء كبيرة، بل أحيانًا خطايا أخلاقية لا تتناسب مع مقام النبوة، كما في قصص داود وسليمان وغيرهما[١٨].

هذا التباين أثّر في النظرة العقدية لكلا الديانتين؛ فبينما يقدّم الإسلام النبي نموذجًا تربويًا مُلهمًا، تحصر اليهودية دوره في الشهادة التاريخية ونقل التشريع دون اشتراط الكمال الأخلاقي.

٣. أثر اختلاف النظرتين على وظيفة النبي

أثمر اختلاف الرؤيتين نتائج واسعة على مستوى العقيدة والوعي الديني:

- في اليهودية: يقتصر دور النبي غالبًا على توجيه الشعب، مع إبقاء صفته البشرية في إطارها الطبيعي. وهذا جعل صورة النبي محكومة بالسياق السياسي والاجتماعي لبني إسرائيل[١٩]

- في الإسلام: يقوم دور النبي على الهداية والإصلاح والتحقيق العملي للمنهج الإلهي؛ فهو قائد روحي وأخلاقي يقتدى به، وليس مجرد ناقل للوحي[٢٠].

وبذلك ترتسم في الإسلام صورة أكثر تكاملًا للنبوة، تجمع بين الرسالة والقدوة، وبين التشريع والتطبيق.

يُظهر هذا الفصل أن مفهوم النبوة في اليهودية ذو طابع قومي–تاريخي يرتبط بشعب محدد، بينما يتعامل الإسلام مع النبوة كظاهرة عالمية تُرسل للبشر كافة دون تمييز. كما يتفرّد الإسلام بتقديم الأنبياء على أنهم قدوات معصومون، مما يمنح الوحي صفاءً أخلاقيًا لا يتوفر في الروايات التوراتية التي اختلطت فيها الرسالة

بالموروث التاريخي.

المطلب الثاني: صورة الأنبياء في التراث اليهودي (دراسة نقدية)

١. دراسة الروايات التوراتية المنسوبة للأنبياء (نوح، لوط، داود، سليمان):

تتضمّن أسفار العهد القديم روايات متعددة تُظهر الأنبياء في صورة بشرية خالصة، بل وفي حالات كثيرة تُنسب إليهم أفعال لا تليق بمقام الاصطفاء الإلهي. فقد نسب النص التوراتي إلى نوح عليه السلام السكر والتعري عقب النجاة من الطوفان، وهي رواية تحمل طابعًا أسطوريًا يتعارض مع الأخلاق التي نُفترض في الأنبياء[٢١].

كما تُنسب إلى لوط عليه السلام أفعال شديدة الإساءة، من أبرزها واقعة زعمت فيها التوراة قيام بناته معه بفاحشة بحجة حفظ النسل بعد ان سقياه الخمر وسكر وغاب عقله[٢٢]، وهي رواية متعارضة مع الفطرة والدين والمنطق، أما داود عليه السلام، فتقدّمه بعض نصوص العهد القديم بصفته ملكًا ارتكب الزنا، ثم دبّر قتل زوج صاحبة الشأن، وهو ما يُسقط عنه صفات القدوة والعدل التي يجب أن تتّصف بها الأنبياء[٢٣]، وتزداد الصورة قتامة في روايات تتعلق بـ سليمان عليه السلام، إذ تربطه الأسفار بعبادات وثنية بسبب تأثير زوجاته الأجنبيات، وهي أوصاف لا تتسق مع ما عُرف من حكمة سليمان ومكانته النبوية[٢٤].

٢. ردّ القرآن الكريم وإعادة رسم الصورة الأخلاقية للأنبياء

جاء القرآن الكريم مصحّحًا لهذه الصور المشوّهة، مُعيدًا للأنبياء مكانتهم اللائقة، ومثبتًا لهم درجة عالية من الطهارة والعفة والالتزام الشرعي. فنوح (عليه السلام يظهر) في القرآن نبيًا شجاعًا ثابتًا في دعوته، خاليًا من كل سلوك يخالف

الأخلاق[٢٥].

أما لوط، فيكاد القرآن يقدّمه نموذجًا للطهر في مواجهة قوم غارقين في الفاحشة، دون أن يذكر له زلة واحدة تُخالف مقام النبوة[٢٦]، ويعرض القرآن داود عليه السلام بوصفه بنعم العبد ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٢٧]، وقد آتاه الله الحكمة والهداية، وينفي عنه ما نسبته إليه الروايات التوراتية[٢٨]، أما سليمان، فيقدّمه القرآن رمزًا للعدل والقوة والإيمان، مثبتًا له النقاء التام من عبادة الأصنام التي ادّعتها بعض المصادر اليهودية[٢٩].

٣. أسباب غياب مفهوم العصمة في المنظور اليهودي وأثره على القيم

يرجع غياب مفهوم عصمة الأنبياء في اليهودية إلى عوامل تاريخية وثقافية، أبرزها طبيعة التدوين المتأخر للنصوص، حيث اختلط الوحي الأول بالروايات الشفوية والأسطورية. كما لعبت الصراعات السياسية الداخلية داخل مملكة إسرائيل دورًا في تشويه صورة بعض الأنبياء؛ فقد استُخدمت الروايات الدينية أحيانًا لتبرير مواقف سياسية أو لإضعاف مكانة أنبياء بعينهم[٣٠]

وبسبب غياب مبدأ العصمة، أصبح من المقبول في الفكر اليهودي التقليدي أن يرتكب الأنبياء أخطاء كبيرة، مما انعكس على منظومة القيم، حيث لم يعد النبي نموذجًا أخلاقيًا كاملًا، بل مجرّد شخصية تاريخية تخضع للضعف الإنساني كبقية البشر.

٤. التحليل المقارن لصورة الأنبياء في الديانتين

يتبيّن من المقارنة أن الإسلام قدّم صورة تنزيهية نقية للأنبياء، تقوم على الاصطفاء الإلهي والطهارة الأخلاقية، مما يجعلهم قدوة صالحة للأمم. بينما قدّمت

اليهودية نتيجة عوامل التدوين صورة تاريخية بشرية تتخللها روايات حادة تُضعف من مقام الأنبياء وتؤثر على المكانة الأخلاقية للنبوة[٣١].

وهكذا يظهر أن الإسلام استعاد الصورة الحقيقية للنبوة، وميّز بين مقام الرسالة وواقع البشر، بينما دمجت النصوص التوراتية بينهما بطريقة أفسدت نموذج القدوة.

المبحث الثالث: المصادر والوحي (إشكالية النص)

المطلب الأول: التوراة بين التنزيل والتدوين البشري

١. الفرق بين التوراة (الأسفار الخمسة) والتلمود

تتكوّن المصادر الأساسية لليهودية من مستويين رئيسيين:

- التوراة المكتوبة: وهي الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، وتشمل: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية.

- التوراة الشفوية: وهي مجموعة التعاليم التي يزعم اليهود أنها نُقلت شفهًا عبر الأجيال، ثم دُوّنت لاحقًا في "المشنا"، ثم شُرحت في "الجمارا"، ليُعرف المجموع باسم التلمود.

التوراة تمثل النص التشريعي الأساسي، بينما يمثّل التلمود المرجع الفقهي والاجتماعي الأكبر في الفكر اليهودي. وغالبًا ما يكون تأثير التلمود على العقيدة والسلوك أكبر من تأثير الأسفار نفسها، لما يحمله من شروح واجتهادات.

٢. تاريخ تدوين العهد القديم وأثر الشتات في ضياع النسخ الأصلية

تُجمع الدراسات المقارنة على أن الأسفار الخمسة لم تُكتب في حياة موسى عليه السلام، بل

دُوّنت على مراحل ممتدة، خصوصًا بعد السبي البابلي سنة ٥٨٦ ق.م، حين فُقدت الأصول الأولى، وأعيد جمع النصوص استنادًا إلى الذاكرة الشعبية والكهنة والكتبة[٣٢]

وكان لهذا التدوين المتأخر آثار خطيرة:

١. اختلاط النصوص الدينية بالتاريخ القومي لبني إسرائيل.

٢. دخول الأساطير البابلية والمصرية في البناء القصصي للتوراة.

٣. ظهور نسخ متعددة للنصوص، مثل النسخة السامرية والنسخة الماسورية والسبعينية.

إن فقدان النسخة الأصلية وتعدد الروايات يفتح باب التساؤل حول مدى قرب النص الحالي من الوحي الإلهي الأول.

المطلب الثاني: مفهوم التحريف في المنظور الإسلامي

١. تحريف اللفظ وتحريف المعنى (التأويل)

يقدّم الإسلام مفهومًا واضحًا للتحريف، يميّز فيه العلماء بين تحريف اللفظ وتحريف المعنى.

فأما تحريف اللفظ فيُقصد به تغيير النصوص كتابةً أو حذفًا أو إضافةً، وهو ما أشار إليه القرآن في قوله تعالى: (يحرّفون الكلم عن مواضعه)[٣٣]، وهي إشارة إلى العبث بالمفردات وبناء الجمل بحيث تُغيَّر دلالتها الأصلية[٣٤]. وقد ظهرت شواهد على على هذا النوع من التحريف في اختلاف النسخ التوراتية، كالسبعينية والماسورية والسامرية، مما يعكس التداخل اللفظي الذي أصاب النص خلال مراحل نقله عبر التاريخ.

أما تحريف المعنى، فيتمثل في إبقاء النص كما هو، لكن تفسيره بطريقة تُوافق أهواء الجماعات أو تقاليدها أو مصالحها الدينية والسياسية. ومن أمثلته تأويل اليهود لنصوص البشارات المتعلقة بالأنبياء اللاحقين، وصرفها عن دلالاتها الحقيقية المرتبطة بالمسيح ومحمد عليهما السلام[٣٥]. ويُعد هذا النوع من التحريف أخطر من اللفظي، لأنه يتسلل إلى العقل ويحوّل النصوص عن مقاصدها الشرعية.

٢. كيف حافظ الإسلام على "جواهر" الرسالة الموسوية وصحّح المسار؟

يذهب الإسلام إلى أنّ الرسالة الإلهية واحدة في جوهرها، تختلف شرائعها وتتفرد بتطبيقاتها، لكن عقيدتها الأساسية في التوحيد والنبوة والأخلاق واحدة. ولأن اليهودية تعرضت – كما تُظهر الشواهد التاريخية – لتغييرات في نصوصها ومفاهيمها، جاء الإسلام ليعيد لهذه الرسالة وحدتها ونقاءها.

وقد تمّ هذا التصحيح عبر اسس اهمها:

أولًا: تصحيح مفهوم الألوهية

أعاد القرآن تقديم الإله في صورته المنزهة التي لا تشوبها صفات بشرية، مخالفًا بذلك نصوص الأنسنة التي ظهرت في الأسفار اليهودية[٣٦]، فأثبت لله صفات الكمال، ونفى عنه صفات الندم والتعب والنسيان، في إطار عقيدة تنزيهية محكمة.

ثانيًا: إعادة مكانة الأنبياء وتنزيههم

جاء الإسلام ليعيد الاعتبار للأنبياء الذين نُسبت إليهم في التوراة قصص لا تليق بمقام النبوة، فبرّأهم القرآن وأعاد بناء صورتهم القدسية كما ينبغي للرسل المصطفين[٣٧]؛ وقدّم القرآن روايات منسجمة مع الحكمة الإلهية، تُظهر الأنبياء قادة أخلاقيين لا مجرّد شخصيات تاريخية.

٣. الرؤية التحليلية لمفهوم التحريف بين الديانتين

يكشف التحليل المقارن بين العقيدتين عن اختلاف جوهري في النظرة إلى النصّ الديني:

- في اليهودية: تعرّض النص لتاريخ طويل من التدوين والتعديل والتفسير، مما جعله عرضة للتحريف اللفظي والمعنوي.

- في الإسلام: اكتمل النص القرآني محفوظًا، ومنسجمًا مع نفسه، وجاء ليكون معيارًا يُعرَض عليه ما سبقه من كتب[٣٨].

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يتبيّن لنا أن دراسة الموضوع المطروح تُسهم في توضيح عدد من المفاهيم، وتعزز الفهم الأعمق للجوانب الفكرية والعلمية ذات الصلة. وقد حاول البحث تناول عناصره الرئيسة بقدر من التحليل والاستقراء، مع مراعاة الموضوعية والابتعاد عن التحيّز، للوصول إلى رؤية أكثر توازناً وشمولاً.

إن تتبّع الأفكار والمناقشات الواردة في البحث يبيّن مدى الترابط بين محاوره، ويؤكد أهمية النظر إلى القضايا العلمية ضمن سياقها التاريخي والمعرفي، بما يسهم في تفسيرها وفهمها بصورة أدق. كما أن النتائج المتحصَّلة لا تمثل نهاية الطريق، بل تُعدّ خطوة يمكن أن تُبنى عليها دراسات أخرى تتعمق أكثر في الموضوع أو تتناول زواياه من مناهج مختلفة.

وبذلك، يخلص البحث إلى أن السعي نحو الفهم المتوازن، والاستناد إلى مصادر موثوقة، واعتماد منهج علمي رصين، هو الطريق الأمثل للوصول إلى

استنتاجات صحيحة يمكن الإفادة منها علمياً وعملياً. ونأمل أن يكون هذا العمل قد قدّم إضافة معرفية متواضعة، وفتح آفاقاً لدراسات مستقبلية أكثر اتساعاً وعمقاً.

هوامش البحث:

١) الكتاب المقدس – العهد القديم. تشمل: سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاويين، سفر العدد، سفر التثنية، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، والملوك الأول والثاني. التوراة، سفر التثنية، ١: ٦

٢) ظ: التوراة، سفر صموئيل الأول، ٢: ١٧

٣) القرآن الكريم، سورة المائدة: اية ١٨

٤) ظ: تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تح: سامي بن محمد السلامة، ط٢، ت ط: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، مط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ٢: ١٤٤

٤) ظ: دلالة الحائرين: موسى بن ميمون (ميمونيدس)، المترجم: د. حسين عطوان، الناشر: دار الجيل، بيروت،٢: ٩٨

٥) ظ: التوراة، سفر العدد، ج١، ص١٢

٦) ظ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): محمد بن جرير الطبري، تح: عبد الله التركي وآخرون،ط ١، ت ط: ٢٠٠١م، مط: دار هجر، ١: ٣٣

٧) ظ: التوراة، سفر التكوين، ٢: ٧٤

٨) ظ: التوراة، سفر التكوين، ١: ٣٢

٩) ظ: التوراة، سفر التكوين، ١: ١٠

١٠) سورة الشورة: اية ١١

١١) ظ: تفسير ابن كثير، ابن كثير، ٢: ١٤٤

١٢) ظ: دلالة الحائرين: موسى بن ميمون (ميمونيدس)، المترجم: د. حسين عطوان، الناشر: دار الجيل، بيروت، ١: ٥٥- يراجع: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، تح:محمد أحمد الحاج، ط١، ت.ط: ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، الناشر: دار القلم – الدار الشامية، دمشق – سوريا / بيروت – لبنان.- إظهار

الحق: رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، تح: محمد أحمد ملكاوي، ط١، ت.ط:١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

١٣) ظ: التوراة، سفر الخروج، ٣: ٢٨

١٤) ظ: تفسير الطبري، الطبري، ٣: ١١٢

١٥) ظ: التوراة، سفر حزقيال، ١: ٢٢

١٦) ظ: التوراة، سفر صموئيل الأول، ٢: ١٤

١٧) ظ: تفسير ابن كثير، ابن كثير، ١ :٨٨

١٨) ظ: التوراة، سفر صموئيل الثاني، ٢: ١١

١٩) ظ: التوراة، سفر الملوك الأول، ١: ١٩

٢٠) ظ: تفسير الطبري، الطبري، ٣: ٥٥

٢١) ظ: التوراة، سفر التكوين، ٢: ٧٤

٢٢) ظ: التوراة، سفر التكوين، ٢: ٨٩

٢٣) ظ: التوراة، سفر صموئيل الثاني، ٣: ١١

٢٤) ظ: التوراة، سفر الملوك الأول، ٤: ٧

٢٥) ظ: تفسير ابن كثير، ابن كثير، ٢: ١١٢

٢٦) ظ: تفسير الطبري، الطبري، ٣: ٨٨

٢٧ سورة ص: اية ٣٠

٢٨) ظ: تفسير ابن كثير، ابن كثير، ٤: ٥٥

٢٩) ظ: تفسير الطبري، الطبري، ٥: ٢١

٣٠) ظ: التوراة، سفر الملوك، ٣: ١٤

٣١) ظ: مقارنة الأديان – اليهودية: د. أحمد شلبي، ط ١٠، ت.ط: ١٩٩٧م، مط: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١: ١٠١-يراجع: بنو إسرائيل في الكتاب والسنة: د. محمد سيد طنطاوي، ط٢، ت.ط: ١٩٨٦م، مط: دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.

٣٢) ظ: سفر أخبار الأيام الثاني ٣٦

٣٣) سورة النساء: آية ٤٦

٣٤) ظ: تفسير الطبري، ٣: ١١٢

٣٥) ظ: تفسير ابن كثير، ٢: ١٤٤

٣٦) ظ: تفسير ابن كثير ١: ٥٥

٣٧) ظ: الملل والنحل: أبو الفتح الشهرستاني، الناشر: دار المعرفة، الطبعة: غير مذكورة، بيروت – لبنان.: ٢: ١٤ – يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، تح: د. محمد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمن عميرة، ط٢، ت ط: ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، مط: دار الجيل، بيروت

٣٨) ظ:. مقارنة الأديان، أحمد شلبي: ١: ١٠١

المقاومة والعرفان
في سلوك السيد الشهيد حسن نصر الله (قدس سره)

بقلم: الشيخ هاشم الكندي

المقدمة:

لقد إنتابتني أسئلة كثيرة عندما رأيت أقماراً ورموزا من أقمار الإسلام وسيوفه تنتقل إلى جوار ربها متزينة بدمائها الزكية وكان مبتدئها: لماذا لا يتمنى كل الناس أن تترك عبادة غير الله ؟ فليس كل الناس يتألمون عندما يعبد غير الله، وليس كل الناس يعملون على نشر عبادة الله !.

وأيضا لماذا لا يتمنى كل الناس أن يكون الله هو المعبود الواحد في كل الوجود ؟ فليس كل الناس يتمنون أن يعبد الله وحده ونبذ كل شريك غيره !.

وأيضاً لماذا لا يعمل الناس على أن يرفع الظلم عن المظلومين ؟ فليس كل الناس يعملون على رفع الظلم وإنصاف المظلومين ؟ فليس كل الناس يعملون على رفع الظلم من العالم !.

وأيضا لماذا لا يعمل كل المسلمون على نشر الدين الأسلامي والقضاء على الكفر ؟ فالكفر والايمان لا يتعايشان ولا يتحاوران والمواجهة بينهما حرب وجود، فليس كل الناس تهتم لنشر الدين والقضاء على الكفر !.

وبالاختصار وبعيداً عن الاطالة المملة، إن أغلب الناس ليس لها هم في هذه الحياة إلا الأكل والشرب والنوم والراحة، فليس لهم هم إلا أن يعيشوا الحياة بالطريقة التي يريدونها وبالاسلوب الذي يفهموه هم عنها وليس كما يريد الله وخلقهم لأجله.

ولكن هناك فئة من الناس تتألم حين يعبد غير الله، ويتألمون حين يظلم مؤمن في أدنى الأرض، ويتمنون ويعملون على نشر العلم والعدالة ومحاربة الظلم والفجور والعصيان في كل العالم، ولكنهم من القلة، ولكنها القلة المباركة التي وعد الله أن ينصرها ولو بعد حين أما السواد الغالب فيرى هذه الفئة ضالة ومنحرفة عن الذوق العام وقد يصفونا بالأرهاب وما ذلك إلا لأنها تحارب نزوات النفس وشهوات الحيوان في النفوس الضالة.

ولكن يبقى السؤال الأهم لماذا أنفردت هذه النفوس من غيرها بهذه الحرب وهذه المقاومة للظلم والكفر والفساد ؟ والجواب ببساطة سيكون بالصفحات القادمة فهذه الأسئلة وغيرها دفعتنا للبحث عن هؤلاء الثلة التي أختارت لقاء الله مضرجة بدمائها مسترخصة للحياة مختارة للألم والتعب والعناء لكي يعبد الله وحده وينتشر دينه وتعلو حكومته.

ولا يفوتني أن أذكر أن هذا البحث تدرج في فكرته ليتخذ من سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد الشهيد القائد حسن نصر الله انموذجا حياً وشهيداً لكل هذه الأسئلة لذلك كان لزاما علينا أن نقدم تمهيداً لابد منه للدخول في صفحات خالدة في فكر الإنسانية من حياة الشهيد الخالد قدست روحه الزكية.

المبحث الأول: الخطاب الإلهي وجهاد المقاومة

اولاً: التفريق في الخطاب القرآني بين المؤمن وغيره:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم للناس؛ ليكون ضياءً أمام الإنسان لكي يهتدي به في الحياة الدنيا إلى سبيل الرشد والنجاة، وليكون أحد المرجعيات الأساسية للمسلم

في فهم الكون من حوله، وكيفية التعامل معه ومع الأمور التي تُعرض عليه في كل لحظة من لحظات حياته الدنيا، وحتى بعد مماته فهو المنبه والمرشد لما يلاقي الإنسان في ذلك العالم ؛ مما ينتظره من سؤال وحساب، ورحمة وعذاب.

والقرآن الكريم في هذا الإطار، يحتوي على العديد من صور ذلك المحتوى العظيم والطريق الطويل ؛ وقد أستخدم مختلف التعابير والطرق العذبة والجزلة التي تحاكي العقل والقلب فهناك السرديات التاريخية وقصص الأولين، وهناك الإيمانيات، وهناك العمرانيات، إلا أنه لعل أهم ما في هذه الخطابات القرآن، هو الخطاب الموجَّه، للتفرقة ما بين أهل الإيمان وأهل الكفر.

وهذا الخطاب القرآني يتضمن العديد من الأمور التي يجب على البشرية برمتها، إدراكُها، مثل دلائل وجود الله عز وجل، ودلائل التوحيد، والخلافة التي خُلق الإنسان لأجلها، ولأجلها أُنزل إلى الأرض، وغير ذلك من التنبيه على الأمور التي أتاهت الانسان في زحام المادية والعلمانية التي غزت كل أركان مجتمعاتنا المسلمة في الوقت الحاضر.

ويختلف الخطاب القرآني الموجه إلى كل فئة من هذه الفئتين؛ المؤمنين، وأهل الكفر والجحود، ثم مَن هُم من غير أهل الإيمان، في المجتمعات المستهدفة بالدعوة إلى الدين الحنيف.

وعند التأمل في الآيات القرآنية، والتي تتضمن خطابًا موجَّهًا إلى الفئتَيْن، سواء خلال سنوات البعثة الخاتمة، أو أقوام أنبياء الله تعالى ورسله السابقين على نبوة النبي الاعظم "صلى الله عليه وآله"؛ سوف نجد أن رب العزة سبحانه يخاطبهم، في خطاب الترغيب على وجه الخصوص، بما ينحصر في الأمور التي تتعلق بحاجات الإنسان القريبة، وهي

الحاجة إلى الأمن، وما يحقق الحاجات الفسيولوجية القريبة، مثل الرزق المادي.

وفي ذلك دلالة مهمة إذا ما قارناه بخطاب أهل الإيمان في القرآن الكريم؛ حيث – كما سوف نرى – أن الخطاب القرآني ينطلق لأهل الإيمان، من معالي الأمور، وعلى رأسها نشر دعوة الإسلام، والجهاد في سبيل الله تعالى، بكل صور وألوان ومعاني الجهاد.

إن إنسانية الإنسان لا تكتمل إلا بالوصول إلى مرتبة الإيمان، فهو عندما لا يكون مؤمنًا؛ فإن الله يخاطبه بما يتساوى فيه مع المخلوقات الأدنى وهذا الفارق الذي يتضح في الآيات القرآنية التالية؛ بين المؤمن والكافر فإن الله عز وجل يخاطب الكفر بما يتساوى فيه مع المخلوقات الأدنى، مثل بهيمة الأنعام، ويتكلم معه عن الغايات التي يتساوى بها الانسان مع غيره من البهائم الا وهي الطعام والأمن وما اتصل بذلك.

ويتضح ذلك في الحوار الشهير بين الله عز وجل، وبين خليله إبراهيم "عليه السلام"، في سُورة "البقرة"، فيقول تبارك وتعالى في مُحكَم التنزيل: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾.

وما يهمنا هنا في هذا الخطاب ما يعرضه الحق تعالى من معالي الأمور، وهي

إمامة الناس بمعناها الوسيع وليس الخاص أي بمعنى القيادة، والإمامة هنا عند أهل التفسير؛ هي الدعوة والنبوة، وهي أعظم مهمة حملها الإنسان، وناءت بحملها السماوات والأرض والجبال، وفصَّلت الآية (١٢٥) السابقة، أما الحاجات الأساسية الأخرى، المتمثلة في ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾؛ كان العهد الإلهي، بأن يكون للمؤمن والكافر على حدٍ سواء فيها من التمتع.

ففي الأولى، الإمامة والنبوة؛ قال الله تعالى: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِى الظَّـالِمِينَ﴾، أما في الثانية؛ والتي تمثل الرزق والثمرات؛ قال عز وجل ردًّا على خطاب إبراهيم "عليه السلام"، ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، ظنًّا منه أن ذات الحكم في الأولى، الإمامة والنبوة، ينطبق على الرزق المادي، استجابة وانصياعًا لله عز وجل وتأدبًا معه؛ قَالَ: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾؛ فشمل الكافرين بالرزق المادي الذي هو أدنى من عظيم الأمور التي خصَّ الله عز وجل بها المؤمنين من عباده من الذين لا يشوبهم الظلم ولا بأي درجة من درجاته.

وفي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي خاطب بها الله تعالى أهل الإيمان وأهل الكفر في المجتمعات التي نزلت فيها رسالاته ونبواته، مثل: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [سُورة "القَصَص"]، فهنا جاء العقاب لهم لأن هؤلاء القوم "بطروا معيشتهم" أو جحدوا وكفروا بأنعم الله تعالى عليهم، المتمثل بالرزق المادي القريب.

وذات الرسالة في سُورة "قريش"؛ حيث يقول الله: ﴿لِإِيلافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن

جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾، وفي سُورة "العنكبوت": ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴿٦٧﴾﴾.

ففي هذه الآيات؛ أتت عناصر المنَّة الإلهية على الناس غير المؤمنين، في الأمن من الخوف، وتوفير الرزق المادي، لحثهم على الإيمان، مع الوعيد لمن يتمادى في كفره وطغيانه منهم.

يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سُورة "سبأ"].

وهنا الجزاء والعقاب الصارم لمن يكفر بهذه النعم، وأن الإيمان هو شرط النجاة للإنسان من هذا العقاب "فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ".

وإذا قارنا ذلك بالخطاب القرآني الموجه للمؤمنين، ففي سبعين آية من آيات القرآن الكريم، يتكلم الحق تعالى مع قوم ميزتهم بذل الأرواح في سبيل أعلاء الدين وأظهاره على الدينكله وهي آيات الجهاد والنفير والقتال في القرآن الحكيم؛ فسوف نجد صورةً مختلفة تمام الاختلاف، في المحتوى والأسلوب وكل شيء عن تلك التي تكلم بها مع أهل العناد والتشكيك، فهنا الأمر الصريح بالجهاد والقتال وبذل الأنفس والأموال في سبيل الله، والنفير لأجل نصرة دينه ودعوته، وصد عدوان أهل الكفر والضلال.

ويكفي هناك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ [سُورة "الأنفال":٧٢].

وقوله تعالى: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سُورة "التَّوبة]، ويقول: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴿٧٨﴾﴾ [سُورة "الحَج"].

في هذه الآيات الكريمات، وغيرها من الآيات التي تخاطب المؤمنين بمعالي الأمور، وفيها الدعوة إلى البذل والتضحية، حتى بأغلى ما يملك الإنسان، من نفسه وماله وعياله، ويوجه ويدعو ويأمر رب العزة سبحانه بذلك خلقه عامة ؛ لكنه يعلم مَن خلق مِن خلقه وأن أستجابتهم ستكون مختلفة ومتباينة، فالمؤمن يعلم إن الإيمان يُتِمُ على الإنسان إنسانيته، وفهمه؛ ويعلم المؤمن أنه قد خُلق لمعالي الأمور، ولأداء رسالة مقدسة، اصطفاه الله بها خالقه لأجلها، باعتباره من أمة التكليف.

إن الارتقاء في التكليف، هو الفارق الأساسي بين أهل الإيمان وأهل الكفر، وهو الفارق بين الإنسان الكامل وغير المكتمل في إنسانيته وهذا الارتقاء في التكليف، بدلاً من الحديث عن الأمن من الخوف والإغناء من الجوع، ينتقل مع المؤمنين إلى الأمر بالجهاد والبذل، وهو يعلم –سبحانه– أنهم سوف يستجيبون وهم راضون

مستبشرون؛ وهذا هو الفارق الأساسي بين أهل الإيمان، وأهل الكفر والنفاق، بل هو الفارق بين الإنسان الكامل، والإنسان غير المكتمل في إنسانيته، الذي يعيش حياة الأنعام؛ يأكل ويشرب وهي تمام غايته من هذه الحياة البالية. وهذا الرضا، وهذا الاستبشار، يأتي من صفة إنسانية مهمة بدورها في حياة الفرد بل لربما هي الفاصل بين الانسان والحيوان ألا وهي العقل، فهو الذي يدعو الإنسان إلى الفهم؛ فالمؤمن قد فَهِمَ دنياه، وفَهِمَ دوره، وفَهِمَ أركان هذا الإيمان، بما فيها من إيمان بالحياة الآخرة، وبأنها هي الحياة الحقيقية، وهي دار القرار، وأن حاله فيها سوف يكون بناءً على ما أبلاه في حياته؛ فيكون البذل والجهاد عن رضا ومتاجرة رابحة مع الله عز وجل، بل أكثر من ذلك فالمؤمن على علم يقيني إن ما يقدمه من بذل كله يصب في مصلحة المجتمع فيكون له أجر الأمتثال لأمر الله عز وجل بالجهاد، وأجر المحافظة على المجتمع من الكفر والظلم والأنحلال.

كل هذا العطاء والبذل هو من تمام إنسانية الإنسان وكمال عقله ودينه، أما الآخر وهو غير المؤمن، والذي لا همَّ له إلا اتباع الهوى والشهوات؛ فالقرآن الكريم واضح تمامًا في هذه النقطة؛ فيقول الله تعالى في سُورة "الفرقان": ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا﴿٤٤﴾﴾.

أي يا رسول الله – "صلى الله عليه وآله" – لا تحسبن هؤلاء من البشر؛ لهم ما للبشر الأسوياء من صفات الفهم – "يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ" – وإنما هم أقرب للأنعام في عَيْشتهم !

ولعل ما في هاتَيْن الآيتَيْن وآيات السورة الأخرى، من فرق بين المؤمنين وحالهم وبين غير المؤمنين وحالهم، سببٌ آخر لتسميتها بهذا الاسم (الفرقان)، بجانب

أن مفتتحها كان في الحديث عن القرآن الكريم، باعتبار نزوله متفرقًا على الرسول الكريم "صلى الله عليه وآله"، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾.

ويبقى السؤال: من أنت في هذه الفئات؟!، وهل تقبل بالدَّنية في دينك وإنسانيتك وكرامتك التي ميزك الله تعالى بها عن سائر مخلوقاته؟!.

ثانياً: منطق المقاومة:

برز عنوان المقاومة كنظرية شاملة ومتكاملة في العصر الحديث مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران، رغم أنّه كان موجوداً كفكرة أو ممارسات هنا وهناك، إلا أنّ الهيمنة الظاهرية للقوى المستكبرة وسيطرتهم المادّية على العالم وتقسيمهم إياه في ما بينهم لمعسكرين: شرقي وغربي من جهة، وتقاعس الحكام والنخب في العالم الإسلامي وانبطاحهم وعقدة الدونية والهزيمة الذاتية لديهم وعدم قيامهم بواجباتهم ومسؤولياتهم السياسية والفكرية مقابل هذه الهيمنة من جهة أخرى، لم يترك للشعوب خياراً سوى الاستسلام والرّضوخ لمشهد النظام العالمي الظالم كأمر واقع لا بدّ منه وحقيقة مرّة لا يمكن تغييرها.

في مثل هذه الظروف الحالكة قاد الإمام الخميني (ره) أعظم ثورة شعبية في العالم حتى الانتصار، واعتبر القوى المادية وبريقها لا شيء،ورفع راية النهضة والنضال في وجه الطغاة، وأحيا روح العزّة والإباء والتحرّر لا لدى الشعب الإيراني المسلم فحسب، بل في ضمائر المسلمين والمستضعفين في أنحاء العالم، فأيقظهم من سباتهم، ورسم أمامهم طريقاً ثالثةً «لا شرقيةً ولا غربية»، وأثبت لهم بشكل عملي كيف تكون الثورة والانتصار، فتلقّفت الشعوب درسه وانطلقت نحو التطبيق بشكل أو بآخر.

بعد رحيل الإمام الخميني قاد الإمام الخامنئي هذه الثورة نحو أهدافها التحرّريـة العالمية بنفس الزخم والصلابة، فقدّم للشعوب المسلمة والمستضعفة طرحاً نظرياً متماسكاً عقلانياً وفطرياً، ومشروعاً عملياً واسعاً لمقاومة الغطرسة في المنطقة من خلال دعم الحركات المقاومة، فكانت النتيجة باهرة، وظهرت حقيقة جديدة وظاهرة غير مسبوقة نطلق عليها اليوم مصطلح «جبهة المقاومة».

وكما أشرنا، يستند هذا الإنجاز العظيم وتأسيس جبهة المقاومة إلى تنظير علمي عميق من جهة وتطبيق عملي قوي من جهة أخرى.

وبالتالي فحين نتكلم عن المقاومة فالمقاومة لها كيان ومنطق تنطلق منه وهي ليست حركة عشوائية ناتجة من ميول شخصية وإنما هي مسؤولية عظيمة يتحملها من كان أقدر عليها ومن كانت أدواته متوفرة، وهنا سيكون الكلام عند عدة أمور تعتمدها المقاومة في منطقها الفاعل.

الأول: أنّ المقاومة ردّ فعل طبيعي لأيّ شعب حرّ شريف مقابل التعسف ومنطق القوة والظلم، ولا حاجة لسبب آخر. فأي شعب يعير أهمية لشرفه وهويّته وإنسانيّته، عندما يرى أنّهم يريدون فرض شيء عليه سوف يقاوم ويمتنع ويصمد، وهذا بحدّ ذاته سبب مستقلّ ومقنع. هذا أوّلاً.

ثانياً: المقاومة تؤدّي إلى تراجع العدوّ، بخلاف الاستسلام. فإنكم إن تراجعتم خطوة إلى الوراء حين يمارس العدوّ ظلمه وأعماله التعسّفيّة بحقّكم، سوف يتقدّم هو بلا شك. والسبيل إلى أن لا يتقدّم العدو عليكم هو أن تقاوموا وتثبتوا. الصمود والمقاومة مقابل أطماع العدوّ وتعسّفه وابتزازه هو السبيل للحؤول دون تقدّمه. إذاً، فالفائدة في المقاومة.

فأينما قاومنا وثبتنا استطعنا التقدّم وأينما استسلمنا وعملنا طبقاً لرغبة الطرف المقابل تلقّينا الضربات. هناك أمثلة واضحة، والأذكياء والمطّلعون يستطيعون العثور بسهولة على أمثلة لهذا الأمر من حياة الجمهورية الإسلامية الممتدّة لأربعين عاماً. هذا أيضاً جانب من هذا المنطق.

الجانب الثالث: من منطق المقاومة،وهو أنّ للمقاومة تكاليفها على كلّ حال، وهي ليست عديمة التكاليف، لكنّ تكاليف الاستسلام مقابل العدوّ أكبر من تكاليف مقاومته. عندما تستسلمون أمام العدوّ عليكم أن تتحمّلوا التكاليف. النظام المستعبد في عالمنا هو نظام مستسلم أمام أمريكا ـ فهم وإن كانوا منزعجين في كثير من الأحيان وغير راضين لكنّهم كانوا مستسلمين ويخافون ـ فهو يعطي النفط والمال ويخضع للابتزاز ويتلقّى منهم الصفعات في الوقت نفسه! والحكومات المستعبدة في الوقت الحاضر على المنوال نفسه، فهي تقدّم الأموال والدولارات وتتّخذ المواقف وفقاً لإرادة أمريكا ومع ذلك تسمع الإهانات ويسمّونها بـ«البقرة الحلوب»! تكاليف الاستسلام والرضوخ وعدم المقاومة أكثر بكثير من تكاليف المقاومة. وللاستسلام تكاليفه المادية والمعنوية أيضاً.

الجانب الرابع: أو العنصر الرابع من منطق المقاومة هو الجانب القرآني والوعد الإلهي. لقد وعد الله تعالى في آيات متعدّدة من القرآن بأنّ أهل الحقّ وأنصار الحقّ هم المنتصرون في النهاية. والآيات القرآنية الكثيرة تدلّ على هذا المعنى. قد يقدّمون التضحيات لكنّهم في نهاية المطاف لا ينهزمون. إنّهم المنتصرون في هذه الساحة... من بين هذه الأمثلة القرآنية أذكر هنا آيتين أو ثلاث آيات قال تعالى: «أم يريدونَ كيدًا فَالَّذينَ كفَروا هُمُ المَكيدون»، يتصورون أنّهم يخطّطون ويمهّدون الأرضية

ويتآمرون على جبهة الحقّ والمقاومة، لكنّهم لا يدرون بأنّ مكرهم يحيق بهم طبقاً للقانون والسنة الإلهية. وآية أخرى: «وَنُرِيدُ أن نَمُنَّ على الَّذينَ استُضعِفوا فِي الأرضِ» إلى آخر الآية. وآية أخرى: «إن تَنصُرُوا اللهَ ينصُركم وَيثَبِّت أقدامَكم». وآية أخرى: «وَلَينصُرَنَّ اللهُ مَن ينصُرُه». آيات كثيرة من القرآن تبشّر كلّها بهذه العاقبة للسائرين في درب المقاومة. هذا أيضاً دليل. هذه الآيات القرآنيّة هي جزء من الدليل الرصين والمنطق القوي لأهمية المقاومة.

النقطة الخامسة: التي ينبغي أخذها بالحسبان فيما يتعلّق بمنطق المقاومة هي أنّ المقاومة أمر ممكن، وهذا على الضدّ تماماً من التفكير الخاطئ للذين يقولون ويُروّجون بأنّه «لا فائدة من ذلك، وكيف تريدون أن تقاوموا؟ والطرف المقابل جبّار ومتعسّف وقويّ»، هنا يكمن الخطأ الكبير. الخطأ الكبير هو أن يتصوّر المرء بأنّ المقاومة والصمود بوجه عتاة العالم أمر غير ممكن. ولأوضح هذه النقطة أكثر لأنّها قضية مهمّة وشائعة وموضع ابتلاء، ولدينا الآن أيضاً من يروّجون، وبمظهر المثقّفين والمستنيرين وما إلى ذلك، في الصحف والكتب والمحاضرات هنا وهناك ويقولون: «لا فائدة يا أخي، ولا يمكن الدخول معهم في حرب ونزاع، ولا يمكن الصمود بوجههم، ويجب أن نوافق» والخلاصة أنّه يجب أن نرضى بأن يهيمنوا علينا ونريح بالنا. وما أقوله هو أنّ هذه النظرة التي تقول «لا نستطيع» ناجمة عن تلك الأخطاء في الحسابات فهذا خطأ في الحسابات.

خطأ الحسابات في كلّ قضية ناجم عن أنّنا لا نرى العوامل المتنوعة في القضية. عندما يكون الكلام عن مواجهة وصِدام بين جبهتين فإنّ خطأ الحسابات ينجم عن أنّنا لا نعرف جبهتنا بدقّة، وكذلك لا نعرف الجبهة المقابلة بدقّة. وعندما لا نعرف هذه

الأمور سنخطئ في الحسابات. [أمّا] إن عرفناها بدقّة فستكون حساباتنا بنحو آخر. وأقول هنا، علينا في حساباتنا التي يجب أن نقوم بها فيما يتعلّق بقضية مقاومة عتاة العالم، أن نعرف بدقة الحقائق المتعلّقة بهؤلاء العتاة ونعرف أيضاً الحقائق المتعلّقة بنا. ومن هذه الحقائق «القدرة على المقاومة».

لاحظوا، في الأدبيات السياسية الدولية هناك عنوان «المقاومة على طريقة الإمام الخميني». ما شاع كثيراً في تعابير الأجانب وبعد تحرير خرّمشهر هو هذا المصطلح: «طريقة مقاومة الإمام الخميني». هذا ما طرحوه وكتبوا المقالات حوله. وقد سجّلت هنا عبارة لإحدى الشخصيّات السياسية المعروفة في العالم حيث كتب: «إن زمن الدور الحصري للقوة العسكرية والاقتصادية في السيطرة العالمية آخذ بالأفول. أن يكون هناك بلد له قوة عسكرية كبيرة وقوة اقتصادية كبيرة ويستطيع مواصلة سيطرته، فهذا شيء في طريقه إلى الأفول، فالعالم قد تغيّر» ويكتب: «في المستقبل غير البعيد سوف نشهد ظهور قوى تتجاوز حدودها، وهي ليست على درجة عالية جداً من حيث [امتلاك] الآلات الحربية من قبيل القنبلة النووية، أو من حيث المشاركة في الإنتاج الصناعي العالمي، لكنّها بقدرتها على التأثير في ملايين البشر سوف تتحدّى السيطرة العسكرية والاقتصادية للغرب». هذا ما يقوله سياسي وخبير غربي أمريكي في الشؤون السياسية. ثم يضيف: «مبدأ مقاومة الخميني يستهدف بكلّ قوّة الشريان الأساسي لسيطرة الغرب وأمريكا». هذا هو سرّ بقاء الجمهورية الإسلامية. وهذا هو النهج الذي تركه لنا هذا الإنسان الجليل وعبد الله الصالح، نهج المقاومة والصمود، ونهج معرفة قدر ما نمتلكه.

ثالثاً: منطق المقاومة والرؤية الكونية التوحيدية

نظرية المقاومة نظرية عقلانية ومنطقية، ومنطقها فطريّ. فينبغي أن نبحث عن نقطة ارتكاز هذا المنطق الفطري ونبيّن ابتنائه على الرؤية الكونية التوحيدية وعلاقته بالأيديولوجية الإسلامية. فبحسب الإمام الخامنئي، إنّ نظرية المقاومة قائمة على الرؤية الكونية التوحيدية والأيديولوجية الإسلامية. لأنّ «كلّ الممكنات والموجودات تنبع من مكان واحد ومن مبدأ واحد ومن قدرة واحدة خلقتها وأوجدتها وصنعتها، فالكلّ عبيد أمامها والكلّ أسرى قدرتها والكلّ ينبغي أن يطيعوها، فلا يحقّ لأحد أن يضع رأسه محلّ قدم شخص آخر، كما لا يحقّ لأحد أن يضع قدمه محلّ رأس شخص آخر»[١].

فهذه الرؤية الكونية الخالصة الفطرية تؤسّس للإطار النظري لنظرية المقاومة، إذ تقسّم العالم إلى صفّين؛ الصفّ الأوّل هو صفّ الله، والصفّ الآخر هو صفّ ما سوى الله. وهذا الصفّ الآخر يشمل جميع ذرّات العالم على حدّ سواء كعبيد لله، فتدعو الإنسان إلى العبودية المطلقة لله سبحانه وتعالى من جهة، وإلى رفض عبودية ما سوى الله من جهة أخرى. لأنّ الطاعة والتبعية والانقياد والاستسلام لما سوى الله -أيّاً كان؛ سواء الأهواء النفسانية أو الشياطين الخارجية أو الأنظمة المهيمنة والقوى الاستكبارية – تعتبر عبودية الطاغوت وتتعارض مع الرؤية الكونية الأصيلة[٢].

رابعاً: معنى المقاومة:

ما معنى المقاومة؟ معنى المقاومة أن يختار الإنسان طريقاً يعدّه الطريق الحقّ والطريق الصحيح ويسير فيه، ولا تستطيع الموانع والعقبات صدّه عن السير في هذا

الدرب وإيقاف مسيرته. هذا هو معنى المقاومة. افترضوا مثلاً أنّ الإنسان يواجه في طريقه سيلاً أو حفرة، أو قد يواجه صخرة [كبيرة] في حركته في الجبال حيث يريد الوصول إلى القمة، البعض عندما يواجهون هذه الصخرة أو المانع أو العقبة أو السارق أو الذئب يعودون عن طريقهم وينصرفون عن مواصلة السير، أما البعض فلا، ينظرون ويفكّرون ما هو طريق الالتفاف على هذه الصخرة، وما هو السبيل لمواجهة هذه العقبة، فيجدون ذلك الطريق أو يرفعون المانع أو يتجاوزونه بأسلوب عقلائي. هذا هو معنى المقاومة، وهكذا كان الإمام الخميني، لقد اختار طريقاً وسار فيه، فما هو هذا الطريق؟ وما هو الكلام الذي كان يقوله الإمام ويصرّ عليه؟ كان كلامه حاكميّة دين الله، حاكميّة دين الله والمدرسة الإلهية على مجتمع المسلمين وعلى حياة عموم الناس. هذا ما كان يقوله الإمام الخميني. بعد أن وُفّق للتغلّب على الموانع والعقبات وتأسيس نظام الجمهورية الإسلامية أعلن أنّنا لا نظلِم ولا نخضع للظلم. لا نظلِم لكنّنا في الوقت نفسه لا نرضخ للظلم؛ لا نتصالح مع الظالم وندعم المظلوم. هذا ما كان يقوله الإمام.

هذا الكلام مستمدّ من أصل الدين، ومن نصّ القرآن. وفضلاً عن أنّ القرآن يصرّح بذلك فإنّ العقل السليم أيضاً يعضده ويؤيّده. مواجهة الظلم والدفاع عن المظلوم وعدم التعاون مع الظالم وعدم مساومته أمر يستحسنه كلّ عقلاء العالم. وقد ثبت الإمام الخميني على هذا الكلام. ومن البديهي أن يكون لهذا الكلام وهذا النهج أعداؤه الغلاظ العتاة في العالم، فالأجهزة الاستكبارية في العالم من أهل الظلم. قبل أن يبدأ الإمام الخميني هذه النهضة العملاقة كانت الدول الغربية ولأكثر من مائتي عام تمارس الظلم بشكل متصاعد متزايد ضدّ الشعوب في أنحاء مختلفة من العالم،

في آسيا وأفريقيا وبلدان متعدّدة. البريطانيون في الهند وبلدان تلك المنطقة والفرنسيون في أفريقيا والجزائر وبلدان أخرى، ودول أوروبية أخرى كانت تمارس الظلم بشكل واضح ومكشوف في بلدان عديدة. ومن الطبيعي أن ينزعج هؤلاء من هذا الشعار. أن تظهر دولة في قلب آسيا وفي هذه المنطقة الحسّاسة، في إيران، ويكون شعارها أنّها لا تتصالح مع الظلم ولا تقبل به، ولا تساوم الظالم، وتدعم المظلوم، فمن الواضح أن يكون هذا صعباً عليهم ولا يُطاق. لذلك بدأت العداوات منذ بداية المسيرة[٣].

خامساً: قواعد التكليف الشرعي:

١- التكليف الشرعي:

ثقافة التكليف التي كثيراً ما نسمعها من الواعظين، والمرشدين من العلماء تعني باختصار شديد، الالتزام بالتكليف الشرعي الإلهي، ويمكن لنا في إطار الحديث عن هذا المفهوم أن نسلط الضوء على بعض المسائل التي ترتبط بثقافة التكليف بصلة وثيقة، كالروحية التي ينبغي وجودها في الإنسان الذي يتصف بالالتزام بالتكليف الإلهي، والغرض من هذا الإلتزام، وكذلك من يحدد لنا التكليف الشرعي هذا؟

٢- من أين يأتي التكليف الشرعي؟

عندما نقول التكليف الشرعي، فإن ذلك يعني بالدرجة الأولى أن التكليف نابع من الإسلام، وهذا ما يُكسِبه الشرعية عندما نصفه بالشرعي، هذا التكليف الذي يشمل جوانب حياة الإنسان كافة، سواء كانت فردية أم اجتماعية أم سياسية...، يقول الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه: "حدد الإسلام التكليف في كل شيء، ووضع القوانين لكل شيء، ولا

حاجة بالمسلمين لتقليد أحد، أو اتّباعه في قوانينه"[٤].

٣- من يحدد لنا التكليف الإلهي؟

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[٥].

يشير الله تعالى في الآية الشريفة إلى الأشخاص الواجبي الطاعة، وهم بالدرجة الأولى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وبعده قام أمير المؤمنين علي عليه السلام بأمر من الله تعالى ليؤدي هذه المهمة ثم الإئمة الهداة عليهم السلام إمام بعد إمامٍ كانوا أولياء الأمر في هذه الأمة إلى زمن غيبة إمامنا الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وقد حدد لنا الأئمة عليهم السلام من نتبعهم في عصر الغيبة الكبرى لإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهم العلماء الجامعون للشرائط (الولي الفقيه).

ورد عن الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف: "أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله"[٦].

وطاعة الولي يمكن أن تكون من خلال التزام أوامر صدرت منه مباشرة أو من خلال قنوات تنظيمية أوكل الأمر إليها من قبل الولي الفقيه، فعندما يأتينا أمر معين صادرٌ عن الولي مباشرةً أو من خلال وكيله أو من ينوب عنه، فإنه سيصبح تكليفاً شرعياً علينا أن نقوم به.

٤- علاقتنا بالتكليف

عندما تكونن علاقتنا بالتكليف الشرعي هي علاقة التسليم للأمر الإلهي، عندها

ستترسخ في عقيدة الإنسان أن التكليف المناط به، هو أمر ينتهي إلى الله سبحانه تعالى.

٥- من تطبيقات التكليف الشرعي:

ولهذا فالإمتثال للتكليف لا يخرج عن عنوان طاعة الله تعالى، ولا يخضع لمزاج الأشخاص والأفراد ورؤيتهم الخاصة للأمور، وإلا فإن نظام القيادة في الإسلام سيختل، وسنتحدث في ما يلي عن ارتباط بعض المسائل بالتكليف وعلاقتها به.

أ- التكليف والمال:

قد يحصل أن تقدم بعض الجهات مبالغ مالية مقابل القيام ببعض المسؤوليات التي تصب في صالح الإسلام وأمة المسلمين، وأخطر ما في الأمر عندما تتحول هذه المبالغ المادية هدفاً بحد ذاته، بحيث لو توقف المال توقف المسلم عن أداء مسؤولياته، وهذه المسألة نابعة من حب الدنيا، وأما الروحية التي ينبغي أن تحكم علاقتنا بالتكليف فهي روحية البذل والعطاء فلو لم تكن أمور المسلمين لتستقيم إلا ببذل الإنسان من حسابه ومن جيبه الخاص فعليه أن لا يبخل على الإسلام.

فلم يكن الإئمة عليهم السلام ولا قادة الإسلام من أفذاذ الشيعة يوما ليقول أحدهم لو أنني أصبحت مفلساً سأتخلى عن مسؤوليتي في قيادة الأمة وتحمل مشاق العمل ودليلنا أنهم جميعاً خرجوا من الدينا ولم يورثوا لا بيضاء ولا صفراء، بل ناضلوا بأقل الإمكانات ووصل بهم الأمر في بعض لياليهم إلى النوم من دون طعام أو إلى تقسيم الطعام القليل الذي في بيوتهم في ما بينهم.

وخلاصة الأمر: إن التكاليف الشرعية لا تسقط عن المكلفين بسبب شح الموارد المالية وما شابه هذا من الأسباب الدنيوية التافهة، فالتكاليف لا تسقط عن الإنسان

وهي خيط أتصال العبد بالمعبود، ودليل العشق والطاعة.

ب- التكليف والاعتبارات الشخصية:

عندما نتحدث عن التكليف فإنه لا مجال للحديث عن الاعتبارات الشخصية، فإنها تسقط أمام مصلحة الإسلام والمسلمين، وهكذا كانت سيرة الأئمة ومن تمثل بهم والتزم طريقهم حيث واجهوا التحديات من قتل وسجن ونفي وتعذيب لأجل أداء التكليف فقط، وهذا ما أكدوا عليه في كلماتهم وسلوكهم يقول السيد الخميني قدس سره: "ليس مهماً عندي أين أكون، المهم هو العمل بالتكليف الإلهي، والمهم هو مصالح الإسلام والمسلمين العليا"[٧].

ت- التكليف ونتائجه

إن الله سبحانه وتعالى هو علاّم الغيوب، وهو العالم بالنتائج الحقيقية لكل أمر، بل أنه هو تعالى الذي يحقق النتائج بتوفيقه وتسديده ومنّه على عباده، لذلك فإن على الإنسان القيام بتكليفه والالتزام بالواجب الشرعي، فعلى الإنسان أن يسعى وليس عليه أن يكون موفقاً، وهنا تبرز درجة إيمان الإنسان بالغيب ودرجة توكله على الله تعالى، فقد تكون قراءتنا في جانب والتكليف في جانب آخر ولكن الخطاب الشرعي يبقى خطاباً شرعياً، علينا أن نلتزم به ونحترم بل ونموت لأجل القيام به ما دام الله أراد ذلك وأمر به.

عندما عارض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام معاوية، كان بالطبع يريد عزله عن مقامه لفسقه ونهبه أموال الناس، وتنصيب إنسان عادل سليم في منصبه في الشامات، سوريا والمناطق المجاورة لها، وبالتالي فمجابهة ظلم معاوية كان تكليفاً شرعياً وجب على المعصوم أن يقوم به وتعريف الناس بحقيقة أن معاوية ظالم ويجب طرده ومنع

أمثاله من رقاب المسلمين. فقام بهذا التكليف الشرعي لكنه لم ينجح في عزل معاوية عن مقامه ولكن الإمام قام بتكليفه وأبرء ساحته من ذلك التكليف.

وكما ثار الإمام الحسين عليه السلام سيد الشهداء ضد يزيد ولعله كان مطمئناً عالماً بأنه لن ينجح في إسقاطه من السلطنة، بل هذا هو الواقع فعلاً حيث تذكر الأخبار أنه كان عالماً بعدم نجاحه في ذلك لكنه رغم ذلك – وعملاً بواجب الثورة ضد النظام الظالم حتى لو كان مصيره القتل – ثار ضد يزيد عليه لعائن الله وقدم الضحايا وقاتل وقَتَل منهم حتى استشهد عليه صلوات الله.

المبحث الثاني: العبودية في مدرسة أهل البيت[٨]:

بلغ أهل البيت (عليهم السلام) مقام العبودية لله عز وجل لا يبلغ شأنهم فى هذا أحد لأن معرفتهم بالله عز وجل هي الأجلُ والأعظمُ والأكثر من سائر الناس أجمعين، وقد بلغوا مقام التسليم لله تبارك وتعالى.

فهم عليهم صلوات الله لا يخطون خطوة واحدة إلا لله وفى سبيل الله وامتثالًا لأمر الله عز وجل وحياتهم وأعمالهم وأقوالهم وسيرتهم تدور فى فلك الخالق البارئ المصور سبحانه وتعالى.

قيامهم وقعودهم سكوتهم وحديثهم وحتى زواجهم وتعاملهم وكسبهم وتجارتهم وحربهم وصلحهم سفرهم وحضرهم لباسهم ونظرتهم قولهم وصحوهم بكاؤهم وابتسامتهم وكل أعمالهم: إن كل ذلك ينطلق من نية خالصة وصفاء قلب وإيمان عميق، وهي بذلك جزء لا ينفك من مسيرتهم العبادية وهى انعكاس تام لعبوديتهم الخالصة لله عز وجل.

أهل البيت (عليهم صلوات الله) وهم يعبدون الله ويطيعونه ويسلّمون له سبحانه تسليماً أنما يفعلون ذلك لأن الله أهل للعبادة، فهم لا يعبدون الله طمعاً في الجنة أو خوفاً من النار، إنما ينطلقون في عبادتهم من خلال معرفة بالله سبحانه وعرفاناً لنعمائه وتسليماً لأمره ووفاء له تبارك وتعالى.

ولهذا فقد بلغوا الأوج في العبادة، ومن يطلع على مناجاتهم ودعواتهم لا يجد فيها إلا الإخلاص والتسليم والشعور بالتقصير لأنهم يقارنون عبادتهم بعبادة رسول الله التي لا يبلغها أحد من العالمين.

وقد بلغت عبادتهم أعلى المراتب لأنها لا تأتى خوفاً ولا طمعاً وإنما لإدراك ووعى تام بأن الله سبحانه يجب أن يعبد وأن الإنسان الكامل يجب أن يكون عبداً لله عز وجل.

يقول الإمام على أمير المؤمنين (عليه السلام): إلهى ما عبدتك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك، ولكن وجدتك أهلًا للعبادة فعبدتك[٩].

وعنه (عليه السلام) أيضاً قال: إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار[١٠].

وأقسم بالله لو أن الله عز وجل قال لأهل البيت (عليهم السلام): سأمحو عن الوجود الجنة والجحيم فلا عقاب ولا ثواب فإن ذلك لن يؤثر قيد شعرة على عبادة أهل البيت وتسليمهم.

وبلغ الإمام على أمير المؤمنين (عليه السلام) الذروة التى لا يبلغها أحد حتى أولاده وذريته واعترفوا بذلك مراراً.

وأهل البيت (عليهم السلام) من الأئمة الأطهار بلغوا الذرى في عبادتهم وإن كانت لا

تضاهى عبادة الرسول (صلى الله عليه وآله) ووصيه علي (عليه السلام) ولكن عبادتهم كانت المثل الأعلى للجميع، وبهذه العبادة الفريدة بلغوا ما بلغوا من القرب الإلهى، فكانت لهم الولاية والإمامة وبلغوا المقام المحمود ومقام الشفاعة، وأصبحت طاعتهم على الناس من أوجب الواجبات.

اولاً: مفهوم العبادة

العبادة لله عز وجل هي أن تكون حركات الإنسان وسكناته وحياته ومماته لله سبحانه وتعالى، فكل خطوة يخطوها يجب أن تكون استجابة لإرادة الله ومشيئته خالصة لله دون سواه:

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي ونُسُكِي ومَحْيايَ ومَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾[١١].

وللمرحوم الشهيد مطهري في موضوع العبادة والعبودية إشارات مفيدة للغاية، حيث تنطوي على المعارف الإلهية الحقة وللقارئ الكريم بعض ما ذكر مع شرح وتوضيح.

روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: العبودية جوهره كنهها الربوبية[١٢].

إن بإمكان الإنسان أن يخطو في طريق الكمال وأن يبلغ درجات رفيعة في هذا المضمار، وقد يصل الإنسان إذا نجح في طي هذا الطريق أن يعبر حدود الخيال وبالرغم من كون الإنسان مخلوقاً فقيراً محتاجاً، ولا يملك شيئاً بذاته.

إلا أنه ومن خلال عبوديته لله عز وجل وإخلاصه فى العبودية أن يبلغ درجة تمكنه من تسخير العالم.

ثانياً: مراحل بلوغ العبودية الكاملة:

ومن أجل بلوغ مرحلة الولاية وتسخير العالم، وبعبارة أخرى بلوغ درجة الكمال والقدرة التي تحصل من خلال العبودية لله والإخلاص والعبادة الحقّة فإنه يتوجب اجتياز وطي مراحل ومنازل عديدة:

المرحلة الأولى: ضبط النفس

ضبط النفس وتطويعها من خلال الارتفاع بالعبادة والعبودية بنية خالصة نقية كما يريدها الله عزّ وجلّ.

قال تعالى ﴿ والَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا ﴾[١٣].

قال تعالى ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً ﴾[١٤].

قال تعالى ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ والْمُنْكَرِ ﴾[١٥].

قال تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١٦].

قال تعالى ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلاةِ ﴾[١٧].

وفي هذه المرحلة من العبودية تنفتح الشخصية الإنسانية على آفاق من المعرفة بحيث تكون الرغبات والميول النفسانية للإنسان طوع إرادته فتظهر بذلك أولى ملامح العبودية وهي الولاية على النفس الإمارة والسيطرة عليها.

المرحلة الثانية: السيطرة والتحكم

وفيها تكون للإنسان ولاية على أفكاره المشتتة المبعثرة، وبعبارة أولى تكون له

القدرة على التحكم والسيطرة بقوته التخيلية.

إن من أعجب العجائب في القوى الإنسانية قوّته التخيلية وبسبب هذه القوة ينتقل ذهن الإنسان في كل لحظة ويقفز من موضوع إلى موضوع آخر أو بما يمكن التعبير عنه بتداعي المعاني وتسلسل الخواطر.

هذه القوة ليست تحت طوعنا وإرادتنا، بل نحن أسرى هذه القوّة المدهشة، ولذا كلما حاولنا أن نركز على موضوع معين إذا بنا نقفز إلى موضوع آخر، وإذا نحن أسرى هذه القوّة التخيلية التي تحلّق بنا هنا وهناك، ولعلنا ندرك كيف نحاول أن نستحضر وقوفنا في الصلاة، فكلما حاولنا من أن نركز على ما نقوله أثناء الصلاة من كلمات ومعانى وأن يكون لنا حضور قلبي إذا بنا نعجز عن ذلك ونكلّ.

وهناك حديث لسيدنا ونبينا عليه أفضل الصلاة والسلام يقول فيه: مثل القلب مثل الريشة في الفلاة تعلقت في أصل شجرة يقلبها الريح ظهراً لبطن[١٨].

وتصور مشهد الريشة في مهب الريح وهى معلقة في أصل الشجرة كيف تقلبها الريح بهذه الجهة.

وكأن النبي الكريم يصف قلب ابن آدم أنه ريشة في فلاة في مهب الرياح تعصف بها الريح مرّة صوب اليمين وأخرى تتجه بها نحو الشمال.

وفى حديث آخر قال النبي الأكرم ﷺ: يصف قلب ابن آدم كالمياه تفور في القدر الكبيرة مرة تراه هنا وأخرى هناك، هناك في تقلب كالمياه وهى تفور.

قال ﷺ:قلب ابن آدم أشدّ انقلاباً من القدر إذا اجتمعت غليا[١٩].

فهل الإنسان خاضع لهذه القوة التخيلية وهل أن هذه القوة الغامضة التي تشبه عصفوراً يقفز من هذه الغصن إلى ذاك هي التي تتحكم بكياننا؟ أم أن سيطرتها علينا

نابعة من ضعفنا وسذاجتنا بينما الذين بلغوا درجات الكمال وأهل الولاية قادرون على تسخير هذه القوة العتيدة وتطويقها؟.

لا ريب أن القسم الثاني من هذا التساؤل هو الصحيح ذلك أن من واجبات الإنسان أن يتحكم برغباته ويقهر قوّة الخيال لديه ويسيطر عليها وإلّا فأن هذه القوة الشيطانية إذا ما تحكمت بالنفس الإنسانية، فإنها ستذهب بها بعيداً عن طريق التكامل والصراط المستقيم وسوف تستغل جميع القوى النفسانية أبشع استغلال وتبدد كل هذه القوى بعيداً عن بناء الشخصية الإنسانية الرفيعة.

١-الروح العوبة بيد الخيال تقذفها هنا وهناك.

إن السالكين في طريق العبودية يبلغون في المرحلة الثانية مقام الولاية والربوبية على القوة التخيلية فتصبح في طوعهم، وأثر ذلك فإن الروح والضمير ينهجان بنحو التسامي وتجذبهم الفطرة نحو الله، وحينئذ تكون الطريق مفتوحة بعد التحكم بالقوة التخيلية وبعادها عن قطع الطريق إلى الله.

يقول الشاعر مولوي وهو يصوغ حديث النبي (صلى الله عليه وآله): تنام عيناي ولا ينام قلبي[٢٠].

وقال النبي (ص): عيناي لا تنام ... لا ينام القلب عن رب الأنام

عينك متيقظة وقلبك نائم ... عيني نائمة وقلبي متيقظ قائم

جليسك لست أنا إنما ظلي ... أبعد من الأفكار أنا

٢-إن من الممكن كسب المعركة مع قوّة الخيال لأنه:

قال تعالى ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها﴾[٢١].

وعلى الإنسان أن يتجه إلى الله على أساس قابلياته في العبادة، إن المرتاضين ينتهجون طرقاً أخرى وأقصى جهدهم هو الإنزواء بعيداً عن الحياة واتخاذ موقف سلبي تجاه نشاط الإنسان في الدنيا، يعني إهمال الحياة وتعذيب الذات عن طريق معاقبة الجسم من خلال التجويع والتشديد عليه والقيام بحركات هي في الحقيقة نوع من التعذيب الذاتي، ومع كل ذلك فإنهم يحققون تقدماً طفيفاً على الصعيد الروحي.

إلا أن الإسلام حدد مساراً عبادياً يحقق أقصى النتائج من دون اللجوء إلى ما يقوم به المرتاضون.

إن استحضار القلب والوقوف أمام الرب والاستغراق في هذا المشهد بشكل وجداني سوف يوفر الظروف المساعدة للتركيز الذهني والصفاء النفسي.

يقول ابن سينا: العبادة عند العارف رياضة ما لهممه وقوى فسه المتوهمة والمتخيلة ليجرّها بالتعويد عن جناب الغرور إلى جناب الحق فتصير مسالمة للسرّ الباطن حينما يتجلّى الحق لا تنازعه فيخلص إلى الشروق الباطن[٢٢].

وابن سينا فى هذا النص يعتبر القوى المتوهمة والخيال وقوى تجرّ الإنسان في طريق الغرور بعيداً عن الحق. والرياضة هنا هي تقوية الإرادة والهمّة لكبح جماح الخيال والوهم وتطويعها من خلال التعويد الذى هو تمارين مستمرة ورياضة روحية إلى حدّ استسلام قوّة الخيال وبالتالي حدوث حالة سلام داخل النفس بانتهاء حالة النزاع، وهنا يكون القلب مستعداً لتلقى الإشراق.

المرحلة الثالثة: سمو الروح:

وفى هذه المرحلة تصل الروح في قدرتها وقوّتها وولايتها مرحلة تكون

مستغنية في كثير من الشؤون البدنية في وقت يكون فيه البدن محتاجاً للروح مئة بالمئة.

الروح والبدن محتاجان لبعضهما البعض، فحياة البدن بالروح والروح صورة وحافظة للبدن، وإن سلب العلاقة التدبيرية للروح بالبدن تستلزم خراب وفساد البدن.

ومن جهة أخرى فإن الروح تحتاج البدن لأداء العديد من النشاطات فالروح تستخدم البدن في نشاطها.

أي أن الروح لا يمكنها أن تقوم بنشاطها وفعالياتها من دون الأدوات البدنية.

واستغناء الروح عن البدن في بعض نشاطاتها قد يحصل أحياناً في لحظات، وقد يتكرر ذلك وربما يصبح دائمياً، وهذه الحالة يطلق عليها خلع البدن.

والسهروردي فيلسوف الإشراق، يقول: أنه لا يعترف بحكمة من لا يستطيع القيام ب خلع البدن، أما ميرداماد فيذهب إلى أبعد من ذلك فيقول: أنه لا يعترف بحكمة من لا يصبح خلع البدن لديه ملكة، بحيث يمكنه القيام بذلك متى شاء.

ويرى بعض الباحثين أن خلع البدن لا يدل على مرتبة متقدمة من الكمال؛ لأن بعض من لم يعبر عالم المثال. ولم يضع قدميه في مرحلة الغيب المعقول، يمكنه أن يقوم بذلك ويبلغ مرحلة خلع البدن.

المرحلة الرابعة:سيطرة الروح على البدن:

وفيها يكون البدن تحت إمرة وقيادة وإرادة الإنسان، بحيث يمكنه القيام بأعمال خارقة للعادة في إطار بدنه.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام): ما ضعف بدن عما قويت عليه النية[٢٣].

المرحلة الخامسة: تطويع الموجودات

وهذه المرحلة من أعلى المراحل وفيها تصبح الطبيعة تحت نفوذ الإنسان وتحت سيطرته وطوع إرادته، ومن هنا تأتي معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء؛ وذلك أن المعجزات هي تصرّف وتسخير للطبيعة وتنضوي تحت الولاية التكوينية.

فالعصا واستحالتها إلى أفعى وثعبان وتحويل الأعمى إلى بصير وبعث الحياة في الموتى ومعرفة ما رواء الأستار، إن كل ذلك يأتي من باب التصرّف والولاية التكوينية.

ويظن البعض أن وقوع معجزة ما على يد نبي أو كرامة على يد ولي ليس له علاقة بإرادة صاحب المعجزة أو الكرامة ولا دخل لشخصيته في ذلك وأنه فقط واسطة أو مسرح لوقوع هذه الحادثة المدهشة، وأن الذات إلى الاحدية المقدسة هي وحدها فقط وبشكل مباشر وراء ذلك، لأن المعجزة إنما هي خرق للقانون الطبيعي وهو خارج عن قدرات الإنسان مهما بلغ من قدرته.

وهذا التصور خاطئ ذلك أن الله عز وجل جعل لكل شيء سبباً وهو سبحانه يأبى أن يحدث فعل بدون واسطة وخارج نظامه ولأن هذا التصور يصطدم مع نصوص القرآن الكريم.

إن القرآن الكريم يصرح بشكل واضح أن الأنبياء هم من كانوا يقومون بالمعجزات، ولكن بإذن الله سبحانه وأنهم صلوات الله عليهم يقومون بالمعجزات بترخيص من الله عز وجل.

ومن البديهي أن الأذن الإلهي والترخيص الربّاني ليس من سنخ الأذن الإنساني الذى نفهمه ونتصور وهو الطلب من إنسان ما الأذن بفعل شيء.

كما أنه ليس هناك منعاً أخلاقياً أو اجتماعياً، بحيث يطلب الإنسان ترخيصاً بما يقوم به مثلًا.

إن الإذن الإلهى هو نوع من الكمال يبلغه النبى وهو بإرادة الله:

قال تعالى ﴿وَ ما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(٢٤).

وفى هذه الآية الكريمة دلالة واضحة على أن المعجزة هي من النبي، ولكن بإذن الله وهو إذن تكويني فكل كائن في هذا العالم وفى أي درجة كان ومرحلة إنما هو منفذ لإرادة الله ومشيئته، وهو مظهر من مظاهره، وأن الأنبياء وفى كل ما يفعلون ومن ضمن ذلك قيامهم بالمعجزات إنما يستمدون ذلك من النبع الأزلي للغيب، وقد أشرنا إلى ما ورد في قصة النبي سليمان وعرش بلقيس ملكة سبأ:

قال تعالى ﴿ قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾(٢٥).

وفى الآية الكريمة تصريح إلى نسبة هذا العمل الخارق إلى الإنسان، أى ذلك الشخص فهو يقول أنا آتيك به واستناداً إلى علمه بجزء من الكتاب، فهناك علم لديه من اللوح المحفوظ وما حصل من علم خارق إنما جاء بموجب ما لديه من علم، وهكذا الأعمال الخارقة تأتى من خلال بلوغ الإنسان واطلاعه بنوع من العلوم لها علاقة واتصال باللوح المحفوظ ومقام القرب من الحق.

إذن فالقرآن الكريم يشير إلى تدرج الإنسان فى حركة جوهرية وبلوغه مرحلة يمكنه أن يتصرف بالطبيعة وتكون له ولاية على الكائنات، وهذه كلها نتيجة للقرب الإلهى وكلما زادت درجة القرب من الله عز وجل زادت قدرته فى التصرّف واشتدت ولايته.

عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الله عز وجل في حديث قدسي: ما تقرّب إليّ عبد بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وأنه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به، ويده التي يبطش بها إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته[٢٦].

وعلى هذا فإن الطريق الوحيد لبلوغ المقامات الإنسانية والوصول إلى درجة الإنسان الكامل هو سلوك طريق العبودية؛ لأن جوهر وكنه العبودية وحقيقتها هي الربوبية والولاية.

وقد بلغ أهل البيت في عبادتهم وأخلاقهم وعبوديتهم لله تعالى مرحلة أصبحوا فيها الأكثر قرباً من الله عز وجل من سائر الكائنات من الجن والإنس والملائكة والكائنات صاحبة العقل الأخروي، ولهذا فقد أصبحت دائرة ولايتهم من السعة والإمتداد مستوى شملت الكائنات[٢٧].

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند أصحاب النفوس الكبيرة:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة من فرائض الله أوجبها على عباده حماية لهم وتحصيناً لهم، فهي في فكر وروح المؤمن منذ لحظة وعيه الأولى للإيمان فهو ومنذ فهم معنى الذوبان بالحق علم أن كل ما يعصى به الله منبوذ عنده محاربُ في نفسه، فكيف إذا رأى الله يعصى والضعيف يظلم، والظالم يستبد، إن روح الإيمان تأبى على العارف أن يقبل بذلك الظلم والعصيان، بل لا يغمض له جفن من دون ألم ووحشة، فهو في عالم العبودية الذي يسكنه لا يمكن أن يقبل إلا بالعدل والانصاف وأن يعبد الله وحده لا شريك له قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ

وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[٢٨].

وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[٢٩].

وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾[٣٠].

قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[٣١].

إن مقتضى العشق والذوبان أن لا يهدأ العاشق إلا ويكون حبيبه هو المذكور وهو الآمر الناهي، ويكون عبيده في بحبوحة العيش يرتعون وبفضله منعمون، وهو يرى أن هذا تكليفه، وأن هؤلاء المظلومين في عهدته ورعايته إلى أن يوصلهم إلى بر الأمان، وأن الغفلة التي تكون منه باتجاههم إنما هي معصية وخيانة لمعنى العشق ولحقيقة الأمانة التي أسرعاها الله عند خلقه، وهذا المعنى قد يكون معقداً عند الكثيرين، كنه من الوضوح بما لا يقبل الشك في ساحات العاشقين.

رابعاً: العلاقة بين العرفان والسياسة من وجهة نظر العارف[٣٢]:

هناك وجهات نظر متعددة بشأن العلاقة بين العرفان والسياسة. فالبعض يعتقد أن الفكر العرفاني بإمكانه أن يكون أساساً للفكر السياسي لأن الفكر العرفاني يعتمد على أساس الابتعاد عن الدنيا. في حين أن الفكر السياسي يعتمد على أساس البناء وادارة العالم. في المقابل هناك مجموعة أخرى تعتقد بأن العرفان والسياسة متلازمان، ومن خلال الفكر العرفاني يمكن خلق فكر سياسي، وبالتالي يصبح الفكر العرفاني الركن

الأساسي للفكر السياسي. والإمام الخميني أحد الذين أكدوا على العلاقة بين العرفان والسياسة، ويقدم تعريفاً للسياسة والعرفان مما يؤكد ارتباطهما. حيث يقول: بعض المجاميع تتصور أن العرفإن عبارة عن: أن يعتكف الشخص في مكان ما ويقوم بقراءة الأدعية وممارسة بعض الحركات. فهل هذا هو العرفان ؟ إنهم يتصورون أن العارف هو الذي يترك الدنيا ويقرأ الدعاء ويردد بعض الأذكار. ويواصل الإمام: إن هذا الأسلوب لا يتفق مع سيرة الأئمة. فالكثير من الأئمة والأنبياء مثل: إبراهيم وموسى ومحمد وأمير المؤمنين(عليهم صلوات الله وسلامه) وبالرغم من كونهم عرفاء فإنهم كانوا يتطرقون للسياسة ويمارسون العمل. إن الإمام يعتقد بأن الفكر الذي أنير بمعرفة الله تعالى، ينبغي أن ينعكس على المجتمع لكي يستفيد من ذلك الجميع ويصرح: «إن الاعتزال الذي يمارسه الصوفيون ليس دليل على الارتباط بالله وليس الدخول في المجتمع وإقامة حكومة دليل على الانفصال عن الله تعالى، إن المعيار هو تنفيذ النوايا». في الحقيقة فإن الإمام الخميني يرفض، استناداً لنظرته إلى العرفان، الفصل بين الدنيا والآخرة ويقول: لا ينبغي أن يتصور أحد أن الإسلام جاء فقط لإدارة العالم أو جاء فقط للاهتمام بالآخرة أو جاء فقط لكي يتعرف الناس على المعارف الإلهية وتقييدهم بأشياء خلافاً للواقع. إن الإنسان غير مقيد، وعدد المربين أيضاً غير محدود. كما إن تربية الإنسان طبقاً لتعاليم القرآن غير محدودة. وفي رسالة لنجله اعتبر الإمام جوهر العرفان بأنه النية الإلهية وكان يشجع نجله لخدمة الناس بالتزامن مع تهذيب وتزكية النفس وكان يعتبر ذلك بأنه طريق الصالحين، وقد جاء في رسالته: إن الذي قلته لا يعني أن تنفصل عن المجتمع وتنتهج العزلة تعتبر نفسك أفضل من الآخرين لأن ذلك من صفات الناسكين الجاهلين أو الدراويش التجار. إن الأنبياء العظام(عليهم السلام)

والأئمة الأطهار (عليهم السلام) الذين يمثلون رواد العارفين بالله والزاهدين بكل القيود والمرتبطين بالله سبحانه وتعالى، والذين هم أيضاً رواد النهضات المتعددة ضد الحكومات الطاغوتية وفراعنة العصر ورواد تحقيق العدالة في العالم قد عانوا الكثير وبذلوا أقصى الجهود لكي يمنحوننا الدروس. هذه الدروس التي ستنير طريقنا إذا كانت لدينا بصيرة (من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم). إن الإمام الخميني يعتقد بأن الوصول إلى المعشوق يتم من وسط المجتمع والناس، وبالطبع فإنه يقصد بالمعشوق، الله سبحانه وتعالى. ولدي العزيز، لا اعتزال الصوفيين دليل على الارتباط بالله ولا الدخول الى المجتمع وإقامة الحكومات دليل على الإنفصال عن الله. ان المعيار هو في العمل ودوافعه. فهناك الكثير من الزهاد الذين وقعوا في فخ الشيطان مثل الغرور والتكبر والأنانية والنرجسية وتحقير الآخرين والشرك وأمثال ذلك مما يبعده عن الله سبحانه وتعالى. وهناك الكثير من الذين تصدوا لشؤون الحكومة بدافع إلهي ونوايا طيبة بهدف التقرب من الله مثل النبي داود والنبي سليمان(عليهما السلام)، والأكثر من ذلك الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) وخليفته علي بن أبي طالب(عليه السلام) والإمام المهدي (أرواحنا له الفداء) ففي عهده ستكون الحكومة شمولية.

إذاً فإن معيار العرفان والحرمان هو الدافع أو النوايا. فكلما كان الدافع والنوايا شفافة وأقرب للفطرة، كلما ابتعد الحجاب وأصبح الإنسان أقرب إلى مصدر النور. إن الإمام الخميني يعتقد بأن الوصول إلى المعشوق يتم من وسط المجتمع والناس، وبالطبع فإنه يقصد بالمعشوق، الله سبحانه وتعالى. يعتقد الإمام الخميني أن الإنسان الكامل بعد قطعه المراحل الأربعة الخاصة بالعرفان، فإنه سيصل إلى مستوى هو أقرب لمستوى ومكانة الأنبياء والأئمة، وأن العارف الذي لا يصل إلى المرحلة الرابعة (أي

من الحق إلى الخلق) ولا يساعد الآخرين فإن هذا العارف لن يصل إلى حد الكمال. يقول الإمام الخميني حول آداب الصلاة: «إن السالك الذي يسعى للوصول إلى طريق الحقيقة عليه أن يستقبل رحمات الله في قلبه ويؤمن بأن الله رحمان ورحيم والدليل على تحقيق ذلك فإن السالك سيتصف بنفس هذه الصفات خلال تعامله مع عباد الله الآخرين ويسعى إلى تحقيق الخير والصلاح للجميع». إن الإمام يعتقد بأن العارف الحقيقي هو ذلك الإنسان الذي يؤمن بأن الله موجود في كل مكان وزمان وبأنه شاهد على كافة أعماله. كان الإمام يسعى لترسيخ هذه الفكرة حتى بين رجال السياسة. حيث يقول للمسؤولين: «نحن جميعاً داخل قاعة اختبار الله سبحانه وتعالى، فعندما تكتبون شيئاً أو تتحدثون عليكم أن تعلموا أن الله شاهد على كل شيء لأنكم في قاعة اختبار الله سبحانه وتعالى، أن العالم بأجمعه هو ساحة اختبار الله. فلا تعصوا الله في هذه الساحة. إنني انصح كافة الكتاب والمتحدثين والخطباء، أن الله شاهد على لسانهم وقلمهم وإنهم سيحاسبون على ذلك». إن الإمام كان ينظر إلى السلطة أيضاً من نفس المنظار، ففي شرحه لدعاء السحر يقول: «إن السلطة هي وسيلة لإثبات الحق واستقرار نظام الحق. إن السلطة الوحيدة التي بإمكانها تحقيق الحق في عالم البشرية هي السلطة النابعة من الذات الإلهية بصورة مباشرة. فالسلطة والقدرة هي من الصفات الإلهية». على هذا الأساس، فإن المبادئ العرفانية للإمام الخميني، أي نظرته العرفانية لعالم الوجود والله ونوع العلاقات الإنسانية، كانت لها تأثير على افكار الإمام السياسية، الأمر الذي جعل الفكر السياسي للإمام يتمتع بخصائص لا توجد لدى الآخرين. وعند دراسة محاور الأفكار السياسية للإمام نلاحظ بوضوح مدى تأثرها بالفكر العرفاني[٣٣].

المبحث الثالث: من هو السيد الشهيد حسن نصر الله (قده) ؟

اولاً: الولادة والنشأة:

وُلد السيد الشهيد حسن نصر الله في ٣١ أب ١٩٦٠، وهو من بلدة البازورية في جنوب لبنان، والده السيد عبد الكريم نصر الله، والسيد حسن هو الأكبر سناً في العائلة المكوّنة من ثلاثة أشقاء وخمس شقيقات.

وكانت الولادة والسكن في حي "الكرنتينا"، أحد أكثر الأحياء فقراً وحرماناً في الضاحية الشرقية لبيروت، وهناك تلقى دراسته الابتدائية في مدرسة "الكفاح" الخاصة، وتابع دراسته المتوسطة في مدرسة "الثانوية التربوية" في منطقة سن الفيل.

- عند اندلاع الحرب الأهلية في لبنان (نيسان ١٩٧٥) عادت عائلته إلى البازورية، حيث واصل تعليمه في المرحلة الثانوية، وعلى الرغم من صغر سنه تم تعيينه مسئولا تنظيمياً لبلدة البازورية في حركة أمل.

- أبدى منذ حداثته اهتماماً خاصاً بالدراسة الدينية متأثراً بالإمام السيد موسى الصدر.

- تعرّف خلال فترة تواجده في جنوب لبنان على إمام مدينة صور سماحة السيد محمد الغروي، الذي ساعده في ترتيب التحاقه بالحوزة العلمية في النجف الاشرف أواخر العام ١٩٧٦، فغادر الى النجف الأشرف ومعه رسالة تعريف من السيد الغروي الى المرجع الديني الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (رض) الذي أبدى اهتماماً ملفتاً به، وكلّف سماحة السيد عباس الموسوي (رض) مهمة الإشراف على الطالب الجديد والعناية به على المستويين العلمي والشخصي.

- في عام ١٩٧٨، غادر العراق متخفياً متوارياً عن أنظار النظام العراقي، نظراً

لحالة الجور والاضطهاد التي مورست ضد الحوزات الدينية (علماء وطلاب)، وفي لبنان التحق بحوزة الإمام المنتظر (عج)، وهي المدرسة الدينية التي أسسها الشهيد السيد عباس الموسوي الذي كان ممنوعاً بدوره من العودة الى العراق، وهناك واصل دراسته العلمية مجدداً.

والى جانب نشاطه العلمي في الحوزة الدينية في بعلبك، عاود السيد نصر الله نشاطه السياسي والتنظيمي في حركة أمل بمنطقة البقاع، حيث تم تعيينه سنة ١٩٧٩ مسؤولاً سياسياً لمنطقة البقاع وعضواً في المكتب السياسي لحركة أمل.

- في عام ١٩٨٢، انسحب مع مجموعة كبيرة من المسؤولين والكوادر من حركة أمل اثر خلافات جوهرية مع القيادة السياسية للحركة آنذاك حول سبل مواجهة التطورات السياسية والعسكرية الناتجة عن الاجتياح الاسرائيلي للبنان.

- تولى مسؤوليات مختلفة في حزب الله منذ بداية تأسيسه عام ١٩٨٢ عقيب الاجتياح الصهيوني وانطلاق حركة المقاومة الاسلامية في لبنان.

- واصل نشاطه العلمي في المدرسة الدينية في بعلبك الى جانب توليه مسؤولية منطقة البقاع في حزب الله حتى العام ١٩٨٥، حيث انتقل الى منطقة بيروت، وتولى فيها مسؤوليات عديدة.

- في عام ١٩٨٧، تم استحداث منصب المسؤول التنفيذي العام لحزب الله، حيث جرى تعيينه في هذا المنصب الى جانب عضويته في شورى القرار (أعلى هيئة قيادية في حزب الله).

- في عام ١٩٨٩ غادر إلى مدينة قم المقدسة للإلتحاق بالحوزة العلمية مجدداً وإكمال دراسته، ولكنه عاد بعد عام واحد ليكمل مسؤولياته بناءً لقرار الشورى

وإلحاح المسؤولين والكوادر الأساسيين وتحت ضغط التطورات العملية والسياسية والجهادية في لبنان آنذاك.

– في عام ١٩٩٢، تم إنتخابه بالإجماع من قبَل أعضاء الشورى أميناً عاماً لحزب الله خلفاً للأمين العام السابق الشهيد السيد عباس الموسوي الذي اغتالته القوات الاسرائيلية في ١٦ شباط ١٩٩٢ في بلدة تفاحتا خلال عودته من بلدة جبشيت في جنوب لبنان حيث كان يشارك في احتفال بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد شيخ شهداء المقاومة الاسلامية الشيخ راغب حرب.

– خاضت المقاومة الاسلامية خلال تولّيه الامانه العامة للحزب عدداً من الحروب والمواجهات البطولية مع جيش الاحتلال، كان أبرزها حرب "تصفية الحساب" في تموز ١٩٩٣، وحرب "عناقيد الغضب" في نيسان ١٩٩٦ التي توّجت بتفاهم نيسان الذي كان أحد المفاتيح الكبرى لتطور نوعي لعمل المقاومة الاساسية أتاح لها تحقيق الإنجاز التاريخي الكبير المتمثل بتحرير القسم الأكبر من الاراضي اللبنانية في أيار من العام ٢٠٠٠ م.

– خلال توليه الامانة العامة، خاض حزب الله غمار الحياة السياسية الداخلية في لبنان بشكل واسع، وشارك في الانتخابات النيابية عام ١٩٩٢، وهي أول انتخابات نيابية تجري بعد انتهاء الحرب الاهلية في لبنان، فحقّق فوزاً مهماً تمثل بإيصال ١٢ نائباً من اعضائه الى البرلمان اللبناني، مشكّلاً بذلك كتلة الوفاء للمقاومة.

ثانياً: الزوجة والأطفال

تزوج نصر الله من فاطمة ياسين عام ١٩٧٨ وهو في الثامنة عشرة من عمره،

وأنجبا ثلاثة أبناء هم محمد هادي ومحمد جواد ومحمد علي وابنة اسمها زينب. واستشهد السيد محمد هادي ابنه الأكبر في ١٢ سبتمبر ١٩٩٧ في صراع مع القوات الإسرائيلية في جنوب لبنان. وسقط جثمانه في أيدي الصهاينة وأعيد إلى لبنان بعد عام في عملية التبادل بين إسرائيل وحزب الله، حيث في ليلة ١٢ سبتمبر ١٩٩٧، قُتل أربعة مقاتلين من حزب الله في كمين إسرائيلي قرب مليخ. كان من بين القتلى محمد هادي، ابن نصر الله الأكبر الذي كان يبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا. كما قُتل خمسة جنود لبنانيين وامرأة في غارة جوية متزامنة شمال منطقة الحزام الأمني. واعتُبرت هذه الهجمات ردًا على عملية قبل أسبوع قُتل فيها اثنا عشر جنديًا إسرائيليًا من الكوماندوز. نُقل عن السيد الشهيد حسن نصر الله قوله بعد تلقيه خبر وفاة ابنه الأكبر: «**أفخر بأن أكون والدًا لأحد الشهداء**».

عندما أصدرت قوات الدفاع الإسرائيلية صورًا لجثمان ابنه وعرضت مبادلته بأجزاء جثث من الذين قُتلوا في الكمين السابق، رد نصر الله قائلاً: «**احتفظوا به. لدينا الكثير من الرجال مثل هادي مستعدين لتقديم أنفسهم للنضال.**» وأُقيمت فترة حداد استمرت سبعة أيام في جنوب بيروت، حضرها ما يقدر بنحو مئتي ألف شخص يوميًا. استُعيد رفات ابنه إلى لبنان في عام ٢٠٠٤ كجزء من تبادل الأسرى بين إسرائيل وحزب الله حيث لعب نصر الله دورًا كبيرًا.

ثالثاً: السيد الشهيد والإمام المهدي عليه السلام:

لقد كان سمحة السيد الشهيد المقاوم صاحب علاقة خاصة بالإمام المهدي أرواحنا لتراب مقدمه الفداء وكان عندما يتكلم عنه يشعر بالحماسة لقرب الظهور بل

لشدة قربه ولأنه من الممهدين لذلك الظهور وكان كثيراً في كلماته يدعو إلى التهيؤ لهذا اليوم القريب بالأعداد الصحيح فمن كلماته الخالدات (طيب لأأخذ النتيجه نحن نحتاج اليوم يا اخواني ويا اخواتي الى هذا المستوى من العلاقة مع حفيد الإمام الحسين عليه السلام مع بقية الحسين عليه السلام مع من يمثل الحسين عليه السلام مع الامتداد التاريخي للحسين عليه السلام اعني الحجة بن الحسن المهدي بقية الله في الاراضين حفيد الإمام الحسين عليه السلام وامام زماننا، كما كان الإمام الحسين امام زمان العباس، علي الأكبر، القاسم، زينب، وام البنين، وزهير ابن القين، وحبيب بن مظاهر، الإمام المهدي عليه السلام هو امام زماننا، طيب نحن نؤمن به نعتقد به لكن ما هي مستوى العلاقة القائمة بيننا وبينه ؟ هل ترقى الى مستوى الحب ؟ واذا كانت ترقى إلى مستوى الحب أي مستوى من الحب هو ؟ هل من نوع الحب الذي تحدث عنه الفرزدق ؟ قلوبهم معك وسيوفهم عليك، هل دعاؤنا وندائنا لصاحب الزمان عليه السلام ـ هو ـ دعائنا لله ان يعجل فرجه؟ ووهل ـ ندائنا لصاحب الزمان ان يعجل حركته وظهوره ؟ ـ هل ـ هو كرسائل اهل الكوفة أم كمواقف اصحاب الحسين ليله العاشر ؟ إلى أي مستوى ؟ اذا كان في قلوبنا حب فالى اي مستوى يصل هذا الحب ؟ هل يصل الى مستوى التضحية ببعض العزيز فقط أو بكل عزيز ؟ من اجل الامام العزيز والامام الحبيب وابن بنت رسول الله وبقية رسول الله وبقية الانبياء والرسل والاولياء والاوصياء والعظماء واحباء الله شو طبيعة العلاقة القائمة بيننا وبين إمامنا صلوات الله وسلامه عليه، وهل هذا المستوى من العلاق صلى الله عليه وآله مطلوب نشتغل لحتى نحصلوا ونقويه ونُمتِنهُ في زمن الغيبة في زمن الانتظار ؟ هذا لا يحصل بالتمني وانما بالعمل بالمجاهدة، بالمجاهدة الفكرية بالمجاهدة النفسية بالمجاهدة الروحية، يعني بتعبير عامي نشتغل على حالنا وعلى

انفسنا وعلى قلوبنا وعلى عواطفنا لنصل الى هذا المستوى من العلاقة مع الإمام المهدي عليه السلام.

بأعتبار الوقت كثيراً ضاق أنا اختصر العناوين بشدة، اختصار شديد أنا بدي كنت كاتب ثلاث عناوين أو ثلاث عوامل وإلا العوامل اكثر من ذلك:

واحد ـ المعرفة الصادقة: المعرفة الصادقة عندما نعرف نحب يمكن القول الحب على قدر المعرفة الحب يأتي على قدر المعرفة وبالتالي ان نحصل هذه المعرفة ان نوسع معرفتنا بإمامنا عليه السلام لنزداد حبا له وتعلقا به حتى عن النبي صلى الله عليه وآله عندما يُساء رسول الله صلى الله نحن مسلمين جميعا مسلمون لكن قديه بنحب رسول الله صلى الله عليه وآله الى اي مستوى من الحب هل الى مستوى من الحب حاضرين معه ان نقدم كل عزيز دفاعا عن رسول الله، وكرامة ورسول الله، وعرض رسول الله، ودين رسول الله صلى الله عليه وآله أو لا ؟، نكتفي ببعض الكلمات وبعض المواقف، اذا تطلب منا الموقف ـ هل ـ جاهزين أحنا ولا مش جاهزين ؟ هذا له علاقة بالحب، بالعشق، لما بنزداد معرفة بالنبي نعرف عظمته، عظمة اخلاقه، مكانته عند الله، درجته عند الله، مقامه عند الله، مقامه عند انبياء الله ورسُل الله جميعا، لما بنعرف ان رسول الله محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وآله هو ولي نعمتنا، هذه الامة الاسلامية اليوم الامة العظيمة الامة الكبيرة، وخصوصا هؤلاء العرب الذين كانوا ممزقين مشتتين يعبدون الحجر ويأكلون الاعشاب ويتقاتلون من اجل غنمة او سلب او ما شاكل، جعل منهم امة عظيمة، ما زالت حتى الان،عندما نعرف اننا إنما اهتدينا لهذا الدين، ولهذا القرآن ولهذا الاسلام بمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، اذا كتب لنا ان نكون من اهل الجنة فبفضل هذا النبي، وعظمته، وصبره، وتحمله الشديد للأذى، عندما نعرف ذلك نزداد حبا لرسول الله

ﷺ، وكذلك المهدي عليه السلام يجب ان نعرف المهدي، نزداد معرفة به لنزداد حبا له.

ثانيا ـ العامل الثاني هو التواصل الروحي والنفسي: من يحب إنساناً يتذكره ولا ينساه، بس تنساه خلاص بيذهب بيروح من قلبك بالتدريج، يطويه النسيان من العقل ومن القلب لما بتتذكروا بيظل بذاكرتك بشكل دائم، تزداد حبا له وتمسكا به، من يحب انسانا يذكره في محفل من محافل الناس يلتذ بذكره، هلا ما بدنا نضرب مثل على العشاق في كل زمان خذوا انتوا خلو بالكم يعني بدون ما انا اعمل قياسات أنتو اعملوا قياسات، يلتذ بذكر حبيبه من يحب إنساناً يسال عنه من يحب إنساناً يبحث عنه يتتبع اخباره احواله اقواله شوفوا الام الي بيسافر ابنها رايح يدرس او يتعلم او يحج بالليل أو بالنهار بيظل قلبها معه عقلها معه شو عم يعمل فايق نايم عم ياكل شو عم ياكل مرتاح مريض معافى هذا الحب، من يحب إنساناً ينتظره حتى يعود بفارغ الصبر من يحب إنساناً يأنس به ويشتاق اليه، من يحب أنساناً يدعو له بالحفظ من يحب إنساناً يزوره يبحث عنه لزيارته ولو من بعد، بيبعتلو رسالة بيكتبلو رسالة بيكلمو على التلفون من يحب انسانا يتبعه ويمشي على خطاه من يحب انسانا يبكي لفراقه وللبعد عنه، طيب هذا التواصل الروحي بيزيد الحب بيخلي الحب جياش ويكبر ويتأكد.

العامل الثالث والأخير: ـ بنحكي عنه ـ تطهير القلب وتزكية النفس لأن هذا القلب الله سبحانه وتعالى خالقه هيك، مش زمان حكينا انه الله خلق الانسان وهو بيعرف ـ هو عنده الكتالوج تبع هذا الانسان ـ الله سبحانه وتعالى خلق الانسان، روح، وجسد، وعقل، وقلب وكذا وعواطف ومشاعر وقوى وشهوات هو ادرى به، الله سبحانه وتعالى لا يقبل من قلب الانسان حبين، لا يرضى بحبين، إنه أنا بحب الله وبحب إبليس ـ ما بيضبط انا كذاب ـ أنه أنا أحب الله وأحب أولياء الله، وفي نفس

الوقت أنه أحب الدنيا، حب الله وحب الدنيا لا يجتمعان في قلبي انسان واحد، رجل أو أمرأة ـ موجود بالاحاديث ما بيجتمعوا ـ عندما أطهر قلبي من حب الدنيا من التعلق بالدنيا، بأموال الدنيا بزخارف الدنيا، بمداعب الدنيا، بمناصب الدنيا، بشهوات الدنيا، بأُنس الدنيا، ولهو الدنيا، ولعب الدنيا، عندما يصبح قلبي نقيا صافيا أصبح عاشقا، القلب المدنس بحب الدنيا لا مكان فيه للحب الطاهر وللعشق النقي، أنظروا إلى أصحاب الحسين عليه السلام هؤلاء كانوا عشاقاً بهذا المستوى، لأنه لم يكن في قلوبهم مكان للدنيا، أما الحب المجتمع مع الدنيا ترك الحسين في وسط الصحراء، بل حمل السيف على الحسين عليه السلام يقاتله فالعامل الثالث هو تطهير القلب وتزكيه النفس من حب الدنيا)

إذا تأملنا بكلماته وسمعنا صداها بأرواحنا علمنا كم كان يعاني من عدم الإستجابة التي كان يواجهها من المجتمع العربي والمجتمع المسلم، وأنه كان يرى خذلان الناس للنبي وأهل بيته بسبب تعلقهم بالدنيا لجهلهم المطبق الذي يمنعهم من رؤية الحقيقة والتلذذ بالعشق.

إن عندم التعلق الروحي الناشيء من جهل الناس كان يؤرق سماحة السيد الشهيد القائد لأنه يلم أن ثمن هذا الأنفصال والجهل هو قتل المزيد من النفوس والمعصية والتشرذم وضعف الأمة التي يريد الله لها أن تعلوا، إن هذه الروح العظيمة التي تمثل بها سماحة السيد الشهيد إنما هي من باب العشق والذوبان في معشوقه وأهداف معشوقه، والغاية التي خلق الخلق لأجلها، ولذلك فهو كان على أتم الأستعداد للقاءه على طريق التمهيد لدولة العدل الألهي مضرجاً بدمه صابراً محتسباً آنساً به عمن سواه.

إن هذا العبد الصالح والقائد الملهم يعلم إن من يعمل لله ومع الله فسوف يلاقي الله عاجلاً غير آجل مضرجاً بدمه فكان عمله دوماً عمل من ينتظر اللقاء سواء كان لقاء الله أو لقاء وليه الأعظم أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، وهذا العلم، وهذا اليقين والمعرفة التي تحلى بها كانت تتجلى في نفسه وتقول: إن شبيه الشيء منجذب إليه، فشابه إمامك في أخلاقه وعزيمته وتسليمه وتوكله حتى يرضى عنك ويرجعك معه في قيامه فمثلك يا سيد حسن لا يزهد به ولا يستغنى عنه.

رابعاً: الدنيا في فكر وسلوك السيد الشهيد القائد:

الدنيا أبعد ما تكون عن نفوس وأرواح وفكر وغايات القادة الربانيين، فهم لم يقاتلوا لها وإنما قاتلوا لله سبحانه لتقويم أعوجاجها وإنصاف الضعيف فيها ولتكون لله وحده ولعباد الله الصالحين، فلوا أرادوا الدنيا لتنعموا فيها ولجمعوها وخزنوها، ولكن لزهدهم بها ولكونها لا قيمة لها في عيونهم أو نفوسهم أنرمت ذليلة تحت رذاذ تراب أقدامهم.

الدنيا ليس لها قيمة إلا أنها دار يطاع فيها الله سبحانه، يتقوت فيها المؤمن من العمل ليوم تشخص فيه الأبصار وتجد كل نفس ما عملت محضرا وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، وهذا ما فهمه عباد الله وأهل طاعته فزهدوا بها وزهدوا بأنفسهم لله رب العالمين ليس لشيء وإنما لنيل رضاه (أيها الحبيب أقدم لك الولد قبل النفس والنفس قبل كل شيء لترضى وتحتضني برحمتك حتى أنال لذة والصال بك فلا أنقطع عنك ولا تغيب عني).

لقد عرف سيدنا الشهيد معنا ذلك، لذلك لم يكن مهتما بها فهو يراها بقيمة

الجيفة أو القذارة متأسياً بآبائه الميامين، وقد جسد هذه المعاني بكلماته النورانية وسلوكياته الرحمانية فيقول في كلمة له (حب الدنيا اصل كل معصية، وأول كل ذنب، حب الدنيا الذي يعني حب المال، وحب الشهوات، حب السلطة، حب الرئاسة، حب الطعام، هذا الإنسان يحب هذه الامور لأنه يحب هذه الامور ـ بعدين لما بتروح وبتشوفوا ـ لذلك يحسد، لذلك يغتاب، لذلك ينم، لذلك يفتن، لذلك يقاتل، لذلك يسرق، لذلك يفسد، الاولى أن يسال عن الدنيا ـ عن هذا المخلوق ـ أن نسال خالقها هي ليست فانية وزائلة فقط هي ايضا قصيرة وسريعة الانقضاء، يعني بتخلص بسرعة، يعني هلا مثل ما دائما كنا نقول اذا واحد بيسأل حالو سؤال مثلا بيقول انا عمري ٥٩ سنه ٦٠ سنه ٦١ سنه أمس خلقت بسرعة انقضت، هذه سريعة الانقضاء، قال نوح عليه السلام كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الاخر، نوح عليه السلام الذي نبوته ٩٥٠ سنه، بيقول الدنيا جيفة هذه حقيقه الدنيا يعني احنا لو انكشف لنا الغطاء وقُدِر لنا ان نرى الحقيقة لراينا هذه الدنيا بزخارفها ومداعبها وزبارجها واموالها وزينتها وشهواتها وممتعها ولعبها ولهوها ووو لراياناه جيفة، ولهربنا منها كما نهرب من الجيفة كان النبي في تربيته مش كل بيخطب ويحكي ويحدث كان يستفيد من كل فرصة، هو ـ النبي الأعظم ـ ومجموعة من الاصحاب كانوا مارين من جواري مزبلة قال لهم هلموا الى الدنيا تفضلوا الى الدنيا لوين ؟ على المزبلة واخذ خرقاً قد بليت وعظاماً قد نخرت ـ عظام عتيقة منخرة ـ فقال هذه الدنيا هاي الدنيا لما بيحكون لنا عنها بيقول الله لما خلقها، خلقها بطبيعتها متعبة، دنيا بلاء، دنيا مصائب، دنيا آلآم، دنيا أوجاع، دنيا أمراض، أمير المؤمنين عليه السلام يقول ما أصف من دار أولها عناء واخرها فناء، دار حرب، وسلب، ونهب، وعقب، أهلها على ساق وسياق ولحاق وفراق، لا تساوي

لذاتها تنغيصها ـ حتى الذي فيها منغص بتلاقي واحد لما يقعد على الاكل أكل طيب بيأكل، وبياكل وما يحس حاله، ماذا يعمل ؟ بعد شوي صارت بطن بتوجعه بيصير عنده مشكله جيبوا الطبيب جيبوا الدواء جيبوا الحبوب حتى اللذة والغرق في الذات مؤلم ـ الدنيا دار المحن، الدنيا مليئة بالمصائب، طارقة بالفجائع والنوائب نورها ظلمه وعيشها كدر وغنيها فقير وصحيحها سقيم وعزيزها ذليل ـ واحد بيعيش بهذه الدنيا الان الغني يبقى خائف على مصرياته اول ما بيصحى من الصبح بيقول شوفوا لي البورصة شوفوا لي سعر الدولار شوفوا لي الذهب وبيظل قلقان، والذي شاب وخصوصا الصبايا بيظلوا خيفانين على شبابهم بيظلوا بيتطلعوا على المرايا اصبحت الان ختيار الان قعدت الان ظهر شو ما بعرف ـ

اذاً ما حدى يعيش بحالة استقرار في هذه الدنيا في هذه الدنيا ما في طمانينه ما في حاله استقرار بسبب ان هي الدنيا بطبيعتها طبيعة متقلبة حتى الذي يشرب الماء ـ لو واحد بشويه ماء بيغص حتى شربة الماء ـ خلاص هي مركبة هكذا الله ركبها هكذا حتى نزهد فيها، ومع ذلك كليتنا طماعين فيها مع كل هذه المصائب والمواصفات السيئة تبعها، في السابق انا كنت اضرب مَثَل، مثل ما لو كان الكبار جالسين في البيت في يوم عيد وقد احضروا الاولاد وبتقوم الصرخة ما القصة ؟ الاولاد عم يتقاتلوا، هذا يتعارك مع هذا وهذا يسب هذا، وهذا يضرب هذا، وهذا بيزعل، وهذا بيبكي،وهذا بيضحك، نقعد نحن الكبار نضحك عليهم كيف يتقاتلوا لعب ولهو شو عم بيتقاتلوا ؟ منحنا عم نعمل نفس ما يعملوا، لأن هذه الدنيا التي نتقاتل عليها مثل هذه اللعب التي نحن جايبينها لأولادنا واحفادنا يوم ما ننتقل من هذه الدنيا سوف نكتشف ان هذه لعب، هذه الدنيا الله سبحانه وتعالى لم يخلقها للجزاء وانما خلقها للعمل، مثل ما لنا

الامتحان خلقها للعمل وان هذه الدنيا خداعة تخدع، بتغر، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، كم من واثقاً بها قد فجعته وذي طمانينة اليها قد صرعته، إنما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها، انعم جلد يبدو بالحيوانات الحية تمسح هيك ما شاء الله شو ناعمة، لين مسها شديد نهشها، مثل الدنيا مثل الحية مسها لين وفي جوفها السم القاتل، يحذرها الرجال ذوي العقول، ويهوي اليها الصبيان بايديهم، أمير المؤمنين عليه السلام يقول للدنيا يخاطبها اليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك قد انسللت من مخالبك ـ الدنيا لها مخالب هذه حقيقة الدنيا عند الإمام علي عليه السلام ـ وافلت من حبائلك واجتنبت الذهاب في مداحضك اين القرون الذين غررتهم بمداعبك، اين الامم التي فتنتهم بزخارفك، ها هم رهائن القبور ومضامين اللحود، ماذا اخذوا معهم من فتنهم ومن زخارفهم ومن مداعبهم ومن عروشهم وذهبهم وفضتهم ودينارهم وقصورهم ومتعهم وجمالهم وملذاتهم الى تلك القبور والى تلك اللحود، الامام الكاظم (عليه السلام) يقول الذي يشرب حب الدنيا (حالة حب الدنيا) مثل العطشان الذي يشرب من البحر شو ما بيشرب وهو يزداد عطش، هذه الدنيا ما لها قيمة عند الله، ليس لها قيمة عند الله بل انها محتقرة هينة على الله، سبحان الله ليس لها اي قيمة، من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى الله إلا فيها، ويعتدى على الله فيها، ويشتم الله فيها، ويكفر بالله فيها، وينفى وجوده، ويحارب فيها، هذا لأنها هينة على الله، وانا اخترت هذا الكلام من الامام الحسين لنختم بالحسين عليه السلام يقول من هوان الدنيا على الله تعالى ان راس يحيى بن زكريا اهدي الى بغي من بغايا بني اسرائيل ونقول للحسين عليه السلام كما قال بعد الحسين عليه السلام ائمتنا وعلماؤنا وكل التاريخ من هوان الدنيا على الله سبحانه وتعالى[٣٤].....).

فهل يا ترى يغفل سيدنا الشهيد عن هذه الجيفة ويكسل عن تهيئة نفسه وهو

يعلم أن كل العالم يتآمر على قتله وحربه ؟ كلا وألف كلا، فهو كثيراً ما كان يردد إلى اللقاء في الشهادة إلى اللقاء في جوار الأحبة.

خامساً: نبوءة السيد باقر الصدر للسيد حسن (قدست ارواحهما):

في ١٩٧٦/١٢/١٥م (٢٣/ذي الحجّة/١٣٩٦هـ) سافر السيِّد حسن نصر الله إلى النجف الأشرف للدراسة حاملاً معه رسالة تعريف وتوصية. لقد كان الشهيد الصدر مسروراً به، وأولاه رعايته وتعامل معه بإيجابيّة كبيرة، فكان من الأشخاص الذين تأثّر بهم السيِّد نصر الله. وفي ١٨/ ذي الحجّة / ١٣٩٧هـ (١٩٧٧/١١/٣٠م) عمّم السيِّد الصدر السيِّد حسن نصر الله ضمن مجموعة كبيرة من طلاّب العلوم الدينيّة. ويُنقل عن الشهيد السيِّد عباس الموسوي أنّه وقبل أن يتقدّم السيِّد نصر الله من الشهيد الصدر ألقى كلمةً نالت إعجاب الشهيد، ولمّا وضع العمامة على رأسه قال له هذه الكلمات: " إنّك ذو شأنٍ عظيم، وإنّي أشمُّ فيك رائحة القيادة، وإنّك من أنصار المهدي عجل الله فرجه إن شاء الله".

المبحث الثالث: القائد في رحاب الله

حينما نتكلم عن قائد ميداني فذ نادر قل نظيره في عالمنا الإسلامي والعربي في زماننا المعاصر بكل ما يمتلك من مقومات أستطيع أن أقول يعجز القلم والفكر عن أدراك هذا القائد الذي أستطاع أن يحول النظرية إلى تطبيق مع كل ما يواجهه من مصاعب وعراقيل محلية ودولية ولكن بقيت يد الغيب الإلهي ترعاه إلى أن قبضته إليها شهيداً على الأمة في ساحة المعركة مضرجاً بدمائه الزكية، وحين نقول القائد في رحاب الله فنحن نتكلم عن حالة من الذوبان عاشها القائد في الذات الإلهية بحيث

غاب عن عقله ونفسه ووجوده الإنية والأنانية فصارت نفسه ذائبة وسابحة في عالم العبودية لا هم لها إلا نشر عبادة الله سبحانه وتحقيق العدل ونصرة المظلومين ولا ترى لحقيقتها إلا ذلك الانسجام التام لتحقيق القانون الإلهي بأعلى درجاته مما يطيقها وجوده،بل إن حقيقة وجوده هو السعي الدائم لنيل رضا الاله المتعال وعدم الألتفات للنفس ولا بأي درجة من الدرجات لذلك فهو يرى أن الجندي الحقيقي في معسكر الحق عليه أن يفهم عدة معاني منها:

١. ضرورة رعاية الالتزام والميثاق:

إن الالتزام يوجب على الانسان المتعهد به أن يرى نفسه تابعاً للعهد وأن يفي به دون أي نقيصة قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾[٣٥] وقال تعالى ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا...﴾[٣٦]، فالصالحون هم الذين يفون بعهودهم ويعتبرون رعاية العهد عظيمة مثل عبادة الله قال تعالى ﴿.... وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾[٣٧] فعند الحساب يسأل المرء عن عهوده ولا فرق هنا بين عهد الله وعهد الآخرين وهذا المعنى كان حاضراً في فكر السيد الشهيد نصر الله.

٢. ضرورة أداء الأمانة وحرمة الخيانة:

إن قبول المنصب يعتبر بمنزلة قبول أمانة المجتمع، فأداء الأمانة فيه واجب وخيانتها حرام قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّه نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّه كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[٣٨]، وسواء كانت هذه الأمانة مادية أم معنوية، وسواء كانت للشخصيات الحقيقية أم الشخصيات الحقوقية قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللَّه

وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣٩]، وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[٤٠].

٣. اجتناب الحرام من المال والرشوة:

وهنا نريد أن نقول إن العمل الإسلامي لا يقبل التفاوض، فلا أرواح الناس ولا حقوق الناس ولا الدين يقبل التفاوض والتنازل لأجل المكاسب الشخصية، وهذا ما يميز أهل الله أن لا يساومون في دينهم على شيء فان من متاعات الدنيا الفانية لأنهم يعلمون علم اليقين أنها زائلة لا محالة فلا يغترون ببهرجتها ولا بعناوينها فهم أحرص من غيرهم على حقوق الناس وكرامة الناس وقيمتهم التي فضلهم الله بها على غيرهم من المخلوقات ومن كانت هذه سمتهم فلا يمكن ان يبيعوا آخرتهم بدنياهم الزائلة وأنما يفعل ذلك من لا حظ له من الإيمان والعقيدة قال تعالى ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤١]، وقال تعالى ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾[٤٢].

٤. القيام بالقسط والعدل:

إن الذين يعيشون في رحاب الله تعالى يعلمون علم اليقين أن القسط والعدل يظهر بأوضح تجلياته ليس عندما تحكم بين خصمين بل يظهر حين تكون أنت طرفاً في تلك المخاصمة وتقدم الغير على نفسك وهذا ما كان واضحا في فكر شهيد الأمة فقد كان ملتزماً بحدوده الشرعية وأن جار عليه الأعداء، لأنه كان في تجارة مع الله سبحان قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى

أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[٤٣]، فهو القائد الذي كان يتصرف وفقاً لسيرة جده أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه عن معاوية عليه لعائن الله (وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلاَ كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ، وَكُلُّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ، وَلا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ)[٤٤].

٥. أجتناب المدح والثناء المضر:

يقول السيد الإمام الخميني قدس سره في نصيحته لولده السيد أحمد بني:

فما أحسن أن تلقن نفسك وتقنعها بحقيقة إن مدح المداحين وأطراء المطرين ناهيك عن إنه يدمر الإنسان ويجعله أكثر بعداً عن التهذيب ـ البعيد عنه هو في الأساس ـ فإن الأثر السيء للثناء الجميل في نفوسنا الملوثة سيكون منشئاً لجميع أنواع التعاسة بالنسبة لنا، كما سيلقي بنا ـ نحن ضعاف النفوس ـ بعيداً عن المحضر القدسي للحق جل وعلا.

ولعل الناقدين ومروجي الشائعات يكونون ذا نفعٍ في علاج معايبنا النفسية، ولا غرابة فالأمر شبيه بالعملية الجراحية المؤلمة التي تؤدي النتيجة إلى سلامة المريض.

إن أولئك المادحين يبعدوننا بمدائحهم عن جوار الحق، وهم أصدقاء إلا أنهم يؤذوننا بصداقتهم، أما أولئك الذين يتوهمون أنهم يحاربوننا بالانتقاد والسب واختلاق الشائعات فإنهم يساهمون في إصلاحنا رغم أنهم أعداءٌ لنا ـ ذلك إذا كنا أهلاً للصلاح ـ وهم يحسنون إلينا رغم ظهورهم بمظهر الأعداء.

وإذا اقتنعنا أنا وأنت بهذه الحقيقة وإذا أتاح لنا الشيطان والنفس فرصة لرؤية

الأمور على حقيقتها فإننا سنضطرب حينها من مدح المادحين وثناء أهل الثناء، تماماً كاضطرابنا اليوم من ذم الأعداء ومفتعلي الشائعات المغرضين، كما إننا سنفرح بالانتقاد تماماً كما نفرح اليوم بمدائح واطراء المادحين[٤٥].

أقول: وهذا الكلام لابد أن يعيه القائل والمتلقي وأن كان المتلقي أحق بفهم هذا المعنى من القائل لأن الظروف قد تحمل القائد أحياناً على مدح جيوشه والناس لرفع عزيمتهم وترميم إيمانهم.

٦.خطر حب الجاه والمال:

ينبغي للسالك طريق الصالحين، الراغب فيما عند الله في الدار الاخرة، أن ينزل عن قلبه حب الجاه والمال والثناء، والتعظيم، فإن ذلك ينبت النفاق في القلب، لقوله ﷺ: «حب الجاه والمال، ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل»[٤٦].

إن صلاح الإنسان يكون عندما لا يرى الوسيلة هدفاً، ويعتِبر أن كل ما عدى الله ولقاء الله وسيلة للوصول إلى الله فلا يتعلق القلب بالفاني والزائل، لأن خطر حب المال وطلب الجاه عظيم إلى الدرجةِ التي لا يبقي لصاحبه أي شيْ من الإيمان، يقول رسول الله (ﷺ) لأبي ذر الغفاري (رض) يا أبا ذر: حب المال والشرف اذهب لدين الرجل من ذئبين ضاريين في زرب الغنم، فأغارا فيها حتى أصبحا، فماذا أبقيا منها ؟)[٤٧].

أقول: وهذه المعاني العالية والراقية كانت واضحة في كلمات وأفعال السيد الشهيد نصر الله (قدس سره) الذي كان يرى كل وجوده ذائبا بوجود الله ووجود الإسلام ووجود المسلمين حتى أنه أقتطع حياته وكل التزاماته وتعلقاته للفناء في وجود الحق ونيل رضاه بتطبيق شريعته وحماية عيال الله.

إن هذه المعاني العالية لابد أن تكون حاضرة في ذهن كل قائد رباني أو غير رباني مادام ينتمي لمنظومة أهل البيت (عليهم السلام) وإلا فلا يمكن له أن يبعد التهمة عن

نفسه وليس لقواعده ومرؤوسيه أن يطمأنوا له ولا أن يعتقدوا به.

الوظيفة الأساسية:

قبل أن أختم أحببت أن أنوه إلى هذا الموضوع المهم والحساس وهو أن هنالك فرق كبير بين من ينظر وبين من يحول النظرية إلى تطبيق فقد يجتمع الأمران في شخص واحد وقد لا يجتمع ذلك وأيضاً هنالك فرق كبير بين القائد المربي، والمنظِر وغيرهما.

إن السيد القائد الشهيد نصر الله (قدس سره) كان قائداً ومنظراً واقعياً ومربياً يهتم وبشكل كبير بكل تفاصيل الأمة وحياة أبنائها ومشاكلهم وما تمر عليهم من أزمات لذلك كان كل فرد في منظومته ومن كان تحت رعايته يحمل منهجه وأخلاقه وفكره لذلك فإن تلك المؤسسة لا يمكن أن يكتب لها السقوط إلا إذا تغير منهجها وتبدلت أخلاقها، وبالتالي فالوظيفة الأساسية لقائد الأمة أن يكون حاضراً ليس بنظرياته فقط بل وبسلوكه،، وأخلاقه وبعده عن الدنيا وبحب لقاء الله والأستعداد الدائم لهذا اللقاء من دون خوف أو تردد، وتربيته وعنايته بالأمة لاسيما المحرومين والضعفاء.

وهذا ما كان جلياً في سلوك السيد القائد الشهيد (قدس سره) فلم تكن عنايته المادية حاضرة فحسب وإنما عنايته المعنوية والفكرية فلم يكن يترك الأمة في تيه وحيرة عن معرفة الحق والحقيقة فكان من السباقين في رفع الضبابية التي تقع بها الأمة وهذا مما جعله قائداً ناجحاً قل مثيله في هذه الاعصار والازمنة ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): علماء شيعتنا مرابطون بالثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته[٤٨].

المبحث الرابع: تأثر السيد الشهيد نصر الله (قدس سره) بالعرفان الحسيني في المقاومة:

اولاً: منطلقات العرفان الاسلامي :

انطلاقاً من وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية: "مَن كان باذلًا فينا مهجته، موطّنًا على لقاءِ اللّهِ نفسه فليرحلْ معنا فإنّي راحلٌ مصبحًا إن شاء اللّه تعالى"، ليحدّد أصلين اتّسم بهما أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وهما:

باذلًا فينا مهجته.

موطنًا على لقاء الله نفسه

ومن هذين الأصلين يؤسس الشيخ شفيق جرادي للحديث عن العرفان الحسيني، المختلف عن الصورة التي شاعت لفترة من الزمن، عن العرفان المعتزل المتعبد في صومعته، ليجعل من العارف ذلك الخارج من مدرسة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، المحافظ على فطرته السليمة، وشروطه:

أولًا أن يحصل العارف اليقين بروحية المعرفة بالله، وهذا اليقين على مستويات أيضًا:

المستوى الأول: الذين يتيقنون من معرفة الله سبحانه وتعالى كفكرة، وهذا يقين، ولكنه يحمل قابليات التطور.

المستوى الثاني: يعرفون الله ويعشقون الله، ويتخطون الفكرة ليعيشوا حالة الوجد مع الله، ويتأملون كثيرًا في نعم الله عز وجل.

المستوى الثالث: الذين يطلقون عليهم إسم الفانون في الله، وهم الذين يصبح كل كيانهم بين يدي ربهم يقلبه كيفما يشاء.

أما المستوى الرابع: فهو الذي يخصّ محمد وآل محمد صلوات الله عليهم

أجمعين ومن الممكن أن ينتمي نحو انتماء إليه بعض الذين ذابوا حبًا برسول الله محمد وآل بيته، وهؤلاء هم الذين فنوا ثم بقوا في الله، فيصبح كل بقائهم في هذا الوجود مرتبط بالله.

ثانيًا، هو أن يتماهى العارف تمام التماهي ويرتبط تمام الارتباط بمن يمثل كمال البشرية، فيصلي كما يصلي الرسول، ويصوم كما يصوم الأمير، ويجاهد كجهاد الحسين، يسير على مدرستهم الأخلاقية، وهؤلاء هم المتفانون في الله.

ثالثًا: أن تكون الآخرة آخر همه.

ولأن الجهاد والشهادة اقتداءً بالنموذج الكربلائي، من أهم محطات العرفان الحسيني، أورد سماحته مجموعة من النقاط الهامة في المحاضرة الثانية، على الشكل التالي:

١-**التولي والتبري:** فأشار إلى إن الجهاد لا يمكن أن يكتسب قدسيته إلا إذا كان تحت راية الانتماء والولاء لرسول الله أو أمير المؤمنين أو الإمام الحسن أو الإمام الحسين أو أي من أئمتنا عليهم جميعًا صلوات الله، كما هو حال الجهاد الآن، والذي إذا قام – وهو قائم – فإنما قيامه هو تحت راية الولاء للقائم من آل بيت رسول الله محمد.

٢- **مقومات الجهاد:** كما أنه لا يمكن الحديث عن معرفة لله وأوليائه دون الولاء له، فلا يمكن لك الحديث عن جهاد دون معرفة الولي الذي تقاتل تحت رايته، فمن أهم مقومات الجهاد تحديد مع من نقاتل ومن نقاتل، والجهل بمقومات الجهاد هو الخطوة الأولى في طريق الضلال، وهذا ما جرى مع قوم الحسن والحسين عليهما السلام.

٣- الجهاد بمضمونه النبوي

حتى نستطيع استكشاف معاني العرفان، في الجانب الأول لا ينبغي لأحد أبدا أن يخرج من باله ارتباط الجهاد في الإسلام بنيل وتحقيق ثواب الله، فواحدة من المميزات التي تسم من ينتمي للمشروع المحمدي الأصيل عن غيرهم ممن يقاتلون تحت رايات مختلفة، أنهم حينما يقاتلون ويتحدثون عن نيل ثواب الآخرة إنما يريدون أولًا وبالذات أن ينالون رضوان الله سبحانه وتعالى، وأن يؤدون تكليفًا يرضي الله، بينما نرى من هم في الضفة الثانية يذهبون طمعًا بملذات ربما لو أغري بها أحدهم في الدنيا لترك الجهاد، ولكن هذا المقصد السامي الذي هو رضوان الله سبحانه وتعالى يجعل المؤمن المجاهد محافظًا على قيمه المعتقدية التي يؤمن بها وتتبناها.

ثانياً: معالم العرفان الحسيني

يمكن استخلاص معالم العرفان الجهادي الحسيني من خلال مجموعة الأحاديث التالية:

الحديث الأول: الولاية الإلهية:

"الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه..."[٤٩] الإمام علي بن أبي طالب.

وأولياء الباري على قسمين: إما الولي الذي هو الإنسان الكامل الذي بقي بعد أن فني بالله أي محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

أو أناس ولجوا إلى ربهم بولاية محمد وآل محمد.

الحديث الثاني: مستويات الجهاد:

في الرواية أيضًا حول موضوع الجهاد عن أمير المؤمنين يحدد فيها مستويات الجهاد:

"أيها المؤمنون إنه من رأى عدوانًا يؤمر به ومنكرًا يدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أُجر، وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى (بعد هذا الكلام كل من لديه أدنى تردد في قتال واضح المعالم لديه ثغرات في ولائه) وقام على الطريق، ونور في قلبه اليقين"[٥٠].

أي أنه من قاتل وجاهد عن وضوح للرؤيا سلك طريقا آخر للعرفان، فيقذف الله في قلبه نور المعرفة لله ويجعله ممن يكونون في نفس فسطاط رسول الله محمد بن عبد الله.

الحديث الثالث: قواعد الايمان:

يُسأل أمير المؤمنين عن الإيمان فيقول[٥١]:

"بني الأيمان على: الصبر. واليقين. والعدل. والجهاد والجهاد منها على أربعة شعب: الأمر بالمعروف. النهي عن المنكر. الصدق في المرابط. شنئان الفاسقين.

ثم يفصل الأمير فيقول: فمن أمر بالمعروف، شد ضمور المؤمنين"

ومن أهم عناصر الأمر بالمعروف هي المبادرات، أن تبادر الناس لبث القيم التي تنتمي إلى مدرسة أبي عبد الله الحسين ومدرسة محمد بن عبد الله.

"ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين"

والمنافق هو الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر، فعندما تنهى عن المنكر تكسر شوكته.

"ومن صدق في المواطن قضى ما عليه"ـ أي أدى واجبه ـ

"ومن شنئ الفاسقين وغضب لله، غضب له الله وأرضاه".

ثالثاً: خصائص النهضة الحسينية

تتضمن رسالة الإمام الحسين إلى أخيه محمد بن الحنفية التي أوردناها في بداية التقرير، الخصائص الأساسية للنهضة الحسينية "من مكان باذلا فينا مهجته وموطنًا على الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحًا إن شاء الله".

وبالتالي هناك ما يمكن أن نسميه بأمانة إرث الدم، دم الحسين عليه السلام، الذي يقوم به على نحو الفعلية وعلى نحو تام بحسب معتقدنا هو القائم من آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف، وكل الذين يتصلون بعد الإمام الحسين بالمسار الزمني وصولًا للقائم من آل محمد هم معنيون بهذا الإرث، وكل من يريد أن يكون معنيًا بهذا الأرث على النحو العملي يجب أن يضع في ذهنه أنه منضوٍ في رحلة الجهاد الحسيني.

بناءً عليه لا أحد يتصور أن الحدث بدايته كانت مع الإمام الحسين، بل وحتى لا يمكن اعتبار كربلاء اكتمال لصورة هذا الحدث العظيم لأنه مستمر عبر التاريخ، وهو حدث تاريخي يمتد في الزمن ويتناوب عصر بعد عصر، ولا تحده حدود مشخصة، بل إن تحديد عصر الاكتمال في هذه المسيرة هي بيد الله سبحانه وتعالى.

١- باذلًا فينا مهجته

البذل في سبيل الحق وإعلاء رايته هي أول الخصائص، والبذل هو أن يجود

المرء بنفسه وبكل ما يمتلك بأقصى قدرته وعن طيب خاطر، فمن يبذل عليه أن يكوّن قناعةً لينسجم مع ما يقوم به، ويتخلق بأخلاق البذل، اللامحدود، من دون أن يمن على نفسه وعلى الله ما قدّم، فالقتال في سبيل الله لا منة فيه، لا على لناس ولا على الله. والبذل هو الإعطاء عن طيب خاطر، هذا الباذل سيبذل قلبه، ووجدانه، وروحه، وعقله، ورزقه، وأسرته، وعائلته ومستقبله في سبيل آل بيت رسول الله وأبي عبد الله الحسين صلوات الله عليهم.

٢- موطنًا على لقاء الله نفسه

الجهاد العرفاني الحسيني، هو جهاد يقوم به أصحاب بصيرة تشكل الآخرة أقصى ما يطمحون إليه، وبغير ذلك لا يمكن أن يكونون موطنون على لقاء لله أنفسهم.

٣- التمييز بين جهاد الحق والباطل

يمكن التمييز بين جهاد الحق والباطل على مستويين:

على المستوى الفردي: تشكل النية المائز الأساس، فإذا كانت النية هي فعلًا التقرب إلى الله عز وجل، ورغبة في رضا الباري ورضوانه، وسعيًا لتوطيد العلاقة معه سبحانه، فهو إذن على سبيل الجهاد الحق.

وعلى مستوى الجماعة: تبرز أهمية المعتقد، وطريقة التخلق بأخلاق الرسول، والعلاقة بقيمة الرحمة المحمدية.

كما لا بدّ من التنبه لعنصرين أساسيين لا بدّ من مراعتهما على المستويين الفردي والاجتماعي وهما:

٤- البصيرة والاستقامة

والبصيرة لا تنحصر بأصحاب القراءة والتحليل، فيمكن أن يتمتع شخص ببصيرة

نافذة، وهو من عامة الناس، إذا أن أهل البصيرة هم المتيقظون الذين يستطيعون بقلبهم ووعيهم التدبر وأخذ العبر، وهم أناس وضعوا أنفسهم بيد الله عز وجل، وآمنوا به، والإيمان ليس أن نقول أشهد أن لا إله الا الله، الإيمان هو ارتباط القلب برب العالمين، وبتوحيده عز وجل، وبما يرضيه، وبما يريده سبحانه وتعالى. فالبصيرة إذن هي رشد ووعي ومعرفة والقدرة على تمييز الأمور بأن يكون الملاك لتمييز الأمور الله وما تملكه من رشد.

والبصير كما يصفه أمير المؤمنين عليه السلام، هو "من سمع فتفكر [والمقصود في التفكر هو التأمل، فالمعيار ليس مقدار القراءة، بل التفكر فيما قرأت، وفتح القلب على الوافد إليه لتميز ما بين الأفكار الشيطانية، وتلك التي فيها لطف من الله وأوليائه] ونظر فأبصر، وانتفع بالعبر، ثم سلك جددًا واضحة يتجنب في الصرع في المهواي"، فمثل هؤلاء هم الذين يمكن أن نسميهم بأهل البصيرة حسب رواية أمير المؤمنين عليه السلام[٥٢].

أقول: إن هذه المعاني العالية للعرفان الحسيني في فهم التكليف والذوبان بالذات وتقديم الغالي والنفيس عند أفتتاح أبواب المتاجرة مع الله سبحانه حين يول عز من قائل ﴿إِنَّ اللَّه اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٥٣] فقام الإمام الحسين بكل عمليات البيع ولم يبخل بشيء على الحق سبحانه، هذا المعنى العالي للبيع كان حاضراً في فكر شهيدنا الاقدس بل وربى الأمة على هذا المعنى العالي وجعل الحياة في أذهان الكثيرين ما هي إلا رحلة سريعة الأنقضاء ثقيلة الأعباء.

هوامش البحث

(١) كتاب الفكر الإسلامي على ضوء القرآن الكريم؛ ص ٢٠٣)

(٢) كتاب الفكر الإسلامي على ضوء القرآن الكريم؛ ص ٢٠٠ و٢٥٩)

(٣) من كلام للسيد الخامنئي في الذكرى الـ٣٠ لرحيل الإمام الخميني قدس سره.

(٤) الإمام الخميني، الكلمات القصار – عنوان: أداء التكليف، ص٥٩.

(٥) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٦) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٢، ص٩٠.

(٧) الكلمات القصار، عنوان: الإمام الخميني قدس سره، ص٣٠٨.

(٨) بحث للأستاذ أنصاريان.

(٩) عوالي اللئالي: ١/ ٤٠٤ حديث ٦٣؛ بحار الأنوار: ٦٩/ ٢٧٨، باب ١١٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/ ٣٦١.

(١٠) نهج البلاغة: ٨١٥، حكمة ٢٣٧، كشف الغمة: ٢/ ١٥٠، وسائل الشيعة: ١/ ٦٣ باب ٩، حديث ١٣٦، بحار الأنوار: ٤١/ ١٤، باب ١٠١، حديث ٤.

(١١) سورة الأنعام: الآية ١٦٢.

(١٢) مصباح الشريعة.

(١٣) العنكبوت: الآية ٦٩.

(١٤) سورة الأنفال: الآية ٢٩.

(١٥) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

(١٦) سورة البقرة: الآية ١٥٣.

(١٧) سورة البقرة: الآية ١٥٣.

(١٨) نهج البلاغة: ١/ ١٠٣.

(١٩) مسند أحمد: ٧/ ٢٤٣١٧.

(٢٠) مصباح الشريعة: ٤٤ باب ٢٠، بحار الأنوار: ٦٤/ ٢٥٢.

(٢١) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٢٢) الإشارات: النمط التاسع.

(٢٣) الأمالي للصدوق: ٢٩٣، مجلس ٥٣، حديث ٦، من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٤٠٠، حديث ٥٨٥٩، وسائل الشيعة: ١/ ١: ٥٣/ ٥٣، باب ٦، حديث ١٠٦.

(٢٤) سورة المؤمن: الآية ٧٨.

(٢٥) سورة النمل: الآية ٤٠.

(٢٦) الكافي: ٢/ ٣٥٢، باب من آذى المسلمين، حديث ٧.

(٢٧) بحث للأستاذ أنصاريان.

(٢٨) البقرة١٩٣.

(٢٩) التوبة٣٣.

(٣٠) الفتح٢٨.

(٣١) الصف٩.

(٣٢) بحث بعنوان مبادئ الامام الخميني العرفانية، أعداد سيد مرتضى محمدي، المصدر تبيان.

(٣٣) بحث بعنوان مبادئ الامام الخميني العرفانية، أعداد سيد مرتضى محمدي، المصدر تبيان.

(٣٤) يبكي هنا سيدنا الشهيد مستذكراً الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه في أرض كربلاء وكيف أن رأسه يهدى إلى الشقي أبن الشقي والملعون أبن الملعون.

(٣٥) المائدة آية ١.

(٣٦) البقرة آية ١٧٧.

(٣٧) الأسراء آية ٣٤.

(٣٨) النساء آية ٥٨.

(٣٩) الأنفال آية ٢٧.

(٤٠) المؤمنون آية ٨.

(٤١) البقرة آية ١٨٨.

(٤٢) البقرة آية ٨٦.

(٤٣) النساء آية١٣٥.

(٤٤) رواه الاسكافي (ت ٢٢٠) في المعيار والموازنة: ١٦٦، والكليني (ت ٣٢٩) في الكافي ٢: ٣٣٨ ملخصاً عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن أسباط، عن عمه يعقوب بن سالم، عن أبي الحسن العبدي، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة.

(٤٥) الإمام الخميني قدس سره، المظاهر الرحمانية رسائل الإمام الخميني العرفانية ص ٧٠.

(٤٦) مجموعة ورام (تنبيه الخواطر) ج١ ص ٢٦٠

(٤٧) المجلسي، بحار الانوار ج ٧٤ ص ٨٠.

(٤٨) الريشهري، ميزان الحكمة، باب فضل العلماء،ج٧ ص٩٥.

(٤٩) الريشهري، ميزان الحكمة، باب الجهاد: عن الإمام علي (عليه السلام): إن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة

(٥٠) غرر الحكم ودرر الكلم ص٢٢٩.

(٥١) المجلسي، بحار الانوار، ج٦٩، ص٨٩: عن سعد، عن ابن أبي الخطاب وأحمد بن الحسن بن فضال معا، عن علي بن أسباط، عن الحسن بن زيد، عن محمد بن سالم، عن ابن طريف، عن ابن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الايمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد. والصبر على أربع شعب: على الشوق والاشفاق والزهد والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات. واليقين على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، وتأول الحكمة، وموعظة العبرة، وسنة الاولين، فمن تبصر في الفطنة تأول الحكمة، ومن تأول الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما عاش في الاولين. والعدل على أربع شعب: على غائص الفهم، وغمرة العلم، وزهرة الحكمة وروضة الحلم، فمن فهم فسر جمل العلم، ومن علم شرع غرائب الحكم، ومن كان حكيما لم يفرط في أمر يليه في الناس. والجهاد على أربع شعب: على الامربالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنآن الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق، ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه، ومن شنأ الفاسقين وغضب لله عزوجل غضب الله له، وذلك الايمان ودعائمه وشعبه.

(٥٢) من محاضرة للشيخ شفيق جرادي تحت عنوان دروس في العرفان الحسيني

(٥٣) التوبة آية ١١١

جريمة العدوان الأمريكي والصهيوني على البلدان الإسلامية في الشرق الأوسط (٨ نيسان ٢٠٢٦م) أبعادها القانونية وأثارها السياسية

بقلم: الدكتور عمار طعمة الحميداوي

المقدمة:

شهدت منطقتنا الإسلامية في السنوات الأخيرة حروب عدوانية قادها الاستكبار وحشّد لها الإمكانيات والقدرات ضد الشعوب المسلمة المظلومة الممتحنة وضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي وقفت داعمة لحقوق الشعوب المظلومة في دفع الاعتداء والإجرام المتمادي ضدها ... وقد خرقت هذه الحروب العدوانية وانتهكت كل قوانين ومواثيق ومعايير الإنسانية المتفق على سلامتها وصحتها فاستهدفت المدنيين الأبرياء وقتلت عشرات الالاف من الشيوخ والأطفال والنساء في فلسطين ولبنان ويزيد عليها من الجرحى والمصابين ودمرت المستشفيات والمدارس ومحطات الكهرباء ومراكز ومرافق الخدمة المباشرة التي تتوقف عليها حياة الشعوب دون ان نسمع او نرى موقفاً دولياً مسؤولاً يردع الظلم والإجرام والعدوان الذي جاوز الحدود فانكشف نتيجة هذه الجرائم الوحشية حقيقة الحضارة الغربية التي تقف على راس قيادتها امريكا فهي حضارة مجردة عن الأخلاق وفي خصومة مع القيم الإنسانية النبيلة وتستخدم العنف والقوة المفرطة الظالمة لإكراه الشعوب على منهاج يخالف قناعتهم ويسلب موارد قدراتهم السيادية الوطنية وحرمانهم من حقوق التنمية المشيدة بجهود كوادرها الوطنية ليكون مصير هذه الشعوب المسلمة تابعاً ودائراً في فلكهم

ومنظومة اهدافهم الأنانية.

فجاءت الحلقة الأخرى في مسلسل المشروع الغربي باستهداف الجمهورية الإسلامية الإيرانية بشكل مباشر في حرب فاقدة للشرعية ومخالفة للقوانين والمواثيق الدولية وبأهداف معلنة كلها غير شرعية وغير قانونية تستهدف كسر إرادة الشعب الإيراني المسلم وإجباره على الاذعان لمشروع الاستكبار.. ولكن صمود إيران المسلمة شعباً وتضحيات قياداتها الجسيمة وخصوصا

شهادة السيد القائد الخامنئي – قدس سره – أحبطت المشروع المعادي وقلبت معادلات الصراع لصالح الشعوب المسلمة المؤمنة باستقلالية قرارها السيادي والرافضة للتبعية والمتصدية لمشروع الصهاينة التوسعي الهادف لتأسيس اسرائيل الكبرى كما يزعمون.

المبحث الأول: الأبعاد القانونية لجرائم الحرب في القانون الدولي:

أولاً: الإرهاب في القانون الدولي

يعرف الإرهاب الدولي في قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة مثل القرار ٦٠/٤٩ لعام ١٩٩٤: (الإرهاب الدولي بأنه أعمال إجرامية تُرتكب عمدًا من أجل إثارة حالة من الرعب في صفوف الناس عامة أو جماعة من الأشخاص لأي غرض من الأغراض، ليس لها ما يبررها مهما كانت الظروف). وشدد القرار على أن الأعمال الإرهابية تشمل التهديد أو العنف الذي يهدف إلى إكراه الحكومات او السكان او إلحاق الأذى الجسيم.

ثانياً: حدود جرائم العدوان الحربي في القانون الدولي :

ان جرائم الحرب لا تسقط بمرور الزمن، مما يسمح بملاحقة قادة امريكا واسرائيل السياسيين والعسكريين في أي وقت.

وتُعرف جريمة الحرب بشكل أساسي وفقاً لنظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية (١٩٩٨) هي انتهاكات جسيمة للقانون الدولي الإنساني وتشمل:

١- الأفعال المرتكبة ضد الأشخاص أو الممتلكات المحمية بموجب هذه الاتفاقيات (القتل العمد، قتل المدنيين، والعاملين في المجال الطبي والإنساني).

٢- تدمير أو الاستيلاء على ممتلكات (مدنية أو خاصة أو عامة) على نطاق واسع.

٣- الهجوم العشوائي الذي لا يميز بين الأهداف العسكرية والمدنية أو يتوقع أن يسبب خسائر مدنية مفرطة مقارنة بالميزة العسكرية الملموسة والمباشرة المتوقعة.

٤- الهجوم على أشخاص أو أعيان يستخدمون شارات مميزة (كالشارة الحمراء أو الهلال الأحمر) وفقاً للقانون الدول ويشمل مراكز الإغاثة الإنسانية والطبية ومعداتهم.

٥- استخدام الغدر(الخديعة الخسيسة): التظاهر بالنية للتفاوض تحت راية الهدنة، بهدف خداع الخصم والهجوم عليه.

٦- الهجوم على موظفين أو منشآت أو مواد أو وحدات أو مركبات مستخدمة في مهمة مساعدة إنسانية. ان كل الجرائم المذكورة أعلاه والموصوفة (جرائم حرب) قد ارتكبها العدو الأمريكي الصهيوني ضد الشعب الإيراني واللبناني وبأبشع أدوات التنفيذ.

ثالثاً: الإرهاب الأمريكي في ميزان القوانين الدولية:

تصريحات ترامب ضد ايران تشّكل موضوعاً لأحكام جرائم الحرب وجرائم ضد الإنسانية وفق القانون الدولي وان تهديد الرئيس الأمريكي ترامب بضرب محطات الطاقة والبنية التحتية المدنية كالجسور والتهديد بالاستيلاء على النفط لدولة أخرى يعتبر جريمة حرب بموجب اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ م وبروتوكولاتها الإضافية لعام ١٩٧٧. وقد هدّد رئيس امريكا ترامب بقوله (إذا لم نتوصل إلى اتفاق مع إيران فسوف أنسف البلاد بأسرها)... وبقوله (إذا لم تبرم إيران اتفاقا معنا بسرعة فإنني أدرس خيار نسف كل شيء والاستيلاء على النفط). وقد اعترف رئيس امريكا ترامب بأفعال ارتكبها جيشه ضد ايران تشكل أمثلة واضحة لجرائم الحرب مثل قوله (إعادة إعمار إيران ستستغرق ٢٠ عاما إذا كانوا محظوظين وإذا بقي لديهم بلد أصلا.) وقول ترامب (ضربنا الجسر قرب طهران بعد أن شعرت أن الإيرانيين غير جادين في التفاوض).

اما قول ترامب (أرسلنا أسلحة للمتظاهرين الإيرانيين في وقت سابق من العام عبر الأكراد ولكن الأكراد احتفظوا بها). وهذا الفعل يعتبر عدواناً على ايران وفق قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٣٣١٤ (١٩٧٤): الذي يُعرف العدوان، بما يشمل إرسال عصابات أو جماعات مسلحة أو قوات غير نظامية أو مرتزقة لارتكاب أعمال مسلحة وقد حصل ذلك في أحداث شهر كانون الثاني عام ٢٠٢٥م وكذلك يجيز القانون الدولي محاسبة قيادات الدول الداعمة لهذه الجماعات المسلحة بتهمة التواطؤ في جرائم حرب او جرائم ضد الإنسانية إذا ارتكبت هذه الجماعات المسلحة مثل هذه الجرائم، وقد تابع الجميع جرائم تلك الجماعات المسلحة

المدعومة امريكياً وصهيونياً بقتل مئات المدنيين الإيرانيين وتدمير المراكز الخدمية والطبية وحرق مرافق الخدمة العامة. ويجيز القانون الدولي للدولة المستهدفة من هذه الأعمال الإجرامية ملاحقة الدول الداعمة أمام محكمة العدل الدولية او أمام مجلس الأمن. وقد نقلت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية عن خبراء قانونيين ومسؤولين ومؤرخين قولهم (لم يسبق لأي رئيس أميركي أن تحدث بهذه الصراحة عن ارتكاب جرائم حرب) وهم لا ينفون عن الرؤساء السابقين ارتكاب جرائم حرب فعلية ضد الشعوب ولكنهم يعترفون بان السابقين لم يعلنوا ذلك بصراحة ولم يقرّوا بالجريمة علناً وبصوت عالٍ.

رابعاً: الإرهاب الامريكي في القانون العراقي:

اطلعّتُ على تصريحات رسمية وسياسية لشخصيات عراقية تستدّل على توصيف الهجمات التي تتعرض لها البعثات الدبلوماسية بانها أعمال إرهابية استناداً لقانون مكافحة الإرهاب. ولكن لم نسمع من ذات الجهات توصيف مماثل للاعتداءات المتكررة التي شنّتها امريكا والكيان الصهيونى ضد القوات الأمنية العراقية المؤسسة بقوانين نافذة !!. علماً ان قانون مكافحة الإرهاب في المادة (٢) في الفقرة (٥) منه ينص على توصيف تلك الهجمات الأمريكية والصهيونية بانها جريمة ارهابية فقد نصّت الفقرة المذكورة: – تعدّ الأفعال الآتية من الأفعال الأرهابية – ؛(الاعتداء بالاسلحة النارية على دوائر الجيش او الشرطة او مراكز التطوع او الدوائر الامنية او الاعتداء على القطاعات العسكرية الوطنية او امداداتها او خطوط اتصالاتها او معسكراتها او قواعدها). فوفقاً للفقرة (٥) من المادة (٢) من القانون المذكور تستطيع

الدوائر والممثليات القانونية للأجهزة الأمنية، او غيرها من الجهات الرسمية تقديم دعاوى لدى القضاء العراقي لاستصدار احكام قضائية بتجريم الدول والعناصر الأجنبية المعادية المنفذة لتلك الهجمات العدوانية ضد قواتنا الإمنية الرسمية المرابطة في مواقعها دفاعاً عن الدولة والشعب العراقي خصوصاً مع ملاحظة ان جريمة العدوان على القوات العراقية لايقتصر اثرها على فقدان شهداء غيارى وخسارة جهودهم المخلصة في دفع الإرهاب ومحاربته، بل يتعدى ضرر تلك الهجمات إلى تهديد الامن الوطني العراقي وفتح ثغرات تنفذ من خلالها جماعات الإرهاب والتطرف المتربصة بالعراق والعراقيين شرّاً.

المبحث الثاني: أسباب العدوان الامريكي الصهيوني على البلدان الإسلامية:

أولاً: تدمير الدول الإسلامية

في موقف يتعارض مع كل المعايير والقوانين السماوية والأرضية يهدد رئيس امريكا ترامب ايران بضرب مواقع الطاقة والبنية التحتية المرتبطة بحياة الشعب الإيراني وتلبية احتياجاته الإنسانية المشروعة في خطة خبيثة تهدف لأضعاف الدولة الإيرانية وتعريض شعبها لمعاناة إنسانية. وهذا التوجه الأمريكي يفضح الأهداف المعلنة لحربهم ضد ايران، فان كان ترامب يطالب بحرية الشعب الإيراني ويدّعي له العيش بسعادة وتطوير حياته فكيف يخطط لضرب المنشآت الخدمية التي تتوقف حياة الشعب الإيراني اليومية الضرورية عليها !؟. ومن جهة أخرى يهدف ترامب لحصول رد دفاعي – وهو مشروع – إيراني على مصادر انطلاق هجمات امريكا العدوانية التي تنطلق للأسف من أراضي دول عربية مسلمة. فيحقق ترامب اكثر من هدف خبيث

بأضعاف دول وشعوب المنطقة المسلمة ويدعم أمن الكيان الصهيوني، بل يوفر من أموال دول الخليج التي تقدمها أنظمة الحكم فيها ترتيبات أمنية لحماية الكيان الصهيوني. لا ادري متى ينتبه حكام دول الخليج إلى هذه المعادلة البائسة التي يرسمها ترامب بتسخير ثروات وأموال دول الخليج لحماية عدوها الصهيوني الذي يعلن بوقاحة عن خططه بالسيطرة على المنطقة وتحقيقه حلمه الشرير باسرائيل الكبرى كما يزعمون التي تشمل الأردن ودول الخليج وسوريا والعراق ومصر. ويعرّض ترامب بحربه العدوانية هذه أمن واستقرار جميع دول المنطقة المسلمة وإيقاع شعوبها في معاناة وأضرار تدفعها الشعوب ثمناً لأحلام ومخططات الصهيونية المجرمة.

وان موقف موحد من دول الخليج برفض مسار الحرب الأمريكية الصهيونية التي أوقدت نارها ضد المسلمين كفيل بانهاء معاناة شعوبها وردع المعتدي المتآمر حتى على امن دول الخليج وشعوبها.. وهو اقل كلفة بكثير من سكوتها عن تمادي امريكا والصهاينة او مسايرتهم لهما وما ينتج عنه من الأضرار والتدمير الذي سيقع على دول الخليج وشعوبها بل المنطقة الإسلامية عموماً.

ثانياً: زرع الفرقة بين المسلمين:

خطة ماكرة جدية لجأت اليها أمريكا لأثارة العداء والصراع بين دول المنطقة المسلمة !!. في بيان مهم صدر الليلة من مقر خاتم الأنبياء التابع للحرس الثوري نبّه دول الجوار العربي والإسلامي إلى أسلوب ماكر ومخادع لجأ اليه الأمريكان أخيرا حيث قام الأمريكان باستنساخ طائرة شاهد (١٣٦) الإيرانية المسيّرة ليستهدف بها أهداف غير مشروعة في المنطقة على حد تعبير البيان. وتهدف امريكا بهذا العمل

الشيطانيّ توجيه الاتهام لايران واثارة الفتنة بينها ودول الجوار وذكر البيان أمثلة على هذه الهجمات استهدفت دول تركيا والعراق وتركيا. وفعلاً أشارت تقارير ميدانية إلى ان استهداف مصفى في اقليم كردستان ورادار مطار مدني في الكويت وقصف على تركيا في الأيام الأخيرة لم يصدر من ايران الإسلامية، بل ان امريكا هي من نفذت هذه الهجمات لتعميق الخلاف وإدامة الصراع بين دول المنطقة المسلمة.

نكرر ان هدف امريكا الخبيث المتجدد يعتمد على إثارة الفتنة بين دول وشعوب المنطقة وخلق الخصومات والعداوة فيما بينها، لتحقق هدفها الاستراتيجي في إضعاف المنطقة وترجيح كفة الكيان الصهيوني الغاصب الذي يضمر الشر لجميع دول وشعوب المنطقة المسلمة. ومن المهم ان تلتفت الشعوب لهذه المخططات الشيطانيّة لعدونا المشترك امريكا والكيان الصهيونى وتوعية المسلمين بحقيقة أهداف العدوان الأمريكي والصهيوني فتفشل هذه الأساليب الماكرة الخبيثة في مهدها.

ثالثاً: إخضاع المسلمين :

حرب امريكا ضد إيران أسقطت كل شعاراتها الكاذبة والماكرة وأسقطت مبرراها:

١- **منع ايران من امتلاك السلاح نووي:** تبرر امريكا حربها ضد إيران لغرض منعها من امتلاك سلاح نووي ويكذب ادعاء امريكا ان ايران وافقت عام ٢٠١٥ على اتفاق صوت عليه مجلس الامن الدولي بان تخصيب ايران لايزيد على ٦،٣٪ وهو محصور بالاستخدام السلمي، اضافة إلى فتوى القائد الشهيد السيد الخامنئي (رضوان الله عليه) بتحريم تصنيع سلاح نووي، وحتى في مفاوضات ايران وأمريكا

التي سبقت عدوان امريكا الأخير وافقت ايران على مستوى من التخصيب لايزيد على(٦،٣٪). وفي تصريح آخر له يقول ترامب (عندما يمتلك أشخاص مجانين أسلحة نووية تحدث أشياء سيئة) وهذا التصريح ينطبق عليه بشكل واضح.. وعلى معياره هذا يفترض ان يمنع المجتمع الدولي امتلاك امريكا السلاح النووي. لعدم اختلاف عاقلين على ان ترامب يعاني اشد درجات الحماقة والجنون !.

٢- **تغيير النظام الإسلامي في ايران:** ومرة ترفع امريكا شعار تغيير النظام الإسلامي في إيران بالقوة العسكرية الغاشمة قسراً على إرادة الشعب الإيراني الذي اختار نظامه السياسي بإرادته، وعبّر بشكل مستمر على خياره هذا، ولعل نزول ملايين الإيرانيين بعد أحداث الشغب الأخيرة قبل الحرب المؤيدة للنظام الإسلامي والرافضة لأعمال العنف التي دعمتها وموّلتها أمريكا وإسرائيل شاهد آخر على إرادة وخيار الشعب الإيراني، ولعل نزول عشرات ملايين الإيرانيين بعد شهادة القائد السيد الخامنئي وبشكل عفوي دون تخطيط دليل آخر على طبيعة خيارات الشعب الإيراني. وتريد امريكا تغيير النظام الإسلامي في ايران لانه يرفض الهيمنة والاستبداد والاستنكار الأمريكي، للحفاظ على امن اسرائيل المولعة بارتكاب جرائم الإبادة الإنسانية وتحقيق مشروعها التوسعي العدواني بما تسميه الشرق الأوسط التلمودي !!. يقول ترامب في تصريح له (كل من يرغب في أن يصبح قائدا في إيران ينتهي به المطاف ميتا) في غطرسة وتجبّر واضح بإلغاء إرادة الشعب الإيراني المسلم، وكأنه يقول نحن من نختار بدلاً عن الشعب الإيراني، فأين صارت أكاذيبهم وشعاراتهم الماكرة باحترام حقوق الشعوب والديمقراطية !!؟. وصل تمادي الاستكبار الأمريكي انه دعم قصف موقع مجلس الخبراء لمنع الإيرانيين من انتخاب قائد جديد وفق

الآليات الدستورية والديمقراطية التي آمن بها الشعب الإيراني فان مجلس الخبراء مؤسسة منتخبة من الشعب الإيراني. حقيقة الأمور ان امريكا تريد للمسلمين ان يرضخوا لهيمنتهم ويحرموا من نيل اي تقدم تقني او علمي يمكنهم من الاستقلال في قرارهم وتلبية متطلبات حياتهم بجهود وطنية، ويريدون لنا ان تكون تبعاً وفي حاجة مستمرة لهم لكي يفرضوا مشاريعهم الخبيثة علينا وهم ولادة أخلاق جزيرة جيفري ابستين مرتع اغتصاب الأطفال وقتلهم في حفلات شيطانيّة سافلة.

المبحث الثالث: الحرب العدوانية على الجمهورية الإسلامية الإيرانية:

اولاً: الحرب العدوانية على ايران في ميزان القانون الدولي:

الرئيس الأمريكي ترامب يمارس إرهاب الدولة وجرائم الحرب ضد الشعب الإيراني. فان خطاب رئيس امريكا وتهديده الجمهورية الإسلامية بضرب البنية التحتية ومنشآت الطاقة ومرافق الخدمة العامة من محطات الكهرباء والجسور يمثل مصداقاً صريحاً لجرائم الإرهاب من الناحية القانونية، ويعكس انحداراً اخلاقياً يبيح لصاحبه تدمير كل مستلزمات الحياة وما يتوقف عليها استمرار بقاء مواطني دولة أخرى لتحقيق أهداف غير قانونية وغير إنسانية. ويعبر موقفه هذا عن حقيقة نوايا ودوافع امريكا في حربها الظالمة ضد ايران الهادفة لتحقيق أمن الكيان الصهيوني وفتح الطريق أمام مشروعه التوسعي في المنطقة وإزالة كل ممانعة تبديها الامة الإسلامية ضد هذا الطغيان والاستكبار. وقد أوضحت مضامين خطابه ومفرداته القبيحة النابية ان عدوه الرئيسي هو نفس الشعب الإيراني المسلم الرافض للخضوع والاستسلام لارادة شريرة ظالمة مستكبرة والمتمسك بإرادته الوطنية الحرّة واستقلال

قراره السيادي في ادارة شؤون بلاده. واذا كانت الإدارات الأمريكية السابقة تمارس الإرهاب ضد الشعوب المناوئة لهيمنتها وسطوتها الظالمة وتغطيه بشعارات ومقولات مخادعة، فان رئيسها ترامب يعلن بشكل رسمي وصريح عن تبنيه الإرهاب وممارسته له ويتباهى بانتهاكه للقوانين الدولية ويصف الشعوب المحترمة الرافضة لطغيانه وضحايا حروبه العبثية الأجرامية بألفاظ سيئة نابية.

ثانياً: خطاب ترامب العدواني من منظور القوانين والمواثيق الدولية.

مما قاله رئيس امريكا في خطابه: (نحن نعمل في الشرق الأوسط من اجل الحلفاء ولن نسمح بايذاء حلفائنا). وواضح انه يقصد بالحلفاء الكيان الصهيوني والاّ فان دول الخليج لايهتم ترامب بأمنهم او استقرار بلدانهم والدليل ان علاقة ايران بدول الخليج قبل العدوان الأمريكي ضد ايران كانت مستقرة. والكيان الصهيوني هو الذي شنّ حرب ظالمة في حزيران ٢٠٢٥ ضد الجمهورية الإسلامية وكرّر عدوانه على ايران نهاية شهر شباط من هذا العام في انتهاك صارخ للمواثيق والقوانين الدولية. مما يؤكد مقولتنا أعلاه ما نشرته صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية عن خبراء قولهم (وضع القوات الأمريكية في فنادق الشرق الأوسط قد يعدّ انتهاكاً لقوانين الحرب). فباعتراف الأمريكان انفسهم ان الإدارة الأمريكية المعتدية تعرّض امن مواطني دول الخليج للخطر من خلال نقل جنودها وضباطها الأمريكان من قواعدهم العسكرية ونشرهم في فنادق وسط الأهالي في تصرف وصفه الخبراء القانونيون الأمريكان انفسهم بانه يعتبر انتهاكاً لقوانين الحرب. ويعترف الرئيس الأميركي ترامب في خطابه بانتهاكه للقوانين والمواثيق الدولية بقوله: (فسوف نضرب كل محطة من محطات

توليد الكهرباء لديهم بشدة) ومن المعلوم ان قوانين الحرب تجرّم استهداف المنشآت والمؤسسات غير العسكرية وخصوصاً الخدمية منها، مما يؤكد عنجهية واجرام امريكا واستخفافها بمعاناة شعب كامل لاذنب له الاّ انه يرفض الاستسلام لارادة اجنبية معتدية تهدف سلب قراره الوطني السيادي. وقد اضاف وزير حرب امريكا في تغريدة له (العودة إلى العصور الحجريّة) ويقصد بذلك تهديد الشعب الإيراني المسلم بضرب مؤسساته الخدمية ومكتسباته التنموية التي حققها بجهد كوادره الوطنية. ويتفاخر ترامب في خطابه بتهديده بتدمير إيران اقتصادياً ومن النواحي كافة، ويتباهى ترامب بصلافة بانه دمّر الجزء الأكبر من ايران وهذه كلها جرائم حرب وفق القوانين الدولية تحاكم منفذها وتحمّله مسؤوليتها الجنائية والمدنية، وآمل ان يوثقها المسؤولون الإيرانيون في ملف شكاواهم لدى المحاكم الدولية ضد رئيس امريكا ترامب. وحتى زعيم الديمقراطيين في مجلس النواب الامريكي أقرّ بجرائم ترامب ومخالفته للقوانين والمواثيق الدولية بقوله (يجب على ترامب ان ينهي حربه المتهورة في الشرق الأوسط الان)ووصف السيناتور الأمريكي كريس فان هولين الرئيس الأمريكي (هذا الرجل الموهوم يشكل خطراً على بلدنا والعالم).

ثالثاً: أهداف أمريكا أضعاف الشعب الايراني المسلم

مع استمرار الحرب الظالمة التي تقودها امريكا وحلفاؤها الظالمين ضد الجمهورية الإسلامية تتضح أهداف الرئيس الأمريكي ترامب الحقيقية لهذه الحرب. فان قصف مدارس الأطفال والمستشفيات ومراكز الخدمة العامة كمحطات تحلية المياه ومستودعات النفط ومشتقاته والمطارات المدنية والمباني السكنية المدنية كلها

تدلل على ان هدف امريكا من الحرب تسليط ضغوط على الشعب الإيراني في حياته اليومية وزيادة معاناته الإنسانية لاهداف سياسية غير مشروعة غرضها قهر إرادة الشعوب وتبديل قناعتها بنظامها السياسي الذي اختارته بحريتها وإرادتها المطلقة..ولكن امريكا ستفشل لان الشعوب المسلمة الحرّة ترفض الخضوع للطغاة المستبدين. لقد فضحت الحرب العدوانية التي شنّتها امريكا على الجمهورية الإسلامية، فضحت شعاراتها المخادعة وعنوانيها الماكرة التي تروجها لخداع السذج كوسيلة تمهد لهيمنة الاستكبار على الشعوب المسلمة وتذويب هويتها وسحق كرامتها. فهل تتطابق شعارات حقوق الإنسان وكرامته والديمقراطية مع ما يفعله امريكا وحلفاؤها الظالمين للضغط بالآلة العسكرية لاجبار الشعب الإيراني المسلم على التخلي عن قناعاته وخياراته في النظام السياسي والقيادة السياسية التي يؤمن بها ويراها حقاً مشروعاً في تبنيه واعتماده في ادارة شؤون بلاده ؟!.ومما يزيد في فضيحة امريكا ويعري دعواتها الكاذبة هذه، أنها دعمت طيلة ثلاث سنوات جرائم الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني واللبناني وقتله اكثر من (٨٠) ألف مدني يشكل الأطفال والنساء نسبة النصف منهم تقريباً.

فهل يمكن ان يُصدّق بعد كل هذه المواقف الأجرامية لأمريكا انها فعلاً تفكر بحقوق الشعوب المسلمة او تسعى لإقامة الديمقراطية فيها او تحترم ارادتها وخياراتها الحرّة ؟.ان هدف امريكا الأساسي في المنطقة هو تمكين الكيان الصهيونى من بسط هيمنته على المنطقة الإسلامية وإخضاع شعوبها المسلمة لتسلطه وتحكّمه بمقدراتها وإدامة الصراع الاختلاف والصراع فيما بين دولها لكي يسود هو المنطقة ويحقق حلمه باسرائيل الكبرى -كما يزعمون.

رابعاً: حقيقة امريكا تكشفها أفعالها العدوانية

قبل ثلاثة شهور من العدوان الامريكي على ايران الذي حصل في ٨ نيسان ٢٠٢٦ كان خطاب المجرم رئيس امريكا ترامب دعوة الشعب الإيراني للتظاهر على نظامه السياسي الإسلامي، ولكن دعاواه الماكرة هذه فضحتها افعال جيشه الإجرامي.. فقصف المدنيين والبنية الخدمية للشعب الإيراني فهدّم اكثر من (٩٠٠) ألف وحدة سكنية لمواطنين ايرانيين !، ودمّر اكثر من (٦٠٠) مرفق علمي (مدارس وجامعات) وعشرات المستشفيات ومحطات الكهرباء والطاقة وتحلية المياه ومراكز الإغاثة الإنسانية، وقتل اكثر من (٢٠٠٠) مدني من أطفال ونساء وشيوخ ورضّع وطالبات مدرسة بلغ شهداء احد هجماته (١٦٥) طفلة شهيدة ... فتبيّن ان ترامب يهدف لتدمير حياة الشعب الإيراني في محاولة يائسة لإخضاع ارادته والقبول بهيمنته على مقدرات وقرار الدولة والشعب الإيراني المسلم، ولكنه فشل وانفضح أمره الخبيث.

واستمرت الادارة امريك برئيسها الحالي دونالد ترامب ومن سبقه يتحالفون ويدعمون أنظمة حكم غير ديمقراطية ولا تعرف التداول السلمي للسلطة، بل ينال بعضهم السلطة بالانقلاب على اقرب الناس اليه (أب، او أخ) ومثال ذلك أنظمة حكم دول الخليج والأردن وغيرها، وهذا يكشف كذب دعاوى وشعارات امريكا الماكرة في دعم الديمقراطية وحريات الشعوب. وكان موقف امريكا على اشده في داعم الكيان الصهيوني بالسلاح والمال والخبرات وتاييي الكيان الغاصب في ارتكاب مجازره وجرائم الإبادة التي نفذها بحق الشعب الفلسطيني الأعزل قتلاً وتهجيرا لملايين الأبرياء من النساء والشيوخ والأطفال، وما يفعله بالشعب اللبناني من تدمير لمنازل المواطنين وضرب البنية الخدمية وتهجير مايقارب مليون مدني من اللبنانين

عن منازلهم ومناطقهم .... فهل يصدق عاقل بشعارات وأكاذيب ترامب وأمريكا المستكبرة بعد هذه الجرائم البشعة ؟!. ان كل هذه الحقائق تفرض على الشعوب المسلمة ان تتوحد مواقفها لرفض سياسة امريكا المستكبرة وفضح سلوكها المنافق والعودة إلى حكم الإسلام الذي يضمن تطبيقه كرامة الإنسان وسعادته ودفع الظلم والطغيان عن ساحة ومجتمعات الملتزمين بتعاليمه ... فالتزام الإسلام الأصيل في حياة الشعوب يمنح راحة الضمير ويهذب سلوك الإنسان ويضبطه بالاعتدال والإنصاف ورعاية حقوق الإنسان ويمنعه عن ظلم الآخرين.. وان إساءة الخلق مع الآخرين مصدر عذاب لنفس الظالم والمعتدي، فما ضرّ الإنسان لو جنّب نفسه وأخاه الإنسان الآخر عذابات سوء الخلق ووخز الضمير ؟.

خامساً: حق ايران القانوني في مواجهة العدوان الأمريكي الصهيوني:

ضرورة تنوع أساليب مواجهة العدوان الأمريكي الصهيوني على الجمهورية الإسلامية الإيرانية ولا تقتصر على أساليب الدفاع العسكري والأمني، ولابد من تفعيل السبل القانونية والقضائية لتجريم المعتدي (امريكا والكيان الصهيوني) في المحاكم الدولية المعنية وندرج بعض القواعد القانونية التي توفر أساساً لهذا النشاط الضروري:

١- نصّت اتفاقية جنيف الرابعة وبروتوكولاها الإضافيان على حظر وتجريم استهداف المستشفيات والمدارس والجسور ويعدّها نظام روما الأساسي جريمة حرب، وقد نفذ العدوان الأمريكي الصهيوني هجمات عدائية على مدارس وجامعات أوقعت عشرات الشهداء والجرحى ومن الأطفال، وأعترف الرئيس الأمريكي في تصريح رسمي بتوجيه ضربة جوية إلى جسر في مدينة كرج الإيرانية بقوله (اكبر

جسر في إيران ينهار ولن يستخدم مجدداً ابداً والمزيد قادم في الطريق). واعتراف الأمريكي وسيلة اثبات كافية لأدانته وتجريمه.

٢- تلزم اتفاقيات جنيف بالامتناع عن استهداف المرافق الطبية من مستشفيات ومصانع أدوية وتعدّ ارتكابها جريمة حرب يحاكم منفذوها جنائياً ويتحملون المسؤولية المدنية عن الأضرار الناجمة عن تلك الجرائم وقد استهدف العدوان الأمريكي المستشفيات ومصانع الأدوية ومعاهد البحوث الطبية وهي موضوعات لقضايا يمكن تحريكها لدى المحاكم الدولية المعنية.

٣- نظمت اتفاقية جنيف الرابعة وبروتوكولاها الإضافيان الحماية للمدنيين وممتلكاتهم،وعدّت استهدافهم عمداً جرائم حرب، وقد استهدف العدوان الأمريكي الصهيوني يوم امس أماكن تنزه للمواطنين المدنيين في مدينة كرج الإيرانية وكذلك تعمّد تكرار قصفهم للجسر في مدينة كرج مرة ثانية بعد حضور المسعفين لإنقاذ المصابين من جراء الاعتداء، ناهيك عن هجماتهم المتكررة على المباني السكنية المدنية التي أوقعت اكثر من (٢٠٠٠) شهيد من المدنيين وهدّمت اكثر من (مليون) وحدة سكنية مدنية.

٤- حظرت الفقرة الثانية للمادة (٥٢) من البروتوكول الإضافى الأول لعام ١٩٧٧ الاعتداء على كل من المنازل والمدارس والجامعات والمستشفيات والجسور والمنشآت الهندسية والمصانع وموارد مياه الشرب ومنشآت الري ومحطات توليد الطاقة الكهربائية وعدّت استهدافها العمدي جرائم حرب، وقد قصف العدوان الأمريكي الصهيوني مصانع ذات طابع مدني ومحطات كهرباء ومحطات تحلية مياه وجسور، فهذه مواضيع أخرى لقضايا قضائية يمكن تقديمها للمحاكم الدولية المعنية.

٥- حددت المادة (١٤٧) من اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ الانتهاكات الجسيمة للاتفاقية، ويعتبر تدمير واغتصاب الممتلكات غير العسكرية انتهاكا جسيماً لاحكام الاتفاقية. وتلزم المادة (١٤٦) من نفس الاتفاقية بفرض عقوبات جزائية فعّالة على مرتكبي المخالفات الجسيمة أو الذين يصدرون الأوامر باقترافها، وتقديمهم للمحكم ويندرج ضمن هذه الأعمال العدائية تهديد امريكا بالاستيلاء على جزيرة خرج الحيوية بمواردها للشعب الإيراني (لأنها ضرورية لبقاء السكان المدنيين، الذين لا نكتمل حمايتهم كسكان مدنيين إلا بتوفير الحماية الكافية لهذه الأعيان التي لا غنى عنها في إعاشتهم واستمرار بقائهم كما نصّت القوانين الدولية).

٦- ويؤيد ما ذكرناه في الفقرة أعلاه (رقم ٥) ما جاء في المادة (١٤٧) من نفس الاتفاقية التي تعدّ تدمير واغتصاب الممتلكات الضرورية لحياة المواطنين من المخالفات الجسيمة ويفرض على مرتكبيها عقوبات جزائية فعالة.

٧- من الأعمال التى تعد خرقا لقواعد القانون الدولى الإنساني استهداف المنشاة والأهداف التي تحتوي على قوى خطرة تترتب عليها آثار تدمير للإنسان وبيئته ، وهي تشمل المنشآت التي تحتوي على قوى خطيرة في السدود والجسور والقناطر والمحطات النووية المستعملة في توليد الطاقة الكهربائية وقد تورطت امريكا والكيان الصهيوني بارتكاب هذه الجرائم من خلال استهداف محرّمات محطة بوشهر النووية وعلّقت وكالة الطاقة الذرية الدولية على هذا العدوان ووصفته بانه جريمة حرب، وهذه شهادة من جهة فنية مختصة دولية.

المبحث الثالث: عدوان الكيان الصهيوني على لبنان

أولاً: جرائم العدوان الكيان الصهيوني على لبنان

ارتكب الكيان الصهيوني نهار يوم ٨ نيسان ٢٠٢٦ جرائم إبادة بحق المدنيين اللبنانين تماثل جرائمه المروعة ضد غزة، فقتل واصاب مئات الشهداء والجرحى مستهدفاً مباني سكنية ومراكز اغاثة صحية وحتى موكب تشييع جنازة !!. ان الشيعة في المنطقة مطالبة بنصرة وإغاثة اخوانهم المظلومين في لبنان دو تأخر وبكل وسيلة ممكنة وكل حسب استطاعته وقدرته، فلا يمكن السكوت والقعود عن دفع الظلم والعدوان والاستهتار بالأرواح البريئة من نساء وأطفال وشيوخ وبهذه الأعداد الكبيرة. وتشترك امريكا بهذه الجرائم من خلال إعطائها الضوء الأخضر للكيان الصهيوني بتنفيذ جرائم الحرب هذه، وتتحمل دول أوروبا مسؤولية واضحة بسبب دعمها المستمر للكيان الصهيوني وإسنادها له بمواقفها السياسية وتغطيتها على جرائمه ودعمها العسكري والأمني للكيان الغاصب. ولماذا تغض الشعوب المسلمة النظر وتتقاعس عن نصرة اخوانهم المظلومين ولو بفعاليات سلمية وإعلامية تخلق من خلالها رأي عام يضغط على المتخاذلين ويحرج الدول الداعمة لإجرام الكيان الصهيوني. (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه) (ومن سمع رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم). فقد ذكرت الاحصائيات الرسمية ان العدو الأمريكي الصهيوني الحق الدمار والضرر :بأكثر من (١٠٠) ألف وحدة سكنية، (٢٣) الف وحدة تجارية، (٣٢) جامعة، (٨٥٧) مدرسة، (٢٠) مركز للهلال الأحمر. اما ما حصل في لبنان فان واحدة من جرائم الكيان الصهيوني وهو العدوان ضد لبنان يوم الأربعاء الموافق (٨/٤/٢٠٢٦) أدّى إلى استشهاد اكثر من (٣٠٠) شهيد

من المدنيين النساء والأطفال والشيوخ وأكثر من (١٠٠٠) جريح وتهديم عشرات الوحدات السكنية ومراكز الإغاثة الطبية والإنسانية.

وفي موضوع العقوبة على جرائم الحرب لا تقتصر العقوبات على القادة، بل تشمل أي فرد يرتكب أو يأمر بارتكاب الانتهاكا وينطبق عليها مبدأ عدم التقادم: اي ان جرائم الحرب لا تسقط بمرور الزمن، مما يسمح بملاحقة المجرمين في أي وقت. فسلوك الطرق القانونية في معاقبة قادة أمريكا والكيان الصهيوني السياسيين والعسكريين متاحة وان لم تتحقق الان فيمكن تحققها ولو بعد حين مادام القانون الدولي يتيح ذلك.

ثانياً: رسالة الى المقاومة الاسلامية في لبنان :

رسالة من مواطن إلى الجيش اللبناني الشقيق : ليكن حاضراً عندكم دائماً موقف المقاومة الإسلامية في لبنان (حزب الله) في حماية لبنان طيلة عقود من الزمن من مؤمرات الصهاينة التوسعية ودفاع المقاومة الإسلامية المشرف وتضحياتها الغالية وإنجازاتها العظيمة بتحرير لبنان من الاحتلال الصهيوني المقيت.

ان المقاومة الإسلامية اليوم تنهض بمهمة شريفة مكملة لمهمة الجيش بالدفاع عن سيادة لبنان وحماية أرضه من دنس الصهاينة الغزاة، والتصدي بشجاعة وبسالة منقطعة النظير لتحطيم مشروع اسرائيل الكبرى الذي تهدف اسرائيل لتحقيقه على أراضي اوطاننا العربية والإسلامية وبدعم مباشر من امريكا. نرفض اي جهود تضعف موقف المقاومة الإسلامية في لبنان او التأخر في دعمها وإسنادها ولو معنوياً وبرفض التجاوب مع ما تعلنه الحكومة من خطوات خاضعة لإملاءات العدو المشترك اسرائيل

وامريكا فان نتائجه المستقبلية شديدة الضرر على سيادة لبنان وأمنه.

لا يغيب عن ذاكرت الشرفاء مواقف امريكا باضعاف تسليح الجيش اللبناني وسعيها الدائم بمنع تطوير الجيش بما يؤهله لردع العدوان الصهيوني على بلدكم وشعبكم، وحتى عندما اقترحت المقاومة نقل تسليحها إلى عهدة الجيش اللبناني ليكون مورد قوة له رفضت امريكا نزولا عند رغبة اسرائيل وفضّلت تدميره على ان يذهب لمخازنكم، لأنهم لايريدون جيشاً قوياً في لبنان يردع العدوان والاستهتار الصهيوني. لقد لاحظتم ولاحظنا ان المقاومة الإسلامية وخلال عقود عديدة حققت إنجازات عظيمة وبلغت مستويات عالية من القدرات والخبرات ولكنها وظّفتها دائماً للمصلحة الوطنية اللبنانية ولم تسخّرها لمكسب فئوي ضيق ولم تتقوى بها على شركاء وطنها سياسياً او إجتماعيا... ولو كان غيرها قد امتلك هذه القوة والقدرات لكان سلوكه مغايراً ولم يؤمن من تسخيره للتمدد على شركائه في الوطن. لقد كان الشهيد السعيد قائد المقاومة السيد حسن نصر الله (رضوان الله عليه) يعوّل على موقفكم الوطني ووعيكم لمخاطر مخططات اسرائيل بالتمدد والهيمنة على أراضيكم وانتهاك سيادة بلدكم فكونوا عند حسن ظن أبناء شعبكم واخوانكم الأحرار من شعوب المسلمين والعرب داعمين لمن يدافع ويضحي بنفسه واستقرار بيئته وأهله عن سيادة بلدكم وتحرير بلدكم من الاحتلال البغيض .

المبحث الرابع: العدوان الامريكي الصهيوني على العراق

أولاً: العدوان الامريكي الصهيوني على العراق:

تتكرر بشكل يومي هجمات أمريكا والصهاينة الجوية ضد مواقع القوات

الامنية العراقية وتوقع شهداء وجرحى دون رد فعل وطني مناسب من السلطات العراقية يتناسب مع خطورة هذه الاستهدافان وتأثيراتها على الأمن الوطني العراقي.

تتعمد أمريكا أضعاف اجراءت وخطط القوات الأمنية العراقية خدمة للجماعات الإرهابية.

صعّدت امريكا من أساليب هجماتها وبدأت تستهدف الكاميرات الحرارية في قواطع الحشد الشعبي (التي توفر ميزة الرصد الليلي الدقيق، وكشف التسلل والتمويه، وتوفير رؤية واضحة عبر الدخان والظلام والظروف الجوية السيئة، وتعزز هذه الكاميرات الوعي الظرفي للأمن، وتزيد من فاعلية القوات الحدودية في منع التهريب عبر كشف البصمات الحرارية للأهداف على مسافات بعيدة) نطالب بالتالي:

١- تفعيل السبل القانونية والقضائية في تقديم شكاوى لدى القضاء العراقي ضد المعتدين وإصدار احكام قضائية تدين افعالهم ومحاكمتهم على أفعالهم الإجرامية البشعة.

٢- ان يكلف البرلمان لجنة الأمن والدفاع او يشكل لجنة تحقيقية من أعضائه تبادر فوراً لزيارة قواطع المسؤولية المستهدفة وتقف على حجم الأضرار وتقيّم المخاطر المترتبة على هذه الاعتداءات ويتخذ البرلمان قرارات حازمة في حماية القوات الأمنية العراقية وردع المعتدين.

٣- نشر التقارير المذكورة للرأي العام العراقي والعالمي لتوضيح مخاطر هذه الهجمات العدوانية على قواتنا الأمنية واستقرر البلد الأمني وإحراج امريكا وبيان ان افعالها هذه تهدف لإحداث خروقات تسهل نفوذ الجماعات الإرهابية خصوصاً مع استهدافها للتقنيات الأمنية التي تمكّن قواتنا من رصد وكشف تحركات وتسلل

الجماعات الإرهابية على الحدود او في المناطق الأمنية الحساسة.

٤- ان تعبّر الفعاليات السياسية والاجتماعية عن مواقف الإدانة الشديدة وبالأساليب القانونية والسلميّة الدستورية بزخم يحرج الأمريكان ويفضح مخططاتهم الهادفة لإضعاف منظومتنا الأمنية وارباك خططها في حماية أمن البلد وتعزيز خطط حماية حدوده من تسلل الجماعات الإرهابية المتطرفة.

ثانياً: ضرورة وحدة الموقف الرسمي العراقي:

ضرورة توحد السلطات العراقية بموقف قانوني يردع اعتداءات امريكا والصهاينة المتكررة ضد القوات الأمنية العراقية. بعد تكرار هجمات أمريكا والكيان الصهيوني باستهداف القوات المسلحة العراقية الرسمية (ومنها الحشد الشعبي) في المناطق الحدودية العراقية يهدف لأضعاف إجراءات الدولة العراقية في تأمين الحدود والخطط الدفاعية المانعة من حدوث ثغرات ينفذ منها الإرهاب المدعوم من دول الاستكبار. ويدلل على كذب دعاوى امريكا بمحاربة الإرهاب وتنسيق المواقف مع الحكومة العراقية لمحاربة المنظمات الأرهابية المتطرفة، فكيف تنجح جهود محاربة الإرهاب وتصدق إذا يتم استهداف القوات التي حاربت الإرهاب وأحبطت مخططاته التوسعية في المنطقة !؟. كل الدلائل تتكرر وتتكاثر يوما بعد يوم على ان هدف امريكا الأساسي في المنطقة إضعاف كل قوة وطنية شجاعة تتصدى للإرهاب وتحاربه، وتسعى امريكا بكل مواقفها السياسية والميدانية لتقوية وترجيح كفة الكيان الصهيوني وتمهيد الطريق لتوسعة هيمنته على المنطقة العربية والإسلامية. من المهم ان تتوحد مواقف السلطات العراقية الرسمية والقوى السياسية الوطنية والفعاليات

الاجتماعية بإدانة وشجب هذه الاعتداءات الإجرامية ضد المؤسسات الأمنية العراقية الرسمية، وتُسلك كل السبل القانونية لمحاسبة المعتدين ومنع تكرار جرائمهم فأنّ الموقف لايحتمل المجاملة او السكوت او الاكتفاء بمواقف تنديد انشائية لا تتحول إلى إجراءات قانونية ودبلوماسية رادعة لتلك الاعتداءات الإجرامية.

ثالثاً: تضافر الجهود الرسمية والشعبية في العراق :

ان تزايد الهجمات الأمريكية الصهيونبة على مواقع ومقرات الحشد الشعبي في العراق خلال الأيام الماضية يدلل على وجود خطة خبيثة مبيّتة تهدف لاضعاف إجراءات قواتنا الأمنية الدفاعية لمواجهة اي تحرك أرهابي ينطلق من خارج الحدود وبتنسيق مع مجاميع ارهابية داخل العراق، ضمن سيناريو احداث تغيير سياسي في العراق عن طريق جماعات الإرهاب والعنف مدعومة بإسناد أمريكي صهيوني. نطالب البرلمان والحكومة اتخاذ مواقف شجاعة دون تردد لحماية الامن الوطني العراقي واستقرار البلاد، فالموضوع وصل إلى حدود لا يحتمل السكوت عنها او الاكتفاء بمجرد التنديد ببيانات انشائية باهتة. على البرلمان والحكومة اعتماد السبل القانونية والقضائية لدى مجلس القضاء العراقي والدبلوماسية من خلال قنوات المؤسسات الدولية المختصة بتقديم شكاوى على الجهات الأجنبية المعتدية وإدانتها.ولا أدري اين دور البرلمان الممثل للشعب ولجانه المختصة في مواجهة هذه المخاطر والتهديدات الأمنية وردعها.؟! ان عدد الشهداء والجرحى الذي فقدناهم جراء الهجمات الارهابية الصهيونية الأمريكية تساوي ما تقدمه جيوش في حرب. هل يصعب على البرلمان ان يعقد جلسة خاصة لمناقشة سبل ردع الاعتداءات المستهدفة

لقواتنا الأمنية او إرسال لجنة من اعضائه لزيارة القواطع المستهدفة تنقل للرأي العام المحلي والدولي ميدانيا مايجري من محاولات لاضعاف الخطط الامنية العراقية مقدمة لتمكين الجماعات الارهابية من التسلل والنفوذ عبر حدود العراق لتنفيذ عدوان ارهابي مدعوم من الكيان الصهيونى الغاصب. ولايفوتني التذكير بان حضور الشعب في الميدان وبفعاليات سلمية واسعة ومتكررة ستمنح دعماً لقواتنا الامنية وتحرج المعتدين وتفضح مخططاتهم العدوانية وتفشلها. وليتعلم الساسة الشيعة العراقيون وأعضاء البرلمان من شجاعة رئيس برلمان لبنان (نبيه بري) في موقفه الوطني برفض إملاءات الأجنبي وتدخلاته في الشأن اللبناني.

رابعاً: الحرب الاقتصادية ضد العراق:

تكرار الإدارة الأمريكية اخطائها السابقة في التعامل مع العراقيين يخسرها الكثير ويزيد نقمة الشعب على سياساتها.

نشرت صحيفة "وول ستريت جورنال"، (أن وزارة الخزانة الأمريكية منعت مؤخرًا تسليم شحنة جوية تبلغ قيمتها نحو ٥٠٠ مليون دولار من الأوراق النقدية الأمريكية التي تمثّل هذه الأموال عائدات مبيعات النفط العراقي المودعة في حسابات لدى بنك الاحتياطي الفيدرالي في نيويورك، وهي الشحنة الثانية من الدولار التي تؤجل امريكا إرسالها إلى البنك المركزي العراقي منذ اندلاع حربها ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية).

ان هذا القرار يفتقر إلى الأساس القانوني ويرقى إلى سلوك عدواني يستهدف تضييق الخناق الاقتصادي على الشعب العراقي ويتنافى مع خطابات المسؤولين

الأمريكان المعلنة بإقامة علاقات إيجابية مع العراق. وللأسف تكرر الإدارة الأمريكية أخطاءها في التعامل مع الشعب العراقي غير مكترثة بالاضرار والآثار السلبية الناتجة عن هذه القرارات غير القانونية وغير الإنسانية. ان استمرار الإدارة الأمريكية باعتماد هذا النهج العدائي للشعب العراقي سيخسرها الكثير وتزداد نقمة العراقيين على سياساتها المنعكسة على اقتصاد المواطن العراقي واستقراره المعيشي. وتدارك الإدارة الأمريكية لهذا النهج الخاطيء وغير الإنساني بمعاقبة الشعب العراقي والتراجع عنه يجنبها الوقوع في مخالفة القوانين والمواثيق الدولية التي تجرّم عقوبة الشعوب بادوات الضغط الاقتصادي ويخرجها من دائرة التناقض والكيل بمعايير مزدوجة غير عادلة. ونطالب البرلمان والحكومة العراقية بالتفكير الجدي في البحث عن بدائل وآليات تعامل تقلل ضرر مثل تلك القرارات غير الإنسانية وفق استراتيجية علمية مدروسة ترفع عن العراقيين آثار سياسة الابتزاز والمساومة على مصادر إيراداته الوطنية.

خامساً: دور مجلس النواب العراقي:

يتحمل البرلمان العراقي مسؤوليته الوطنية والأخلاقية بادانة ومساءلة المعتدين على القوات الأمنية العراقية قضائياً إزاء ما يمارسه العدوان الأمريكي الصهيوني من أبشع أساليب الإجرام وأشدّها تسافلاً وانحطاطاً ضد القوات الأمنية العراقية الرسمية، فبعد تنفذه لهجمات جوية استهدفت قوات الحشد الشعبي المرابطة على الحدود العراقية التي تدافع عن الوطن كرّر قصفه الجوي خلال محاولة اسعاف وإخلاء الشهداء والجرحى مستهدفاً المسعفين، وعند محاولة الإسعاف مرة أخرى كّرر العدو

الغاشم قصفه الجوي مرة ثالثة في سلوك همجي إجرامي يفضح شعاراته الماكرة وخطاباته المخادعة !! فلماذا يتم استهداف قوات عراقية مؤسساتية رسمية تدافع عن العراق وترابط على الحدود لمواجهة خطر الإرهاب وجماعات التطرف ؟!. ومع انعقاد جلسة البرلمان غداً، يجب على البرلمان اتخاذ موقف وطني شجاع لإيقاف هذه الجرائم المهددة للأمن الوطني العراقي وتشكيل لجنة برلمانية تتابع تقديم شكوى لدى القضاء العراقي ضد الجهات المعادية المنفذة لتلك الهجمات الاجرامية، وإدانتها ومساءلتها وفق القانون العراقي خصوصاً وان العدو يعلن مسؤوليته – وبوقاحة – عن تنفيذ هذه الجرائم. ان هذه الإجراءات القانونية لملاحقة المعتدين وإدانتهم قضائيا تمثل ادنى مستويات امتثال البرلمان لمسؤولياته القانونية والوطنية والأخلاقية.

سادساً: دور كتلة(الاطار التنسيقي)النيابية:

رسالة إلى الاطار التنسيقي وهو الكتلة التشريعية الاكبر في مجلس النواب العراقي إدرسوها بجدية ونظرة استراتيجية ان تكرار وتزايد سعة هجمات التحالف الأمريكي – الصهيوني لمقرات الحشد الشعبي خصوصا المرابطة على حدود سوريا هي فقرة ضمن خطة أوسع تستهدف تقويض الامن والاستقرار في العراق. وبدأت آثاره السلبية امنياً تتضح حينما نشر مقاتل من الحشد الشعبي انسحاب عناصر الجيش العراقي من نفس الموقع الذي يشترك في مسؤوليته عناصر الحشد الشعبي والجيش العراقي .... ولابد من مراعاة الملاحظات التالية:

١- التأكد من صحة ما نُشر في هذا الفيديو، واذا ثبت حصوله فان أوامر الانسحاب من المواقع المقررة في خطط العمليات المشتركة لايستطيع ضابط برتبة (غير

عالية) إصداره، فضروري التحقيق في من يصدر مثل هذه الأوامر.

٢- على الإطار التنسيقي اتخاذ موقف سياسي شجاع موحد تتبناه الحكومة بحزم في بيان عدوانية هذه الهجمات الأمريكية وإخطار الجانب الأمريكي بالطرق الرسمية بذلك، وتناقض هذه الاعتداءات مع السيادة الوطنية وتهديدها لأمن البلاد وخطورتها على إجراءات الدولة العراقية في تأمين حدودها من تهديدات الجماعات الارهابية والمتطرفة.

٣- توجيه الإطار التنسيقي كتلته النيابية الأكبر في البرلمان باستصدار قرار نيابي يدين هذه الهجمات العدائية الأمريكية ضد قواتنا المسلحة، وتشكيل لجنة برلمانية تُعدّ الإجراءات المطلوبة لتقديم دعاوى قضائية لدى القضاء العراقي لإدانة هذه الهجمات العدوانية ومساءلة مرتكبيها ومن اصدر أوامر تنفيذها ضد قواتنا الأمنية الرسمية.

٤- اخطار وزير الخارجية بتحمّل مسؤوليته الوطنية والقانونية باستدعاء القائم بالأعمال الأمريكي وإبلاغه رسالة تنديد وإدانة لهده الأفعال الاجرامية ... فهل يعقل ان يمارس وزراء خارجية دول الخليج (وهي منطلق العدوان على ايران) هذا الموقف مع سفير إيران مع ان ايران ضحية اعتداءات تسهم دول الخليج بتوفير ارضيتها.. ونحن نتردد بإبلاغ موقفنا الرسمي القانوني العادل بالدفاع عن قواتنا الأمنية المرابطة على الحدود دفاعاً عن الدولة والشعب والعملية السياسية.

٥- وألفت أنظار الإطار التنسيقي إلى التفكير بجدية الخطورة التي تمهد لها هذه الهجمات العدائية الاميركية ضد قواتنا المسلحة، فمع ملاحظة خطط امريكا والكيان الصهيوني للمنطقة وعدائها للشيعة ومحاولاتهم باضعاف اي قوة شيعية

في المنطقة ودعمهم لجماعات التطرف في سوريا وتلميع صورتها دولياً كلها مؤشرات مقلقة على وجود نيّة مبيتة ضد العراق وشيعته قد تكون السيناريو اللاحق لحربهم ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

٦- ضرورة اعتماد آلية انتشار ومسك قواطع مشترك في جميع المواقع والنقاط الحدودية لنضمن زخم أقوى في حماية الحدود العراقية ولقطع الطريق على خطط امريكا المستهدفة اضعاف خطوط الصدّ والدفاع المتقدمة لحماية حدود البلاد وأمنه.

٧- ولكي يأخذ موقف الإطار التنسيقي زخماً أشدّ وتأثيراً أقوى فنقترح ان يوجّه الاطار التنسيقي دعوة لسفراء الدول العاملة سفاراتها على ارض العراق وبيان موقف الاطار الرافض لانتهاك سيادته الوطنية واستهداف قواتنا المسلحة واضعاف جهودها بالدفاع عن حدود البلاد، وتغطية هذه الفعاليات السياسية ونشر مضامينها على أوسع ميدان إعلامي إقليمي ودولي.

المبحث الخامس : المواقف الوجودية في ساحة الصراع :

اولاً الشهادة والمقاومة عنوان النصر:

ان استشهاد القادة الإيرانيين في المعركة فضح المشاريع الغربية المعدّة للمنطقة الإسلامية. لان فضح التضليل والأكاذيب يحتاج إلى إثمان باهضة ترفع الغشاوة عن الأبصار وتكشف زيف الاعداء ودعاواهم المخادعة، فكانت تضحية واستشهاد القادة في إيران وعلى اعلى المستويات الدينية والسياسية والعسكرية والفكرية والعلمية صدمة هزّت الضمائر الحائرة والعقول المستغفلة فتنبهها لحقيقة دوافع العدوان

الأمريكي الصهيوني واهدافه الخبيثة بإخضاع إرادة الامة وخياراتها لمشاريعهم الظالمة. وأوضحت هذه الدماء الشريفة (شهادة السيد القائد الخامنئي وأفراد من عائلته الكريمة، وشهادة المفكر الإسلامي الدكتور علي لاريجاني وولده الدكتور مرتضى، وعشرات القادة من وزراء وكبار مسؤولي الأجهزة العسكرية والأمنية والجامعات العلمية التخصصية) ان النظام الإسلامي يصنع قادة يتقدمون ويسبقون الأمة في التضحية ومواجهة الأخطار المحدقة بها.. يجودون بأنفسهم وبأعزتهم من الأولاد والزوجات والأحفاد لكي يدفعوا الشرور عن بلدهم وشعبهم. فأسقطوا عملياً أهداف أمريكا بأسقاط النظام الإسلامي في ايران وتغييره !! فكيف يقتنع الشعب الإيراني باستبدال نظام سياسي يصنع قادة يتقدمون مسيرة العطاء ويتفانون بكل وجودهم لخدمة شعبهم ودفع الأخطار الأجنبية عنه ؟! ويدرك عندها الشعب الإيراني الكريم ان هدف أمريكا تغييب هذا النظام واستبدال هؤلاء القادة المخلصين الصادقين بعملاء يرتبطون بمشروع امريكا الذي يهدف لتجهيل الامة وسلب قدراتها في بناء مشاريع تنموية مستقلة تستغني بجهودها الوطنية في تحقيق الاكتفاء الذاتي على جميع أصعدة الحياة ومتطلباتها الكريمة عن التبعية المذلّة للمستكبرين من خريجي ثقافة جزيرة جيفري إبستين الفاحشة.

كانت شهادة القائد الشهيد السيد الخامنئي (رضوان الله عليه) دليلاً قاطعاً على تمسك الشعب الإيراني بنظامه وقيادته الإسلامية على الرغم من الأثمان الباهظة التي تحمّلوا ضريبتها طيلة خمسة عقود من يوم انتصار الثورة الإسلامية المباركة. فتفاعل عشرات ملايين الإيرانيين وبشكل عفوي ومباشر بعد إعلان شهادة السيد القائد الخامنئي وتعبيراتهم المتعددة بصدق وعفوية على الإيمان والالتحام مع قيادتهم

الدينية كشف قباحة شعارات المجرم ترامب وأعوانه الظالمين نتنياهو وأشباهه ودعواتهم الباطلة للشعب الإيراني بالاحتجاج والتظاهر ضد النظام الإسلامي وقيادته. بل ان شعوبا أخرى كالعراقي والباكستاني ومواطني دول أخرى كالبحرين والهند ولبنان وغيرها عبّرت عن مواقف غاضبة ضد المجرمين الذين ارتكبوا تلك الجريمة البشعة مما يدلل على امتداد وتوسع التأييد من خارج حدود الجمهورية الإسلامية الإيرانية للقائد الشهيد.. ولو فتشت تجارب دول العالم وأنظمتها السياسية فلا تجد من يتعاطف ويؤيد بهذا المستوى من شعوب أخرى لقائد دولة أخرى.

ان دماء السيد الشهيد الخامنئي أسقطت ميدانياً وبالفعل الحي أكاذيب ودعاوى ترامب وأعوانه المجرمين بدعمه لخيارات الشعب الإيراني في التغيير، وأكّدت ان أهداف امريكا ولقيطتها إسرائيل هو تعزيز امن الكيان الصهيوني وترجيح هيمنته على منطقة الشرق المسلم. فهل تنتبه شعوب المنطقة لما يدّبر لها من خطط شيطانية تهدف لفرض هيمنة سفاحين ومجرمين ومدمني الإبادات الجماعية للشعوب المستضعفة (كفلسطين) على دولهم ومقدراتهم الاقتصادية وتذويب هويتهم الوطنية والدينية وإلحاقهم بركب الحضارة المادية المستمدة أخلاقياتها من بروتكولات وفعاليات أمثال جزيرة جيفري إبستين مغتصبي الأطفال والمتلذذين بقتلهم في حفلات شيطانيّة سافلة !؟

ثانياً: عدم الثقة بالمنظمات الدولية: مرّة أخرى يفتضح الغرب المستكبر ويكيل بمكيال الحيف والظلم ضد الشعوب المظلومة، إذ اصدر مجلس الأمن قرارا بإدانة سلوك ايران الدفاعي المشروع بالرد على مصادر العدوان الذي استهدف شعبه مدنيين ومدارس أطفال وقطاعات خدمية من مستشفيات ومحطات تحلية مياه

ومصارف مدنية تقدم الخدمات للمدنيين الإيرانيين. وتعمدت غالبية دول مجلس الأمن (الظالم) تجنب الإدانة او النقد للحرب العدوانية الأمريكية الصهيونية على ايران التي تدافع عن حقوقها المشروعة وسيادة بلدها وحماية امن شعبها. ومجلس الامن الدولي يرتكب خطيئة جديدة بالانحياز للظالمين ضد المظلومين. فأمريكا التي تبرر حربها على ايران لمنعها من امتلاك الحق الذي أقرته القوانين والمواثيق الدولية بامتلاك التقنية النووية السلمية هي تملك اكبر ترسانة نووية حربية في العالم وتدافع عن الكيان الصهيوني الذي يمتلك هو الآخر ترسانة نووية حربية ضخمة ويمتنع عن الانضمام للاتفاقيات الدولية المنظمة لامتلاك هذه الأسلحة او الالتزام بمقرراتها.

نذكر شعوب المنطقة وخصوصا تلك التي تحتضن أراضيها قواعد امريكا العسكرية ان هذه الحرب الظالمة التي أوقدت امريكا نارها تهدف لتقوية اسرائيل الغاصبة وترجيح كفتها الأمنية على جميع شعوب وانظمة البلدان العربية والإسلامية فلايصح السكوت على هذه التصرفات العبثية التي تتخذها حكوماتكم وتدفعون انتم ضريبتها وثمنها عوضاً مؤلماً لحماية امن الكيان الصهيونى الذي لم تجفّ دماء مجازره الهمجية ضد اخوتكم المسلمين في غزة ولبنان وايران الإسلامية . وليعلم الجميع ان دعم الجمهورية الإسلامية في حربها المشروعة ولو بالموقف السلمي والكلمة الحرة المنتصرة للحق هو تحصين لأمن شعوب المنطقة المسلمة واحباط لمخططات الهيمنة الصهيونية بالسيطرة على مقدرات المنطقة وقراراتها وإخضاع شعوبها للاستعباد والاذلال.

ثالثاً: تظافر المواقف الإسلامية والعربية:

ان المواقف استباقية إسلامية عربية مطلوبة لإحباط مشروع اسرائيل الكبرى. ومن المهم ان تبادر دول وشعوب المسلمين والعرب بمواقف رسمية وشعبية مضادة للحرب الظالمة التي تقودها امريكا واسرائيل ضد المسلمين اليوم. فان خطط العدو تتضمن حلقات وخطوات يتبع بعضها بعضاً، فبدأوا عدوانهم على الجمهورية الإسلامية الإيرانية لكونها الأقوى ممانعة لمشاريع الصهيونية في المنطقة ومدعومة مواقفها بزخم شعبي قوي، لذلك تحولت أساليب امريكا والصهاينة لاستهداف البنية التحتية والمؤسسات الخدمية التي ترتبط بحياة الشعب الإيراني مباشرة في محاولة يائسة لكسر إرادة الصمود الشعبي الإيراني المبارك . فإذا اتحدت مواقف دول إسلامية وشعوبها لإدانة العدوان الأمريكي الصهيوني وارتفعت اصواتهم برفض العدوان في المحافل الدولية والميادين الشعبية فان ذلك سيحبط بقية حلقات المخطط الصهيوني باضعاف واستهداف دول أخرى مثل تركيا وباكستان ومصر.

ان هذه الدول المسلمة الثلاث تمتلك عوامل قوة سياسية واجتماعية وعسكرية إذا اتحدت على تفعيل المواقف المضادة للمشروع الصهيوني ولو على مستوى الفعل السياسي والشعبي والإعلامي الفاضح لانحياز أمريكا ودعمها لإسرائيل في مشروعها التوسعي في المنطقة الإسلامية فان ذلك كفيل بتهديم مخططات الصهاينة في التمدد والتوسع الذي يسعون لتنفيذه على الواقع الإسلامي. ان أقوى عوامل إحباط مخططات وأحلام الصهيونية في فرض هيمنتها على شعوب المسلمين ودولهم هو وحدة الموقف السياسي لدول المسلمين وخصوصا الفاعلة منها كتركيا وباكستان ومصر، والتحام مواقف شعوبها المعروفة تاريخيا برفض الاستعمار ومكافحة الاستكبار والظلم

والطغيان. ان غياب مواقف الدول والشعوب الإسلامية في الممانعة لمشاريع الصهاينة ولو على المستوى السياسي والإعلاميّ والشعبي سيفتح الطريق ممهداً لمخططات أعداء الأمة امريكا والكيان الصهيوني فلا تتأخروا في اتخاذ مواقف ايسر كلفة اليوم قد تحتاجون لدفع ضريبة اعلى في قادم الأيام إذا جاء ردكم على مخططاتهم متاخراً.

ثالثا: الموقف العربي الخليجي:

تتحمل شعوب الخليج تبعات حرب ظالمة ليس لها فيها (ناقة ولا جمل) كما يعبرون أوقد نارها المعتدي الأمريكي والصهيوني ضد دولة وشعب مسلم جار لكم. ولا توجد مشاكل او توترات في العلاقة بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية ودول الخليج إلى تاريخ يوم إعلان المجرم ترامب وحليفه الطاغي نتنياهو حربهم ضد الشعب الإيراني المسلم.

حرب هدفها أضعاف اي قوة تقاوم هيمنة وتوسع الكيان الصهيوني وتمنع تحقق مشروعه المعلن بإقامة ما يسمى بإسرائيل الكبرى التي تمتد حدودها المراد رسمها بالقوة والاحتلال من الفرات إلى النيل وتشمل بتهديداته شعوب الخليج وأوطانه. فلماذا تسمحوا لحكام دولكم بتوفير قواعد على أراضيكم ينطلق منها العدوان على جارتكم المسلمة إيران فيستهدف أطفال المدارس ومحطات الطاقة والكهرباء والمستشفيات والمجمعات السكنية والمعامل والمصانع بما فيها تصنيع الأدوية للمرضى ! لماذا تسكتون عن هذا الدعم الذي يقدمه ملوك وأمراء دولكم لأمريكا والكيان الصهيوني لمشروع خطير على امن بلدانكم وشعوبكم !؟ ان العدو الذي ارتكب جرائم الإبادة الجماعية ضد أهل غزة فقتل عشرات الآلاف من المدنيين

الأبرياء من أطفال ونساء وشيوخ ودمّر المستشفيات والمدارس والخدمات، بل كان يقتل الناس العزل الذي يصطفون بطوابير انتظار استلام مساعدات غذائية بتعمد فيوقع يومياً عشرات الشهداء والجرحى من الرجال والنساء والصبيان الذين يأتون لاستلام ربع كيلو رز او عدد من الأرغفة لاهاليهم الذين ضربهم سوط الحصار الغذائي والدوائي وحرموا من اي جهد خدمي ان مثل هذا العدو المتوحش هل يصح ان يقدم له الدعم في مشاريعه التوسعية التي تطال شعوبكم ودولكم أيضاً، وهل يصح الاصطفاف معه بجبهة وخندق واحد وهو الذي ضجّت حتى شعوب الغرب البعيدة من جرائمه البشعة فعبّرت عن رفضها له، بل حتى بعض حكومات الغرب بدأت تسحب نفسها من اي موقف يفهم منه الدعم للكيان الصهيوني كما حصل من إسبانيا وإيطاليا واحتمال التحاق حتى فرنسا بمواقف مشابهة لهم. فهل يعقل ان ينتفض الغرب البعيد على سياسات وجرائم الصهاينة وامريكا ويرفضون تقديم اي مستوى من الدعم لهم في حربهم الظالمة ضد ايران. وأنتم الشعوب المسلمة تسكتون وترضون بافعال ملوككم وامرائكم الداعمة بالأفعال والأموال للصهاينة المجرمين وأمريكا المستكبرة التي تتعامل معكم بطرق الاهانة والإذلال، واخير موقف هو تصريح المجرم ترامب من ولي العهد السعودي محمد بن سلمان ووصفه بأوصاف مهينة ومذلّة !. والرسالة التي يجب ان تصل إلى الأخوة المسلمين العرب من شعوب دول الخليج هي :-

١- أثبتت التجربة الواضحة ان هدف تواجد القوات الأمريكية في دولكم هو الدفاع عن أمن الكيان الصهيوني المجرم الذي اعلن رئيس وزرائه الخبيث نتنياهو بوقاحة ان مشروعه الهيمنة على عموم المنطقة الإسلامية وتحويلها إلى

مستوطنات للمغتصبين الصهاينة كما هو الحال في فلسطين المحتلة.

٢- وخلال خمسة عقود من الزمن شاهدتم جارتكم المسلمة إيران لم تطلق عليكم طلقة واحدة على الرغم من دعم حكوماتكم المنهزمة للطاغية صدام في حربه العدوانية ضد الجمهورية الإسلامية طيلة ثماني سنوات ولم تردّ عليكم وعضّت على جراحها وكان موقف صدام العميل الذي دعمته حكوماتكم العدوان والغزو لدولة الكويت الشقيق وتهديده بغزو السعودية ايضاً.

٣- ورغم انطلاق أعمال التحالف الأمريكي الصهيونى العدوانية من قواعدها المشيدة على أراضيكم ضد إيران وشعبها واستهداف أطفال المدارس والمستشفيات والمرافق الخدمية والبنى التحتية لدولة ايران الإسلامية فقد اقتصر ردّ القوات المسلحة الإيرانية على القواعد الأمريكية والمباني التي هربوا اليها من وقع ضرباتهم المباركة دون ان يسببوا اذى لأي مواطن مدني من شعوبكم.

٤- ان احدى أهداف العدوان الأمريكي على الجمهورية الإسلامية الإيرانية ايجاد شرخ وتقاطع بين دول الخليج وايران ... وهذا الهدف الخبيث يحقق لهم الاستمرار في التواجد بقواتهم ومعداتهم وأسلحتهم في المنطقة ليضمنوا حماية الكيان الصهيونى - العدوّ المشترك للمسلمين - ويمّكنوه من تحقيق مشروعه بالهيمنة على الشرق الأوسط وإخضاع الدول والشعوب المسلمة لتسلطه وغطرسته وإجرامه الذي فضحته -لكل ذي عينين -جرائمه الدموية بإبادة شعب غزة طيلة عامين حوّلها إلى مدينة خراب قتل فيها كل مظهر للحياة.

٥- لاحظنا قوة وصمود وبسالة القوات المسلحة الإيرانية التي اثبتت ندّية قوية لغطرسة امريكا والصهاينة ومن يدعمهم من حلف الناتو ودول الغرب الأخرى

في حرب (الـ ١٢ يوم) السابقة وفي هذه الحرب القائمة الان. ومن يمتلك مثل هذه القدرات والبسالة والشجاعة لو كان يضمر لكم شرّا - لا سامح الله - لفعل ذلك طيلة العقود الخمسة الماضية. ولكن سيرة ايران الإسلامية كانت تستند للإخوة وحسن الجوار. بل وجّهت قدراتها للدفاع عن قضية العرب والمسلمين الاولى والمركزية - فلسطين - ودفعت ضريبة باهضة نتيجة مواقفها الإنسانية النبيلة هذه.

٦- ان أمن المنطقة يتحقق بتكاتف شعوبها وحكومتها المنسجمة مع مصالح شعوبها المشروعة، اما الغرباء الإعداء فان اهدافهم استنزاف مقدرات المسلمين والعرب وتبديدها في صراعات وهمية تطلق شرارتها امريكا المستكبرة فلتفكروا جدياً وعملياً بالضغط على حكوماتكم لاتخاذ القرار المناسب بإفراغ دولكم من تواجد القوات الأمريكية والأجنبية التي تخالفكم وتخالفنا بالدين وتضمر لكم ولنا السوء ولعلكم شاهدتم إساءة وزير حرب امريكا الحالي ضد نبينا الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله فتعالوا نضع يداً بيد ونلتف حول مشتركاتنا الإسلامية في موقف موحد ضد عدونا المشترك، وعندها ستنتهي أسباب القلق والاضطراب الذي ينشره الغرب الكافر في ربوع بلداننا المسلمة.

رابعاً: الدور الإعلامي المقاوم:

يكتسب الدور الإعلامي الواعي الهادف مساحة مؤثرة في ميدان نصرة الشيعة اليوم في مواجهة الغطرسة والعدوان الأمريكي الصهيوني، وتوجد أساليب كثيرة ويسيرة تسهم في تعزيز جبهة الحق ضد الظالمين نأمل ان تتفاعل معها النخب

والشباب الشيعي في كل مكان ومن واجباته:-

١- استثمار كل مجال واقعي او افتراضي لنشر المضامين الهادفة التي توضح حقانية الشيعة وبغي الأمريكان والصهاينة من تواصل اجتماعي بكل اشكاله، والمجالس الدينية للخطباء وصلوات الجمعة والعيد ، ومضائف العشائر ودواوينها، وتزاور المؤمنين.

٢- التركيز على مضامين تبين شجاعة وصمود الشيعة وتضحياتهم في صد العدوان الغاشم الأمريكي الصهيوني (مثلا شهادة السيد القائد الخامنئي - قدس سرّه- وأفراد عائلته الكريمة، وشهادة القادة السياسيين والمدنيين والعسكريين ومواقف صبر ورضا ذوي الشهداء كما في الفيديو الذي انتشر عن نعي زوجة شهيد في القوات المسلحة الإيرانية وهي تستقبل شهادته بالرضا والتسليم وأنهم أمة تختار التضحية بالغالي والنفيس ولا يتسلط على قرارها ويهيمن على ارادتها المستكبرون من نتاج حضارة جزيرة جيفري إبستين. وغيرها كثير من المضامين المعنوية العالية).

٣- تناقل مواقف الإعلاميين والنخب المنصفة من غير الشيعة الذين تعاطفوا وتفاعلوا مع حقانية قضية الشيعة كما في موقف الباحثة المعروفة في قناة الجزيرة فاطمة صمادي وما تعرضت له من مضايقات على مجرد تعبيرها عن كلمة وموقف حر.

٤- مخاطبة شعوب دول الخليج بأسلوب حكيم هادئ يتضمن رسائل ناصح شفيق لهم يبين خطيئة مواقف حكامهم وتوريط شعوبهم بمواقف وتبعات يدفعونها ثمناً لتقوية الكيان الصهيوني الذي يعلن بوقاحة ان هدفه فرض هيمنته على منطقة المسلمين وبدعم من امريكا المستكبرة، وان موقف ايران الإسلامية هو موقف

دفاعي مشروع يردّ على منطلق العدوان الذي وفرته الأنظمة السياسية المتخاذلة الحاكمة لدول الخليج لانطلاق عدوان امريكا من جهة ويوفر قواعد تحتوي معدات ووسائل تقنية تقدم مساعدة في التصدي لهجمات إيران ضد الكيان الصهيونى الغاصب من جهة أخرى.

٥- لا نستصغر الكلمة والمنشور الواعي وتأثيره في هذه المعركة المصيرية خصوصاً إذا نجحنا في إيصال مواد ومضامين فعلنا الإعلامي إلى الشعوب الغربية وبيان تناقض مواقف حكامها وشعاراتها المرفوعة زوراً ودجلاً من قبيل حقوق الإنسان والديمقراطية واحترام القوانين والمواثيق الدولية وتجيير المؤسسات الدولية لدعم الظالم المستكبر وإدانة المظلوم الضحية.

خامساً: الدعم الاقتصادي : يتعرض شيعة لبنان لحملة شرسة ظالمة من الكيان الصهيوني المدعوم أمريكياً وسياسة الكيان الغاصب في استهداف المدنيين وتهجيرهم عن ديارهم زاد من معاناة اهلنا الشيعة في لبنان الصمود فلنسارع لإعانة اهلنا الشيعة في لبنان ودعم بيئته الاجتماعية المجاهدة وان اقل دعم يمكن ان تسهم به في مناصرة الشيعة المجاهدين (حزب الله المنصور) بتحفيز وتنبيه العراقيين الغيارى - الذين تشهد لكرمهم وشدة غيرتهم على الدين واهله زيارة الأربعين المباركة - على التطوع بمساعدات إنسانية عاجلة تنسق من خلال جهات موثوقة لإيصالها لاهلنا بيئة حزب الله الصابرة المجاهدة. قال تعالى ((مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم).

علماء مجددون

الف عام على تأسيس الشيخ الطوسي (قدس سره) لحوزة النجف الأشرف

• عندما يُشعل الرمادُ سراجَ العلم هجرة الشيخ الطوسي (قدس سره) وميلاد حوزة النجف الأشرف -بقلم: السيد فاضل حاتم الموسوي

• شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (رضوان الله عليه) أمجاد زاهرة وتاريخ مشرق- بقلم: الدكتور سليم الحساني

• التأويل اللغوي لمختلف الحديث في كتاب الإستبصار للشيخ الطوسي (تطبيقات على كتاب الطهارة) - بقلم: الشيخ عماد فتيل الغراوي

عندما يُشعل الرمادُ سراجَ العلم
هجرة الشيخ الطوسي (قدس سره) وميلاد حوزة النجف الأشرف

السيد فاضل حاتم الموسوي

المقدمة

وقف رجلٌ وحيدٌ وسط ركام مكتبته المحترقة في بغداد حيث كانت النيران تلتهم مخطوطات لا تُقدر بثمن وصراخ الفتنة الطائفية يملأ الأفق هذا الرجل هو أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المعروف بـ"شيخ الطائفة"، في تلك اللحظة المظلمة كان أمام خيارين: إما الاستسلام لليأس وانتظار الموت أو البدء من الصفر في مكان آخر، اختار الشيخ الطوسي الخيار الثاني الذي أنقذ به التراث في منتصف القرن الخامس الهجري ولتبدأ رحلة استثنائية من بغداد إلى النجف الأشرف هجرة لم تصنع مجرد مدرسة دينية بل أعادت تشكيل العقل الشيعي وحفظت تراث أهل البيت (عليهم السلام) من الضياع الأبدي.

المحور الأول: لماذا الشيخ الطوسي تحديداً؟

لم يأتِ نجاح الشيخ الطوسي من فراغ بل كان نتاج تكوين علمي نادر المثال جمع بين مدرستين كبيرتين هما:

مدرسة النقل (الحديث): تشبع الشيخ الطوسي بعلوم الرواية والحديث منذ نشأته في خراسان ثم تعمقت هذه المعرفة في بغداد وكان حريصاً على توثيق الأسانيد

وضبط المتون.

مدرسة العقل (الكلام والأصول): تتلمذ على يد أعظم عقلين في وقته هما: الشيخ المفيد (قدس) والسيد المرتضى علم الهدى (قدس) وهذا المزيج العجيب جعل الشيخ الطوسي يمتلك عقلية مركبة فهو محدث يحترم النص لكنه فقيه ومتكلم يستخدم العقل لتحليل هذا النص مما جعله المؤهل الوحيد لقيادة المرحلة بعد رحيل أساتذته.

المحور الثاني: الفتنة الكبرى

لمعرفة السياق السياسي للهجرة ولفهم عظمة الإنجاز ينبغي الوقوف على حجم الكارثة، حيث عاش الشيخ الطوسي في العصر البويهي الذي اتسم بالانفتاح الفكري لكنه شهد نهايته المأساوية بدخول السلاجقة (طغرل بك) إلى بغداد عام ٤٤٧ هـ والمعروف انهم كانوا يحملون مشروعاً سياسياً يقوم على التعصب المذهبي ومحاربة التشيع.

وفي عام ٤٤٨ هـ هجم الغوغاء بتحريض سياسي على بيت الشيخ الطوسي في الكرخ ونُهبت ممتلكاته وأُحرقت المكتبة العظيمة وكرسيه الذي كان يجلس عليه للتدريس في مشهد رمزي يهدف لإعلان نهاية المرجعية الشيعية (ابن الأثير، ١٩٦٥).

كان القرار بالهجرة إلى النجف قراراً استراتيجياً بامتياز؛ فالنجف بعيدة عن مركز السلطة السلجوقية وهي أرض مقدسة توفر الحصانة الروحية.

المحور الثالث: ثورة المناهج والإنجاز التأسيسي

عندما استقر الشيخ الطوسي في النجف الاشرف لم يكتفِ بنقل الطلاب اليها

فقط بل قام بـ ثورة علمية شملت عدة جوانب:

١- تأسيس الاجتهاد المطلق وتطوير الفقه: كان الفقه الشيعي قبل الشيخ الطوسي يعتمد بشكل كبير على نصوص الروايات - وهو ما يُعرف بنزعة الأخباريين القدماء - ثم جاء الطوسي وألف كتابه (المبسوط في فقه الإمامية) ليعلن فيه أن الفقه الشيعي قادر على التفريع وتوليد الأحكام للمسائل المستحدثة التي لا نص صريح فيها معتمداً على القواعد الأصولية في ذلك كما حول الفقه من سرد للروايات إلى علم له قواعد واستنباط (الطوسي، المبسوط).

٢- هندسة علم الرجال وفلترة التراث: واجه التشيع مشكلة تراكم الروايات المدسوسة والموضوعة عبر القرون الامر الذي جعل الشيخ الطوسي يتصدى لهذه المهمة الجبارة عبر تأليف الأصول الرجالية الثلاثة الكبرى: (الاختيار من رجال الكشي، رجال الطوسي، والفهرست). وضع الطوسي منهجية علمية دقيقة لتمييز الراوي الثقة عن الضعيف وبذلك حمى المذهب من الخرافات والدسائس.

٣- التفسير الجامع (التبيان): ألف الطوسي كتابه الخالد "التبيان في تفسير القرآن"، وهو يعتبر أول تفسير شيعي شامل لا يكتفي بسرد الروايات وانما يناقش اللغة والنحو وأسباب النزول وآراء المفسرين من المذاهب الأخرى، ويرد عليها بالعقل والدليل. وكان بطباعة هذا الكتاب إعلاناً عن نضج العقل التفسيري الشيعي.

المحور الرابع: الشيخ الطوسي رائد التقريب ومنهجية الخلاف

من أعجب صفات هذا الرجل أنه رغم ما لاقاه من تعصب وحرق لمكتبته ظل منفتحاً علمياً حيث ألف كتاب "الخلاف" وهو موسوعة في الفقه المقارن. في هذا الكتاب يذكر الطوسي رأي فقهاء الشيعة ثم يذكر آراء المذاهب الأربعة (أبو حنيفة،

الشافعي، مالك، ابن حنبل وغيرهم) ويناقش أدلتهم بروح علمية عالية ثم يرجح ما يراه صواباً بالدليل وهذا المنهج العلمي الفريد جعل كتبه مرجعاً للجميع وليس للشيعة فقط.

الخاتمة:

شمسٌ لم تغب توفي الشيخ الطوسي سنة ٤٦٠ هـ في النجف ودُفن في داره التي تحولت إلى مسجد – مسجد الطوسي – الذي لا يزال عامراً بالصلاة والدرس تعقبت علية الكثير من الحلقات العلمية لمختلف الأساتذة حتى اليوم عند باب الطوسي للعتبة العلوية. لقد نجح هذا الرجل في تحويل "الرماد" إلى "مداد". فبدلاً من أن ينتهي التشيع بحرق مكتبة في بغداد انطلق انطلاقة عالمية كبرى من النجف. واصبح كل مجتهد ومرجع وكل كتاب فقهي أو رجالي يخرج اليوم من حوزات النجف الاشرف أو قم المقدسة أو كربلاء المقدسة هو في الحقيقة ثمرة من ثمار الشجرة التي غرسها الشيخ الطوسي قبل ألف عام.

شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (رضوان الله عليه) أمجاد زاهرة وتاريخ مشرق

بقلم: الدكتور سليم الحساني

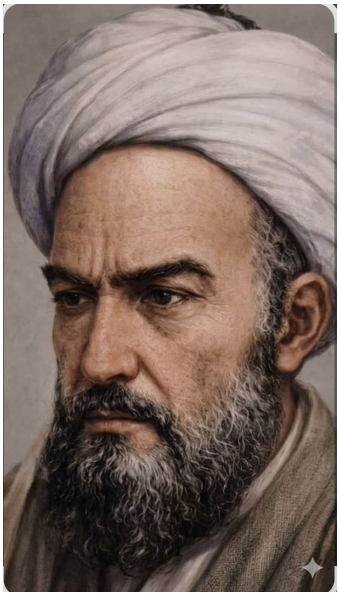

المقدمة

ان عظماء الأمة هم مشاعل مشرقة في العتمة وشموس ساطعة في إنارة طريق الظلام ومنارات هداية للبشرية وان قوة الأمة وعظمتها تتجلى بعراقة وعظمة علمائها وان حياة كل امة يقوم على ما تستمده من علوم وقوة روحية من عظمائها والشيخ الطوسي العظيم من هؤلاء العلماء العظام الذين خلدوا أسمائهم في سجل التاريخ الإسلامي والإنساني ونقشوا أسمائهم على جدران القلوب بماء الذهب. فقد بدأ الرجل العظيم من عند محل ولادته وتعليمه بجوار الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) وأنتهى عند محل وفاته ومقر دفنه عند الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام). وقد كتب الكثير من العلماء عن سيرة الشيخ الطوسي[1]. الا ان سبر غور بحر الشيخ الطوسي لا يجف وعطائه لا ينفد ولا يمكن ان يخرج الباحث عند ولوجه لحضرة الطوسي العظيم الا بكنوز من جواهر العظمة والعلم والنور واستذكارا لألفيته في تأسيس حوزة النجف الأشرف ارتأينا ان ننهل من معين عطائه ونستذكر شطرا من سيرته لتكون صفحات هداية ونور للإنسانية وجزء من الوفاء

لجهوده الجبارة ومنزلته العظيمة الخالدة.

المبحث الأول: سيرة الشيخ الطوسي (٣٨٥ هـ ـ ٤٦٠هـ):

المطلب الأول: السيرة الاجتماعية:

أولاً: ولادة الشيخ الطوسي :

هو محمد بن الحسن بن علي بن الحسن المعروف بشيخ الطائفة وهو أحد عظماء الإسلام وهو من كبار المتكلمين والمحدثين والمفسرين والفقهاء الشيعة، ولد في مدينة طوس في إقليم خراسان في شهر رمضان عام ٣٨٥ هجرية وطوس هي مدينة مشهد الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام)[٢]، طوس ولا تزال حتى اليوم ـ من مراكز العلم ومعاهد الثقافة، لأنّ فيها قبر الإمام عليّ بن موسى الرضا(عليه السلام)، ثامن أئمة الشيعة الاثني عشرية وكانت ولادته بعد أربع سنوات من وفاة الشيخ الصدوق.

ثانياً: لقبه:

فإنّ لقب «شيخ الطائفة» الرنّان، اختصّ بالشيخ الطوسي، وهو الاسم اللائق به، فقط، دون مَنْ سواه. من لقبه بالطوسي؟ فقد سُميَ بالطوسيّ؛ نسبةً إلى طوس ناحية في خراسان، توسّعت فعُرفت بمدينة مشهد، وهي من أقدم مدن بلاد فارس وأشهرها، ومن مراكز العلم ومعاهد الثقافة بعد ورود الإمام الرضا (عليه السلام) إليها، وُلد الشيخ الطوسيّ بخراسان سنة ٣٨٥ هجريّة.

مدينة "طوس"، باختصار، هي من المراكز العلميّة المهمّة في العالم الإسلامي، وفيها مرقد الإمام علي بن موسى الرّضا(عليه السلام) . نبغ فيها الكثير من العلماء من

القاصدين لها والمتولّدين فيها من علماء العامة والخاصة، ومنهم: " و"الشيخ بهاء الدين العاملي"، و"الشيخ الطبرسي"، و"الشيخ الحرّ العاملي"، صاحب "وسائل الشيعة"، والشيخ الغزالي صاحب احياء العلوم "، "الزمخشري صاحب تفسير الكشاف "، وغيرهم الكثير.

وهكذا كلمة (الشيخ) إذا أُطلقتْ، فهي تنصرف في اصطلاح العلماء، على طول ألف عام، إلى الشيخ الطوسيّ وتختصّ به.

يكنى بابي جعفر وكنية (أبو جعفر) في بداية الإسناد يقصد بها الإمام الباقر(عليه السلام)، وفيما سوى ذلك فهي تنصرف الي أكبر شخصيته بارزة، وهي الشيخ الطوسي، مع أن المكنّين بأبي جعفر من علماء الطائفة عديدون، مثل: البرقي، والبزنطي، والصفار، وابن الوليد، وغيرهم.

والغريب أن مصنّفي الكتب الأربعة ـ الأصول عند الشيعة ـ يكنّى كلّ منهم بأبي جعفر، ومع هذا، فهذه الكنية تنصرف ـ عند الإطلاق ـ إلى الشيخ الطوسي. ويلقب با الشيخ على الاطلاق.

ثالثاً: أسرة الطوسي:

خلف الطوسي ذرية صالحة كان لها دور كبير في الحياة الثقافية والفكرية الدينية، وفيما يلي استعراض لبعض الشخصيات:

١ – **الشيخ أبو علي:** وهو نجل شيخ الطائفة، وقد لقب بالمفيد الثاني.. تصدّى الى المرجعية وزعامة الحوزة العلمية بعد رحيل والده، وكان متفوقاً في عهده.

تخرج على يديه عديد من العلماء ممن أضاءوا دنيا العلوم وسماء الفكر.

أحصى المؤرخ الكبير آغا بزرك الطهراني ٣٤ تلميذاً من تلامذته، ومن بينهم اثنان من كبار علماء أهل السنة. لم يضبط التاريخ في سجله تفاصيل عن حياته أو سنة وفاته.

٢- **الشيخ أبو نصر محمد حفيد الشيخ الطوسي:** وكان عالماً كبيراً وفقيهاً مبرزاً، أثنى عليه ابن عماد الحنبلي (المؤرخ) في كتابه «شذرات الذهب بالزهد والتقوى والصلاح. كما ذكره الطبري - هو الآخر - بل أكد رغبته في الصلاة عليه. توفي سنة ٥٤٠ هـ

٣ - **بناته:** للشيخ الطوسي حفيدتان من نجله ابي علي، وكانتا عالمتين فقيهتين، جاء ذكرهما في كتاب رياض العلماء)، وقد أجازهما والدهما برواية الحديث [٣].

المطلب الثاني: السيرة العلمية للشيخ الطوسي:

اولاً: منزلته العلمية: يحتلّ الشيخ الطوسيّ، المقام الأرفع، بين الكبار من أعلام الشيعة، وهو بلا ريب من أعظم الشخصيات العلميّة . وبلغ قبول أهل السنة له أن اعتبره بعض مؤرخيهم من أعلام السنة على نحو ما فعل السبكي، إذ عدّه من طبقاته من علماء الشافعية»

وقد حذا حذو السبكي في نسبة الشيخ الطوسي إلى مذهب الشافعي، الچلبي صاحب كشف الظنون، فقد جاء في الجزء الأول ـ باب التاء ـ تحت عنوان (تفسير الطوسي) ما هذا نصه: «هو أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ـ فقيه الشيعة، كان ينتمي إلى مذهب الشافعي ـ المتوفّى سنة ٥٦١، سماه مجمع البيان لعلوم القرآن، واختصر الكشاف وسمّاه (جوامع الجامع) وابتدأ بتأليفه في سنة ٥٦٢، قال السبكي: وقد أحرقت كتبه عدة نوب بمحضر الناس».وهذه النسبة نتيجة اشتباه وخلط [٤]. ومن

من خصائص الشيخ الطوسي :

١- **جلالة القدر**: كانت حياته غنية بالفضائل والمكارم والعطاء الضخم على مختلف الأصعدة خصوصاً في مجال تراث أهل البيت (عليهم السلام) وفي مجال نشر علومهم.

٢- **تربية تلاميذ**: سعى في تربية آلاف التلاميذ، والذين من بينهم العشرات من العلماء والمجتهدين، بقي الشيخ الطوسي حتى سنة ٤٤٩ هـ في بغداد يسعى دائماً لأجل تربية وتعليم العلماء والمجتهدين، حتى أحس المنافقون وأعداء الدين بخطر هذه الوحدة الكبرى للمسلمين فبدأوا بإشاعة التفرقة.

٣- **تراث علمي**: قدّم تراثاً علمياً ضخماً حيث ألّف العشرات من الكتب العلمية الخالدة والتي لا يزال لها أثرها المشهود، فقد زادت مؤلفاته على الخمسين مؤلفاً في مختلف العلوم وإحدى المميزات المهمة لتأليفات الشيخ الطوسي أصالتها، فكتبه تعد في المذهب من الكتب الأساسية والأصلية.

٤- **ملاذ الشيعة**: كانت داره في كرخ بغداد ملاذ الشيعة بل عامة ابناء المذاهب فوصف بانه مأوى الأمة ومقصد الوفّاد يأمّونها لحلّ مشاكلهم وإيضاح مسائلهم، وقد قصده العلماء وأولو الفضل من كلّ حدب وصوب للتلمذة عليه والحضور تحت منبره والارتواء من منهله العذب الفيّاض حتّى بلغ عدد تلامذته ثلاثمائةً من مجتهدي الشيعة.

ولو تجاوزنا المنزلة العظيمة لأئمة اهل البيت المعصومون(عليهم السلام)، فإنّ الشيخ الطوسي يحوز مرتبة خاصة بعدهم وقد اعتبره جميع أعلام الشيعة رئيسهم وإمامهم، وزعيمهم :-

١. العلامة الحلي قال عنه: "شيخ الإمامية ووجههم، ورئيس الطائفة، جليل القدر،

عظيم المتزلة، ثقة عين صدوق، عارف بالأخبار والرجال، والفقه والأصول، والكلام والأدب، وجميع الفضائل تنسب إليه، صف في كل فنون الإسلام"[٥].

٢. العامليّ والد الشيخ البهائيّ عدّ الشيخ الطوسي: إمام وقته، وشيخ عصره، رئيس هذه الطائفة وعمدتها، رئيس العلماء كافّةً [٦]

٣. السماهيجيّ قال عن الطوسي: شيخ الطائفة ورئيس المذهب إمام في الفقه والحديث[٧]

٤. الشيخ أسد الله التستري قال عن الشيخ الطوسي: رئيس المذهب، شيخ الطائفة، قدوة الفرقة الناجية وباني مباني كلّ علم وعمل[٨]

٥. السيّد حسن الصدر قال: إمام الفقه والحديث والتفسير والكلام، لا نظير له في كلّ علماء الإسلام في كلّ فنون العلم، وصنّف كتباً لم يسبقه أحد في الإسلام إلى مثلها[٩]

٦. السيد بحر العلوم في الفوائد الرجالية قال: "أبو جعفر شيخ الطائفة ورافع أعلام الشريعة الحقة، إمام الفرقة بعد الأئمة المعصومين، وعماد الشيعة الإمامية في كل ما يتعلق بالمذهب والدين، ومحقق الأصول والفروع"[١٠].

٧. النجاشيّ قال: أبو جعفر جليلٌ من أصحابنا، ثقة عين".

٨. العلاّمة الحليّ قال: صدوق عارف بالأخبار والرجال والفقه والأصول والكلام والأدب، وهو المهذِّب للعقائد في الأصول والفروع، والجامع لكمالات النفس في العلم والعمل.

٩. الشيخ المجلسيّ قال: فضله وجلالته أشهر من أن يحتاج إلى بيان.

١٠. الحرّ العامليّ، بيّن طرق الشيخ الطوسيّ في أخذه الأحاديث وعمّن نقل من

الرجال بشكلٍ منظّم ودقيق.

١١. عباس القمي قال: صنّف الشيخ الطوسيّ في جميع علوم الإسلام، وكان القدوةَ في ذلك، وقد ملأت تصانيفُه الاسماع، ووقع على قِدَمه وفضله الإجماع.

١٢. أبو القاسم الخوئي قال: كان الشيخ الطوسيّ منطلقَ مرحلة جديدة من تطوّر الفكر الفقهيّ والأصوليّ.. وقد استطاع ـ بنهضته الجبّارة ـ أن يقدّم في نتاجه الفقهيّ الدليلَ المحسوس على أنّ الأصول الفكريّة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام قادرةٌ على تزويد الفقيه بالمناهج والأدوات الفكريّة التي تمكّنه من استنباط أيّ حكمٍ في جميع الوقائع.

١٣. المرعشي النجفي: ذكر جملة من مزايا وخصائص الشيخ الطوسيّ، فبيّن أنّه من الرعيل الأوّل في الاستنباط وردِّ الفروع إلى الأصول، واستخراج الضوابط والقواعد الكليّة من الكتاب والسنّة، وأنّه كان متعمّقاً في تبيين الموضوعات من لسان شعر العرب وأهل البلاغة، وقد جمع فنوناً كثيرة وتبّحر في كلّ علم خاص، وكان ثقةً فيما نقله ولو عن المخالفين في آرائه، وأنّ الشيخ الطوسيّ كان موفّقاً في الإفادة بأماليه القيّمة التي ألقاها في بغداد والنجف، وبالتأليف والتصانيف القيّمة التي دوّنها وأخذت طريقها المستمرّ في تزويد المعاهد العلميّة بضروريّات المعرفة، وبتأسيسه المجمعَ العلميّ النافع في النجف.

ثانياً: أساتذته

إن أساتذة الشيخ الطوسي وتلامذته كثيرون وقد ذكرالميرزا حسين النوري في مستدرك وسائل الشيعة ٣٧ استاذاً اخذ عنهم الشيخ الطوسي[١١] حيث تتلمذ على يد

الشيخ المفيد (المتوفى سنة ٤١٣هـ) وعلى يد ابن الغضائري (المتوفي ٤١١ هـ) ثلاث سنوات وعند ابن الحاشر البزاز، وابن أبي جيد، وابن الصلت والذي توفي بعد سنة ٤٠٨ هـ وشارك النجاشي (٣٧٢ ـ ٤٥٠ هـ) في بعض مشايخه.و أدرك السيد المرتضى (المتوفي ٤٣٦ هـ) ولم يدرك الشريف الرضي[١٢]. وبلغت عدة مشايخه اكثر من خمسين شخصاً من اعلام الفريقين[١٣]،وأمّا الذين يروى عنهم غالبا فهم خمسة[١٤] وهم:

١. الشيخ أحمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الصلت الأهوازي (ت ٤٠٨ هـ).
٢. الشيخ أبوعبدالله الحسين بن عبيدالله ابن الغضائري (ت سنة ٤١١ هـ).
٣. الشيخ أبوالحسين علي بن أحمد بن محمد بن أبي جيد (ت بعد سنة ٤٠٨ هـ).
٤. أبوعبدالله محمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد (ت سنة ٤١٣ هـ).

ابرز أساتذته: اذا يعتبر ذلك الرصيد العلمي للمكتبة منبع نهل منه الشيخ الطوسي وساهم في تكويين شخصيته العلمية.

١- **الشيخ المفيد:** وقد كان الطوسي قدم الى بغداد في سنة ٤٠٨ هـ في سن الثالثة والعشرين وتتلمذ. على يد الشيخ المفيد (المتوفي ٤١٣ هـ) مدّة خمس سنوات[١٥]، أي أن الشيخ الطوسي لازمه وقرأ عليه مدة خمس سنوات، وذكر له في كتاب (الفهرست) أكثر من عشرين كتاباً ورسالة من مؤلّفاته، وقال بعد ذلك: «سمعنا منه هذه الكتب كلّها، بعضها قراءة عليه وبعضها يُقرأ عليه غير مرّة وهو يسمع»، ذلك إلى ما سمعه عنه من كتب غيره من الشيوخ مما اشتهرت روايته عن الشيخ المفيد.

وقد ذكره في (الفهرست) بما هو أهله من التقدير دون أدنى مبالغة، وأورد الكثير من أسماء مؤلّفاته في علم الكلام والفقه وأصول الفقه، والأدب والنحو والشعر

ومعاني الشعر، واللغة، والمسائل.

٢- **الشريف المرتضى:** قدم الشيخ الطوسي الى بغداد من خراسان سنة ٤٠٨ هـ وهو ابن ثلاثة وعشرين عاما. حضر عند الشيخ المفيد نحواً من خمس سنين ولازمه الى ان توفي (قدس سره) لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة ٤١٣ هـ اختص بعد وفاة شيخه المفيد بالسيد المرتضى طيلة ثلاثة عشر عاما الى أن توفي السيد (قدس سره) الخمس بقين من شهر ربيع الاول سنة ٤٣٦ هـ وقد أجرى له السيد المرتضى في كل شهر اثني عشر ديناراً منها كان تدبير معاشه[١٦].

وقد استفاد الشيخ الطوسي من مكتبة السيد المرتضى بعد وفاته والتي كانت تحوي أكثر من ثمانين ألف كتاب في مختلف العلوم [١٧]، حيث ألَّف خلال هذه الفترة كتابي «التهذيب» و«الاستبصار». ولم يكتف بهذين الكتابين، بل انكب على وضع الكتب في مجال العلوم والفنون الكثيرة من قبيل: الفقه والأصول والتفسير والكلام والرجال والأدعية والحديث، حيث استفاد منها العلماء استفادات جليلة عبر التاريخ.

ثالثاً: تلامذته ومريديه

تجاوز عدد طلبة الشيخ الطوسي الذين بلغوا مرتبة الاجتهاد ثلاثمئة مجتهد من الشيعة، ومن السنّة[١٨]، وقد ذكر بعضهم بحر العلوم في «الفوائد» والدزفولي في «المقابس» والشيخ النوري في «خاتمة المستدرك» أبرزهم:

١. آدم بن يونس بن أبي المهاجر النسيفي
٢. أبو بكر أحمد بن الحسين النيشابوري

٣. اسحاق بن محمد بن بابويه القمي
٤. اسماعيل أخو اسحاق السالف الذكر
٥. بركة بن محمد بن بركة السدي
٦. تقي بن نجم الدين الحلبي
٧. جعفر بن علي بن جعفر الحسيني
٨. الحسن بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بحسكا
٩. الحسن بن عبد العزيز بن حسن الجبهاني
١٠. الحسن بن شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي
١١. موفق الدين الحسين بن فتح الواعظ الجرجاني
١٢. الحسين بن مظفر بن علي بن الحسين الحمداني
١٣. ذو الفقار بن محمد بن معبد الحسيني المروزي
١٤. زين بن علي بن الحسين الحسيني
١٥. زين بن داعي الحسيني
١٦. سعد الدين بن البراج
١٧. سليمان بن الحسن بن سلمان الصهرشتي
١٨. شهر آشوب السروي المازندراني، جد الشيخ محمد بن علي مؤلف «معالم العلماء والمناقب»
١٩. صاعد بن ربيعة بن ابي غانم
٢٠. عبد الجبار بن عبد الله بن علي المقري الرازي المعروف بالمفيد
٢١. عبد الرحمن بن أحمد الحسيني النيشابوري المعروف بالمفيد

٢٢. عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن بابويه
٢٣. علي بن عبد الصمد التميمي السبزواري
٢٤. غازي بن احمد بن ابي منصور الساماني
٢٥. كردي بن عكبر بن كردي الفارسي
٢٦. محمد بن ابي القاسم الطبري الآملي
٢٧. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شهريار الخازن الغروي
٢٨. محمد ابن الحسن بن علي الفتال صاحب «روضة الواعظين»
٢٩. أبو الصلت محمد بن عبد القادر بن محمد
٣٠. أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي
٣١. ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن الحلبي
٣٢. أبو عبد الله محمد بن هبة الله الطرابلسي
٣٣. أبوالحسن المطهر الحسيني الديباجي
٣٤. منتهي بن أبي زيد بن كيابكي الحسيني الجرجاني
٣٥. أبو سعيد منصور بن الحسين الآبي
٣٦. أبو ابراهيم ناصر بن رضا بن محمد بن عبد الله العلوي الحسيني

المطلب الثالث: مراحل حياته وجهاده العلمي:

أولاً: مراحل حياته: كان عصر الشيخ الطوسي حافلاً بالأحداث السياسية والدينية، فقد فرّ كغيره من العلماء الفلاسفة من إقليم خراسان، نتيجة الاضطهاد الديني والسياسي الذي فرضه السلطان محمود الغزنوي، وجاء كغيره إلى بغداد، التي

لم تكن بأحسن حال أيام المتوكل العباسي، بعدما حكم البويهيّون الذين أرادوا تثبيت دعائم الحكم، وإعادة الهيبة إلى الدولة، عبر ممارسة سياسة التقارب مع جميع الاتجاهات الدينيّة والفكريّة والسياسيّة، فنجحوا في ذلك.

المرحلة الأولى: مدينة طوس (٣٨٥ هـ -٤٠٨هـ): مرحلة الولادة وبدايات النشأة قضاها في مدينة طوس، حيث شرع فيها ببدايات تحصيل العلم وقضى فيها ما يزيد قليلاً على عشرين سنة.

المرحلة الثانية: مدينة بغداد (سنة ٤٠٨ هـ -٤٦٠هـ):

من علماء الشيعة في بغداد أخذ العلم والفنون الإسلامية على جماعة من أفاضل علماء عصره وسكن في محلة الكرخ ببغداد وكان من أكابر زعماء الدين في عصره انتقاله من طوس إلى مدينة بغداد.

قدم إليها سنة ٤٠٨ هـ وكانت الزعامة للمذهب الجعفريّ يومذاك لشيخ الأمّة وعلم الشيعة محمّد بن محمّد بن النعمان الشيخ المفيد(رحمه الله) الذي توفي سنه ٤١٣هـ ورئاسة المذهب إلى أعلم تلامذته علم الهدى السيّد المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي أخي الشريف الرضيّ، فانحاز الشيخ الطوسي إليه ولازمه وارتوى من منهله العذب، وعُني به أستاذه السيد المرتضى، وبالغ في توجيهه أكثر من سائر تلامذته، لما شاهد فيه من اللياقة التامة، ولما قدم الشيخ العراق كان عمره ثلاث وعشرين سنة، وسن السيد المرتضى إذ ذاك ثلاثة وخمسين سنة فكانا متعاصرين في العراق مدة ثمان وعشرين سنة. وبقي الشيخ (رحمه الله) بعد السيد المرتضى (قُدِّسَ سِرُّهُ) عنه أربعة وعشرين سنة.وبقي ملازماً له طيلة ثلاث وعشرين سنة، حتّى توفّي أستاذه السيد المرتضى في ٢٥ ربيع الأول عام ٤٣٦ هـ بعد أن عمر ٨٠ عاماً.

١- الاجتهاد والمرجعية:

بعد عمر حافل من العطاء وتراث كبير من العلم استقلّ الشيخ الطوسي بالزعامة الدينية وأصبح علماً من أعلام الشيعة وزعيماً لهم والتي قضى فيها قرابة الثلاثين عاماً كانت هذه الفترة حافلة بأوسع العطاءات العلمية، وقال عنه المؤرخون والكتّاب بأنه حينما كان في بغداد ملأ الدنيا صيته وارتبط بالكثير من الأعلام ومشاهير الكتّاب.

فانتقلت زعامة الدين اليه بعد رحيل الشريف المرتضى(قدس سره) عام ٤٣٦ هجرية فتسلم المرجعية وزعامة المذهب الجعفري وثنيت للشيخ الطوسي وسادة المرجعية وزعامة المذهب الجعفري، حيث أصبح زعيم الطائفة بشكل عام، ومرجعاً عاماً للإمامية في العالم كله. وقد بلغ أمر استحواذ فقهه وعلمه على مَنْ بعده، الى حدّ بعيد يكشف عنه ما نقله السيد ابن طاؤوس (ت ٦٦٤) عن سديد الدين محمود الحمصي (ت ٦٠٥) قوله: «لم يبق في الشيعة مفت أو صاحب رأي»[١٩]. فكان الشيخ الطوسي يتصف بالمقدرة العلمية الكبيرة في الفقه، بحيث استولت على الفقهاء هيبة عظمته، فهذا عبدالجليل الرازي ـ من علماء القرن السادس ـ بقول في كتابه «النقض»: «أبو جعفر الطوسي معروف ومشهور... عظيم القدر، رفيع المنزلة، وعلى قوله وفتواه الاعتماد التامّ»[٢٠].

وحتى ابن إدريس المتوفى (٥٩٧هـ) الذي اشتهر عنه التطاول على الشيخ الطوسي، لم يجرؤ على مخالفته بصراحة، بل يلجأ إلى الإعلان عن موافقة الشيخ كدليل على ما يراه، بل عندما تكون المخالفة ظاهرة، يعتذر عن ذلك بإمكان توجيه الكلام بما يحصل معه الوفاق.

وقال العلامة الحلي في مقدّمة «منتهى المطلب»: استفاد المتأخّرون من الشيخ

الطوسيّ، ولم يسجّلوا في كتبهم آراءهم الخاصّة، وإن كانت قليلة.

ولعلّ معارضة الشيخ الطوسي لآراء أستاذه الشريف المرتضى في بعض المسائل، مثل "حجية خبر الواحد"، و"الإجماع"، تدلّ، وبشكل واضح، على مدى تعمّق الشيخ الطوسي وطول باعه في علمي الأصول والكلام، وهو ما يشير إشارة واضحة إلى الحريّة التي كانت تسود الأجواء العلميّة، والتي تبيح عرض مختلف الآراء ومناقشتها مناقشة علمية هادئة.

إنّ المؤهّلات الذاتيّة التي امتلكها الشيخ الطوسي؛ من ذكاء، وفطنة، وقوّة حافظة، وسرعة بديهة، وتوقّد ذهن، وحضور عقليّ عالٍ، وغير ذلك من العناصر، كانت مساعداً له في رحلته العلميّة والإنتاجيّة المديدة. ويضيف اليها من عطائه وإبداعه ما هياً للعلم أسباب الانتقال الى مرحلة جديدة من مراحل النمو والتطور. لقد كانت الكتب الفقهية عبارة عن تجميع المتون الروايات وتبويب لهذه المتون مع شي البسيط من التفسيرات والموازنة. فانتقل بهذا الواقع المرحلي من الفقه الشيعي من الناحية الموضوعية الأقصر تقريبا – على القضايا الكبيرة في والاجابة على أسئلة المثارة حول سند ومتون الروايات وتوثيق الرواة.

وكان من الطبيعي أن لا يجد علم الاصول مجالاً للنمو في جو الحديث وان بتعرض الاتجاه الفقهي الى الضعف والقصور وقد استغل بعض الخصوم هذا الواقع المرحلى في توجيه نقد شديد الى المدرسة الفكرية الأهل البيت (عليهم السلام) كما حدثنا بذلك الشيخ الطوسي في كتان (المبسوط) فاتهموا هذه المدرسة بأن اصولها الفكرية ورفضها للقياس والاستحسان، وأصرارها على الاستغناء عن ذلك بالكتاب والسنة هو –الذي فرض على الفقه الشيعي الانكماش والعجز عن التوسع والامتداد [٢١]. ما دفع

الشيخ الطوسي الى ان يؤلف كتاب العدة في علم الاصول ليوسع من مساحة الفقه ويزيد من حيويته وقدرته على معالجة المستجد من المسائل.

٢- **كرسي علم الكلام:** أسند إليه الخليفة العباسي [القائم بأمر الله عبد الله بن القادر بالله أحمد ﷺ كرسي علم كلام بغداد الى الشيخ الطوسي بعد ان " ثقل وجوده على خصومه من الناس فكانوا يحرضون عليه حتى وشي به الى الخليفة العباسي [القادر بالله أحمد] ولما أحضره وسأله عن وشايتهم وما رموه به أجابه الشيخ بما قبل منه فرفع مكانته وانتقم من الساعي وأهانه " [٢٢]. وبذلك اجتمع حوله العلماء وتوجه إليه الطلاب وكان من بين تلامذته ٣٠٠ من العلماء وكان له مشروع علمي ضخم هناك حيث شكّل مدرسته العلمية وانضم إليها المئات من الطلبة من مختلف البلاد الإسلامية، ومن عموم المذاهب، واستطاع أن يربّي نخبة كبيرة من التلاميذ والعلماء وكان كل واحد منهم ينبوعاً من ينابيع العلم. وظل الشيخ الطوسي محتفظاً بمنصبه إلى أن هاجم السلاجقة بغداد، ولكن السلاجقة كانوا معروفون بوحشيتهم وفوضويتهم وحقدهم على التشيع، فدمروا ما دمروا، واتلفوا ما اتلفوا، واحرقوا ما احرقوا، وقتلوا من قتلوا.وانتقوا بالتضييق على الشيخ الطوسي بوشاية من الخصوم.

وبعد ان بلغ ٥١ سنة، وكان الطوسي يعي ثقل مسؤوليته في عصر عاصف سياسياً واجتماعياً. وكان الصراع الطائفي في ذروته، وقد حدثت تماس وكوراث عديدة في تلك الحقبة؛ من بينها: ما سجله ابن الاثير من هجمات صفر سنة ٤٤٣ هـ حيث أشعل متطرفون من أهل السنة النار في مساجد الشيعة؛ بل ومراقد ائمة أهل البيت (عيهم السلام) الا في مدينة الكاظمية، وكانت حدة التوتر تبلغ مرحلة الانفجار في مواسم عاشوراء.. عندما يُعلن الشيعة حزنهم على مصرع الحسين الا في كربلاء.

وقد عاشت الطائفة الشيعية – التي كان يبلغ عددها آنذك أكثر من ١٠٠،٠٠٠ – أياماً عصيبة باستثناء الفترة التي حكم فيها البويهيون [٢٣].

٣- مكتبة سابور ابن أردشير:

تعد من اكبر واعرق المكتبات الشيعية التي أنشأها أبو نصر سابور ابن أردشير الوزير في حكومة بهاء الدولة البويهي، وتضم تراث بلاد فارس والهند والصين والرومان، وهي من أعظم مكتبات بغداد [٢٤].وحيث كان الوزير سابور من أهل الفضل والأدب فقال ابن خلكان عنه : «كان من أكابر الوزراء وأماثل الرؤساء، جمعت فيه الكفاية والدراية، وكان بابه محط الشعراء) [٢٥] أخذ العلماء يهدون إليه مولّفاتهم، فأصبحت مكتبته من أغنى دور الكتب ببغداد.

وفي سنة ٤٤٧ هـ دخل طغرل بيك اميرالسلاجقة بغداد والتي كانت مدة سلطنة من سنة ٤٢٩ إلى سنة ٤٥٥ هـ فحرق مكتبة شابور ضمن ما أحرق من مؤسسات الشيعة ومدارسهم في الكرخ.وكانت من دور العلم المهمة في بغداد بناها هذا الوزير الجليل في محلة (بين السورين) في الكرخ سنة ٣٨١هـ على مثال (بيت الحكمة) الذي بناه هارون الرشيد، وكانت هذه المكتبة مهمةً للغاية فقد جمع فيها هذا الوزير ما تفرّق من كتب فارس والعراق، واستكتب تآليف أهل الهند والصين والروم، كما قاله الأستاذ محمد كرد علي [٢٦]. ونافت كتبها على عشرة آلاف من جلائل الآثار ومهامّ الأسفار، وأكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلّفين، قال [٢٧] ياقوت الحموي معجم البلدان بمادة (بين السورين).: «وبها كانت خزانة الكتب التي أوقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلّها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحرّرة... إلى آخره» وكانت من

جملتها مائة مصحف بخطّ بني مقلة على ما ذكره[٢٨]

وحادثة إحراق ذكرها ابن الأثير في حوادث سنة ٤٤٣ وقال: ان هذه الفتنة دامت من صفر إلى ثالث ربيع الأول وانه قتل فيها رجل هاشمي من السنة فدفنوه عند احمد بن حنبل، ثم احرقوا المشهد وقبور جعفر بن المنصور والأمين وزبيدة، ثم ذكر في حوادث سنة ٤٤٩ انه فيها نهبت دار أبي جعفر الطوسي بالكرخ، وهو فقيه الامامية، وكان قد فارقها إلى المشهد الغروي انتهى.

لم يزل الشيخ الطوسيّ(رحمه الله) في بغداد مأوىً للإفادة ومرجعاً للطائفة حتّى ثارت القلاقل وحدثت الفتن بين الشيعة وجهلة السنّة، ولم تزل تنجم وتخبو بين الفينة والأخرى،

وفي سنة ٤٤٨ هـ حدثت الفتنة بين الشيعة والسنة. وتوسّعت الفتنة حتّى اتجهت إلى شيخ الطائفة الطوسيّ وأصحابه، فأحرقوا كتبه وكرسيّه الذي كان يجلس عليه للكلام.

وطالت هجمتهم منزل الشيخ الطوسي ومكتبته العامرة العظيمة، فأحرقوها ودمروها تدميراً كاملاً، في شهر صفر من سنه ٤٤٨هـ هدموا دار أبي جعفر الطوسي المتكلم الشيعي في الكرخ مع سقفه وساووه بالتراب. وأمّا الكتب والدفاتر التي وجدت فيها والمنبر الذي كان يجلس عليه أثناء تدريسه أحرقوها في مكان في ناحية الكرخ. وتبدد وتلف ذلك التراث الذي قدم الشيخ الطوسي من أجله حياته وسهر عليه الليالي،

يقول ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٤٨هـ: «وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره» ثم قال في حوادث سنة ٤٤٩هـ: «وفي صفر في هذه السنة كبست دار أبي جعفر

الطوسي متكلّم الشيعة بالكرخ وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسي كان يجلس عليه للكلام، وأخرج إلى الكرخ وأضيف اليه ثلاثة سناجق بيض كان الزوّار من أهل الكرخ قديماً يحملونها معهم إذا قصدوا زيارة الكوفة فأحرق الجميع... إلى آخره» [٢٩].

وقال ابن الاثير (في حوادث سنة ٤٤٩ هـ):هي السنة التي فيها نُهبت دار أبي جعفر الطوسي بالكرخ وهو فقيه الامامية، وأُخذ ما فيها، وكان قد فارقها إلى المشهد الغروي.

وقد روي ابن حجر العسقلاني " قال ابن النجار: أحرقت كتبه عدة بمحضر من الناس في رحبة جامع النصر، واستتر هو خوفاً على نفسه بسبب ما يظهر عنه من انتقاص السلف" [٣٠].

وقد قتل في هذا العام كثير من العلماء الشيعة وأحرقت مكتباتهم. وهرب الشيخ الطوسي إلى كربلاء ومنها استقر في النجف الأشرف بعد أن أحرق كرسي ٦٧ تدريسه وكتبه [٣١]

عن تاريخ (أحسن القصص) للمولى أحمد الدبيلي، عن انتقال الشيخ الطوسي للحائر الحسيني ويبدو منها انتقاله من كربلاء الى الى (الغريّ) في النجف ما نصّه: (قال فيه بعنوان حرق كتب الشيخ الطوسي:في سنة ٤٤٩ بعد استيلاء السلطان طغرل السلجوقي على بغداد والقبض على الملك الرحيم آخر ملوك آل بويه وكان رئيس الرؤساء متعصبا فاذى أهل الكرخ أذى كثيرا وقتل أبا عبد الله بن هلاب من كبراء علماء الشيعة في محلة الكرخ، وهرب الشيخ أبو جعفر الطوسي إلى الحائر فنهبت داره وأحرقت جميع كتبه واستمرت هذه الفتنة من ابتداء صفر إلى منتصف ربيع إلى

أن قتل سيد من أهل مشهد الكاظمين (عليه السلام) في هذه الفتنة فدفنوه بجانب أحمد بن حنبل فعزم رئيس الرؤساء على الانتقام من هذه الطائفة فذهب إلى مشهد الكاظمين (عليه السلام) وبعد القتل والنهب احرق الصندوق الذي هو على مضجع هذين المعصومين واحرق قبور بني بويه وأكثر العباسية مثل الأمين وزبيدة والمنصور) [٣٢]. اي انه تم حرق مرقد الامامين الكاظم والجواد من قبل السلاجقة ومتطرفي المذاهب انتقاما من الشيعة في بغداد.

وعلى إثر ذلك اضطر شيخ الطائفة إلى أن يهاجر إلى النجف الأشرف عام ٤٦٠ هـ واختار جوار الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام)، وهذا له معنى خاص.

المرحلة الثالثة: النجف الأشرف (٤٤٩هـ - ٤٦٠ هـ):

١- قرار الهجرة:

بقي في بغداد بعد وفاة أستاذه السيد اثني عشر سنة مستقلا بالزعامة وانتقل من بغداد إلى النجف الأشرف **٤٤٩هـ** وعاش الشيخ الطوسي اثنتي عشرة سنة في النجف لحين وفاته ليلة الاثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ٤٦٠ هـ [٣٣]. وان كانت الظروف السياسية في عهد آل بويه قد ساعدت على إرساء دعائم مدرسة أهل البيت في بغداد، فإن ظروفاً أخرى قد أدت الى اضمحلالها، وذلك بعد أن سقطت بغداد في قبضه السلاجقة عام ٤٤٧هـ بقيادة (طغرل بيك) الذي تعصب لأهل السنة وحرضهم ضد إخوانهم من شيعة أهل البيت، فشهد جانب «الكرخ» حرائق مروعة، والتهمت ألسنة النيران أعظم مكتبة في بغداد؛ وهي مكتبة ابو نصر سابور، ولم تسلم المصاحف من تلك الغارة الوحشية، فاحترقت ١٠٠ نسخة نفيسة من القرآن الكريم.

ولن يغفر التاريخ للسلاجقة عمليات التدمير الثقافي التي كان التعصب الأعمى باعثها الأول والأخير[٣٤]. و" لم يفتأ خصوم الشيخ تمادياً في طغيانهم فكانوا يستغلون السواد في التحريض عليه حتى أحرقوا داره وكتبه وما كان له من كرسي الكلام والتدريس "[٣٥].فكان القرار هو شد الرحال والاستقرار في مدينة النجف الاشرف.

٢- تأسيس الحوزة:

بدأت مراحل تأسست الحوزة العلمية في النجف الأشرف على يد الشيخ الطوسي وذلك عند سفره اليها من بغداد سنة ٤٤٩ هجرية. وقال بعضهم: بل كانت الحوزة في النجف موجودة قبله[٣٦]. وقال البعض لم تكن الحوزة اصلا في النجف أول تأسيسها، وإنما كانت في الحلة كما هو معروف وإشتهر فيها السيد بن طاووس (أعلى الله مقامه) والعلامة الحلي فيما بعد ولعل نشؤوها كان تدريجياً. وقد نشأة حوزة كربلاء المقدسة من القرن الثالث الهجري على يد حميد النينوي ومكانها يسمى بالجعفريات وهي قرب مقام الإمام الصادق (عليه السلام) الذي صلى به حين ورد كربلاء للزيارة جده الأمام الحسين (عليه السلام) بينما شيدت أركان الحوزة العلمية في قم المقدسة على يد الشيخ عبد الكريم الحائري بعد سفره من مدينة آراك اليها سنة ١٣٤٠ هجرية.

فاختار الشيخ الطوسي انطلاقاً من هذا المعنى جوار الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وانشأ هناك وجوداً علمياً، فقد اجتمع إليه جماعة من الطلبة واختار منزلاً بسيطاً وهو الآن مسجد الشيخ الطوسي، بعد ذلك اتسعت مدرسة الشيخ الطوسي في النجف وأخذت تتقدم يوماً بعد يوم روى شيخ الطائفة الطوسي (عليه الرحمة) بسنده عن عبد الله بن الوليد، قال: دخلنا على أبي عبد الله (عليه السلام) [الإمام الصادق] في زمن بني

مروان، فقال (عليه السلام) : ممّن أنتم؟

قُلنا: من أهل الكوفة. فقال (عليه السلام) : ما من البُلدان أكثر مُحبّاً لنا من أهل الكوفة، لاسيما هذه العصبة، إنّ الله هداكم لأمرٍ جهله الناس، فأحببتمونا وأبغضنا الناسُ، وبايعتمونا وخالفنا الناسُ، وصدّقتمونا وكذّبنا الناسُ، فأحياكم اللهُ مَحيانا، وأماتكم مماتنا. الحديث[٣٧].

عن محمد بن علي الجواد قال: يأتي علماء شيعتنا القوامون بضعفاء محبينا وأهل ولايتنا يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم، على رأس كل واحد منهم تاج بهاء قد انبثت تلك الأنوار في عرصات القيامة ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة، فشعاع تيجانهم ينبث فيها كلها فلا يبقى هناك يتيم قد كفلوه ومن ظلمة الجهل علموه ومن حيرة التيه أخرجوه إلا تعلق بشعبة من أنوارهم، فرفعتهم إلى العلو حتى تحاذي بهم فوق الجنان، ثم ينزلهم على منازلهم المعدة في جوار أستاديهم ومعلميهم وبحضرة أئمتهم الذين كانوا إليهم يدعون، ولا يبقى ناصب من النواصب يصيبه من شعاع تلك التيجان إلا عميت عينه وأصمت أذنه وأخرس لسانه وتحول عليه أشد من لهب النيران، فيحملهم حتى يدفعهم إلى الزبانية فيدعونهم إلى سواء الجحيم[٣٨].

٣- حلقات الدرس:

لكن من ومن يراجع كتاب (أمالي الشيخ الطوسي) وتصفّح فصوله وأبوابه عرف كيف انتظم الوضع الدراسي وتكوّنت الحلقات في النجف الأشرف بعد هجرة الشيخ الطوسي إليها. وكتاب الأمالي ـ هذا في الحديث، ويقال له أيضاً (المجالس)

لأنه(رحمه الله)أملاه مرتباً في عدة مجالس على تلامذته وقد اغفلت المدونات التاريخية عن ذكر اسم أي مدرسة في عصر الشيخ الطوسي والتي كان من المؤكد وجودها نظرا لطبيعة ازدهار حلقات الدرس العلمية وقد كانت نواة لمدارس انشئت في مابعد مثل المدرسة السليمية التي انشئها المقداد اللسيوري عام ٨٢٦هـ [٣٩].

٤- وفاته:

في ليلة الاثنين الثاني والعشرين من محرم سنة ٤٦٠هـ توفي الشيخ الطوسي عن عمر ناهز الخامسة والسبعين سنة في النجف وبوصية منه دفن في بيته،

هكذا ضبط تاريخ وفاته العلامة الحلي في الخلاصة، وابن داود في الرجال وابن كثير الشامي في البداية والنهاية وبحر العلوم في الفوائد الرجالية وغيرهم، ولكن ابن شهر آشوب أرخ وفاته سنة ٤٥٨ والصحيح ما ذكره المشهور من أنها سنة ٤٦٠هـ عن خمس وسبعين سنة، وتولى غسله ودفنه تلميذه الشيخ الحسن بن مهدي السليقي، والشيخ أبو محمد الحسن بن عبدالواحد العين زربي والشيخ أبو الحسن اللؤلئي، ودفن في داره بوصية منه، وأرّخ وفاته بعض الأدباء المتأخرين ـ مخاطباً مرقده الزاكي، كما هو مسطور على جدار المسجد من خارج، فوق الشباك المطلّ على قبره الشريف ـ بقوله:

يا مرقد الطوسيّ فيك قد انطوى ... محيي العلوم فكنت أطيب مرقدِ

أودى بِشهر محرّم فأضافه ... حزناً بفاجع رزئه المتجدّدِ

ـ إلى أنْ قال:

بك شيخ طائفة الدعاة إلى الهدى ... ومجمّع الأحكام بعد تبدّدِ

ـ إلى أنْ قال:

وبكـى لـه الشـرع الشـريف مؤرّخـاً (أبكى الهدى والدين فقد محمّدِ)

ففي كتاب مرآة الشرق قال صدر الإسلام محمد أمين الخوئي (١٣٦٧هـ) عند ترجمة الشيخ محمد طه نجف (١٣٢٣ هـ)، ما نصّه: (ومن طريف ما ينبغي ذكره في المقام ما حدّثنا به شيخنا العلامة وفاضل الأمة الإمام الأستاذ شيخ الشريعة الأصبهاني عن المترجم المغفور له بلا واسطة، قال: قال المترجم: أنّي رأيت ليلة فيما يراه النائم أنّ رسول الله (ص) قاعد في ناحية وعنده قطعات من الثوب ويرد عليه الناس يزورونه فيعطيهم هو (صلى الله عليه وآله) شيئاً من الخلاع [الهدايا] الموضوعة عنده، وقيل لي في عالم النوم: أنّ تلك الخلاع لمن زار تربة شيخ الطائفة الطوسي) [٤٠].

وكتب الشيخ عبد المجيد آل زاير دهام (١٩٦٩م) على حاشية لكتاب مطبوع يمتلكه: (أنه نقل له الثقة السيد حسن الخرسان عن الشيخ محمد طه نجف أنه رأى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: من يذهب إلى قبر الشيخ الطوسي قاصداً له يعطى دسكرة [ورقة] لدخول الجنة) [٤١].

المبحث الثاني: التراث العلمي لشيخ الطائفة الطوسي

المطلب الأول: مؤلفات الشيخ الطوسي

كتب الشيخ الطوسي أكثر من ٥٣ عملاً في مختلف المجالات وقد أثبت هذه المؤلفات بعض المؤرّخين أمثال القاضي نور الله المرعشي في كتاب (مجالس المؤمنين)[٤٢]. ومحمد باقر الخونساري في كتاب (روضات الجنات) [٤٣]. وذكر آغا بزرك الطهراني قد أنهى العلامة الطهراني كتب الشيخ الطوسي في مقدمة التبيان ٤٧ كتابا ورسالة في مقدمته عن حياة الشيخ الطوسي[٤٤] وفي مقدمته على كتاب

النهاية للشيخ الطوسي[٤٥] عد ٥٠ كتاباً من مؤلفات هذا العالم الجليل بالترتيب ويقول: «هذا ما وصل الينا من أسماء مؤلفات شيخ الطائفة ومنه ما هو موجود وما هو مفقود ولعل هناك ما لم نوفق للعثور عليه»[٤٦]، ونريد تسليط الضوء على اهم المؤلفات المطبوعة والتي منها:

١- كتاب الرجال.

٢- تهذيب الأحكام.

٣- الاستبصار في ما اختلف من الأخبار.

٤- الخلاف (في الاختلافات الفقهية بين المسلمين).

٥- التبيان في تفسير القرآن (١٠ أجزاء).

٦- مصباح المتهجد.

٧- الأمالي.

٨- العدة (في أصول الفقه).

٩- النهاية (في أصول وفروع الدين).

١٠- الفهرست.

١١- المبسوط في الفقه.

١٢- تلخيص الشافي في الإمامة.

١٣- الغيبة.

١٤- الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد.

١٥- الرسائل العشر.

١٦- الجمل والعقود في العبادات.

المطلب الثاني: منهج الطوسي في التأليف:

يستند الشيخ الطوسي في منجزه العلمي على ثلاث مناهج رئيسية وهي المنهج الروائي او المنهج التاريخي القائم على النص الديني وسيرة وكلام النبي (صلى الله عليه وآله)واهل بيته (عليهم السلام) والمنهج العقلي الكلامي الاستدلالي والمنهج التحليلي القائم على التدبر والتفسير للنصوص والآيات والوقائع والاستدلالات الفقهية:-

١- **الاتجاه الروائي**:تمسك الشيخ الطوسي بالاتجاه الروائي للنصوص لكنه بعد ان حصل الخلاف بين المذاهب الفقهية برز الشيخ الطوسي في تلك البحوث وتوسع في مضمار دراسة مسائل الخلاف الفقهية في كتابه «الخلاف» وكتاب (المبسوط) و(النهاية) و(العدة)وتناول بشكل عميق -مختلف أبواب الفقه مستعرضاً في كل مسألة ما يستند اليه الفريقان، وما يزال كتاب المبسوط بالرغم من قدمه يحظى بأهمية فائقة. يقول الشيخ الطوسي في مقدمة كتابه «المبسوط»: اني لا أزال أسمع معاشر مخالفينا من المتفقهة والمنتسبين الى علم الفروع، يستخفون بفقه أصحابنا (الأمامية) وينسبونهم الى قلة الفروع وقلة المسائل، ويقولون إنهم أهل حشو ومناقضة، وإن من ينفي القياس والاجتهاد لا طريق له الى كثرة المسائل والتفريع ولا الأصول، لأن جل ذلك وجمهوره مأخوذ من هذين الطريقين. وهذا جهل منهم بمذاهبنا وقلة تأمل لأصولنا، ولو نظروا في أخبارنا وفقهنا لعلموا أن جل ماذكروه من المسائل موجود في أخبارنا ومنصوص عليه عن أئمتنا، وقولهم في الحجة يجري مجرى قول النبي صلى الله عليه وآله.. أما خصوصاً أو عموماً أو تصريحاً أو تلويحاً ."[٤٧].وقد تمسك الطائفة بألفاظ النصوص في زمن الشيخ الطوسي (رحمه الله تعالى) عملاً بما هو مقبول وسائد وكان يقول: "وكنت على قديم الوقت وحديثه متشوق النفس إلى عمل كتاب

يشتمل على ذلك تتوق نفسي اليه فيقطعني عن ذلك القواطع، وتشغلني الشواغل وتضعف نيتي أيضاً فيه قلة رغبة هذه الطائفة فيه وترك عنايتهم به، لأنهم ألفوا الأخبار ومارووه من صريح الألفاظ، حتى أن مسألة لو غير لفظها وعبر عن معناها بغير اللفظ المعتاد لهم لعجبوا منه وقصر فهمهم عنها." [٤٨]. كما يلمس المرء من خلال متابعته العلمية أن الطوسي كان قد عمل على تحطيم حالة الجمود، وصياغة الفقه والاستنباط في ضوء موازين وأصول وقواعد تنسجم مع مصادر الشريعة.

ويقول الطوسي: "وكنت عملت - على قديم الوقت - كتاب (النهاية) وذكرت جميع ما رواه أصحابنا في مصنفاتهم وأصلوها من المسائل وفرقوه في كتبهم، ورتبته ترتيب الفقه، وجمعت بين النظائر، ورتبت فيه الكتب على ما رتبت للعلة التي بينتها هناك، ولم أتعرض للتفريع على المسائل ولا لتعقيد الأبواب وترتيب المسائل وتعليقها والجمع بين نظائرها، بل أوردت جميع ذلك - أو أكثره - بالألفاظ المنقولة حتى لا يستوحشوا من ذلك، وعملت بآخره مختصراً في جمل العقود في العبادات، ووعدت فيه أن أعمل كتاباً في الفروع خاصة يُضاف إلى كتاب (النهاية) ويجتمع معه، فيكون كاملاً كافياً في جميع ما يحتاج اليه. ثم رأيت أن ذلك يكون مبتوراً يصعب فهمه على الناظر فيه، لأن الفرع إنما يفهمه اذا ضبط الأصل معه، فعدلت الى عمل كتاب يشتمل على عدد يجمع كتب الفقه التي فصلها الفقهاء، وهو نحو من ثلاثين كتاباً أذكر كل كتاب منه على غاية ما يمكن تلخيصه من الألفاظ، واقتصرت على مجرد الفقه دون الادعية والآداب، وأعقد فيه الأبواب، وأقسم فيه المسائل، وأجمع بين النظائر، وأستوفيه غاية الاستيفاء، وأذكر أكثر الفروع التي ذكرها المخالفون وأقول ما عندي على ما تقتضيه مذاهبنا وتوجبه أصولنا بعد أن اذكر أصول جميع المسائل" [٤٩].

وهذه الفقرات تلقي الضوء على ما قام به الشيخ الطوسي في مضمار البحث الفقهي والأصولي ومنهج الاستدلال العلمي، وأن الفقه الإمامي يحمل في أعماقه الخصبة كل عوامل التقدم واستيعاب المسائل الحديثة. وفي مجال علم الحديث، أيضاً، نجد اثنين من الكتب الأربعة التي هي أهم الكتب الحديثيّة من تأليف الشيخ الطوسي، وهما: الاستبصار للجمع بين مضامين الروايات الشريفة والتقريب بينها وتفيق بعضها الى بعض وهو نوع من التصنيف الروائي المبتكر واما كتاب التهذيب،جاء لبيان مستندات الحكم الشرعي وبيان اساسه الفقهي وقد كان المبسوط مرجع للمدارك الفقهية لاستنباط الحكم الشرعي من الفقهاء لقرون طويلة قبل ان تاتي الكتب الروائية كوسائل الشيعة وغيرها وثالث الكتب التي ألّفها الشيخ في الحديث هو: كتاب الأمالي، فهو يضم في دفتيه كمية من الروايات التي تتعلق بالعقيدة والأخلاق والفضائل والتفسير والتاريخ، وكثيراً ما يُسند فيها إلى رواة من العامة.

٢- **الاتجاه العقلي**: وهو الاستدلال البرهاني الجدلي في أثبات الاعتقادات وقد شرح فيه كتاب الشافي لشيخه المرتضى وكتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو أسلوب يثبت فيه صحة العقائد الإسلامية وفق مبنى اهل البيت (عليهم السلام)بأدلة كلامية جدلية ليجاري الطرح الكلامي السائد بين الفرق الإسلامية معتزلة وأشاعرة وإسماعيلية.

٣- **الاتجاه التحليلي**: وهو اتجاه الشرح والتبسيط والبيان وقد كتب به الشيخ الطوسي تفسيره التبيان وشروحاته الفقهية والأصولية وكتبه العقائدية فكان شارحاً ومفسراً ومحللاً وموسعاً وتارك اثراً معرفياً في قراءاته للنص الديني قرانا وروايةً وفقه.

المطلب الثالث: تصنيف التراث العلمي للشيخ الطوسي:

يعتبر الشيخ الطوسي من مؤسّسي الموسوعية الفكرية في المدرسة الإسلامية من خلال دوره في التصنيف في كل فروع العلوم الإسلامية، وله مدرسة واتجاه رائد في ذلك له خصوصياته ومبادئه:

أولاً: الشرح: كان الشيخ الطوسي شارحا لتراث من سبقه من العلماء وموضحا لجهودهم وكونه قريب عصر منهم فقد كان بيانه في المعارف مهمها فقد الف كتاب (تهذيب الأحكام)[٥٠] في الفقه في شرح المقنعة بعشرة مجلدات للشيخ المفيد وكان كتاب المقنعة للشيخ المفيد في الفقه مفتاح الى ولوج الشيخ للطوسي الفقه من أوسع ابوابه فهو قدم شرحا وافيا لكتاب أستاذه الشيخ المفيد وفك رموزه واصطلاحاته وشرح مبانيه ومن اخبر منه باستاذة واعلم بمراده . وقد بدأ الشيخ الطوسي بالتأليف في سنّ مبكرة، حيث شرع في شرح كتاب أستاذه الشيخ المفيد "المقنعة"، وسمّى كتابه "تهذيب الأحكام"، وضمّنه الأدلّة الفقهيّة والأحاديث. وندرت الشروحات بعد الشيخ الطوسي على الكتب الأربعة (الكافي، الفقيه، التهذيب، الاستبصار) من القرن الخامس لغاية القرن العاشر. رغم ان هذه الفترة الزمنية هي عصر الشراح الذي كتب فيه شرح على المصنفات الفلسفية وظهر فيه شروح كشرح ابن ابي الحديد المعتزلي على كتاب نهج البلاغة.

١- **تهذيب الأحكام:** كتاب تهذيب الأحكام (تهذيب الأحكام): أحد الكتب الأربعة والمجاميع القديمة المعوّل بها عند الأصحاب، أستخرجه الشيخ من الأصول المعتمدة للقدماء، ومن المجاميع الحديثية التي عليها مدار استنباط الأحكام الشرعية عند الفقهاء الاثني عشرية منذ عصر المؤلف حتى اليوم وهو موسوعته روائية من

عشرة مجلدات في طبعتها الاولى مصنفه حسب الأبواب : الأصولية والفقهية وهي احد اهم الكتب الروائية الأربعة المعتمدة في مذهب اهل البيت عليهم السلام في الفقه والعقائد وهي كل من (الكافي للشيخ ابي يعقوب الكليني ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق وكتاب التهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي).

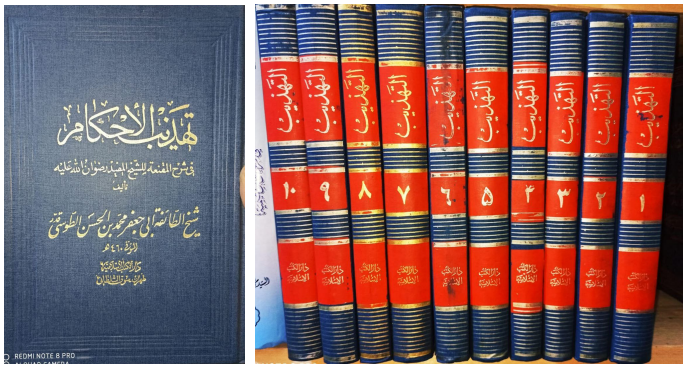

٢- **المبسوط:** من اهم الكتب الفقهية والموسوعات الفقهية المنظمة والتي كتبت بعصر قريب لعصر النص الديني (الرواية) ويبدو ان كتاباتها كانت بعد تبحر وتدريس الشيخ الطوسي في الفقه مما مكنه من الإحاطة بأسرار الفقه الأمامي ودقائقه ومصادره اذ امتازت الموسوعة بالسعة والتنظيم والعمق الاستدلالي حتى بلغت مجلداتها ثمان مجلدات.

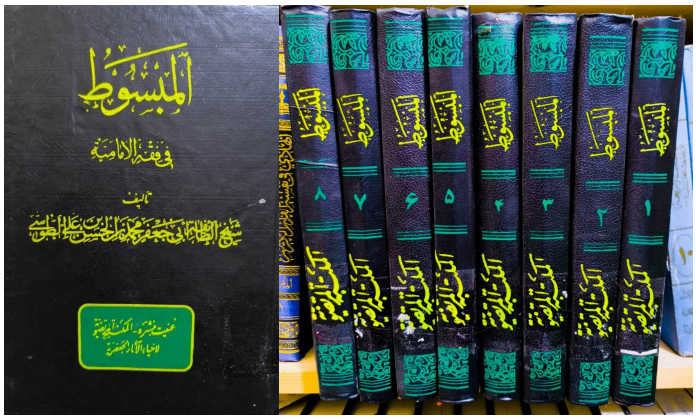

٣- العدة في أصول الفقه:

لم يكن علم الأصول حكرا على المذاهب الأخرى وان كان توسعهم خرج عن حدود الأدوات المشروعة فدخلت قواعد الاستحسان والقياس والمصالح وغيرها والتي جعلت للآراء الشخصية مشروعية توازي النص الديني لكن الأصول في مذهب الأمامية بقي ملتزما بالنص محافظا عليه كونه أساسا لبناء منظومة التشريعات الدينية وقد كتب علمائنا الأوائل ومنهم الشيخ الطوسي مصنفاتهم الكبيرة والواسعة كما أذن باستمرار فتح باب الاجتهاد لذا كان كتاب العدة في أصول الفقه لاستنباط الأحكام الشرعية من الغزارة والعلمية والتطور العلمي في موضوع أصول الفقه الإسلامي

وقال العلامة بحر العلوم: إن كتاب العدّة هو أفضل كتاب مصنّف في أُصول الفقه. والطوسي أوّل من صنّف كتاباً لجمع قواعد اصول الفقه ، وهذا يؤكد انه كان قد سبق في تأليفه استاذه المرتضى لكتاب «الذريعة»، التي الفت عام (٤٢٠هـ). وجاء في في مقدّمة كتاب «العُدّة»: ولم يصنّف أحدٌ من أصحابنا في هذا المعنى إلاّ ما ذكره شيخنا أبو عبدالله[المفيد](رحمه الله) في المختصر الذي له في أُصول الفقه، ولم يستقصه، وشذّ منه أشياء يحتاج الى استدراكها وتحريرات غير ما حرّرها، وإن سيّدنا الأجل المرتضى أدام الله علوه، وإن كثر في أماليه وما يقرأ عليه شرح ذلك، فلم يصنّف في هذا شيئاً يرجع إليه، ويجعل ظهراً يستند إليه المصدر [٥١] .

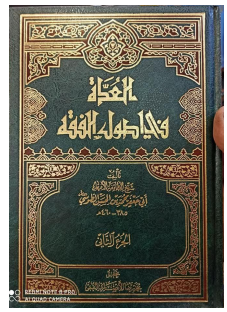

الشيخ الطوسي والتقليد:

توسيع الشيخ الطوسي في باب الاجتهاد : شجع الطوسي على تأسيس طريقة الاجتهاد المطلق وتأليف في مجالات الفقه والأصول، وقد جعل الشيخ اجتهاد الشيعة مستقلا في مقابل اجتهاد أهل السنة خصوصا مذاهبهم المهمة وتأليف الكتب الكاملة والقيمة في الفقه والأصول ولم يجرىء أحد بعده أن يخالف نظرياته إلى أن ظهر الشيخ ابن ادريس الحلي فأخذ بنقدها. وكان كتابه «النهاية» مادة للتدريس إلى أن ألّف المحقق الحلي كتاب «شرائع الإسلام»(٥٢).

قال الشيخ الطوسي في كتابه العدة في أصول الفقه: (والذي نذهب اليه أنه يجوز للعامي الذي لا يقدر على البحث والتفتيش تقليد العالم يدل على ذلك إني وجدت عامة الطائفة من عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) الى زماننا هذا يرجعون الى علمائها ويستفتونهم في الأحكام والعبادات ويفتونهم العلماء فيها ويسوغون لهم العمل بما يفتونهم به، وما سمعنا أحدا منهم قال لمستفتٍ لا يجوز لك الاستفتاء ولا العمل به.. وقد كان منهم الخلق العظيم عاصروا الأئمة (عليهم السلام) ولم يحك عن واحد من الأئمة النكير على احد من هؤلاء ولا إيجاب القول بخلافه، بل كانوا يصوبونهم في ذلك)(٥٣).

وعن الاختلاف في الفتوى قال الشيخ الطوسي: إني وجدتها (أي الطائفة) مختلفة المذاهب في الأحكام يفتي أحدهم بما لا يفتي به صاحبه في جميع أبواب الفقه من الطهارة إلى أبواب الديات من العبادات والأحكام والمعاملات... حتى إنك لو تأملت خلافهم في هذه الأحكام وجدته يزيد على اختلاف أبي حنيفة والشافعي ومالك، ووجدتهم مع هذا الاختلاف العظيم لم يقطع أحد منهم موالاة صاحبه ولم

ينتهِ إلى تضليله وتفسيقه والبراءة من مخالفه [٥٤].

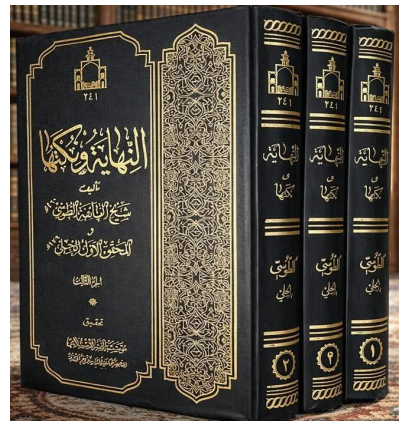

٤- **النهاية في مجرد الفقه والفتاوي:** من تأليف محمد بن الحسن، الطوسي وكتاب النهاية في مجرّد الفقه والفتاوي: هو من أعظم آثاره (رض) وأجلّ كتب الفقه ومتون الأخبار كما يقول الشيخ آغا بزرك الطهراني حيث كان عليه مدار الدراسات الفقهيّة عند الأمامية منذ عصر مؤلفه". واقدم نسخة خطّيّة لكتاب النهاية للشيخ الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ) هي من مخطوطات المدرسة الهنديّة، الرقم (٧٢)، تاريخها سنة ٥٩١هـ وهي مكتوبة على نسخة المصنّف نسخ، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن الحسن بن موسى الفراهانيّ، فقه فتوائي مختصر مشهور من دون ذكر الأدلّة الاجتهاديّة، في جزأين و(٢٢) كتاباً من الطهارة إلى الديات في أبواب عددها (٢١٤)، اهتمّ به فقهاء الأمامية تدريساً وشرحاً وتحشيةً وترجمةً وخصّوه بالرواية والإجازة[٥٥].نسخة عليها تعليقات ومقابلات ومقارنات وهي نسخة تؤكد الاهتمام بالكتاب وقيمته العلمية. وقد استشهد بعض المهتمين بالتراث على اسبقيه الشيعة في تأسيس علم التحقيق بناء على هذه المخطوطة.وكتاب (النهاية في مجرد الفقه و الفتاوي) طبع عدة طبعات منها طبع في ايران انتشارات قدس محمدي،، ١٩٨٠م.

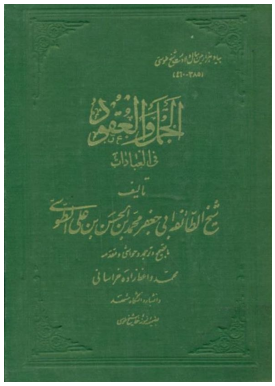

٥- **الجمل والعقود في العبادات:** يبحث فيه الشيخ الطوسي في الأحكام الفقيهة التي تخص العبادات من طهارة وضوء وتيمم وغسل جنابة وحيض وغسل أموات ونجاسات ومواقيت صلوات وقبلة واذان وصلوات الواجبة وقواطعها وقد طبع الكتاب في ايران بتحقيق محمد واعظ زادة.

ثانياً: الرواية: لقد ادرك الشيخ الطوسي عصر الرواية واطلع على جوامع الروايات وقراطيس المرويات وما تركه الأصحاب وتداولته الأيدي من تراث اهل البيت (عليهم السلام) الروائي ولأنه اعتبر ان عصره كان محطة قاعدة لحفظ المنظومة الروائية من التشتت والضياع فقد الف كتاب الاستبصار الذي جمع فيه ما صح لديه من روايات اهل وصنفها وفق الأبواب الفقهية.قال عنه الشيخ آقا بزرك الطهراني: "مضت على علماء الشيعة سنون متطاولة، وأجيال متعاقبة، ولم يكن من الهين على أحد منهم أن يعدو نظريات شيخ الطائفة في الفتاوى، وكانوا يعدون أحاديثه أصلا مسلماً، ويكتفون بها، ويعدون التأليف في قبالها وإصدار الفتوى مع وجودها، تجاسر على الشيخ وإهانة له".

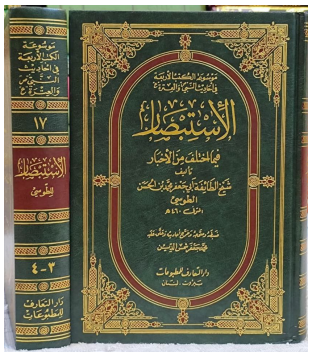

١- **الاستبصار:** (الاستبصار فيما اختلف من الأخبار): وهو أحد الكتب الأربعة أيضاً ومن المجاميع الحديثية التي عليها مدار استنباط الأحكام الشرعية عند الفقهاء الاثني عشرية منذ عصر المؤلف حتى اليوم. ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء ويضم الكتاب ٥٥١١

حديثاً في أربعة مجلدات تغطي أحكام العبادات مساحة كبيرة جزئيه الأول والثاني، فيما يشتمل الجزء الثالث على سائر أبواب الفقه من قبيل معاملات العقود وأحكام القضاء المختصة بالقصاص والديات ويمتاز الكتاب بانحصاره على الروايات والأخبار التي تختلف من حيث المدلول والمحتوى. وقد طبع كتاب تحت اسم: (الاستبصار فيما اختلف من الأخبار) عدة طبعات منها الطبعة الأصلية القديمة لعام ١٣٩٠ هـ وكانت بتعليقة اية الله السيد حسن الخرسان رحمه الله ب ٤ مجلدات.

(صورة مخطوطة نادرة لشيخ الطائفة الطوسي يبلغ عمرها أكثر من ٨٦٠ عاماً. وهذهِ المخطوطة عبارة عن الجزء الأول لكتاب (الاستبصار فيما اختلف من الأخبار) وهي أقدم نسخة لهذا الكتاب، إذ أنَّ تاريخ كتابتها يوم السبت الثامن من ذي القعدة سنة (٥٧٣هـ)، والكاتب هو (جعفر بن علي بن جعفر المشهدي). وهذه النسخة النفيسة من مقتنيات خزانة مؤسسة كاشف الغطاء العامة، ومحفوظة في قسم الذخائر للمخطوطات ضمن مخطوطات علم الحديث).

ثالثاً: كتب الأدعية: لقد افرد الشيخ الطوسي كتابا خاصا بما ورد عن العترة الطاهرة من الأدعية المروية وصنفها حسب مواردها فمنها ادعيه عامة يتم الدعاء بها

في كل وقت ومنها ادعيه مخصوصة يدعي بها المسلم أثناء العبادات مثل الوضوء وأيام الجمع والأماكن المشرفة ومنها ادعيه لقضاء الحوائج والتحصين وقد الف في ذلك كتاب (مصباح المتهجد وسلاح المتعبد) وهو بمثابة موسوعة في مجال الأدعية والزيارات والأذكار وفضائل سور القران وقد أورد في كتابه أعمال عبادية مروية عن للعترة الطاهرة مثل صلوات الأيام وصلوات الحوائج وأدعية أيام الأسبوع وأذكار الصلاة وأعمالها.وأذكار الطهارة وقد اعتمد على مصباح المتهجد من جاء بعده منهم تلميذ الشيخ الصهرشتي الذي الف «قبس المصباح» والسيد ابن طاؤوس،جعل مؤلفاته في الادعية والزيارات متممة لمصباح الشيخ الطوسي و، وسمّاها «المهمّات لصلاح المتعبّد والتّتمات لمصباح المتهجّد».، وقد استلهمت الكثير من المؤلّفات نصوصها من كتاب «المصباح» للشيخ الطوسي ومنتخبة منه مثل مؤلف السيّد ابن باقي «اختيار المصباح»، والعلاّمة الحلي «منهاج الصلاح» والسيد علي بن عبدالكريم النيلي «إيضاح المصباح» وغيرهم وكل من الف في الادعية والزيارات والعبادات من المتاخرين اخذ منه مثل كتاب (مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي)وكتاب (مصابيح الجنان للشيخ عباس الكاشاني) وصاحب كتاب ضياء الصالحين وغيرها .

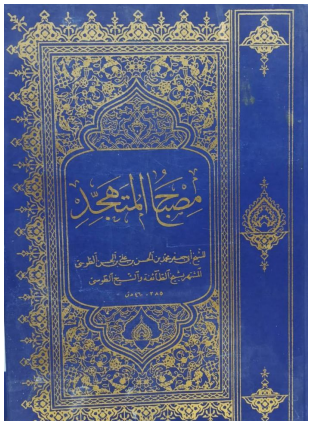

ومن مضامين كتاب مصباح المتهجد:

١- **فضائل سور القران:** استحباب تلاوة سورة الكهف ليلة الجمعة روى الشيخ الطوسيّ بسندٍ صحيحٍ عن الصّادق (عليه السلام): «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الكَهْفِ فِي كُلِّ لَيْلَةِ

جُمُعَةٍ كَانَتْ كَفّارةً لَهُ لِمَا بَيْنَ الجُمُعَةِ إلَى الجُمُعَةِ»[٥٦].

٢- **الزيارت الشريفة:** احتواءه على نصوص الزيارات الشريفة اذ ضم أقدم نص لزيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وهذه الزيارة موجودة في مخطوطة مصباح المتهجد للشيخ الطوسي (قدس سره) المكتوبة بخط الوزير ابن العلقمي سنة ٥٧٨ هجرية.

٣- **الدعاء:** وجاء في كتاب مصباح المتهجد ادعية كثيرة وفي مناسبات وأزمان متعددة ومنها أدعية موارد تعجيل الفرج منها الدعاء للأمام بالظهور: روى الشيخ الطوسي (قدس سره) في كتابه مصباح المتهجد: (اَللّهُمَّ بِحَقِّ لَيْلَتِنا وَمَوْلُودِها، وَحُجَّتِكَ وَمَوْعُودِها، الَّتي قَرَنْتَ اِلى فَضْلِها، فَضْلاً فَتَمَّتْ كَلِمَتُكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِكَ، وَلا مُعَقِّبَ لآياتِك، نُورُكَ الْمُتَأَلِّقُ، وَضِياؤُكَ الْمُشْرِقُ، وَالْعَلَمُ النُّورُ في طَخْياءِ الدَّيْجُورِ، الْغائِبُ الْمَسْتُورُ، جَلَّ مَوْلِدُهُ وَكَرمَ مَحْتِدُهُ، وَالْمَلائِكَةُ شُهَّدُهُ، وَاللهُ ناصِرُهُ وَمُؤَيِّدُهُ، اِذا آن ميعادُهُ، وَالْمَلائِكَةُ اَمْدادُهُ، سَيْفُ الله الَّذي لا يَنْبُو، وَنُورُهُ الَّذي لا يَخْبُو، وَذُو الْحِلْمِ الَّذي لا يَصْبُو، مَدارُ الدَّهْرِ، وَنَواميسُ الْعَصْرِ، وَوُلاةُ الأَمْرِ، وَالْمُنَزَّلُ عَلَيْهِمْ ما يَتَنَزَّلُ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَاَصْحابُ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ، تَراجِمَةَ وَحْيِهِ، وَوُلاةَ اَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، اَللّهُمَّ فَصَلِّ عَلى خاتِمِهِم وَقائِمِهِمْ الْمَسْتُورِ عَوالِمِهِمْ، اَللّهُمَّ وَاَدْرِكْ بِنا أَيّامَهُ وَظُهُورَهُ وَقِيامَهُ، وَاجْعَلْنا مِنْ أنصاره، وَاقْرِنْ ثارَنا بِثارِهِ، وَاكْتُبْنا في اَعْوانِهِ وَخُلَصائِهِ، وَاَحْيِنا في دَوْلَتِهِ ناعِمينَ، وَبِصُحْبَتِهِ غانِمينَ وَبِحَقِّهِ قائِمينَ، وَمِنَ السُّوءِ سالِمينَ، يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ، وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمينَ وَصَلَواتُهُ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّد خاتَمِ النَّبِيّينَ وَالْمُرْسَلينَ، وَعَلى اَهْلِ بَيْتِهِ الصّادِقينَ وَعِتْرَتِهَ النّاطِقينَ، وَالْعَنْ جَميعَ الظّالِمينَ، واحْكُمْ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ يا اَحْكَمَ الْحاكِمينَ)[٥٧].

رابعاً: الفقه المقارن: كتب الشيخ الطوسي في الفقه المقارن والذي يتعلق ما بين أصحاب الأمامية وبينهم وبين باقي الفرق الإسلامية وقد الفَ الشيخ الطوسي كتباً عديدة في الفتاوى ذكر في مقدمتها انها لعمل الناس بها، ومن هذه الكتب: (النهاية في الفتاوى – رسالة في عمل اليوم والليلة – الجمل والعقود في العبادات – المسائل الحائريات وهي عبارة عن رسائل عملية للناس وأجوبة فتوائية) ومن اهم الموسوعات الفقهية هي: –

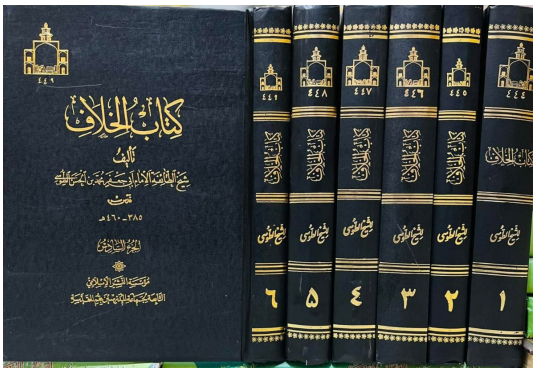

١– الخلاف: وكتابه الخلاف من اروع ما كتب في القرون الأولى عن الفقه المقارن اذ ناهزت موسوعة الخلاف على سته مجلدات.

نسخة الخلاف التي بخط الشيخ الطوسي (قده) في معرض العتبة العلوية

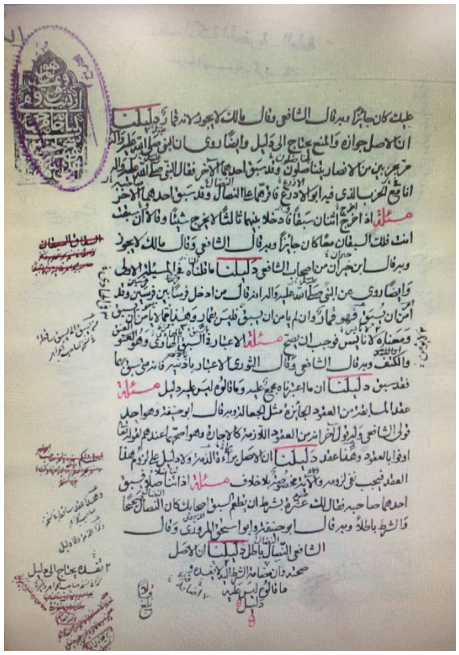

(نسخة من كتاب الخلاف للشيخ الطوسي (قده) كتبها الشيخ عبد الحسين الطهرانيّ (ره) وهي مقابلة على نسخة السيد بحر العلوم ونسخة صاحب الجواهر، وقد أجهد الطهراني نفسه في ضبطها وتصحيحا ومقابلتها على النسخ الخطية للكتاب).

خامساً: البيبلوغرافيا: كتب الشيخ الطوسي موسوعة (الفهرست) لإحصاء المنجز العلمي للتراث الشيعي وموسوعة (الرجال) لبيان حال سير الرجال وهو منجز موسوعي شمولي يستوعب الكثير من التراث والشخصيات العلمية في القرون المتقدمة والمعاصرة له ومنها:-

الفهرســت: كتـاب بيبلـوغرافي فـي مؤلفـات رجـال الطائفـة طبـع بعنـوان (الفهرست) ومرة باسم (فهرست كتب الشيعة وأصولهم) اعتمد عليه الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة إلى تصانيف الشيعة[٥٨]. وقال في (كتاب (الامام الصادق) تأليف الأستاذ محمد أبي زهرة تحت عنوان (كتب الحديث والفقه عند الامامية) تحت عنوان (الفهرست) ـ الذي هو أحد مؤلفات الشيخ الطوسي(رحمه الله) ــ ما نصه:« وإننا قبل أن نترك الكلام في كتب الطوسي لابد أن نذكر تقديرنا العلمي لذلك العالم العظيم، ولا يحول بيننا وبين تقديره نزعته الطائفية أو المذهبية، فان العالم يقدر لمزاياه العلمية؛ لا لآرائه ونحلته، ولا نود أن يكون الاختلاف المذهبي حائلا بيننا وبين تقديره، وإنا ـ شهد الله ـ ما جعلنا الاختلاف المذهبي أو الطائفي مانعاً يمنع من التقدير للرجال؛ وإن خالفناهم في الأفكار، وقد أشرنا الى أنه يجب على الباحث أن ينظر الى العلماء نظرة تقدير ذاتي، ولا يكون التقدير من وراء المذهب أو الرأي أو النحلة، وقد خطأنا الذين جعلوا الثقة من وراء المذهب، ونقضنا أقوال أولئك الذين ينهجون ذلك المنهج من أي مذهب كانوا. وإن الشيخ الطوسي قد خدم المذهب الجعفري بدراساته المقارنة؛ وبتعبيد مسالكه، وبالكتابات المتقصية لأطراف مسائله، فكتابه (النهاية) يعد ديوان الفقه لهذا المذهب، وكتابه (العدة) يعد المنهاج الاستنباطي له وكتاباه «التهذيب» و«الاستبصار» أصلان كبيران لذلك المذهب)[٥٩].

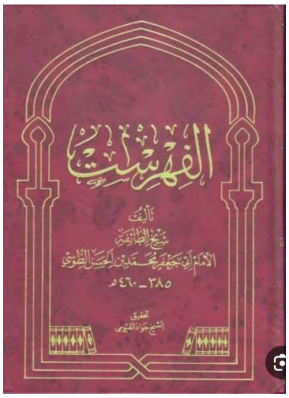

٢- **رجال الطوسي:** كتب الطوسي في علم الرجال وصنف طبقاتهم وتوسع في بيان أحوالهم وبيان قواعد الجرح والتعديل في وثاقتهم واصبح كتابه الرجال من اهم

الكتب الرجالية الذي يعتمد عليه في وزن أحوال الرجال وبيان منازلهم ومقدار وثاقتهم حتى عدت الإجازات وسلاسل أسانيد المحدّثين والرواة، تنتهي ـ جميعاً ـ إلى الشيخ الطوسي، وتدور على محور اسمه. وان جل مَنْ أجاز أو ذكر طريقاً من طرقه، فإنّما يوصلها إلى الشيخ الطوسي، ويصرّح بانتهائها إليه. وللشيخ الطوسي طريقا رجالي اورده في كتبه :

١- فهرست الطوسي: ص ٢١٠ ت ٦٠٢

٢- مشيخة الطوسي بالتهذيب: ج ١٠ ص ٣٨٢ ت ١.

٣- مشيخة الطوسي بالاستبصار: ج ٤ ص ٣٧٧ ت ١.

وقد اعتمد عليه من جاء بعده فهذا الشيخ ابن شهر آشوب، يصرّح بذلك في مقدّمة كتاب «معالم العلماء» وكتاب «مناقب آل أبي طالب». والمجلسيّ الأوّل، يقول في نهاية إجازته للآقا حسين الخونساري: وبهذه الطرق نروي مصنّفات مَنْ تقدّم على الشيخ أبي جعفر، من المشايخ المذكورين وغيرهم، وجميع ما اشتمل عليه كتاب «فهرست أسماء المصنّفين» وجميع كتبهم مقنعة ترجع إلى كتبه ورواياته. وقال ابنه المجلسي الثاني: فأما أسانيد كتب أصحابنا فأكثرها عن الشيخ أبي جعفر الطوسي[٦٠] . وقال الشيخ أسد الله التستري: وإليه ينتهي معظم الطرق التي عليها بُنيَتْ روايات الأصحاب وإجازاتهم[٦١]

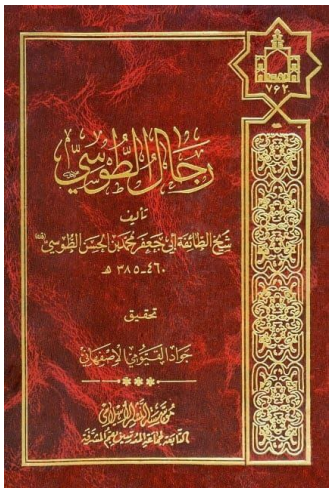

سادسا: العقيدة وعلم الكلام: تربع الطوسي على كرسي الكلام وللفقه

الأمامي وقد كانت تصانيفه في العقيدة تشتمل على التصانيف الروائية للنصوص الدينية مثل الغيبة والرسائل العشر او الاهتمام بالدليل الكلامي كتلخيص كتاب الشافي لأستاذه السيد المرتضى ومن ابرز مصنفاته في العقيدة وعلم الكلام:-

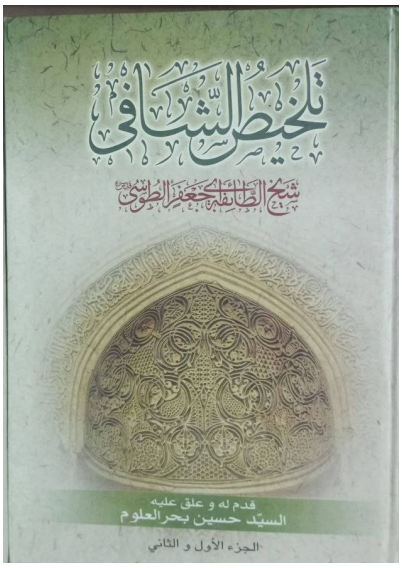

١- **تلخيص الشافي في الإمامة** : تأليف: شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ ه) الطبعة الأولى المحققة أربع أجزاء في مجلدين وهو خلاصة لكتاب (الشافي» لأستاذه السيد المرتضى، ويبحث في مسألة الإمامة، في علم الكلام - ويبحث في العقائد الإسلامية، استدلالاً ودفاعاً - كما يناقش آراء المخالفين لأصل الإمامة.أثبات وجود الإمامة والاستدلال ان الإمامة لطف ووجوب الأمام وصفاته وجواز ظهور المعجز للإمام وغيرها[٦٢].

وقد كتب الشيخ الطوسي فى مقدمة تلخيص الشافي: رايت كتاب الشرىف الاجل المرتضى ذي المجدىن اطال الله بقاءه وعضد المسلمىن واهل العلم بطول ايامه وعلاه [٦٣]. وتاريخ ختم تلخىص الشافي مذكور فى نهايته وهذا نص عبارة المصنف قدس سره:وافق الفراغ من اتمامه فى رجب سنه اثنتين وثلاثين وأربعمائة ٤٣٢هـ وان الكتاب الف فى حياة السيد المرتضى المتوفي (م ٤٣٦هـ). والمحصل من التلخيص هو بيان عمدة المطالب والتركيز على المهم منها.

٢- **الاقتصاد:** لقد كان الطوسي متبحرا بالكلام واسعا في استخدام

قواعده متمكنا من أدواته فهو قد اخذ علومه من شيخه المرتضى وأستاذه الشيخ المفيد وهم من القامات الأساسية المهمة في الدفاع عن مذهب اهل البيت (عليهم السلام) وتشييد أركانه واشتمل كتابه الاقتصاد على قيمه علمية وكلامية مهمه وعظيمة اذ لم يكتف بالكلام في العقائد. أنما كان هناك أبواب للاستدلال على صحة العبادات الاقتصاد فيما يجب على العباد يبحث فيه ركائز الاعتقادات عند الأمامية .وفيه مباحث التوحيد والنبوة والإمامة والعدل والاستطاعة والتكليف وفقهاً في العبادات والمعاملات.

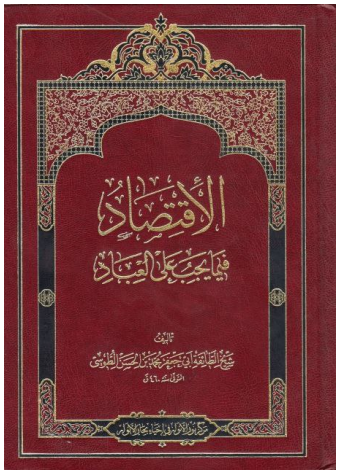

قيل انه يتهم النبي ص بالسهو، بينما في كتاب التهذيب يورد الحديث إيرادا فجاء ويبين صحة طريقه ويقول وهو حديث شاذ لم يعمل به احد من الطائفة. وهذا دال على ضعف تتبع وقذفه لفقيه كامل.

وشيخ الطّائفة الطّوسي وهو يستند إلى فتاوى الإمام الصّادق الصّريحة: من شكّ في صدق الرّسول وقال: أنا لا أدري هل هو صادق أم كاذب وأنا شاكّ في ذلك طالباً للدّليل، يُقتل في الحال إلّا أن يتراجع ويقرّ بنبوّته![٦٤] جاءت مثل هذا الفتاوي القاسية لغلق باب الشك في النبوة والخوض في تعاليم السماء بعد ورود النص القطعي من الصادق المصدق فيها.

٣- **الغيبة للشيخ الطوسي**: اهتم الشيخ للطوسي بقضية الأمام المهدي المنتظر وافرد لها كتابا خاصا اسماه(كتاب الغيبة)جمع فيه ما صح لديه من روايات النبي (صلى الله عليه وآله) والعترة الطاهرة (عليهم السلام) ما يخص غيبه الأمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه

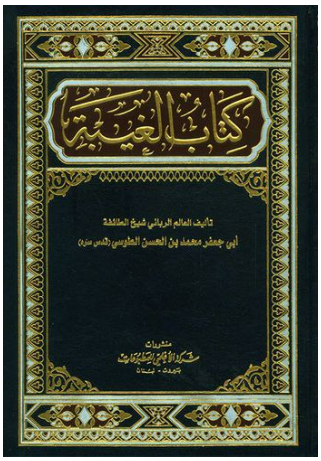

الشريف. وقد تناول فيه أبواب مختلفة بما يتعلق بغيبة الأمام المهدي عجل الله فرجه. وكتاب الغيبة من أهم الكتب الشيعية في القضية المهدوية. وقد طبع الكتاب عدة طبعات تحت عنوان (الغيبة)الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي ت ٤٦٠هـ منها طبعت النجف الأشرف في مطبعة النعمان،١٣٨٥هـ/١٩٦٥م. بتقديم الشيخ آغا بزرك الطهراني. وطبعت مؤسسة الاعلمي في بيروت وغيرها. هو موسوعة في القضية المهدوية وأسلوب المحاججة مع الإشكالات والشبهات المطروحة، وطريقة عرض المطالب يقول الشيخ المحقق آغا بزرگ الطهراني رضوان الله عليه: (قد تضمن أقوى الحجج والبراهين العقلية والنقلية على وجود الإمام (عليه السلام)وغيبته ثم ظهوره في آخر الزمان) وقد اتخذ فيه منهجين:-

١-**المنهج النقلي**: وكتاب الغيبة للطوسي هو احد اهم الكتب الروائية التي قدمت رصيد روائي يعني بقضية الامام المهدي (عجل الله فرجه) وهو من كتب القريبة لعصر الغيبة اذ كان مسبوقا بكتاب الغيبة للنعماني المتوفي ٣٦٠ هجري بينما كانت ولادة الشيخ الطوسي ب٣٨٥ هجرية . يروى الطوسي في الغيبة عن رسول الله محمّد (صلى الله عليه وآله): إنّ المهديّ من عترتي من أهل بيتي يخرج في آخر الزّمان ينزل له من السّماء قطرها، وتخرج له الأرض بذرها، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملأها القوم ظلماً وجوراً[٦٥]. ويروي عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) انه قال:«إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَلَا فَاقَةَ بِنَا إِلَى غَيْرِهِ، والْحَقُّ مَعَنَا فَلَنْ يُوحِشَنَا مَنْ قَعَدَ عَنَّا»[٦٦].

٢- **المنهج العقلي**: استخدم الأسلوب الكلامي في أثبات الغيبة فعندما أراد إثبات الغيبة للإمام المهدي عج، بدأ مباشرة بالتقسيم العقلي الذي يُطالب بإثبات الغيبة، فهو أمّا ان تكون الإمامة ثابتة عنده بالأصل أو لا.و إن كانت غير ثابتة فنحيله الى أثبات الإمامة أولاً، لأن الغيبة فرع الإمامة، ونقول: بعد أن ثبت في محلّه أنه لا بد للناس من إمام، ولا بد أن يكون هذا الإمام معصوماً، وبعد التحرّي عن كل شخص ظاهر ادّعى الإمامة لنفسه، وبعد أن وجد أنه إما فاسد المذهب من أصل أو غير معصوم.. فيثبت أنّ الإمام المعصوم الواجب الوجود لا بد أن يكون موجوداً ولكنه مستور غير ظاهر.و هذا إثبات عقلي ضروري عن تحقق الغيبة. ثم يتحدث عن أنّ قاعدة اللطف تقتضي توفير وتحقيق وجود إمام للناس، وأمّا تمكين هذا الإمام من ذلك فهذا راجع لاختيار الناس أنفسهم، والغيبة في ذلك تشبه عدم اختيار أهل الحلّ والعقد لمن يصلح لإمامة الناس، وغاب الإمام لأن الناس أحوجته للاستتار ولم تمكّنه منهم.. أما عن وجه علّة الغيبة. الجواب: مما يُقطع على أنّه سبب لغيبة الإمام هو خوفه على نفسه من أعدائه من القتل، وهذا ما حدا بالنبي (صلى الله عليه وآله) أن يستتر في الشعب، وأخرى في الغار - عند الهجرة -، وما صح في قصر مدة الاستتار يصح في طولها وتماديها ما دامت العلّة قائمة. ويستدل على خفاء حمل وولادة الحجة (عج) أن ستر ولادة صاحب الزمان عليه السلام ليس بخارق للعادة.

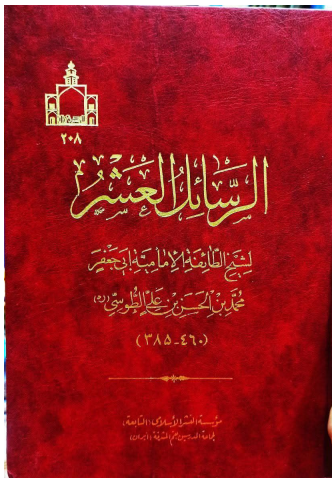

٤- **الرسائل العشر**: من مؤلفات الشيخ للطوسي هي مجموع الرسائل العشر وهي في موضوع العقائد والكلام الإسلامي الرسائل العشر تأليف أبي جعفر محمّد

بن الحسن بن علي بن الحسن الطّوسي [شيخ الطائفة] المحقق: المترجم: الموضوع: العقائد والكلام الناشر مؤسسة النشر الإسلامي.

سابعاً: التفسير : يعتبر شيخ الطائفة الطوسي من كبار مفسري الاسلام للقران الكريم وهو من أوائل علماء الشيعة الذين قدموا تفاسيرا واسعه لآيات القران الكريم يبتغي بذلك ان تكون رؤية اهل البيت (عليهم السلام) في آيات الله واضحه للشيعة من خلال ما يقدمه من تفسير للقران الكريم وحتى لا تتسلل الأفكار المختلفة وتتصدر على الذهنية بدعم سياسي وكذلك كان حرص الشيخ طوسي كبيرا انطلاقا من ان القران ثقل الله الأكبر فلابد ان يكون الاهتمام به يتناسب ومنزلته السماوي. وقيمته العلمية وكان تفسيره المسمى ب(تبيان في تفسير القران) من أروع ما خطته الايدي العلمية في تفسير آيات الله جامعا المأثور من الروايات واللغة والتاريخ والفقه والعقيدة.

١- تفسير التبيان في تفسير القرآن:

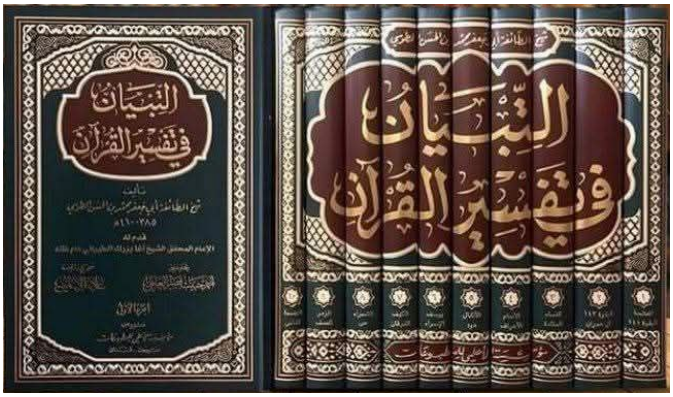

ألّف الأمامية كتبًا تفسيرية ودراسات تتعلق بالقران من أسباب نزول وفضائل السور وغيرها الا ان اجل ما وصل الينا هو تفسير أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي فاسم تفسيره التبيان في تفسير القرآن، وهو كتاب كبير، طبع للمرّة الأولى بإيران في

مجلدين كبيرين، صفحات كل واحد منهما تبلغ تسعمائة صفحة تقريباً وذلك من سنة ١٣٦٠ إلى سنة ١٣٦٥، ثم بوشر بطبعه ثانياً في النجف الأشرف طبعة أنيقة وصدر جزؤه الأول سنة ١٣٧٦هـ [وتمّ في عشرة أجزاء]. والشيخ الطوسي كونه فقيهاً مجتهداً استطاع أن يتعامل مع النص القرآني بذهنية اسلامية ذات طابع شمولي لأحاطه المفسر بأكثر جوانب العلوم والثقافة الإسلامية وسلوك المفسر منهجاً متكاملاً متحلياً بروح موضوعية عالية ونزعة علمية نزيهة. لقد امتاز التفسيربتعدد مصادره ومناهجه بانه اثري ولغوي وتاريخي وعقلي وفيه من التدبر والتفسير. وينقل عن ائمة اهل البيت (عليهم السلام) كما ينقل عن اهل اللغة وعن الصحابة والتابعين [٦٧].

منزلة تفسير التبيان عند علماء العامة في الأندلس:

يذكر أبو حيّان الأندلسي (ت٧٤٩هـ)، في تفسيره (البحر المحيط)وفي كتابه (منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك) منزلة الشيخ الطوسي بكل إجلال وإكبار فيقول : يُعدّ أبو جعفرٍ الطوسيّ شيخَ الطائفةِ الإماميّةِ وفقيهَهَا بما حازه من علمٍ ومكانةٍ أهّلته لذلك، وقد ضربَ صيتُه العلميُّ الآفاقَ حتى وصلَ علمُه ومؤلفاتُه إلى بلاد الأندلس، فقد ذكر في كتبه آراء شيخ الطائفة الطوسيّ (قدس سره الشريف) في مواضعَ كثيرةٍ، ويظهر مما وصفه به أنّه يمدحه ويجلّه فنجده في تفسيره البحر المحيط يقول: (وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطُّوسِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ وَهُوَ إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِمَامِيَّةِ)[٦٨]، وقال في موضع آخر في مسألة رؤية الله سبحانه وتعالى: (وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنْ أَصْعَبِ مَسَائِلِ أُصُولِ الدِّينِ، وَقَدْ رَأَيْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ الطُّوسِيِّ مِنْ فُضَلَاءِ الْإِمَامِيَّةِ فِيهَا مُجَلَّدَةً كَبِيرَةً)[٦٩]، وقال: (وَقَدْ رَأَيْتُ فِيهَا لِأَبِي جَعْفَرٍ الطُّوسِيِّ وَهُوَ مِنْ عُقَلَاءِ الْإِمَامِيَّةِ سِفْرًا كَبِيرًا يَنْصُرُ فِيهِ مَقَالَةَ أَصْحَابِهِ نُفَاةِ الرُّؤْيَةِ)[٧٠]،، ويتضح من عباراته أنه يحترم علمه ويقرّ له

بالصدارة ومدحُهُ هذا من إعجابه بكتبه ولا سيما تفسيره (التبيان في تفسير القرآن).

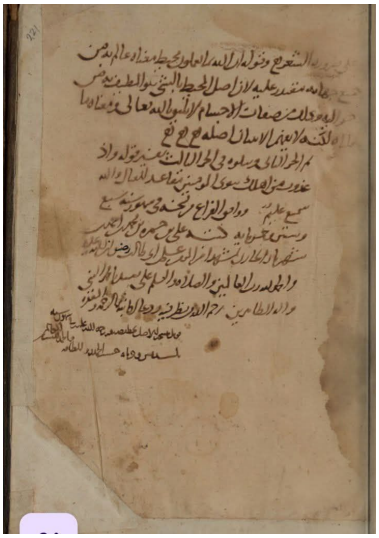

(صورة لمخطوطة من نفائس التراث الشيعي وهي الجزء الثالث من كتاب التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي مكتوب في مشهد الأمام علي (عليه السلام) في النجف الأشرف عام ٥٦٧ هـ - ١١٧١ م وكتب النسخة علي بن حمزة الشهير بأبن الخازن النسخة محفوظة جامعة برنستون الأمريكية منذ ثلاثينات القرن الماضي).

ثامناً: المحاضرات: لقد كان العطاء الذي يزخر به الشيخ الطوسي واسعا ومنابعه جارية فلم يكتف بما كتبه من تصانيف وشروح بل كانت محاضرات التي ميليها في الدروس العلمية والمجالس تقرر وتكتب لتتوج الأجيال بتراث عالم كبير عظيم المقام وغزير العلم وكان كتاب الامالي الذي جاء اسمه نتيجة ما يمليه من علوم في المجالس او حلقات الدرس.

١- **أمالي الطوسي:** تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي (قدس سره) وكتاب الأمالي ـ هذا في الحديث، ويقال له أيضاً (المجالس) والأمالي أو المجالس في

الأخبار لأنه(رحمه الله)أملاه مرتباً في عدة مجالس على تلامذته .

ويشتمل كتاب الامالي على ٤٥ مجلساً تشتمل على أمالي الشيخ الطوسي في الأحاديث.، شاعت نسبته الى الشيخ أبي علي الحسن بن الشيخ الطوسي(رحمه الله)، ولكن ليس كما اشتهر، بل هو جزء من أمالي والده الشيخ الطوسي أيضاً إلاّ أنه ليس مثل جزئه الآخر مرتباً على المجالس. ولهذه الشائعة أسباب ذكرها الشيخ اغا بزرك الطهراني في الذريعة [٧١].وقد طبع عدة طبعات منها طبعة بإيران (طهران) سنة ١٣١٣هـ وطبع في مطبعة النعمان في النجف الأشرف ١٩٦٤ -١٣٨٤ هـ بتقديم السيد محمد صادق بحر العلوم وطبع من مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت تحقيق نضال علي وتصحيح وفهرسة علاء الدين الاعلمي.

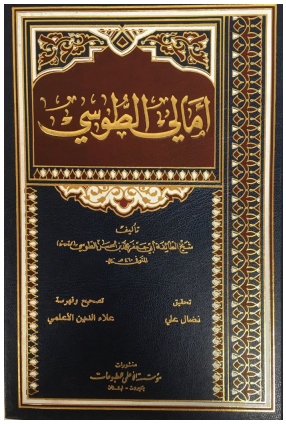

المبحث الثالث: مرقد ومسجد الشيخ الطوسي

المطلب الأول: مرقد الشيخ الطوسي:

قبره ملاذا لكل زائر لأمير المؤمنين (عليه السلام) فكل من يعرف مقام الشيخ الطوسي يعرّج لزيارته لقربه بعدة أمتار من الصحن الشريف لمرقد الامام امير المؤمنين علي (عليه السلام) ليؤدي جزء من الوفاءٌ بحقّه، جزاء ما بذله من جهدٍ عظيم وما قدمه من عطاء في إعلاء كلمة الإسلام والمذهب. وقد كان في الأصل داراً لشيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي منذ أن وطأت قدمُهُ أرض النجف عام ٤٤٩هـ، وبعد وفاته عام ٤٦٠ أوصى أن يدفن فيه، وقد دفن فيه ومعه ولده الشيخ الحسن بن محمد

الطوسي، وما زال قبر الشيخ الطوسي قائما في وسطه المسجد يتبرك الناس به، وبإزائه مقبرة السيد محمّد مهدي بحر العلوم. وقيل انه بوصية منه تم تحول بيته إلى مسجد، لكن حديث الوصية غير مسند تاريخياً وقد ذكر الوصية الشيخ اغا بزرك الطهراني في مقدمته عن الشيخ الطوسي لكتاب (التبيان)[٧٢] وقد دفن الشيخ الطوسي في داره لكن تاريخ تحويل مرقده الى مسجد غير معلوم ويمكن ان تكون منزلة الشيخ الطوسي قد جعلت من مرقده الطاهر مسجداً.

وقد نقل جثمانه الطاهر من باب المسجد الى باحة المسجد بعد ان اخذ الشارع العام جزء من المسجد فاصبح قبر الشيخ الطوسي في باب المسجد مما دعى العلماء في الاستفتاء في نقل جثمانه الى وسط المسجد في منصف القرن الماضي يقول اية الله الشيخ محمد حسين سيبويه الذي كان يقيم مجالس العزاء في مسجد الطوسي في سبعينات القرن الماضي: سمعت من ايه الله السيد محمد تقي بحر العلوم انه لما ارادوا نقل قبر الشيخ الطوسي فتحوا قبر الشيخ الطوسي وجدوه ملقى على وجهه حتى الكفن لم يتغير بعد الف عام وابنه مدفون بجواره.

الصورة لمرقد وجامع الشيخ الطوسي عام ١٩٧٠ يظهر في الصورة السيد نوري زوين مؤذن الروضة الحيدرية والسيد فاضل زوين صاحب المكتبة في شارع الصادق واية الله الشيخ محمد حسين سيبويه عندما كان يخدم المسجد كخطيباً ومجموعة من أهل النجف الأشرف.

شباك ضريح الشيخ الطوسي قبل التعمير

ضريح قبر الشيخ الطوسي أثناء التعمير الأخير

قبر الشيخ الطوسي بعد التعمير الاخير١٤٤٧هـ-٢٠٢٥م. ويظهر الحجر الملاصق للقبر الشريف بعد التعمير وخطت عليه ابيات:

يا مرقد الطوسيّ فيك قد انطوى محيي العلوم فغدت أطيب مرقدِ

وبكا الشرع الحنيف مؤرخـــــا - ابكا الهدى والدين فقـد محمد

جوانب لشباك الخشب لضريح الشيخ الطوسي بعد التعمير

الجهة الداخلية لكسوة قبر الشّيخ الطوسي (قُدِّسَ سِرُّهُ)

المطلب الثاني: مسجد الشيخ الطوسي :

اولاً: تاريخ المسجد:

وهو من المساجد الشهيرة والقديمة والمهمة والعظيمة في مدينة النجف الأشرف، ويقع في محلة العمارة من الجهة الشمالية للصحن الشريف في أول شارع الطوسي، على مقربة أمتار من صحن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من الباب المعروفة باسم باب الطوسي وتسمى المسجد باسم هذا العالم العظيم الشيخ الطوسي، وتبلغ مساحة مسجد الشيخ الطوسي في الوقت الحاضر (٣١مترا طولا و١٧مترا عرضا)، بما في ذلك حرم وساحة ومقبرة السيد بحر العلوم ومرافق المسجد[٧٣]. اما متى تم تحويل مرقد الشيخ الطوسي الى مسجد فذلك لا يمكن إثباته ولكن هناك من الأدلة على انه من قرون عديدة وحصل ذلك قبل الالفية الهجرية فقد كتب السيد مرتضى ابن علوان سنة ١١٠٤هـ في خاتمة مخطوط عن إتمامها في مسجد الشيخ الطوسي في النجف الأشرف: (وكتب الرسالة الشريفة... سنة أربعمائة بعد الألف في مسجد الشيخ

الطوسي الواقع في الغري) وهو تاريخ جديد للمسجد قبل رحلة السيد مرتضى ابن علوان التي كانت سنة ١١٢٠- ١١٢١هـ [٧٤]. فتكون الفترة الزمنية بين وفاة الشيخ الطوسي ٤٥٨ هـ وبين هذه المخطوطة عام ١١٠٤ هو نصف قرن فيكون بناء المسجد قد حصل فالنصف الثاني من الألفية الهجرية الأولى. كما ان الأثار العمرانية للمسجد التي اكتشفت لا يزيد عمرها على ربع قرن اي انها تنتمي لفترة زمنية بعد تاريخ المخطوطة.

ثانياً: أهمية مسجد الشيخ الطوسي: يكتسب المسجد أهميته من رمزية شيخ الطائفة الشيخ الطوسي والسيد محمد مهدي بحر العلوم:-

١- **الدرس العلمي:** حيث يعتبر هذا الجامع مركزاً للعلم والتحصيل وتدريس طلاب الحوزة العلمية في كل أدواره ـ ضم عشرات حلقات التدريس من قبل كبار المجتهدين وأعاظم المدرسين، فقد كان العلماء يستمدون من بركات قبر الشيخ الطوسي كشف غوامض المسائل ومشكلات العلوم وتحوّل مسجده الى مدرسة كبرى تحتضن مئات الطلاب والعلماء وكأن روحه الكبيرة ما تزال ترفرف فوق رؤوس طلبه العلم لتهب عشاق العلم النفحات الالهية وألقى فيه كبار اساطين المذهب دروسهم العلمية" فقد أمضى الشيخ محمد حسن النجفي مؤلف الكتاب المشهور جواهر الكلام حياته يدرّس الى جانب مرقد شيخ الطائفة. وعندما طلبوا منه الانتقال الى مسجد أكبر يحمل اسمه، رفض ذلك احتراماً «للطوسي»[٧٥]. ودرس الآخوند الخراسانيّ طلبته في سطح مسجد الشيخ الطوسيّ يقول آية الله السيّد محمّد هادي الميلانيّ (ره): كنت في السادسة عشرة من العمر حيث كنت أدرس الرسائل والمكاسب وكنت أحضر أحياناً للتبرك والتيمّن بحث آية اللّه العظمى الآخوند

(قُدِّسَ سِرُّهُ) وافهم الدرس جيداً، لكن الحياء كان يمنعني من الاستمرار نظرا لحداثة سنّي؛ ولذلك كنت اصعد على سطح مدرسة القوام، واسمع صوت الآخوند وهو يلقى الدرس في مسجد الطوسي. ولم يشأ اللّه أن يمدّ في عمر الآخوند فتوفّي عام ١٣٢٩ هـ(٧٦). قال السيد فاضل بحر العلوم: عطفا على رواية السيد الميلاني الكبير حول الاخوند وبحثه اعقب واقول ما سمعته من خالي المرحوم وخالتي وكانوا معمرين انهم ابان طفولتهم كان يصلهم صوته وهو يدرس على سطح المسجد حيث انهم كانوا في بيت السيد بحر العلوم فوق السطح يسمعونه بوضوح وانه كان مميزا بحيث انهم كانوا يذكرونه. وقد درس فيه شيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والسيد محسن الحكيم، والسيد محمد تقي بحر العلوم بحوثهم فيه، وكان الإمام السيد محسن الحكيم يحاضر في الفقه صباحا في هذا المسجد، والعلامة الشيخ حسين الحلي يحاضر عصراً، والعلامة الشيخ باقر الزنجاني يحاضر ليلاً وكان الشهيد محمد محمد صادق الصدر عام ١٩٧٦م يلقي فيه البحث الخارج على كتاب المختصر النافع للعلامة الحلي وكان مكان لدرس كفاية الأصول لسماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي قبل سقوط النظام البعثي.

٢- **مجالس الوفيات:** وتقام في المسجد مجالس الفاتحة على أرواح كبار العلماء وبعض ابناء مدينة النجف الأشرف.

٣- **صلاة الجماعة:** تقام صلاة الجماعة في مسجد الطوسي يوميا وقد أقام الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب الجواهر) الصلاة فيه، والسيد حسين بحر العلوم لثلاث عقود.

٤- **الشعائر الدينية:** مجالس عزاء في السبعينات والثمانينات القرن الماضي

حيث كان يعد من المجالس المهمة ويقول اية الله الخطيب الشيخ محمد حسين سيبويه عن مجلسه في شهر رمضان وسائر المناسبات في سبعينيات القرن الماضي الذي كان يخطب فيه في مسجد الطوسي انه لم يسع المسجد ومحيطه والشارع أمامه للحضور. ولا وكان يعقد فيه مجلس المرحوم آية الله السيد حسين آل بحر العلوم ويقرا فيه المقتل يوم العاشر،ومن بعد سماحة السيد محمد علي السيد محمد بحر العلوم (رحمه الله) ولاتزال تقام مجالس العزاء في المسجد.

٥- **منطلق لتشييع الجنائز** : تنطلق جنائز وفيات جميع موتى الشيعة التي تصل النجف الاشرف من اجل تشييعها من جوار مسجد الطوسي كنطقه تجمع وانطلاق بعد زيارة المرقد الطاهر للامام امير المؤمنين (عليه السلام) نحو مقبرة وادي السلام حيث مدفن الموتى.

٦- **باب وشارع الطوسي**: يسمي باب الصحن الشريف لمرقد الأمام امير المؤمنين (عليه السلام) الذي يؤدي الى مرقد ومسجد الشيخ الطوس بباب الطوسي، كما استحدث شارع الذي يربط المرقد الطاهر بمقبرة وادي السلام اسم شارع الطوسي.

ثالثاً: مراحل عمران مسجد الشيخ الطوسي:

وقد مرّت على مسجد الشيخ الطوسي مراحل عمرانية وتجديدات عديدة إلى أن وصل إلى وضعه الحالي، فقد جُدّد بناء المسجد عدة مرات وطرأت على هذا المسجد عدة مراحل من الصيانة والتجديد :

١- **العمارة الأولى**: في حدود سنة ١١٩٨هـ وذلك بترغيب من العلامة الحجة السيد محمد مهدي بحر العلوم(رحمه الله) كما ذكره في (الفوائد الرجالية)، فقد

قال(رحمه الله): «وقد جدد مسجده في حدود سنة ١١٩٨هـ فصار من أعظم المساجد في الغري، وكان ذلك بترغيبنا بعض الصلحاء من أهل السعادة».

العمارة الثانية: سنة ١٣٠٥هـ كما ذكرها العلامة الحجة السيد جعفر آل بحر العلوم في كتابه (تحفة العالم في شرح خطبة المعالم): وكانت العمارة المذكورة بعناية العلامة الكبير السيد حسين بن السيد رضا بن السيد بحر العلوم المتوفّى سنة ١٣٠٦هـ كما قاله، وهي العمارة الموجودة اليوم [٧٧]، فإنّه لمّا رأى تضعضع أركانه وإنّها آلت إلى الخراب رغّب بعض أهل الخير في قلعه من أساسه، فجدّد[٧٨]. وبنى السيد بحر العلوم(رحمه الله) لنفسه مقبرة في جواره دُفن فيها مع أولاده وجملة أحفاده، ولا تزال هذه المقبرة مدفناً لموتاهم حتى اليوم.

٢- العمارة الثالثة:

و في سنة عام ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م فتحت الحكومة شارع الشيخ الطوسي فهدم ما يقرب من ربع مساحة المسجد عند إنشاء الشارع العام المسمّى بشارع الطوسي، فصار للمسجد بابان، أحدهما كبير على الشارع الجديد العام من جهة الشرق، والثاني على الطريق القديم من جهة الغرب مقابل المدرسة المهدية [٧٩] فأقتطع من المسجد قرابة ثلاثة أمتار [٨٠].

٣- العمارة الرابعة: في عام ١٣٨٠هـ قام بها اية الله السيد حسين بحر العلوم شملت إعادة بناء وتحديث أروقة وأجنحة الجامع الطوسي ليشمل جناح الدروس إلى جانب مثوى وضريح شيخ الطائفة الطوسي والسيّد بحر العلوم الكبير. وتأسيس (مكتبة العلمين) لتكون مركز ثقافي يضم عدّة أنشطة دينية وعلمية واجتماعية وأدبية.

٤- العمارة الخامسة: أعمال تأهيل جامع الشيخ الطوسي (قُدِّسَ سِرُّهُ)٢٠٢٣م: من قبل هيئة الوقف الشيعي بواسطة العلوية وجاء اهتمام العتبة العلوية بالمعالم والأبنية الأثرية والتراثية المنتشرة في النجف الأشرف والمدينة القديمة عموماً وتلك المُجاوِرة لمرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) خصوصاً. وانطلاقا من ذلك الاهتمام شرعت الكوادر الهندسية والفنية في قسم الشؤون الهندسية والفنية الأمانة العامة للعتبة العلوية المقدسة بتاريخ تشرين الثاني ٢٠٢٣م بأشراف المهندس على المشروع حسين خضير[٨١]. أعمالها بإعادة تأهيل وصيانة جامع الشيخ الطوسي الذي يعود بناؤه لأكثر من (٩٠٠ سنة) مضت". وتمَّت أعمال الصيانة والترميم ابتداءً بالقُبَب الموجودة في سطح الجامع المتمثلة بإعادة تأهيل الكاشي الكربلائي (القاشان)، ثم المرمر الجداري لواجهة الجامع والجدران الداخلية للمُصلَّى والمداخل الرئيسة للجامع" وصيانة ارضية وجدران المسجد وشباك القبر.

مراحل عمران وتغليف قبة مسجد الشيخ الطوسي

جانب الأيسر لمسجد الشيخ الطوسي بجوار مرقد الأمام امير المؤمنين (عليه السلام) بعد التجديد

رابعا: أثار في مسجد الشيخ الطوسي (قده):

تم الكشف عن بعض آثار المسجدية أثناء مرحلة التعمير الخامسة في مطلع ٢٠٢٣م والتي يقدر زمن بنائها بأكثر من ٢٥٠سنة حسب الأحاديث التي دارت مع أهل الخبرة في الفن المعماري الإسلامي ' وقد تم تغليف جميع هذه الآثار بمادة النايلون السميك (المشمع) قبل أعادة دفنها من جديد وتسوية السطح الأرضي للمسجد كما هو عليه اليوم.

اثار اعمدة مسجد الشيخ الطوسي القديمة التي عثر عليها اثناء تجديد بناء المسجد

أساسات جدران المسجد القديمة التي عثر عليها أثناء التعمير

أساسات جدران ودعامات المسجد القديمة التي عثر عليها اثناء مراحل التعمير الأخيرة

خامساً: مسجد الشيخ الطوسي بعد الافتتاح:

افتتح مسجد الشيخ الطوسي في ١٤ ربيع الأول ١٤٤٧ هـ ٢٠٢٥م. الموافق لليوم الأول من الدراسة الحوزية للعام الجديد في النجف الأشرف. وكانت اول صلاة جماعه بأمامه الإمام الراتب للمسجد الحجة السيد جعفر السيد عبد الصاحب الحكيم بعد وفاة خاله المرحوم الحجة السيد محمد علي آل بحر العلوم.

صلاة الحجة السيد جعفر السيد عبد الصاحب الحكيم في أول يوم من افتتاح مسجد الشيخ الطوسي

مسجد الشيخ الطوسي بعد التجديد

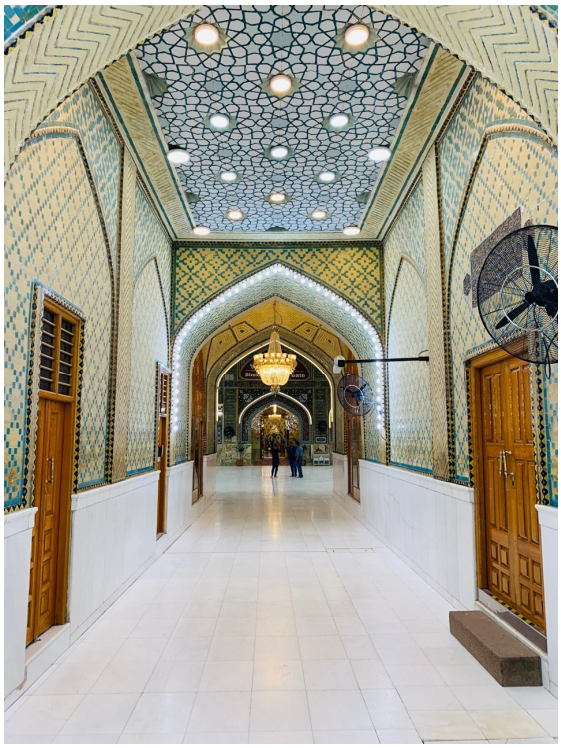

باب مرقد ومسجد الشيخ الطوسي وممراتها [٨٢]

باحة مسجد وقبر الشيخ الطوسي قدس سره في النجف الأشرف بعد التجديد

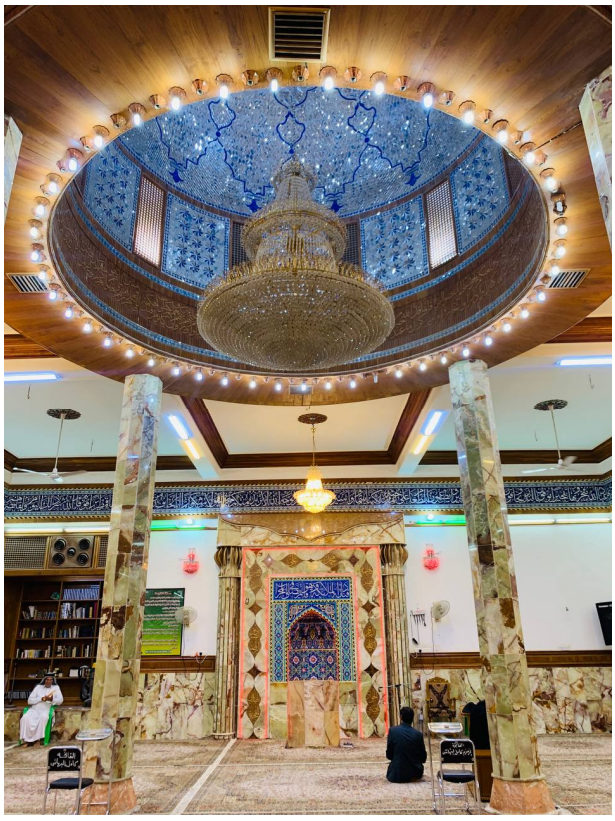

محراب مسجد الشيخ الطوسي بعد العمران الجديد

المطلب الثالث: مكتبة العلمين:

سميت مكتبة العلمين نسبه الى العلمين (الشيخ الطوسي والسيد بحر العلوم)، وهي تقع في باحة مسجد الشيخ الطوسي – مقبرة العلامة السيد بحر العلوم. وقد أسست المكتبة من قبل آية الله السيد حسين آل بحر العلوم، وأوقف العلامة السيد محمد صادق آل بحر العلوم مكتبته إليها، وأصدرت بعض الكتب التحقيقية وأقيم فيها مسابقات لكتب تتعلق باهل البيت عليهم السلام، وضمت مخطوطاتها ونفائس الكتب.

مكتبة العلمين الواقعة في مسجد الشيخ الطوسي

هوامش البحث:

(١). منهم اية الله السيد البروجردي الطباطبائي (ت ١٣٨٠هـ) في مقدّمة كتاب (الخلاف) للشيخ الطوسي، طبع طهران عام ١٣٧٠هـ الشيخ آقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ) في وحياة الطوسي، مقدّمة لكتاب (النهاية) للشيخ الطوسي، طبع بيروت، والعلامة السيد محمد صادق بحر العلوم (١٣١٥ ـ ١٣٩٩هـ) كمقدمته الطويلة لرجال الطوسي، المطبوع في النجف، ومقدمته للفهرست كذلك، وقد خصّص في كتابه القيّم «دليل القضاء الشرعي» ترجمة واسعة للشيخ الطوسي، احتلّت من الجزء الثالث، الصفحات (١٧٧ ـ ٢١٢) والعلامة عبدالعزيز الطباطبائي (ت ١٤١٦هـ) والسيد الطباطبائي، كتب باللغة الفارسية بحثاً طويلا، نشر في دوريّة (ميراث إسلامي إيران) السنوية، التي أصدرتها مكتبة آية الله المرعشي في قم، في العدد الثاني لعام ١٤١٤هـ بعنوان «شخصيت علمي ومشايخ شيخ طوسي» في الصفحات (٣٦٣ ـ ٤١٢) والسيد حسن الموسوى الخرسان حياة شيخ الطائفة ابى جعفر محمد بن الحسن الطوسي كمقدمة لكتاب، تهذيب الحكام، في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، مصادر الدراسة عن النجف. الشيخ الطوسي ، محمد هادي الاميني، جمع وتحقيق: عبد الرحيم حمد على، مطبعة النجف / النجف الاشرف،١٣٨٢ ١٩٦٣٠٠م، الحجة السيد حسن الموسوى الخرسان، حياة شيخ الطائفة ابى جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ومحمد رضا موسوىان، آفاق الفكر السياسي عند الشيخ الطوسي، تعريب صفاء الدين الخزرجي، علل الحديث في تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي

(ت ٤٦٠هـ)، عادل عبد الجبار ثامر الشاطي، والمباني الكلامية في تفسير القرآن دراسة في تراث الشيخ الطوسي، محمد سلطاني، ترجمة: محمد علي أيوب، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي سلسلة الدراسات القرآنية. وسلسلة علماء الشيعة، الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، دراسة في السيرة والعقيدة، الأستاذ الدكتو حسن عيسى الحكيم وغيرها من مصادر ذكرناها في بحثنا.

(٢). البحراني، يوسف بن أحمد، لؤلؤة البحرين، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المنامة ــ البحرين، مكتبة فخراوي، ط ١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م، ص ٢٨٠. بحر العلوم، محمد مهدي، الفوائد الرجالية، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم، طهران، منشورات مكتبة الصادق، ط ١، ١٣٦٣ هـ ج ٣، ص ٢٣٩.

(٣).علي رضا شهروي، الطوسي شيخ الطائفة، المترجم، كمال السيد، المطبعة، صدر، الطبعة الأولى،١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م، ای‌ران، قم – الناشر مؤسسة أنصاريان ص ٢٠،٣٩

(٤). انظر،السيّد محمد رضا الحسيني الجلالي، الشيخ الطوسيّ وتراثه الحديثيّ، إعداد التحرير. همه حقوق براى موسسه اسلامى جهانى «تبلیغ وارشاد محفوظ است: (http،www.altabliq.com///)».

(٥). العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن مطهر، خلاصة الاقوال في معرفة الرجال، تحقيق: جواد القيومي، قم، نشر الفقاهة، ط ٤، ١٤٣١ هـ ص ٢٤٩.

(٦). عبد الصمد الحارثي، وصول الأخيار، ص ٧١.

(٧). الإجازة الكبيرة الى الشيخ ناصر الجارودي، للسماهيجيّ تحقيق الشيخ مهدي العوام ص٢٠٣.

(٨).اسد الله التستري، مقابس الأنوار، ص ٤.

(٩). حسن الصدر، تأسيس الشيعة، ص ٣٠٤.

(١٠). بحر العلوم، الفوائد الرجالية، ج ٣، ص ٢٢٨. رجال السيّد بحر العلوم، وخاتمة مستدرك الوسائل، ٥٠٥.

(١١). الميرزا حسين النوري، مستدرك وسائل الشيعة (ج ٣، ص٥٠٩)

(١٢). الشيخ الطوسي مفسراً،ص١٦١ .

(١٣). حياة شيخ الطائفة ابى جعفر محمد بن الحسن الطوسي المورقة ٤٦٠ هـ السيد حسن الموسوى الخرسان – مقدمة، تهذيب الحكام،في شرح المقننعة للشيح المفيد رضوان الله عليه تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي الجزء الأول ،حققه وعلق عليه سيدنا الحجة السيد حسن الموسوي الخرسان عنى بنشره،الشيخ على الآخوندى صاحب دار الكتب الاسلامية النجف الأميري مطبعة النعمان – النجف، الطبعة الثانية،١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م – ص ٤٤.

(١٤). جعفر، خضير، الشيخ الطوسي مفسراً، قم، مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الاسلامي، ١٤٢٠ هـ اعداد: حسين الحسيني، ص١٦٢.

(١٥). محمد أبي زهرة، الامام الصادق، ص٢٦٠ ـ طبع مصر تحت عنوان (كتب الحديث والفقه عند الامامية.

(١٦). حياة شيخ الطائفة ابى جعفر محمد بن الحسن الطوسي المورقة ٤٦٠ هـ السيد حسن الموسوى الخرسان – مقدمة، تهذيب الحكام،في شرح المقنعة للشيح المفيد رضوان الله عليه تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي الجزء الأول ،حققه وعلق عليه سيدنا الحجة السيد حسن الموسوي الخرسان عنى بنشره،الشيخ على الآخوندى صاحب دار الكتب الاسلامية النجف الأميري مطبعة النعمان –النجف، الطبعة الثانية،١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م – ص٤٤.

(١٧). علي رضا شهروي، الطوسي شيخ الطائفة، المترجم، كمال السيد، المطبعة، صدر، الطبعة الأولى،١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م، ايران، قم –الناشر مؤسسة أنصاريان – ص ٣١،٣٠.

(١٨). الشيخ الطوسي مفسراً، ص ٣٦،٣٩. ، السيد حسن الموسوى الخرسان، حياة شيخ الطائفة ابى جعفر محمد بن الحسن الطوسي المورقة ٤٦٠ هـ–مقدمة، تهذيب الحكام،في شرح المقنعة للشيح المفيد رضوان الله عليه تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي الجزء الأول ،حققه وعلق عليه سيدنا الحجة السيد حسن الموسوي الخرسان عنى بنشره،الشيخ على الآخوندى صاحب دار الكتب الاسلامية النجف الأميري مطبعة النعمان –النجف، الطبعة الثانية،١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م – ص٤٤.

(١٩). يلاحظ، مقالة الكاتب الطباطبائي في مجلة (إسلام) طبع النجف الأشرف السنة الاولى العدد ٦ ص٢٢١ ـ ٢٢٣ ومقالة الاستاد دانش پژوه في مجلة (فرهنگ ايران) ج٤ ص٨٨ ـ ٨٩.

(٢٠). عبدالجليل الرازي «النقض» ص١٥٩.

(٢١). يراجع: وثيقة خطية: كلمة آية الله العظمى السيد أبي القاسم الخوئي (قده) وبختمه بتاريخ ٤ ربيع الاول ١٣٩٠هـبمناسبة ألفية ولادة الشيخ الطوسي (قده) بجامعة مشهد في ايران، وهي بخط الشيخ محمد كاظم الخوانساري كاتب السيد آنذاك، وبإمضائه.ص٢.

(٢٢). حياة شيخ الطائفة ابى جعفر محمد بن الحسن الطوسي المورقة ٤٦٠ هـ السيد حسن الموسوى الخرسان – مقدمة، تهذيب الحكام،في شرح المقنعة للشيح المفيد رضوان الله عليه تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي الجزء الأول ،حققه وعلق عليه سيدنا الحجة السيد حسن الموسوي الخرسان عنى بنشره،الشيخ على الآخوندى صاحب دار الكتب الاسلامية النجف الأميري مطبعة النعمان –النجف، الطبعة الثانية،١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م – ص٤٤.

(٢٣). علي رضا شهروي، الطوسي شيخ الطائفة، المترجم، كمال السيد، المطبعة، صدر، الطبعة الأولى،١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م، ايران، قم – الناشر مؤسسة أنصاريان – ص،٣١ .

(٢٤). علي رضا شهروي، الطوسي شيخ الطائفة، المترجم، كمال السيد، المطبعة، صدر، الطبعة الأولى،١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م، ايران، قم – الناشر مؤسسة أنصاريان – ص ٣١، ٣٠.

(٢٥). ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج١ ص١٩٩ ـ ص ٢٠٠)

(٢٦). انظر،كرد علي، خطط الشام (ج٦ ، ص١٨٥ .

(٢٧). ياقوت الحموي معجم البلدان، ج٢ ، ص٣٤٢، بمادة (بين السورين) ص٣٤٢.

(٢٨). ابن الأثير، التاريخ الكامل، ج١٠ ،ص٣.

(٢٩). انظر: المنتظم (ج٨ ص١٧٣ ـ ص١٧٩)، وانظر ترجمته أيضاً في لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (ج٥ ص١٣٥) طبع حيدر آباد دكن.

(٣٠). ترجمة مصنف الكتاب (مقدمة الكتاب) – كتاب الاستبصار في ماختلف من اخبار –طبعة الهند،مج٨، ص٣٦٣ – يراجع، ابن حجر في لسان الميزان (٥/ ١٣٥)

(٣١).محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة، ج٣، ص ٢٥٠، الطهراني، طبقات أعلام الشيعة ج ٢.

(٣٢). محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة، ج٣، ص١٩٦.

(٣٣). العلامة الحلي، خلاصة الأقوال، ص ٢٤٩.

(٣٤). علي رضا شهروي، الطوسي شيخ الطائفة، المترجم، كمال السيد، المطبعة، صدر، الطبعة الأولى،١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م، ايران، قم – الناشر مؤسسة أنصاريان – ص٣٦

(٣٥). حياة شيخ الطائفة ابى جعفر محمد بن الحسن الطوسي المورقة ٤٦٠ هـ السيد حسن الموسوى الخرسان – مقدمة، تهذيب الحكام،في شرح المقننعة للشيح المفيد رضوان الله عليه تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي الجزء الأول ،حققه وعلق عليه سيدنا الحجة السيد حسن الموسوي الخرسان عنى بنشره،الشيخ على الآخوندى صاحب دار الكتب الاسلامية النجف الأميري مطبعة النعمان –النجف، الطبعة الثانية،١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م – ص٤٤.

(٣٦). خضيرجعفر، الشيخ الطوسي مفسراً،ص١٦٢،١٦١.

(٣٧). الطوسي، أمالي، ص١٤٤ المجلس الخامس ح٤٧.

(٣٨).الطبرسي، الاحتجاج، ص ٩.

(٣٩). المدرسة السليمية : أقدم المدارس الضاربة في القِدَم التي لا زال لها اسم ورسم هو ما يعرف بالمدرسة السليمية، فقد ذكر الشيخ جعفر محبوبه رحمه الله أنها مدرسة المقداد السيوري المتوفى عام ٨٢٦هـ وقد ورد ذكر مدرسته في ختام نسخة نفيسة من مصباح المتهجد للشيخ الطوسي قدس سره مستنسخة عام ٨٣٢، وبالنظر الى أن أحد المحسنين وهو سليم خان الشيرازي قام بتعميرها عام ١٢٥٠هـ عرفت لاحقاً باسم المدرسة السليمية، ومساحة المدرسة صغيرة جداً حيث لا تتجاوز مائة متر مربع، وموقعها في مقابل مسجد الصاغة في السوق الكبير، بالقرب من شارع الإمام زين العابدين (ع)، وقد تعرضت للتجاوز والخراب حتى لم تعد قابلة للاستفادة فتصدى ديوان الوقف الشيعي لإعادة تشييدها ولكن لم يتم ذلك حتى تكفل بالأمر مكتب المرجعية العليا فبناها في ثلاثة طوابق تشتمل على أربعة عشرة غرفة مع خدمات كاملة، علماً أنه كان هناك رغبة ملحة في توسعتها بضم بعض الأراضي المجاورة اليها ولكن ـ وللأسف ـ لم يتحقق ذلك، وقد طال العمل فيها سنة كاملة وانتهى قبل عدة أشهر وتم افتتاحها وإسكان بعض طلاب العلوم الدينية فيها.

(٤٠). محمد أمين الخوئي، مرآة الشرق ج ٢، ص ٨١٨.

(٤١). أحمد علي مجيد الحلي، زيارة قبر الشيخ الطوسي (قده) – مسموعاتي، https://tableegh.imamali.net/files/r٠٢/٠٣/٢٢/jp٤٨٢j٤gy.jpg)

(٤٢). القاضي نور الله المرعشي،مجالس المؤمنين، ص ٢٠٠ ـ ص ٢٠١.

(٤٣). محمد باقر الخونساري، روضات الجنات: ج ٤ ص ٤٣ ـ ص ٤٤.

(٤٤). يراجع: عبد الرزاق حرز الدين، تاريخ النجف الاشرف، ج ٣،ص ١٣.

(٤٥). مقدمة كتبها الشيخ آقا بزرك الطهراني(رحمه الله) وهي الرسالة التي ألّفها في (حياة الشيخ الطوسي) والمطبوعة في النجف الأشرف سنة ١٣٧٦ ـ سنة ١٩٥٧ في (٧٤) صفحة، وقد كتبها إجابة لطلب الفاضل السيد أحمد شوقي صاحب (مكتبة الأمين) لتكون كمقدّمة لتفسير شيخ الطائفة الطوسي (التبيان في تفسير القرآن) الذي طبع جزؤه الأول في المطبعة العلميّة بالنجف الاشرف سنة ١٣٧٦هـ سنة ١٩٥٧م، وقد تضمن دراسة تاريخية دقيقة عن حياة شيخ الطائفة الطوسي وقد طبعت هذه الرسالة طبعة مستقلة.

(٤٦).اغا بزرك الطهراني ،حياة الشيخ الطوسي، الطوسي، محمد بن الحسن، النهاية، قم، انتشارات قدس محمدي، د.ت، ص ١٧، ٣١.

(٤٧). الطوسي، المبسوط،، ج ١، ص ٢.

(٤٨). الطوسي، المبسوط،، ج ١، ص ٢.

(٤٩). الطوسي، المبسوط، ج ١، ص ٢.

(٥٠). وقد طبع عدة طبعات القديمة: تهذيب الاحكام تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي رحمه الله المتوفى ٤٦٠ للهجرة الطبعة الأصلية القديمة لعام ١٣٩٠ للهجرة تعليقة اية الله السيد حسن الخرسان رحمه الله ١٠ مجلدات،انتشارات دار الكتب الإسلامية،بازار طهراني. ج١،ص .

(٥١). الطوسي، العدّة في أصول الفقه (٣/١ ـ ٤) تحقيق الأنصاري القمي، رقم ١٤١٧هـ

(٥٢). الشيخ الطوسي مفسراً، ص ١٦٢.

(٥٣). الطوسي، العدة في أصول الفقه، ج ٢،ص ٧٣٠ .

(٥٤). الطوسي، العدة في أصول الفقه، ج ١، ص ١٣٦.

(٥٥). الطهراني، الذريعة: ٤٠٣/٢٤الرقم ٢١٤١، التراث العربيّ المخطوط: ٢٠٢/١٣.

(٥٦). الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٣، ص ١٠، كتاب الصّلاة، رقم الحديث ٢٦.

(٥٧). الطوسي، مصباح المتهجد: ص ٨٤٢، ٨٤٣.

(٥٨). الذريعة إلى تصانيف الشيعة: كتاب من تأليف الشيخ آغا بزرگ الطهراني، كتاب موسوعي بشكل قاموس ألفبائي، يعنى برصد مصنفات علماء الدين الشيعة في التراث الإسلامي والعربي وغير الإسلامي صدر منه ٢١مجلداً، وبلغ عدد صفحاته ١١٢٣٩ صفحة. وقد دوّن حسب الترتيب الهجائي، وعرّف المؤلف فيه ٥٣٥١٠ مؤلف ومصنف ومترجم إلى اللغات الفارسية والعربية والتركية والأردية في مواضيع عدّة. وقد استغرق مؤلِّفه خمسين عاماً في جمع مادته وطبعه، وقد ضمّن موسوعته بالإضافة إلى مصنّفات الشيعة الإثني عشريّة بعض عناوين مصنّفات الزيديّة والإسماعيليّة كذلك. واعتمد آقا بزرك في تأليف الكتاب على الفهارس الأولية للشيعة، منها فهرس أبي جعفر الطوسي، وفهرس أبي العباس النجاشي، وغيرهما. كما أنه راجع فهارس المكتبات الأخرى وبعض المؤلفات المطبوعة والمخطوطات واستشهد بكلام من يثق بهم. واستغرق طبع ونشر هذه المجموعة في قم والنجف أكثرمن ٤٠ سنة كما تم طبع بعض المجلدات بعد وفاة المؤلف. وضم إلى تلك المجلدات مجلد واحد يمكن اعتباره مستدرك الذريعة الأول وقد ذكر فيه كتب لم يشر إليها صاحب الذريعة.

(٥٩). محمد أبي زهرة، الأمام الصادق، مصر، ص٤٥٨، ٢٦٠.

(٦٠).المجلسي، بحار الأنوار (٦٧/١)

(٦١).التستري، مقابس الأنوار (ص٥)

(٦٢).. الطوسي، تلخيص الشافي، ج، ١،٢، ص ٢٨٣،٢٨٤ .

(٦٣). مقدمة تلخيص الشافي –ص٦٢

(٦٤)..الطوسي، النهاية ونكتها، نشر جماعة المدرسين،ص٣٥٢.

(٦٥). الشيخ الطوسي، الغيبة، ص ١٨٠.

(٦٦). الشيخ الطوسي، الغيبة، ص ٣١٣.

(٦٧). الطوسي، التّبيان في تفسير القرآن، ج٢،ص٣٩٩ ، ٣٤٠.

(٦٨). أبو حيّان الأندلسي، البحر المحيط،،ج١، ص٤٥.

(٦٩). أبو حيّان الأندلسي، البحر المحيط،ج١،ص ٣٤١.

(٧٠). أبو حيّان الأندلسي، البحر المحيط،ج ٤، ص٦٠٦.

(٧١). الطهراني، الذريعة: ج٢ ص٣٠٩ ـ ص٣١١) و(ص٣١٣ ـ ص٣١٤)

(٧٢). ذكرت وصية الشيخ بذلك في مقدمة التبيان للعلامة الطهراني ص أس فقط بلا سند. (١٠٦)، قد جاء في مقدمة التبيان ص س، وروضات الجنات ص ٨٥٤ ومقدمة رجال الطوسي ص ١١٧) .

(٧٣). (العتبة العلوية تتبنى أعمال تأهيل جامع الشيخ الطوسي (قدس سره) في النجف الأشرف، قسم الشؤون الدينية المساجد، (https://tableegh.imamali.net/?id=٢٥) مسجد الشيخ الطوسي: مجلة بيوت المتقين (٢٩) شهر جمادى الاولى ١٤٣٧هـ قسم الشؤون الدينية (https://tableegh.imamali.net/?id=٢٥) المساجد (https://tableegh.imamali.net/?id=١٣٥٥)

(٧٤). يراجع: المخطوط في قسم مخطوطات مكتبة العتبة العلوية.

(٧٥). علي رضا شهروي، الطوسي شيخ الطائفة، المترجم: كمال السيد، المطبعة: صدر، الطبعة الأولى،١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م، ايران، قم – الناشر مؤسسة أنصاريان – ص،٣٩.

(٧٦). محاضرات في فقه الإماميّة (الزكاة)، ١/ ١٥ (المقدّمة)

(٧٧). تحفة العالم في شرح خطبة المعالم: ج١ ص٢٠٤.

(٧٨). يراجع: عبد الرزاق حرز الدين، تاريخ النجف الاشرف، ج ٣،ص١٣.

(٧٩). يراجع: عبد الرزاق حرز الدين، تاريخ النجف الاشرف، ج ٣،ص١٣.

(٨٠). (العتبة العلوية تتبنى أعمال تأهيل جامع الشيخ الطوسي (قدس سره) في النجف الأشرف، قسم الشؤون الدينية المساجد، (https://tableegh.imamali.net/?id=٢٥) (https://tableegh.imamali.net/?id=١٣٥٥)

(٨١). (العتبة العلوية تتبنى أعمال تأهيل جامع الشيخ الطوسي (قدس سره) في النجف الأشرف، قسم الشؤون الدينية المساجد، (https://tableegh.imamali.net/?id=٢٥) (https://tableegh.imamali.net/?id=١٣٥٥)

(٨٢). التصوير بعدسة : احمد الحلي، ليلة ٢١ شعبان سنة ١٤٤١هـ في زمن وباء الكورونا الصور: احمد علي الحلي قناة تلغرام – والعتبة العلوية قسم الشؤون الدينية،المساجد (https://tableegh.imamali.net/?id=٢٥).

التأويل اللغوي لمختلف الحديث في كتاب الإستبصار للشيخ الطوسي (تطبيقات على كتاب الطهارة)

بقلم: الشيخ عماد فتيل الغراوي

المقدمة:

ختم الله النبوة والرسالة بنبينا محمد ﷺ وأنزل القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجعله شريعة ومنهجا حياتيا ودستورا ازليا للبشرية جمعاء ومشعل وجعل للقرآن عدلا وثقلا لا ينفك عنه ولا يحيد وهو السنة الشريفة المُبيّنة للقرآن الكريم والمفصّلة لما أجمل فيه ،وقد تكفل الله تعالى بحفظ كتابه فقال عزو جل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩، ونصب أئمة الهدى وقدوة الأنام من اهل بيته الكرام عليهم السلام حفظة لدينه ومستودعا لحكمته ورفع منزلة اصحابه المنتجبين العظام والتابعين بإحسان ممن جاء بعدهم لخدمة السنة النبوية الشريفة، فبذلوا جهدهم وكل ما في وسعهم في حفظ الشريعة من الضياع والدس والتحريف والوضع وذب الكذب عن رسول الله ﷺ واهل بيته عليهم السلام واصحابه المنتجبين (رض) وتابعيهم، وبيان الصحيح من السقيم مما ينسب إليهم عليهم السلام فقعَّدوا لذلك قواعد لنقد الأسانيد والمتون وفق منهج علمي دقيق لا مثيل له عند المدارس الأخرى، وان هذا المنهج الدقيق صار ميزة ولونا خاصا لها، وبهذا يظهر أن علم الحديث من أشرف العلوم لان موضوعه الحديث الذي بدوره مصدر من مصادر

العقيدة الإسلامية، وأصل من أصول الشريعة المُحمَّدية، وأن إهماله إهمال للدين ومبادئه، لذا كان العلماء من المحدثين وما زالوا يَجِدُّون ويجتهدون في نقد الحديث وتَمحِيصِهِ والاحتفاظ به وبكل ما يَمُتُّ إلى الإسلام بسبب قريب أو بعيد، فقد تصدوا الى تعليم وتعلم هذا العلم الشريف في كل عصر وزمان وكتبوا في مطويات تصنيفاتهم، وبعضهم ألف كتابا مستقلا كعلم مختلف الحديث او مشكله ومصطلح الحديث ودرايته، مثلا وبتلك العلوم الاصيلة حفظا لتراث الحديثي من التحريف والتبديل ونقلت الاحاديث بالأسانيد ، وميزت به الصحيح عن السقيم ، ولولا هذا العلوم لالتبس الحديث الصحيح بالضعيف والموضوع ، ولأختلط كلام المعصوم عليه السلام بكلام غيره ،طبقا لمنهجية التي سلكها العلماء الأولون لإثبات الحديث وتنقيته من الدخيل بما وضعوا من موازين منضبطة وما سلكوا من سبل تجمع بين المنهج السليم والأمانة العلمية الواضحة ، وإنما كان حرص العلماء على تقعيد القواعد التي بها يعرف الحديث المقبول من المردود ،لكونه نصاً شرعياً من السنة التي هي بيان الكتاب ، ومن ثم لا بد من عرض مالا بد منه من علم أصول الحديث بغية تكوين الملكة التي بها يميز الطالب الغث من السمين، ويعرف صحة ما هو منسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام من عدم صحته، وذلك في ضوء تلك القواعد الرائعة لهذا العلم وفي ذلك أيضا تصحيح لكثير من المفهومات الخاطئة ومن هذه القواعد معالجة الاحاديث المختلفة والمتعارضة ظاهرا وهوما يعبر عنه بمختلف الحديث ،لدفع غائلة التعارض والمنافاة وفق قواعد حديثية اعتمدها اهل الاختصاص والفن ومن ضمنهم الشيخ الطوسي في كتابه الإستبصار الذي الفه لهذه الغاية الجليلة والمهمة العظيمة تحت شعار الجمع مهما امكن او الطرح سواء الجمع تبرعي او عرفي

او الترجيح والتأويل بالرجوع في اللغة، كما هو عنوان البحث هذا الذي ذكرت فيه طريقة الشيخ الطوسي في التأويل اللغوي، وان من الاحاديث ما يرتفع فيه الاختلاف بمجرد بيان المعنى في اللغة واللسان المتداول في عصر النص وهو اخف مؤونة من اي تأويلٍ لآخر فالوظيفة الاساس لعلم الحديث معرفة ما يقبل ويرد من الراوي والمروي مما يسهم في تنقية الأدلة الحديثية وتخليصها مما يشوبها مما لا يصح الاعتماد عليه، الا انه ولأجل ان المنهج الذي يتبعه المشتغلون في هذا الفن الارتكاز على المعارف العرفية وسلوك العقلاء في قبول الاخبار- كما سنبين ذلك في طيات بحثنا -حيث يكون واضحا ان ثمرة هذا العلم لا تختص بأدلة الفقه، بل تشمل جميع المعارف المنقولة،فيمكن الاستفادة من قواعد علم الحديث في فحص جميع المعارف المنقولة، ويمكن رد علم الحديث الى معرفة عقلائية اوسع هي معارف قبول الاخبار وخصوصا في الاخبار المتعارضة وقد اعتاد علماؤنا ان يرجعوا هذا التعارض الى امور واسباب عدة اعتماداً على ما جاء في الروايات، كمبدأ التقية لحفظ حياة الائمة عليهم السلام واصحابهم، وكون الائمة عليهم السلام تقَصَّدوا بث الخلاف بين الاصحاب حقناً لدمائهم ولأن كلام الائمة عليهم السلام يسع لمعاني كثيرة، وان فيه طبقات من الباطن فيبدو بعضه على خلاف البعض الاخر، إذ يجيبون بأجوبة مختلفة تحتاج الى نوع من التوجيه، والعديد من الاخبار التي تؤكد ان في كلام الائمة عليهم السلام سبعين وجهاً ممكناً ،هذا بالإضافة الى وجود الدس والكذب والتزوير، حيث ادرك المحدثون ان الاحاديث مهددة بالضياع بسبب تعارض الروايات واختلافها، وان لم يحدد السبب الدقي الذي يقف وراء هذا الضياع لكن ظلت المحاولات ترمي الى ايجاد الطرق الكفيلة بمعالجة مثل هذا الوضع بأشكال شتى، ابرزها محاولات الجمع بين الروايات

المتعارضة كالذي اسس له الشيخ الطوسي في كتابه الإستبصار محاولا بذلك المحافظة على الاحاديث وسلك طرق علاجية مختلفة منها التأويل اللغوي في حل مشكلات الاختلاف والتعارض بين الاحاديث ،وكتبت بحثي هذا تحت عنوان **(التأويل اللغوي لمختلف الحديث في الإستبصار)**مبينا معنى الاختلاف في اللغة والاصطلاح وعلاقة مختلف الحديث بمشكل الحديث من جهة وعلاقته بالتعارض الاصولي من جهة اخرى ثم التأويل في اللغة والاصطلاح ذكرت بعض التطبيقات للتأويل اللغوي في الإستبصار من كتاب الطهارة لأبواب شتى وانتهيت الى نتائج مثلت خاتمة البحث.المبحث الاول: مفهوم مختلف الحديث في اللغة والاصطلاح

اولاً: الاختلاف: لابد من عرض دلاله الاختلاف لغةً واصطلاحا:

١- الاختلاف في اللغة

قال ابن منظور: ((تَخالَفَ الأَمْران واخْتَلَفا: لَمْ يتفقا وكل مَا لَمْ يَتَساوَ، فَقَدْ تَخَالَفَ واخْتَلَفَ، وَقَوْلُهُ عَزّ وَجَلّ: وَالنّخْلَ وَالزّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ؛ أَي فِي حَالِ اخْتِلافِ أُكُلِه إِن قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ يَكُونُ أَنْشأه فِي حَالِ اخْتِلافِ أُكُله وَهُوَ قَدْ نَشأ مِنْ قَبْل وقُوع أُكُلِه؟ فَالْجَوَابُ فِي ذَلِكَ أَنه قَدْ ذُكِرَ إِنْشَاءً بِقَوْلِهِ خالِقُ كلّ شَيْءٍ، فأعلم جَلّ ثَنَاؤُهُ أَن المُنْشئ لَهُ فِي حَالِ اخْتِلافِ أُكُلِه هُوَ، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ أَنشأه وَلَا أُكُلَ فِيهِ مُخْتَلِفًا أُكُله لأَن الْمَعْنَى مُقَدّراً ذَلِكَ فِيهِ كَمَا تَقُولُ: لتَدْخُلَنّ مَنْزِلَ زَيْدٍ آكِلًا شَارِبًا أَي مُقَدّراً ذَلِكَ، كَمَا حَكَى سيبويه فِي قَوْلِهِ مررتُ بِرَجُلٍ مَعَهُ صَقْر صَائِدًا بِهِ غَدًا أَي مُقَدّراً بِهِ الصيدَ، وَالِاسْمُ الخِلْفةُ. وَيُقَالُ: الْقَوْمُ خِلْفةٌ أَي مُخْتَلِفون وَهُمَا خِلْفَان أَي مُخْتَلِفَانِ، وَكَذَلِكَ الأُنثى))[1]، إذن خلْف: الوراء، وهو غير قدام الشيء،خَلَف: التغير ان يأتي الشيء بعد الشي فيقوم مقامه، وقال الرَّاغِبُ: ((الخلافُ والاختِلافُ والمُخالَفةُ: أن يأخُذَ كُلُّ

واحِدٍ طريقًا غَيرَ طريقِ الأوَّلِ في فِعلِه أو حالِه))[٢].

نستنتج مما تقدم أن أصل مادَّةُ (خلف) في اللُّغةِ له ثلاثة معانٍ:

الأول- أن يجيء شيء بعد شيء فيقوم مقامه[٣]، قال الله تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾[٤]، فالليل يجيء بعد النهار ويقوم مقامه، والنهار يجيء بَعد الليل ويقوم مقامه،

وقال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ﴾[٥] أي: أمة تجيء بعد أمة وتقوم مقامها.

الثاني- عَكس قُدَّام[٦]، قال اللهُ تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[٧]، ومنه التَّأخُّرُ لقُصورِ المنزِلةِ، كما في قولِه تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾[٨].

الثالث- التَّغيُّرُ، ومنه قولُه رسول الله ﷺ:((لخُلوفُ[٩] فمِ الصَّائِمِ أطيَبُ عندَ اللهِ مِن ريحِ المِسكِ))[١٠]، أي لَتَغيُّر رائِحة فم الصائِم بسببِ خلُو المَعِدة أطيَب عند الله مِن ريح المِسك.

والمعنى الأول هو المقصود هنا، فيُقال: اختلف النَّاس في كذا، أي: مُختلِفونَ؛ لأنَّ كُلَّ واحِدٍ منهم يُنحِّي قولَ صاحِبِه، ويُقيمُ نَفسَه مقامَ الذي نحَّاه[١١]،ويمكن ان يقال:أن وجه المناسبة بين المعنى اللغوي ومختلف الحديث أن يأتي خبر معارض لخبر آخر، فيدفعه ويأخذ مكانه، بحكم المعارضة.

٢-الاختلاف في الاصطلاح

الاختلاف ضد الاتفاق ويعني المباينة والمنافرة والمضادة والتدافع بين الشيئين سواء كان في اللفظ ام الرأي ام في غيرهما فهو:

عند المتقدمين:((اخْتَلَف: يقال: اختلف من موضع إلى موضع ،والاختلاف:

نقيض الاتفاق وأول اختلاف جرى بين الأمة بعد موت النبي عليه السلام اختلافهم في الإمامة وفي اختيار الإمام))[١٢].

وعند المُحْدَثين: ((الاختلاف لغةً: ضدّ الاتّفاق، وهو مأخوذ من «خلف» ـ ضدّ قُدام ـ وهيئة الافتعال في مثل المورد تقتضي الاشتراك، المستلزم للتعدّد، والذي أقلّه اثنين؛ ليغاير حال أحدهما حال الآخر))[١٣]،ولا يوجد فارق جوهري بين المتقدمين والمتأخرين، إلا بالتعبير اللفظي.

ثانياً: الحديث في اللغة والاصطلاح: من المهم بيان مفهوم الحديث لغةً واصطلاحاً.

١- الحديث في اللغة:

لغة قال ابن فارس: (((حَدَثَ) الْحَاءُ وَالدَّالُ وَالثَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ كَوْنُ الشَّيْءِ لَمْ يَكُنْ، يُقَالُ حَدَثَ أَمْرٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَالرَّجُلُ الْحَدَثُ: الطَّرِيُّ السِّنِّ. وَالْحَدِيثُ مِنْ هَذَا ؛ لِأَنَّهُ كَلَامٌ يَحْدُثُ مِنْهُ الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ، وَرَجُلٌ حَدَثٌ: حَسَنُ الْحَدِيثِ، وَرَجُلٌ حِدْثُ نِسَاءٍ، إِذَا كَانَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِنَّ. وَيُقَالُ هَذِهِ حِدِّيثَى حَسَنَةٌ، كخطيبي، يُرَادُ بِهِ الْحَدِيثُ))[١٤]،ويقترب من هذا المعنى للحديث صاحب لسان العرب:((الجديد من الأشياء، نقيض القديم؛ ويُطلَق على الكلام، قليله وكثيره؛ لأنه يحدث ويتجدَّد شيئًا فشيئًا، وجمعه أحاديث))[١٥].

٢- الحديث اصطلاحاً:

عرَّفهُ بعض محدَّثي الامامية ومنهم السيد حسن الصدر بانه:((كلام يحكي قول المعصوم أو فعله أو تقريره))[١٦].

وكذلك عرفه الشيخ السبحاني بانه:((هو كلام يحكي قول المعصوم أو فعله أو

تقريره، وبهذا الاعتبار ينقسم إلى الصحيح ومقابله، وبهذا علم أنّ ما لا ينتهي إلى المعصوم ليس حديثاً، وأمّا العامّة فاكتفوا فيه بالانتهاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أو أحد الصحابة والتابعين، ولأجل التمييز بين القسمين ربّما يسمّون ما ينتهي إلى الصحابة والتابعين بالأثر))[١٧].

فيفهم من هذا أن محدثي الامامية اخذوا قيد "**العصمة** "في التعريف وان الحديث هو الكلام المحكي او المُضاف او المنقول عن كلام المعصوم عليه السلام لا نفس الكلام الصادر، لذا يقول الراوي او المحدث او الناقل:) حدثنا، أخبرنا، سمعت، سألت، رأيت،.....) الى غير من الالفاظ الدالة على ان الحديث هو الكلام المحكي اما محدثي العامة فهم لا يرون للعصمة اي خصوصية في تعريف الحديث والمهم عندهم اتصاله بالنبي صلى الله عليه وآله او أحد الصحابة او التابعين.

٣-اختلاف الحديث : فقد عرفه المُحدِّثون بتعريفات عدة تتفق من حيث الجوهر والحقيقة وإن اختلفت لفظا، نذكر بعضا منها:

١-((هو أن يوجد حديثان متضادّان في المعنى ظاهرا))[١٨].

٢- ((ثمّ علّل تقييده بـ«ظاهرا» بقوله: لأنّ الاختلاف قد يمكن معه الجمع بينهما فيكون الاختلاف ظاهرا خاصّة، وقد لا يمكن فيكون ظاهرا وباطنا، وعلى التقديرين فالاختلاف ظاهرا متحقّق))[١٩].

٣-((المختلف ي صنفه لا شخصه، وذلك حديثان متصادمان في ظاهر المعنى، سواء أمكن التوفيق بينهما؛ بتقييد المطلق، أو تخصيص العامّ، أو الحمل على بعض وجوه التأويل، أو كانا على صريح التضارب البات الموجب طرح أحدهما جملة البتّة))[٢٠].

٤-((الحديث الذي عارضه – ظاهرا – حديث مثله))[٢١].

٥-((هو أن يأتي حديثان متضادّان في المعنى ظاهرا فيوفّق بينهما، أو يرجّح أحدهما))[٢٢].

وقد يعبر عن الاختلاف بالتعارض فالمقصود هو الاختلاف، بمعنى التمانع والتضاد بحسب الظاهر دون الواقع والمعنى في الحديثين، اي ليس المراد التعارض الاصطلاحي الاصولي الذي يقتضي ببعض حالاته التساقط والطرح، لإنَّ شعار المحدث هو "الجمع مهما امكن اولى من الطرح "[٢٣]بل لا طرح في قاموس المُحدِّث الحصيف، وسنأتي على بيان الفرق الموضوعي بين الاختلاف والتعارض الاصطلاحيين.

قال ابو بكر ابن خزيمة(ت ٣١١هـ): ((ليس ثمَ حديثان متعارضان من كل وجه ومن وجد شيئا من ذلك فليأتني لأُلف له بينهما))[٢٤]،اي في حقيقة الامر لا تهافت ولا تعارض بين الاحاديث الصحيحة والمعتبرة وبنفس القوة والثبوت.

٤-قيود التعريف:

وعلى أي حال فان القيود التي ذُكرت في التعريفات احترازية نذكر منها:

١-(حديثان): اراد ان يخرج الحديث الواحد اذ ان الاختلاف لا يحدث بين الحديث الواحد اوبين حديث وأصل شرعي او الاختلاف الحاصل بين حديث وآية او بين حديث وحكم عقلي وغير ذلك.

٢-(متضادان): اخرج بذلك الحديثين المتوافقين اللذين لا تنافي ظاهري بينهما لذا عبر الداماد بـ(متصادمان).

٣-(ظاهرا): اخرج بذلك التناقض والتضاد الحقيقي بين الأحاديث اذ لا يمكن

الجمع بينهما اي انه يبدو للناظر اختلاف وهو ليس كذلك فهو اختلاف صوري اذ لا يمكن ان يقع التضاد والتهافت في كلام المعصوم عليه السلام،والحال ان الاختلاف ظاهري يمكن فيه الجمع التبرعي والعرفي او التأويل، فيكون هذا من مختلف الحديث سواء من قرأ بفتح اللام ام بكسرها على اختلاف في قصد المتكلم.

وعليه: فمن من قرأ بفتح اللام (مختلَف) اعتبره مصدرا ميمي ومعناه: الاختلاف الحاصل في الحديث اي الأحاديث التي نُسب اليها الاختلاف اي حديثان مختلفان في المعنى بحسب الظاهر كما ذكرنا اعلاه، ومن قرأ بكسر اللام (مختلِف)اعتبره اسم فاعل بمعنى الحديث المتضمن الاختلاف اي بحسب نظر المحدِّث اي أن الحديث نفسه وعارضه مثله، والذي يظهر انه تارة ينظر له كعلم مستقل من علوم الحديث وتارة الاخرى تصوير لكيفية الاختلاف الحديثي.

وما عليه التحقيق: إن يقرأ "بفتح اللام " من الاختلاف بين الاحاديث ظاهرا ،مع ان المعنى اللغوي واحد كما فعل صاحب تاج العروس بقوله: ((لغة: المختلِف بالكسر: اسم فاعل، والمختلَف بالفتح: اسم مفعول، وهو من اختلاف الأمرين، وكل ما لم يتساوَ فقد تخالف واختلف))[٢٥].

اما **علم مختلف الحديث** فهو: ((العلم الذي يبحث في الأحاديث التي ظاهرها متعارض، فيزيل تعارضها، أو يوفق بينها، كما يبحث في الأحاديث التي يشكل فهمها، أو تصورها، فيدفع إشكالها، ويوضح حقيقتها))[٢٦].

أما الشيخ الطوسي فإنه لم يعرف المختلف تعريفاً صريحاً مباشراً، إلا أننا يمكن أن نستنبط تعريفه من خلال مقدمته في كتابيه التهذيب والاستبصار)، كما يلي:

١- يبين الشيخ أن الحديث المتواتر يتطابق مع القرآن الكريم، أو العقل، أو

اجماع الفرقة الشيعية.

٢- إذا تعارض حديثان غير متواتران، وكان مع أحدهما ومتناً. أحد القرائن من موافقة القرآن الكريم، أو الإجماع، أو العقل فإنه يقدم على الحديث الآخر.

٣-أعمال قواعد دفع التعارض بالجمع بين الأخبار المتعارضة ما أمكن، ثم الترجيح، ثم التخيير، وبالتالي إزالة الإشكال بين الأحاديث، فلا يوجد عنده تعارض حقيقي.

وبعد ذلك يمكن أن نستنبط تعريف الشيخ الطوسي المختلف الحديث، فنقول: (هو الحديث الذي يخالف الأدلة الشرعية أو العقلية أو الحسية ظاهراً).

المبحث الثاني: اختلاف الفقهاء في فهم الأحاديث:

أولاً: جهات اختلاف الفقهاء في فهم الأحاديث: يمكن رصد بعض الجهات التي تؤدي الى الاختلاف منها:

١- التفاوت في فهم الآية أو الحديث.

٢- الشك في أصل ثُبوت الحديثِ وعدم ثبوته.

٣- الشك في وجود نسخ الآية أو الحديث.

٤- الاختِلاف في اعتماد طُرق الجَمع والترجيح بين النصوص المتعارضة في ظاهِرها.

٥- عدم كفاية الاطلاع على مدرك المسألة، سواء كان دليلها نصّا أو ظاهرًا أو استِنباطًا.

٦- الاختلاف في بعض مصادر الاستنباط، كالاختِلاف في حجية قول

الصحابي وشرع من قبلنا، وحجية القراءة الشاذة، والقياس، والاستِصحاب، والمصالح المرسلة، والعرف، وسد الذرائع، وكالاختلاف في إجماع أهل المدينة، وكالاختلاف في حجيَة الحديث المرسل وكالاختلاف في العمل بالحديث الضعيف إذا لم يوجد في الباب غيره.

٧- الاختلاف في بعض القواعد الأصولية، كالاختلاف في العامّ المخصوص: هل هو حُجة أو ليس بحجة، وهل المطلق يحمل على المقيد أو لا؟ وهل المفهوم حجة أو ليس بحجة؟ وهل الأمر يدل على الوجوب والفورية أو لا؟ وهل النهي يدل على التحريم أو الكراهة؟ وهل النهي يقتضي الفساد أو لا.

ثانياً: أسباب الاختلاف:

ويمكن ان نجمل الاسباب بصورة عامة:

١- الفاصل الزماني بين عصر النص صدورا وتدوينا من جهة وتدوينا ووصولا الينا من جهة اخرى، قطعا يقع الاختلاف بالألفاظ والمعاني ما تلفظ به المعصوم عليه السلام وما سمع وما كتب وما وصل الينا بالتالي نقطع في الجملة لا بالجملة[٢٧] بوجود اختلاف في الفاظ الاحاديث توهم الناظر والمتلقي او الفقيه او المحدث بوجود تهافت او تمانع او اختلاف بين الاحاديث.

٢- عدم الضبط في نقل الأحاديث وهذا ناتج في بعض الاحايين عن غير عمد ولا قصد وانما التسامح وعدم الدقة في النقل، وقد يرجع هذا الى اختلاف الفهوم عند من سمع او تحمل الحديث فترى ان المعصوم عليه السلام تحدث بشيء ونقل عنه الراوي شيئا اخر او لعدم الضبط كما في صحيحة محمد بن مسلم في شأن عمار

الساباطي:((محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد عن هشام بن سالم، عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن عمار الساباطي روى عنك رواية قال: وما هي؟ قلت: روى أن السنة فريضة، فقال: أين يذهب أين يذهب! ليس هكذا حدثته أنما قلت له: من صلى فأقبل على صلاته لم يحدث نفسه فيها أو لم يسه فيها أقبل الله عليه ما أقبل عليها، فربما رفع نصفها أو ربعها أو ثلثها أو خمسها وإنما أمرنا بالسنة ليكمل بها ما ذهب من المكتوبة))[٢٨]،وهذا وارد جدا في الاحاديث المروية عن المعصوم عليه السلام،بل وامر طبيعي وممكن الوقوع مادام الناقل غير معصوم. لذا((فإن الاختلاف في نقل ألفاظ الخبر الواحد سيكون هو الراجح، وهذا الاختلاف واقع حتى في الأخبار المتواترة، فخير مثل حديث الثقلين المتواتر والمنقول في أمهات المصادر الحديثية من الفريقين معاً، لم يصلنا بألفاظ واحدةٍ، وإنما هناك اختلافات كثيرة في الفاظ مهمة فيه، ويقطع النظر عن خلفيات التغيير فإن الاختلاف حاصل فإذا ما خرجنا بانطباع مقاده أن نقلة الحديث الواحد عن رسول الله صلى الله عليه وآله مختلفون في مستوياتهم المعرفية، وأنهم يغلب عليهم الجهل والأمية، فإننا سوف نكون أمام حقيقة خطيرة، وهي: أن مجموع الأخبار المنقولة بواسطة الصحابة ستكون مشوبة بالتغيير الطبيعي الوقوع))[٢٩].

٣- العامل السياسي الذي له الأثر الفاعل في إيجاد كم هائل من الروايات، والذي وظفته السلطة السياسية الظالمة في خدمة بقائها على راس السلطة، وإضفاء المشروعية عليها، فكثرت عمليات الدس والتحريف والتزوير والوضع والكذب وغيرها، الامر الذي أنتج جملة من الأحاديث المشوهة والتي ما نطق بها المعصوم عليه السلام والصحابة الاجلاَّء المنتجبين (رضوان الله عليهم).

٤- العوارض الخارجية أو الداخلية التي تعرض للحديث من قبيل التقية والنسخ والعموم والخصوص والإدراج والزيادة والتقطيع والتصحيف وملاحظة العوامل الزمانية والمكانية في نقل الحديث والتي تؤثر بشكل مباشر على اختلاف الحديث المنقول ((وهي العوامل البيانية والتقنينية؛ حيث أشارت الروايات الواردة بشأن اختلاف الحديث إلى جملة من جذوره بعضها راجع للجانب الصدوري، وبعضها راجع لعدم دقة الرواة، وبعضها راجع لفهم الرواة، وهذا ما بحثناه في الفصول الثلاثة السابقة، وأشار بعضها إلى الاختلاف بسبب التقية، أو العموم والخصوص، أو الإطلاق والتقييد، أو النسخ وهو ما عبّرنا عنه بالجانب التقنيني والأسلوب الرائج في تقنين الأحكام))[٣٠].

ثالثاً: أسباب اختلاف الحديث في نظر السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره وقد اوجزها قدس سره بما يلي:

١- ((الجانب الذاتي للتعارض (توهم التعارض والخطأ في فهم معنى الحديث).

٢- تغير أحكام الشريعة عن طريق النسخ.

٣- ضياع القرائن

٤- تصرف الرواة

٥- التدرج في البيان.

٦- التقية.

٧- ملاحظة ظروف الراوي.

٨- الدس والتزوير))[٣١].

رابعاً: الاسباب الداخلية والخارجية في نظر السيد علي السيستاني (دام ظله الوارف):

فقد ذكرها الشيخ محمد احساني فر اللنكرودي تفصيلا مبينًا الفرق بين الأسباب الخارجية والداخلية: ((أسباب الاختلاف، وهي قسمان: أسباب داخلية؛ وهي أسباب صدرت من قبل أهل البيت أنفسهم وأسباب خارجية، وهي أسباب صدرت من الرواة والمدوِّنين. أمّا الأسباب الداخلية فعدّة، منها: ١. النسخ. ٢. انقسام الحكم الصادر إلى قسمين: أ ـ حكم قانوني. ب ـ حكم ولايتي، وهذا من أسباب اختلاف الأحاديث لاختلاف نوع الحكم الصادر. ٣. كتمان بعض الأُمور الواقعية في حديث وذكرها في حديث آخر وتحدّثنا في بحث الكتمان عن أربعة أُمور: أولاً: في إثبات حقّ الكتمان للمعصومين عليهم السلام. ثانيا: في أسباب الكتمان؛ وهي متعددة، منها: اختلاف أُسلوب التبليغ على نوعين: أ ـ التعليم: وهو طرح الكبريات الشرعية على الفقهاء من أصحابهم. ب ـ الإفتاء: وهو طرح نتيجة تطبيق الكبرى على الصغرى، من دون إشارة لعملية التطبيق المذكور وهذا الأُسلوب يتمّ مع عوامّ الناس. ومنها: فقر اللغة العربية من المصطلحات القانونية، ممّا يضطرّ الامام عليه السلام لاستخدام أُسلوب واحد كالأمر والنهي لبيان نوعين من القوانين. ومنها: مداراة ظروف السائل، فلا يلقي له الحكم الصريح حفاظا على شعوره وهدايته، أو... ومنها: التقيّة بأنواعها؛ وهي التقيّة من السلطة الحاكمة، أو من المذهب المشهور عند الجمهور، أو من التيّارات الفكرية المناوئة. واستعمال الإمام للتقيّة تارة بإلقاء الاختلاف بين الشيعة، وتارة بإخفاء الحكم الواقعي.

ومنها: السوق للكمال؛ بذكر المستحبّ أو المكروه كحكم إلزاميّ بدون قرينة على الترخيص من باب التأكيد. ثالثا: البحث في: طرق الكتمان، وهي: السكوت، والتورية بقسميها: التورية البديعية؛ (وهي إطلاق لفظ له معنيان؛ قريب وبعيد، مع إرادتهما جدّا)، والتورية العرفية (وهي الستر على المراد الجدّي الواقعي بعدّة أساليب) والتورية العرفية أيضا على أنواع، منها: العدول عن سؤال السائل إلى بيان مطلب آخر، القاء الجواب المجمل أو المختلف. رابعاً: في تحديد نوع الأحكام الّتي يصحّ فيها طريق السكوت، ونوع الأحكام الّتي يصحّ فيها طريق التورية، ونوع الأحكام الّتي يصحّ فيها طريق إلقاء الاختلاف بين الشيعة وهذا بيان إجمالي للأسباب الداخلية لاختلاف الحديث. وأمّا الأسباب الخارجية: فهي ما قام بها الرواة والمؤلّفون، وهي متعدّدة:. الوضع بتأليف كتاب، أو الدسّ بين النصوص، أو الزيادة والنقيصة في الرواية.. النقل بالمعنى وإخطاره.. الحديث المدرج؛ ويعني قيام بعض المؤلّفين بإدراج تعليقة على الحديث في ضمن الحديث بدون فرز بينهما. التقطيع للروايات.. تشابه الخطوط. التصحيح القياسي. الخلط بين كلام الإمام وكلام غيره. ثمّ إنّه ـ دام ظلّه ـ أشار في خلال كلامه إلى الأسباب التالية مضافا إلى ما تقدّم وهي: الاشتراك في الصيغة، وأنّه سبب من أسباب اختلاف الحديث، ومنشأه فقر اللغة العربية من المصطلحات القانونية. العامّ والخاصّ، الناسخ والمنسوخ، المحكم والمتشابه. ٣. اختلاف الأعراف في مفاهيمها وأفكارها. ثمّ قال: «فهذا مجمل بحث علل اختلاف الحديث الّذي هو من أهمّ البحوث الأُصولية وأمسّها بعملية الاستنباط» والّذي دعاني إلى ذكر ما عدّه السابقون من أسباب الاختلاف ـ مضافا إلى شكر مساعيهم وأداء حقّ سبقهم ـ إيضاح مرادهم ومطمح نظرهم من اصطلح «أسباب الاختلاف» للتأكيد على انحفاظ خطّتهم

في ذلك؛ كي لا يبقى إبهام أو مغمز في ما جرينا عليه من عدّ بعض الأُمور من تلك الأسباب))[٣٢].

ويمكن ان يقال: إن الشيخ الطوسي قد سبق الاعلام في ذكر أسباب الاختلاف، وإن لم تكن بشكل تفصيلي على نقاط، بل هي منثورة في التهذيبين، ويمكن تقسيم أسباب اختلاف الحديث عند الشيخ الطوسي إلى ثلاثة أقسام على النحو التالي:

القسم الأول: أسباب الاختلاف المتعلقة بالرواية سنداً ومتنا كالاختلاف بسبب أداء النقلة والاختلاف بسبب العموم والخصوص[٣٣]، والمطلق والمقيد[٣٤].[٣٥]

القسم الثاني: أسباب الاختلاف المتعلقة بضوابط المذهب الشيعي، كالاختلاف بسبب التقية[٣٦] وملاحظة الإمام لظروف السائل الخاصة[٣٧].

القسم الثالث: أسباب الاختلاف المتعلقة بقرائن التكليف، كالاختلاف بسبب قرينة التخفيف[٣٨]، أو بسبب قرينة التخيير[٣٩].

ومنه يظهر استفادة الشهيد السيد محمد باقر الصدرقدس سره والسيد السيستاني (دام ظله) من أسباب الاختلاف الموجودة عند الشيخ الطوسي وزادوا عليها، ولكن تتميز الأسباب التي يناقشها الطوسي بالتطبيقات العملية والتي هي مبثوثة خصوصاً في كتابه (الاستبصار).

خامساً: علاقة الحديث المشكل بالمختلف والمصطلحات الحديثية الاخرى :

١-الفارق الموضوعي بين المُختَلف والمُشكِل

لغة:((مشكل: مشتق من الفعل أشكل: التبس، وأمور أشكال: ملتبسة))[٤٠].

اصطلاحًا: ((أحاديث مروية عن رسول الله ﷺ بأسانيد مقبولة، يوهِم ظاهرها معانيَ مستحيلة، أو معارضة لقواعدَ شرعية ثابتة))[٤١].

والفرق بين النوعين واضح وبيِّن: فبينهما عموم وخصوص، فكلا النوعين يدرسان ما قد يجده الناظر من تعارض في فهم الأحاديث الشريفة، فأما مصطلح "مختلف الحديث" فيختص بالنظر في التعارض بين الأحاديث فقط، وأما مصطلح "مشكل الحديث" فيعم جميع أنواع التعارض التي يمكن أن توجد مما يعارض معنى من معاني الحديث الشريف ومفهومه مع ظاهر القرآن الكريم، أو الواقع، أو التاريخ، أو السنن الكونية، وقد يكون الحديث مشكلًا في ذاته من غير وجود معارض له؛ فكل مختلف مشكل، وليس كل مشكل مختلفًا.

اذن يظهر لنا الفرق بينهما. ويتضح ذلك من خلال ما تقدم ما يلي:

١- من حيث اللغة

أ- فالمختلف لغة مشتق من الاختلاف.

ب- بينما المشكل لغة مشتق من الإشكال، وهو الالتباس.

٢- من حيث السبب

أ- فالمختلف سببه معارضة حديث لحديثي خالفه ظاهراً.

ب- مشكل الحديث سبب الإشكال فيه قد يكون التعارض الظاهري بين آية وحديث، وقد يكون سببه التعارض الظاهري بين حديثين أو أكثر، وقد يكون سببه معارضة الحديث للإجماع، وقد يكون سببه معارضة الحديث للقياس، وقد يكون سببه مناقضة الحديث للعقل، وقد يكون سببه غموضاً في دلالة لفظ الحديث على المعنى لسبب في اللفظ، فيكون مفتقر إلى قرينة خارجية تزيل خفاءه كالألفاظ

المشتركة.

٣-من حيث الحكم

أ- فالمختلف حكمه محاولة المجتهد التوفيق بين الأحاديث المختلفة بإعمال القواعد المقررة عند أهل العلم في ذلك.

ب- وأما المشكل فحكمه النظر والتأمل في المعاني المحتملة للفظ وضبطها، والبحث عن القرائن التي تبين المراد من تلك المعاني.

٢- الفارق الموضوعي بين الاختلاف وبين التعارض الاصولي

قال الشيخ اللنكرودي: ((تنبيه الفرق بين مختلف الحديث وبين بحث تعارض الأدلة المبحوث عنه في علم الأصول أمور منها:

أ - يختص البحث في مختلف الحديث في الأحاديث المتعارضة بحسب مع أن البحث في تعارض الأدلة يعم التنافي بين جميع الأدلة الشرعية، سواء كانت من الكتاب، أو من السنة أو من غيرهما.

ب - يختص بحث تعارض الأدلة الواقعة في مسير عملية استنباط الأحكام الشرعية والوظائف العملية. وأما مختلف الحديث فيشمل البحث عن التنافي الحاصل في جميع أقسام الحديث سواء كان مما يتعلق بالفقه، أو الكلام، أو التفسير أو غير ذلك.

ج - الغاية المتوخاة في تعارض الأدلة هو الحصول على المبادئ التصديقية لعلم الفقه: أي لإحراز الأدلة الوافية بإثبات الأحكام الشرعية، فالباحث فيه بصدد إحراز النسبة الموجودة بين المختلفين، فلابد له من الاكتفاء بالطرق الإثباتية في معالجة الأدلة المتعارضة. والغاية في مختلف الحديث هي الوصول إلى واقع النسبة

بين الحديثين المختلفين، فيلاحظ كل ما يحتمل أن يكون سبباً للاختلاف في نفس الأمر، سواء أمكن إثباته أم لا. وبعبارة أخرى: إن بحث تعارض الأدلة كغيره من مباحث الأصول مبحث آلي، فلابد فيه من ملاحظة المتعارضين بنظر الإنبات، مع أن مختلف الحديث ليس آلياً، بل هو مطلوب ذاتي للباحث فعرضه معرفة معنى الحديث وموقعه من سائر الأحاديث بحسب الواقع ونفس الأمر، ومن كان هذا شأنه فليجمع – في معالجة الأحاديث المتنافية – بين جانبي الثبوت والإثبات))[٤٢].

٣- الفارق الموضوعي بين الجمع العرفي والتأويل اللغوي

١- الجمع العرفي

عرفه صاحب المعجم الأصولي الشيخ صنقور:(المراد منه الجمع بين مدلولات الأدلة المتعارضة بنحو التعارض البدوي، على أن يكون ذلك الجمع متناسباً مع الضوابط المقررة عند أهل المحاورة، ولهذا عبر عنه بالجمع العرفي لتناسبه مع المتفاهم العرفي، وذلك في مقابل الجمع التبرعي)[٤٣].

ومن هذا التعريف تتضح ثلاثة أمور يتشكل من مجموعها المراد من الجمع العرفي ذكرها صاحب كتاب المعجم الأصولي، وهي:

الأمر الأول: إن الجمع العرفي إنَّما يكون بين مدلولات الأدلة ولا صلة له بالصدور، ومن هنا لابد من الفراغ عن صدور الأدلة التي يُراد الجمع بين مفاداتها، ولذلك يعبر عن الجمع العرفي بالجمع الدلالي.

الأمر الثاني: إن مورد الجمع العرفي هو الأدلة المتعارضة بدواً، وبذلك تخرج الأدلة المتعارضة بنحو التعارض المستقر والذي يعني: (إذا كان هناك بين الدليلين تناف وتدافع في المدلول على وجه لا يمكن الجمع بينهما جمعاً عرفياً مقبولاً عند

أهل التقنين)[٤٤]، ويخرج أيضاً الدليل المشتمل على قرينة متصلة منافية لظهوره التصوري، وذلك لأن اشتمال الدليل على قرينة متصلة يمنع عن انعقاد الظهور التصديقي للدليل من أول الأمر، ويكون الظهور التصديقي مع ما تقتضيه القرينة.

الأمر الثالث: إن منشأ ثبوت الحجية للجمع العرفي هو انه من صغريات الظهور التصديقي الثاني المعبر عنه بالمراد الجدي والنهائي، والظهور التصديقي هو موضوع الحجية كما هو واضح.

على سبيل المثال مسألة فرض الحج على المكلف هل هو مرة واحدة أم هو على التكرار:

الخبر الأول: معتبرة البرقي

(أحمد بن محمد البرقي في (المحاسن) عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ما كلف الله العباد إلا ما يطيقون إنما كلفهم في اليوم والليلة خمس صلوات ـ إلى أن قال: ـ وكلفهم حجة واحدة وهم يطيقون أكثر من ذلك)[٤٥].

-(عن محمد بن سنان، أنّ أبا الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله قال: علة فرض الحج مرة واحدة، لأنّ الله تعالى وضع الفرائض على أدنى القوم قوة، فمن تلك الفرائض الحج المفروض واحدا، ثم رغّب أهل القوة على قدر طاقتهم)[٤٦].

الخبر الثاني: صحيحة علي بن جعفر

(وروى علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام قال: إن الله تعالى فرض

الحج على أهل الجدة في كل عام وذلك قوله عز وجل: (ولله على الناس حج البيت من استطاع سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) قال: قلت: ومن لم يحج منا فقد كفر؟ قال: لا ولكن من قال: ليس هذا هكذا فقد كفر)[٤٧].

-(ما رواه الشيخ عن محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن محمد بن سنان عن حذيفة بن منصور عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (أنزل الله عز وجل فرض الحج على أهل الجدة[٤٨] في كل عام)[٤٩].

قال الشيخ الطوسي: (هذه المسألة لا خلاف فيها بين المسلمين وفيها إجماع أن حجة الإسلام فرضها دفعة واحدة وقد أوردنا في كتابنا الكبير طرفا من الاخبار في ذلك فلأجل ذلك لم نوردها ههنا)[٥٠].

وجه التعارض: الحديث الأول يبين أن فريضة الحج مرة واحدة في العمر على كل بالغ عارضه الخبر الحج في كل عام على أهل الجدة فقطك أفتى بذلك الشيخ الصدوق[٥١].

دفع التعارض: سلك الشيخ الطوسي مسلك الجمع بين الأحاديث، وذلك على وجهين:

الأول: أن تكون محمولة على الاستحباب دون الفرض والإيجاب.

الثاني: أن يكون المراد بذلك كل سنة على طريق البدل لأن من وجب عليه الحج في السنة الأولى فلم يحج وجب عليه في الثانية، وكذلك إذا لم يحج في الثانية وجب عليه في الثالثة وكذلك حكم كل سنة إلى أن يحج، ولم يعن أن عليه في كل سنة على وجه التكرار[٥٢].

وهذا المسلك الذي سلكه الشيخ هو الجمع العرفي الذي يتناسب مع ضوابط

رفع التعارض الظاهري، وما تحتمله الأحاديث.

قال الشيخ صاحب الوسائل معلقا على كلام الشيخ الطوسي: (أقول: حمل الشيخ هذه الاحاديث على الاستحباب، وجوز حملها على إرادة الوجوب على طريق البدل، وأن من وجب عليه الحج في السنة الاولى فلم يفعل وجب في الثانية، فإن لم يفعل وجب في الثالثة وهكذا، والاقرب ما قلناه من الوجوب الكفائي، ويأتي ما يدل عليه في عدم جواز تعطيل الكعبة عن الحج ، وفي وجوب إجبار الناس عليه، وإن لم يكن لهم)[٥٣].

وأيضا ورد في باب الصبي يحج به ثم يبلغ هل تجب عليه حجة الاسلام أم لا؟

الخبر الأول: (أخبرني الشيخ رحمه الله عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه عن محمد يعقوب عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن ابن محبوب عن شهاب قال: سألته عليه السلام عن ابن عشر سنين يحج قال عليه السلام: عليه حجة الاسلام إذا احتلم، وكذلك الجارية إذا طمثت، عليها الحج)[٥٤].

الخبر الثاني:(وعنه عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن الحسين عن عبد الله ابن عبد الرحمن الأصم عن مسمع بن عبد الملك عن أبي عبد الله قال: لو أن غلاماً حج عشر سنين ثم احتلم كان عليه فريضة الإسلام)[٥٥].

الحديث الثالث: (فأما ما رواه أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن بنت الياس عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله قال: سمعته يقول: من رسول الله صلى الله عليه وآله بروثة وهو حاج، فقامت إليه امرأةً ومعها صبي لها، فقالت: يارسول الله صلى الله عليه وآله أيحج عن مثل هذا ؟ قال صلى الله عليه وآله: نعم ولك أجره")[٥٦].

(فلا ينافي الخبرين الأولين لإنه إنما قال: يحج عنه على وجه الاستحباب

والندب دون أن يكون ذلك فرضاً واجباً يسقط عنه فرض حجة الإسلام عند البلوغ)[٥٧].

هنا حمل الشيخ الطوسي الأمر على الاستحباب هو نوع من التوجيه الذي له دلالته، فيصدق على هذا المثال الجمع العرفي الذي له دلالته، نلاحظ إبقاء النصين على الاعتبار مع توجيه كل واحد منهما بحيث لا يناقض الآخر.

النتيجة: ان الجمع العرفي في حقيقته هو توفيق بين نصين اللذين ظاهرُهما التعارض دون إلغاء أحدهما، بحيث يُفهم كلٌّ منهما في سياقه أو يُحمل كلٌّ على حال مختلفة.

المبحث الثالث: مفهوم التأويل اللغوي وتطبيقاته في الإستبصار:

أولاً: مفهوم التأويل في اللغة والاصطلاح :

التأويل اللغوي: هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى محتمل آخر لأسباب مثل تعارضه مع العقل، أو مع نص أقوى، أو مع ضرورات شرعية، اي تفسير اللفظ الواحد صرف اللفظ عن ظاهره لمعنى محتمل، ومجال تطبيقه في الفقه والكلام والعقيدة والتفسير.

مثاله: في قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ يُؤوّل ظاهر "اليد" عن المعنى الحسي إلى القدرة أو القوة، بناءً على قواعد التنزيه والتعالي، غايته دفع الإشكال أو التناقض الظاهري بتفسير الكلمة أو الجملة بطريقة غير ظاهرها، بشرط أن يكون هذا التأويل مقبولًا لغويًا.

١- **لغة:** "التأويل مصدر على وزن «تفعيل» وفعله الماضي رباعي، وهو «أول»،

تقول: «أوّل يؤوّل، تأويل"[٥٨].

قال الخليل:((والمآل: الملجأ والمحترز، غير أن وأل يئل لا يطّرد في سعة المعاني اطراد آل يؤول إليه، إذا رجع إليه، يقال: طبخت النبيذ والدواء فآل إلى قدر كذا وكذا، إلى ثلثه أو ربعه، يعني: رجع))[٥٩]،وذكر الازهري أن الاصل في التأويل هو ((الأَوْل والأُوُول، والموئل: الملجأ من وألْت وكذلك المآل من ألْت، والرجل يؤول من مَآلة بوزن مَعالة))[٦٠].

وجمع الاقوال ابن منظور في لسانه بقوله: ((الأول: الرجوع، آل الشيء: يؤول أولا، ومآلا: رجع، وأول إليه الشيء: رجعه، وألت عن الشيء: ارتددت، وفي الحديث: من صام الدهر فلا صام ولا آل، أي لا رجع إلى خير))[٦١] ومنه نفهم ان المعنى اللغوي يكاد ان يكون واحد وهو" الرد والرجوع الى الأصل"، وبذلك يقترب المعنى الاصطلاحي من المعنى اللغوي للتأويل من حيث رد وارجاع الكلام الى أصله الذي يحمل عليه وينتهي إليه ، وبالتالي يكون التأويل بمعنى ارجاع الشيء الى اصله ويؤيد هذا..، قول الجرجاني: ((التأويل في الأصل الترجيع))[٦٢]، النتيجة ان التأويل في اللغة يدلّ على معنى: الرجوع والانتهاء والعاقبة.

٢- اصطلاحا

يمكن القول أن أدق تعريف للتأويل في الاصطلاح وأكثرها ضبطا، ما ذكره الراغب الأصفهاني في المفردات إذ قال: ((التأويل هو ردّ الشيء إلي الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا))[٦٣].

بعض المفسرين اختلفوا في تصويب حقيقة التأويل فذهب القدماء منهم الى القول باتحاد معناه مع التفسير "كقول الطبري عند تفسير الآية: القول في تأويل

الآية"[٦٤]، وكذلك عدَّ الشيخ الطوسي التأويل "التأويل والتفسير بمعنى واحد"[٦٥] وقال من تأخّر عنه باختلاف معناه عن التفسير من حيث أنّ التفسير يكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، فيما يكثر استعمال التأويل في المعاني، وهو ما ذهب اليه الراغب الاصفهاني، أو أنّ التفسير "بيان لفظ لا يحتمل إلّا وجها واحدا، أمّا التأويل فهو توجيه لفظ متوجّه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلّة"[٦٦]،أو أنّ التفسير بيان وضع اللّفظ، إمّا حقيقة أو مجازا، والتأويل: تفسير باطن اللّفظ[٦٧]، وهو قول أبي طالب التغلبي، وقد وردت في معنى التأويل آراء اخرى، منها أنّه "الحقيقة الواقعية"[٦٨]، كما تبنى ذلك السيد الطباطبائي، أو أنّه "تفسير المعنى وما يؤول إليه المفهوم العام ويتجسّد به من صورة ومصداق"[٦٩] وهوما تبناه الشهيد السيد محمد باقر الصّدرقُدِّسَ سِرُّهُ، وأخيرا رأي الشيخ محمد هادي معرفةقُدِّسَ سِرُّهُ من أنّه "يستعمل في معنيين، الأوّل في توجيه المتشابه، في الآيات المتشابهة، والثاني في المعنى الثانوي للكلام، المعبّر عنه بالبطن"[٧٠].

إذن فهو يختلف باختلاف التخصص الذي يستعمل فيه:

فالشيخ الطبرسي(ت ٥٤٨هـ) الذي اعتبره رد احد المحتملين:((والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر))[٧١]،واعتبر ابن حزم الاندلسي(ت٤٥٦هـ)التأويل نقل:((والتأويل نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره وعما وضع له في اللغة الى معنى آخر فإن كان نقله قد صح ببرهان وكان ناقله واجب الطاعة فهو حق وإن كان نقله بخلاف ذلك اطرح ولم يلتفت إليه وحكم لذلك النقل بأنه باطل))[٧٢].

وقريب من تعريف الشيخ الطبرسي ما نُقل عن الباجي الاندلسي(ت:٤٧٤هـ) قوله: ((التأويل صرف الكلام عن ظاهره الى وجه يحتمله))[٧٣].

وهذا يعني أن يحتمل الكلام معنيين أو أكثر((إلا أن أحدهما أظهر في ذلك اللفظ اما لوضع او استعمال او عرف فإذا ورد وجب حمله على ظاهره الا ان يرد دليل يصرفه عن ذلك الظاهر الى بعض ما يحتمله، ويسمي أهل الجدل ذلك الصرف تأويلا))[٧٤].

قال السيوطي(ت ٩١١هـ):((فكأنه صرف الآية الى ما تحتمله من المعاني ، وقيل من الإيالة وهي السياسة كأن المؤول للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه))[٧٥].

٣-المعنى عند أهل البلاغة والبيان

التأويل في البلاغة يكون استنباطا لمعنى النص أو لمعنى اللغة قال عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١ هـ):((وهو أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر))[٧٦]،وذكر الشيخ محمد هادي معرفة تعريفا للتأويل من خلال تمييزه عن التفسير قال:((التفسير رفع الابهام عن اللفظ المشكل فمورده ابهام المعنى بسبب تعقيد حاصل في اللفظ ، اما التأويل فهو دفع الشبهة عن المتشابه من الاقوال والافعال فمورده حصول شبهة في قول او عمل اوجبت خفاء الحقيقة...فالتأويل ازاحة هذا الخفاء، وبذلك يكون عمل التأويل في رأيه رفع ابهام ودفع شبهة ، فمتى ما وُجد تشابه في اللفظ كان ابهام في وجه المعنى ايضا، فهو إذن دفع ورفع معا))[٧٧].

وكلام الشيخ هادي معرفة فيه إشارة الى كون التأويل متلازما ومترابطا بالمتشابه من الآيات، اما صاحب الميزان كان لديه رأي مختلف وقد فصّل في المسألة مبيناً:

((ان كون الآية ذات تأويل تعود اليه غير كونها متشابهة ترجع الى آية محكمة، فالتأويل لا يختص بالآيات المتشابهة وإنما بجميع القرآن، فإن للآية المحكمة تأويلا

وكذلك للآية المتشابهة، والتأويل ليس من المفاهيم التي هي بمثابة مداليل للألفاظ بل يعدّ من الأمور الخارجية العينية))[٧٨].

ذهب أحد المعاصرين وهو الدكتور محمد حسين الصغير الى معنى جديد في التأويل إذ يراه هو:((ما لم يكن مقطوعا به وكان مرددا بين عدة وجوه محتملة، فيؤخذ بأقواها حجة وأبرمها دليلا، فيوجه المعنى على أساس الفهم واللغة وإعمال الفكر))[٧٩].

٤- التأويل اللغوي

ويمكن تعريفه:((هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، لدليل يقترن به، وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات))[٨٠] أي تفسير المعاني الخفية أو العميقة في النصوص اللغوية (مثل الأحاديث أو الآيات القرآنية) باستخدام قواعد اللغة العربية، وذلك لفهم المعنى المقصود بشكل أدق، فهو لا يقتصر على المعنى الظاهر أو الحرفي للكلمات، بل ينظر في السياق اللغوي والبلاغي لتحديد المعنى الذي يتناسب مع النص بالكامل، مثلا إذا ورد لفظ "نزل" في حديث، قد يُفهم حرفياً على أنه حركة مكانية، لكن في التأويل اللغوي قد يُؤوَّل ليعني "الظهور" أو "التجلّي" من دون أن يتضمن الحركة المكانية.

إذن، التأويل اللغوي ليس تغييرا للنص، بل تفسيرًا أعمق يستند إلى قواعد اللغة لرفع أي إشكال قد يظهر عند فهم المعنى الظاهر للنص.

أو يمكن ان يقال: تحويلُ المعنى الغامض في نص معيّن إلى معنى واضح، فهي عملية (توسيط) هدفها تحقيق الفهم فيما هو غير مفهوم من القراءة الأولى اي بيان

المعاني المستنبطة الموافقة للفظ التأويل ضرورة، والنصوص تحتاج إلى مناهج وآليات ومعارف لاستنطاقها، والتأويل أحد آليات فهم النص والمرادات حيث كانت اللغة هي المرجع الأول لكل الاتجاهات لتأسيس قواعد فهم النص الديني وتأويله وهذا يرتبط بالقصدية والاسلوبية لدى المشرع والمقنن والمتكلم وهذا ما نجده في النص القرآني.

٥-الجانب القراني :

وقفة لغوية مع قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[٨١] الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ قد يبدو فيها إشكال من جانب اللغة ؛وذلك أن الخطاب في الآية جاء بصيغة التثنية، في قوله: ﴿ تتوبا ﴾ في حين أن المضاف إلى المخاطب قد جاء بصيغة الجمع[٨٢]، وهو قوله تعالى: ﴿قلوبكما﴾؛ وقد يبدو للوهلة الأولى، أن الأصح أن يقال: (قلباكما) بصيغة التثنية؛ لأنه يعود على المخاطب وهو مثنى فكيف أضيف الجمع (القلوب) إلى المثنى ؟هذا هو وجه الإشكال كما يبدو للبعض.

والحل على ما يبدو من إشكال في هذه الصيغة، إنما يكون بالرجوع إلى لسان العرب، وقواعد اللغة، إذ أن القاعدة العربية في هذا الباب:أن كل جزأين أضيفا إلى صاحبيهما، وكانا مفردين من صاحبيهما - بمعنى أنه لا يوجد لهما ثان من جنسهما، كالقلب، والظهر، والبطن- جاز فيهما ثلاثة أوجه: الأحسن الجمع - وعليه جاءت الآية - ويليه الإفراد، ويليه التثنية، فأنت تقول: (قطعت رؤوس الكبشين) على الجمع، وهو الأفصح والأصوب لغة؛ ولك أن تقول: (قطعت رأس الكبشين) على الإفراد؛

ولك أن تقول أيضًا: (قطعت رأسي الكبشين) على التثنية وهذه القاعدة إنما تنتظم في الأشياء المتصلة، والتي هي جزء من كلٍّ؛ كالرأس من الجسد، والقلب من الإنسان، ونحوهما[٨٣].

أما ما كان منفصلاً، ولم يكن جزءاً من كل، فلا تستقيم فيه هذه القاعدة؛ فلا يصح لك أن تقول: رأيت أفراسهما ولا أن تقول: ضربت غلمانهما؛ بل الصواب أن تقول هنا: رأيت فرسيهما؛ وضربت غلاميهما؛ لأن كلاً من الفرس والغلام شيء مستقل بنفسه، وليس جزءاً من كل وبحسب هذه القواعد، أجاب المفسرون على ما يبدو من إشكال في هذا اللفظ، فقالوا: كل شيء يوجد من خلق الإنسان؛ كالرأس، والظهر، والقلب...إذا أضيف إلى اثنين جُمع، فأنت تقول: قبَّلتُ رؤوسهما، وأشبعت بطونهما، وأوجعت ظهورهما؛ فـ(الرأس) و(البطن) و(الظهر) لما أضيفت إلى ضمير التثنية (هما)، جاء المضاف بصيغة الجمع، (الرؤوس، البطون، الظهور)، فقالوا: رؤوسهما، وبطونهما، وظهورهما؛ وعلى هذا الأسلوب جاء قوله تعالى: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾؛ قالوا: وأكثر استعمال العرب وأفصحه في ذلك، أن يعبروا بلفظ الجمع مضافًا إلى ضمير المثنى؛ لأن صيغة الجمع قد تطلق على الاثنين في الكلام، فهما يتبادلان، ومما ذكروه من تعليلات في هذا الباب:أن الإتيان بصيغة الجمع دون صيغة التثنية، إنما كان تجنبًا لاجتماع تثنيتين في كلمة واحدة؛ ففي الأمثلة السابقة، يصح أن تقول: قبَّلتُ رأسيهما، وأشبعت بطنيهما، وأوجعت ظهريهما؛ لكن في هذا الاستعمال ثقل في اللفظ، فعدلوا عنه إلى صيغة الجمع[٨٤]، تخلصًا من ثِقَل التلفظ بصيغة التثنية، وهذا أمر معهود في لغة العرب، حيث يعدلون عن استعمال صحيح إلى استعمال أصح منه؛ طلبًا للخفة، وتحريًا لسهولة اللفظ وبما أن القرآن قد

نزل بلغة العرب، وعلى وفق لسانها في التعبير والبيان؛ فقد جاء لفظ الآية الكريمة ﴿قلوبكما﴾ جرياً على الأفصح من كلامهم، حيث وضع الجمع موضع المثنى، استثقالاً لمجيء تثنتين في كلمة واحدة[٨٥]، كما لو قيل: (قلباكما)، ومما جاء في السنة النبوية على هذا الأسلوب، قوله ﷺ للرجلين اللذين رأياه يمشي مع صفية زوجته، ولم يكونا يعلمان أنها زوجته: ((وإني خشيت أن يُقذف في قلوبكما))[٨٦]، فلم يقل لهما: (قلباكما) بصيغة التثنية، وإنما جاء به على صيغة الجمع، فقال: (قلوبكما) إذن فاللفظ في الآية سليم مستقيم لا إشكال فيه؛ وفصيح صحيح جار على وفق لسان العرب ؛وإنما الإشكال في عدم فهم كلام العرب، وعدم معرفة أساليبهم في البيان والتبيين.

إن التأويل في اللغة العربية ركيزة أساس بها فإذا لم يكن لأحد معرفة التأويل هذا يعني ليس له حظ في معرفة اللغة العربية ولسانها بل تلتبس عليه المفاهيم لأن التأويل يبحث في ترتيب الجملة وقواعدها ووظيفتها خاصة، يشمل بذلك التأويل النحوي الذي إما أن يكون بالحذف وإما أن يكون بالاستتار والتقدير والتأويل الأدبي الذي هو العدول عن ظاهر النصّ للكشف عن المعاني الإضافية والدلالات البلاغية للنصوص الأدبية، فهو نوع من التأويل يتعلق بالأسلوب والسياق والسباق واللحاق، لا المفردات والألفاظ. والوصول إلى هذه المعاني الرفيعة يحتاج من المؤوِّل إلى نوعٍ متميّزٍ من الذوق الأدبي.

ثانياً: شروط التأويل

١ـ أن يصار إليه عند الحاجة الملحّة، وذلك بتوفر القرينة الداعية إليه.

٢ـ أن يوافق التأويل القواعد اللغوية والنحوية للغة العربية.

٣ـ ألا يحمّل النصّ المؤوّل أكثر مما يحتمل.

ثالثاً: أنواع التأويل:

الاول ـ التأويل الصحيح: وهو التأويل الذي استوفى الشروط السابقة، وهو نوعان:

١- التأويل القريب: وهو ما لا يشترط له دليل قويّ لقربه من الفهم، كتأويل مكر الله بالكفار بردّ مكرهم في نحورهم.

٢-التأويل البعيد: وهو ما يشترط له دليل قويّ يبرّر قبوله لبعده عن الفهم، كتأويل «الشاة» في حديث: (في سائحة الغنم إذا بلغت أربعين شاةٌ) بمقدار الشاة وقيمتها.

الثاني - التأويل الفاسد: وهو التأويل الذي لم تتحقق فيه المبرّرات اللازمة لقيامه، وذلك كتأويل «البقرة» في قوله تعالى:﴿إِنّ الله يَأْمُرُكم أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾(٨٧) بأنها رجل يبقَرُ عن أسرار العلوم أي يشقّها ويسبر أغواره.

رابعاً: التأويل اللغوي في الإستبصار

وقبل ان نتناول نماذج وتطبيقات التأويل اللغوي في الإستبصار لابد ان نشير الى جهود الشيخ الطوسي في الجمع بين الأخبار المختلفة في الحكم، ورفع الاختلاف بينها، ودفع التعارض عنها، والتوفيق بين مداليلها فكان له قصب السبق في ذلك وخصوصا بعد ملاحظة عنوان الكتاب هو حاكي عن هذا المضمون (الإستبصار فيما اختلف فيه من الاخبار) فحلّ مشكلاتها بفكر صائب ومهّد للفقهاء والعلماء طرق

الاستنباط، ولا تزال آراؤه ـ في الجمع بين الأخبار ـ هذه القواعد محل الاعتماد، والتداول بين الأعلام، وتحظى بالوضوح والقبول.

فقد بيَّن الشيخ الطوسي الغاية من تأليف كتاب الاستبصار بقوله:

((أما بعد فإني رأيت جماعة من أصحابنا لما نظروا في كتابنا الكبير الموسوم (بتهذيب الأحكام) ورأوا ما جمعنا فيه من الأخبار المتعلقة بالحلال والحرام ووجدوها مشتملة على أكثر ما يتعلق بالفقه من أبواب الأحكام وانه لم يشذ عنه في جميع أبوابه وكتبه مما ورد في أحاديث أصحابنا وكتبهم وأصولهم ومصنفاتهم إلا نادر قليل وشاذ يسير، وإنه يصلح أن يكون كتاباً مذخوراً يلجأ اليه المبتدئ في تفقهه، والمنتهي في تذكره، والمتوسط في تبحره فانّ كلاً منهم ينال مطلبه ويبلغ بغيته تلاحظ إلى أن يكون ما يتعلق بالأحاديث المختلفةً مفرداً على طريق الاختصار يفزع اليه المتوسط في الفقه لمعرفته والمنتهى لتذكره إذ كان هذان الفريقان آنسين بما يتعلق بالوفاق، وربما لم يمكنهما ضيق الوقت من تصفح الكتب وتتبع الآثار فيشرفا على ما اختلف من الروايات فيكون الانتفاع بكتاب يشتمل على أكثر ما ورد من أحاديث أصحابنا المختلفة، أكثره موقوفاً على هذين الصنفين وان كان المبتدئ لا يخلو أيضاً من الانتفاع به))[٨٨].

خامساً: المنهجية العامة عند الشيخ في الأحاديث المختلفة:

يمكن أن نسلط الضوء بشكل مجمل على منهجية الشيخ الطوسي العامة في مختلف الحديث من خلال ما ذكره في مقدمته[٨٩]، وبيان أهم القضايا المتعلقة بذلك بما يلي:

١- الطابع العام على الشيخ الطوسي هو الجمع الدائم بين الأحاديث؛ مما يجعله أحياناً يجمع على الاحتمالية، أو يكون الجمع مرجوحاً بأدلة أخرى أقوى مثل الترجيح أو التخيير[٩٠].

٢- يعالج الاختلاف في الأحاديث المتعلقة بالأحكام الفقهية من كتاب الطهارة إلى كتاب الديات، ومن الكتب التي يعالج الاختلاف فيها كتاب الصلاة والصوم والحج، والزكاة والقضايا والأحكام، والطلاق، والأطعمة والأشربة.

٣- يبدأ بذكر الأحاديث التي يفتي بها في المذهب ويرجحها، ثم يأتي بالأحاديث الأخرى المخالفة، ثم يبين التأويل،((ابتدأ كل باب بإيراد ما اعتمده من الفتوى والأحاديث فيه، ثم أعقب بما يخالفها من الاخبار))[٩١] أي دفع التعارض بين الأحاديث، وتوجيه الأحاديث المخالفة لما عليه الفتوى أو الترجيح.

٤ -بين أن هناك أموراً لا يقع فيها التعارض وهي:

أ- المتواتر: وهو ما أوجب العلم فيجب العمل به ولا يقع فيه التعارض.

ب- ما ليس بمتواتر ولكنه اقترن بقرائن ترجيحية فيجب العمل به، ولا يقع فيه التعارض.

٥ -أشار إلى قرائن الترجيح عنده، وهي كالتالي[٩٢]:

أ-قرائن مطابقة لأدلة العقل.

ب- قرائن مطابقة لظاهر القرآن

ج- قرائن مطابقة للسنة المقطوع بها.

د -قرائن مطابقة للإجماع.

هـ - قرائن مطابقة للفرقة المحقة.

٦ -بين أن الأمور التي يقع فيها الاختلاف والتعارض من الأحاديث غير المتواترة التي لا يوجد معها قرائن فهو خبر واحد يجوز العمل به على شروط ألا يعارض خبراً آخر فيجب العمل به، وأما عند التعارض فلعمل قواعد حل الاختلاف)[٩٣] وهي الترجيح:

أ-بأعدل الرواة في الطريقين، ((وإن كان هناك ما يعارضه فينبغي أن ينظر في المتعارضين فيعمل على أعدل الرواة في الطريقين))[٩٤].

ب- إن كانا في العدالة سواء فالنظر إلى أكثر الرواة عدداً، ((وإن كانا سواء في العدالة عمل على أكثر الرواة عدداً))[٩٥].

ج- وإن كانا متساويين في العدالة والعدد، وهما عاريان من جميع القرائن، وأمكن الجمع، سلك الجمع بينهما، ((وإن كانا متساويين في العدالة والعدد، وهما عاريان من جميع القرائن التي ذكرناها، نظر فإن كان متى عمل بأحد الخبرين أمكن العمل بالآخر على بعض الوجوه وضرب من التأويل كان العمل به أولى من العمل بالآخر الذي يحتاج مع العمل به إلى طرح الخبر الآخر؛ لأنه يكون العامل بذلك عاملاً بالخبرين معاً))[٩٦].

د- وإن كانا متساويين في العدالة والعدد وكان مع أحدهما مرجح فالترجيح هو الرافع للإشكال، ((واذا كان الخبران يمكن العمل بكل واحد منهما وحمل الآخر على بعض الوجوه وضرب من التأويل وكان لأحد التأويلين خبر يعضده أو يشهد به على بعض الوجوه صريحاً أو تلويحاً لفظاً أو دليلاً وكان الآخر عارياً من ذلك كان العمل به أولى من العمل بما لا يشهد له شيء من الأخبار))[٩٧].

هـ - وإن كانا متساويين في العدالة والعدد ولا يوجد مرجح ولا يمكن الجمع

بينهما فالتخيير هو الرافع للإشكال، ((إذا لم يشهد لأحد التأويلين خبر آخر وكان متحاذياً كان العامل مخيراً في العمل بأيهما شاء))[٩٨].

المبحث الرابع: قواعد المنهج عند الشيخ الطوسي

اولاً: المنهجية الخاصة عند الشيخ الطوسي :

جَمعَ الشيخ الأحاديث ذات العلاقة بكل باب في مكان واحد، وقام ببحثها وتحليلها من ناحية السند والمضمون، وقدم اقتراحاته في كل باب من الأبواب لرفع التعارض الظاهري بين الأحاديث أو ترجيح فريق منها على الفريق الآخر، وقد نالت أساليب رفع التعارض بين الأحاديث والجمع بينها مكانة مهمة في فقه الشيخ الطوسي وخاصة في كتابه الإستبصار ومن هنا لا يعتبر هذا الكتاب مجرد مجموعة أحاديث بل يتميز بأهمية فقهية كبيرة أيضا، وقد رُتِّبتْ أبواب كتاب الإستبصار كبقية الكتب الأربعة وفقاً للترتيب الطبيعي في المؤلفات الفقهية ومع أنّ الشيخ الطوسي اعتمد إلى حد كبير في تأليف كتاب الإستبصار على كتابه (تهذيب الأحكام)، لكن الإستبصار يعتبر كتاباً مستقلاً بالنظر إلى الهدف من تأليفه، وما تميز به من ترتيب أبوابه، وأُسلوب ترتيب أحاديث كل باب فيه، وقد حدد الشيخ الطوسي عدد أحاديث كتاب الإستبصار لكي لا تتعرض للنقيصة والزيادة، فذكر أنّ عدد الأحاديث الواردة في كتاب الإستبصار يبلغ (**٥٥١١ حديثاً**)، لكن الطبعة المحققة من كتاب الإستبصار يبلغ عدد (**أحاديثها٥٥٥٨ حديثاً**) وهذا الاختلاف في العدد يمكن إرجاعه إلى الاختلاف في طريقة إحصاء بعض الأحاديث وهل هما حديثان أم حديث واحد وأما أسانيد الأحاديث فقد بدأ بضبط أسانيد الأحاديث، وقد اتبع ما يشبه هذه الطريقة في

الجزئين الأول والثاني، لكنه في الجزء الأخير ذكر الأسانيد بشكل مختصر واتبع منهج تهذيب الأحكام وهو أسلوب اتبعه الشيخ الصدوق قُدِّسَ سِرُّهُ في كتاب (من لا يحضره الفقيه) وقام بإرجاع أسانيده إلى الأصول الروائية في نهاية الكتاب وسماه(بالمشيخة).

وعادة ما يقدّم الشيخ الأحاديث التي يقبلها، ثم يذكر الأحاديث المعارضة لها، ثم يتعرض لوجه الجمع بينها مهما أمكن ذلك، وقد بيَّن هذا الامر بقوله:((وسألوني تجريد ذلك وصرف العناية إلى جمعه وتلخيصه وإن ابتدئ في كل باب بإيراد ما اعتمده من الفتوى والأحاديث فيه ثم اعقب بما يخالفها من الاخبار وأبين وجه الجمع بينها على وجه لا لا أسقط شيئاً منها ما أمكن ذلك فيه وأُجري في ذلك على عادتي في كتابي الكبير المذكور وأن أشير في أول الكتاب إلى جملة مما يرجح به الأحاديث بعضها على بعض ولأجله جاز العمل بشيء منها دون جميعها وأنا مبين ذلك على غاية من الاختصار إذ شرح ذلك ليس هذا موضعه وهو مذكور في الكتب المصنفة في أصول الفقه المعمولة في هذا الباب))[٩٩].

ثانياً: منهجه التأويلي

بيَّن الشيخ الطوسي منهجه في معالجة الاخبار المختلفة بقوله: ((وأما القسم الآخر: فهو كل خبر لا يكون متواتراً ويتعرى من واحد من هذه القرائن فإن ذلك خبر واحد ويجوز العمل به على شروط فإذا كان الخبر لا يعارضه خبر آخر فإن ذلك يجب العمل به لأنه من الباب الذي عليه الإجماع في النقل إلا أن تعرف فتاواهم بخلافه فيترك لأجلها العمل به وإن كان هناك ما يعارضه فينبغي أن ينظر في المتعارضين فيعمل على اعدل الرواة في الطريقين، وإن كانا سواء في العدالة عمل

على أكثر الرواة عدداً، وإن كانا متساويين في العدالة والعدد وهما عاريان من جميع القرائن التي ذكرناها نظر فإن كان متى عمل بأحد الخبرين أمكن العمل بالآخر على بعض الوجوه وضرب من التأويل كان العمل به أولى من العمل بالآخر الذي يحتاج مع العمل به إلى طرح الخبر الآخر لأنه يكون العامل بذلك عاملاً بالخبرين معاً، وإذا كان الخبران يمكن العمل بكل واحد منهما وحمل الآخر على بعض الوجوه وضرب من التأويل وكان لأحد التأويلين خبر يعضده أو يشهد به على بعض الوجوه صريحاً أو تلويحاً لفظاً أو دليلاً وكان الآخر عارياً من ذلك كان العمل به أولى من العمل بما لا يشهد له شيء من الأخبار، وإذا لم يشهد لأحد التأويلين خبر آخر وكان متحاذياً كان العامل مخيراً في العمل بأيهما شاء، وإذا لم يمكن العمل بواحد من الخبرين إلا بعد طرح الآخر جملة لتضادهما وبعد التأويل بينهما كان العامل أيضاً مخيراً في العمل بأيهما شاء من جهة التسليم، ولا يكون العاملان بهما على هذا الوجه إذا اختلفا وعمل كل واحد منهما على خلاف ما عمل عليه الآخر مخطئاً ولا متجاوزاً حد الصواب، إذ روي عنهم أنهم قالوا إذا أُورد عليكم حديثان ولا تجدون ما ترجحون به أحدهما على الآخر مما ذكرناه كنتم مخيرين في العمل بهما، ولأنه إذا ورد الخبران المتعارضان وليس بين الطائفة اجماع على صحة أحد الخبرين ولا على إبطال الخبر الآخر فكأنه اجماع على صحة الخبرين، وإذا كان الإجماع على صحتهما كان العمل بهما جائزاً سائغاً وأنت إذا فكرت في هذه الجملة وجدت الأخبار كلها لا تخلو من قسم من هذه الاقسام ووجدت أيضاً ما عملنا عليه في هذا الكتاب وفي غيره من كتبنا في الفتاوى في الحلال والحرام لا يخلو من واحد من هذه الأقسام ولم نشر في أول كل باب إلى ذكر ما رجحنا به الاخبار التي قد عملنا عليها وإن كنا قد أشرنا في

أكثرها إلى ذكر ذلك طلباً للإيجاز والاختصار واقتصرنا على هذه الجملة التي قدمناها إذا كان المقصود بهذا الكتاب من كان متوسطاً في العلم ومن كان بهذه المنزلة فبأدنى تأمل يتبين له ما ذكرناه ونحن الآن نبتدئ، في كتابنا هذا بذكر أبواب المياه وأحكامها وما اختلف فيه من الأخبار حسب ما عملناه في كتابنا الموسوم بالنهاية في الفتاوى للغرض الذي ذكرناه هناك والله الموفق للصواب))[١٠٠].

ثالثاً: تطبيقات التأويل اللغوي نماذج من كتاب الطهارة:

١- تفسير معنى القُلة في اللغة:

((واما ما رواه محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن عبد الله بن المغيرة عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال الكر من الماء نحو حبي هذا وأشار إلى حب من تلك الحباب التي تكون بالمدينة، فلا يمتنع أن يكون الحب يسع من الماء مقدار الكر وليس هذا ببعيد، فإما ما رواه محمد بن علي بن محبوب عن العباس عن عبد الله بن المغيرة عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان الماء قدر قلتين لم ينجسه شيء والقُلتان جرتان.

فأول ما في هذا الخبر أنه مرسل ويحتمل أن يكون أيضا ورد مورد التقية لأنه مذهب كثير من العامة ويحتمل مع تسليمه أن يكون الوجه فيه ما ذكرناه في الخبر المتقدم وهو أن يكون مقدار القلتين مقدار الكر لان ذلك ليس بمنكر لان "القلة هي الجرة الكبيرة في اللغة" وعلى هذا لا تنافي بين الاخبار))[١٠١] هنا استند الطوسي رحمه الله في حل الاختلاف بين الحديثين الى التأويل اللغوي ففسر القُلة بانها الجرة الكبيرة وليس المراد منها الجرة الصغيرة في مورد الحديثين بحسب لسان الروايتين كما

واضح.

٢- تفسير الرَّاوية والقِرْبة :

((وأما ما رواه محمد بن علي بن محبوب عن محمد بن الحسين عن علي بن حديد عن حماد بن عيسى عن حريز عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت له راوية من ماء سقطت فيها فارة أو جرذ أو صعوة ميتة قال إذا تفسخ فيها فلا تشرب من مائها ولا تتوضأ منها وإن كان غير متفسخ فاشرب منه وتوضأ واطرح الميتة إذا أخرجتها طرية وكذلك الجرة وحب الماء والقربة وأشباه ذلك من أوعية الماء، قال وقال أبو جعفر، إذا كان الماء أكثر من راوية لم ينجسه شيء تفسخ فيه أو لم يتفسخ إلا أن يجئ له ريح يغلب على ريح الماء.

فهذا الخبر يمكن أن يحمل قوله راوية من ماء إذا كان مقدارها كرا فإنه إذا كان كذلك لا ينجسه شيء مما يقع فيه ويكون قوله إذا تفسخ فيها فلا تشرب ولا تتوضأ محمولا على أنه إذا تغير أحد أوصاف الماء، وكذلك القول في الجرة وحب الماء والقربة، وليس لاحد ان يقول إن الجرة والحب والقربة " والراوية " لا يسع شيء من ذلك كرا من الماء لأنه ليس في الخبر أن جرة واحدة ذلك حكمها "بل ذكرها بالألف واللام وذلك يدل على العموم عند كثير من أهل اللغة "وإذا احتمل ذلك لم يناف ما قدمناه من الاخبار))[١٠٢]،استند الطوسي في حل الاشكال والاختلاف بينم الحديثين الى دخول الالف واللام التي تغيد الاستغراق والشمول بحسب اهل واللغة واللسان.

٣- ماء الوَرْد

((أخبرني الشيخ رحمه الله عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه

عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن أحمد بن يحيى عن محمد بن عيسى عن ياسين الضرير عن حريز عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن الرجل يكون معه اللبن أيتوضأ منه للصلاة قال لا إنما هو الماء والصعيد.

قال الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله هذا الخبر يدل على أن مالا يطلق عليه اسم الماء لا يجوز استعماله وهو مطابق لظاهر الكتاب والمتقرر من الأصول.

فأما ما رواه محمد بن يعقوب عن علي بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن عيسى عن يونس عن أبي الحسن عليه السلام قال قلت له: الرجل يغتسل بماء الورد ويتوضأ به للصلاة قال عليه السلام: لا بأس بذلك.

فهذا خبر شاذ شديد الشذوذ وإن تكرر في الكتب فإنما أصله يونس عن أبي الحسن عليه السلام ولم يروه غيره وقد اجتمعت العصابة على ترك العمل بظاهره، وما يكون هذا حكمه لا يعمل به ولو ثبت لاحتمل أن يكون المراد بالوضوء في الخبر(التحسين) وقد بينا في كتابنا (تهذيب الأحكام) الكلام على ذلك وان ذلك يسمى وَضُوء "في اللغة" وليس لاحد أن يقول إن في الخبر انه سأله عن ماء الورد يتوضأ به للصلاة ويغتسل به لان ذلك لا ينافي ما قلناه لأنه يجوز ان يستعمل للتحسين ومع ذلك يقصد به الدخول في الصلاة من حيث إنه متى استعمل الرائحة الطيبة للدخول في الصلاة كان أفضل من أن يقصد بها التطيب والتلذذ فحسب، دون وجه الله تعالى ويكون قوله يغتسل به يكون المعنى فيه رفع الحظر عن استعماله في الغسل ونفي السرف عنه وان كان لا يجوز به استباحة الصلاة ويحتمل أن يكون المراد بقوله ماء الوَرْد الذي وقع

فيه الورد لان ذلك يسمى ماء ورد وان لم يكن معتصرا منه لان كل شئ جاور غيره فإنه يكسبه اسم الإضافة وإن كان المراد به المجاورة كما يقولون ماء الحب وماء البئر وماء المصنع وماء القِرَب وكل ذلك إضافة مجاورة وفي ذلك اسقاط التعلق بالخبر))[١٠٣]،استند الطوسي في رفع الاختلاف الى التأويل اللغوي (وضوء)بفتح الواو وضم الضاد بمعنى التحسين والجمال والتطيب كما في بعض الروايات في وصف المرأة الجميلة بانها وضوءة اي حسنة الوجه والطلة وله ما يؤيده في اللغة فيقال:" وَضَاءَةُ: الحُسْنُ والنَّظافَةُ، قد وَضُؤَ، فهو وضِيءٌ من أوْضِيَاءَ ووِضَاءٍ ووُضَّاءٌ، من وُضَّائِينَ ووَضَاضِئَ" كما في لسان العرب لابن منظور، وكذلك ماء الورد اي الذي وقعه فيه الورد النبات المعروف بفعل الرياح او بفعل بشري مقصود لغرض الرائحة دون تحقق الاعتصار منه.

٤- الوضوء بنبيذ التمر

قال الشيخ الطوسي: ((قد بينا في كتاب (تهذيب الأحكام) أن النبيذ المسكر حكمه حكم الخمر في نجاسته وحظر استعماله في كل شيء ومشاركته لها في جميع أحكامها فلذلك لم تكرر ههنا الاخبار في هذا المعنى.

فأما ما رواه محمد بن علي بن محبوب عن العباس عن عبد الله بن المغيرة عن بعض الصادقين عليه السلام قال: إذا كان الرجل لا يقدر على الماء وهو يقدر على اللبن فلا يتوضأ به إنما هو الماء أو التيمم فإن لم يقدر على الماء وكان نبيذا فاني سمعت حريزا يذكر في حديث ان النبي صلى الله عليه وآله قد توضأ بنبيذ ولم يقدر على الماء.

فأول ما فيه ان عبد الله بن المغيرة قال عن بعض الصادقين ويجوز أن يكون من أسنده إليه غير امام وإن اعتقد فيه انه صادق على الظاهر فلا يجب (العمل به والثاني

انه اجتمعت العصابة على أنه لا يجوز الوضوء بالنبيذ فيسقط أيضا الاحتجاج به من هذا الوجه ولو سلم من ذلك كله لجاز ان نحمله على الماء الذي قد طرح فيه تمر قليل ليطيب طعمه وتنكسر ملوحته ومرارته وإن لم يبلغ حدا يسلبه اسم الماء بالإطلاق لان النبيذ في اللغة هو ما ينبذ فيه الشيء والماء إذا طرح فيه قليل تمر يسمى نبيذا والذي يدل على هذا التأويل ما أخبرنا به الشيخ رحمه الله عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه عن محمد بن يعقوب عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، وعدة من أصحابنا عن سهل بن زياد جميعا عن محمد بن علي الهمداني عن علي بن عبد الله الخياط عن سماعة بن مهران عن الكلبي النسابة انه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن النبيذ فقال حلال فقال انا ننبذه فنطرح فيه العكر وما سوى ذلك فقال: شُه شُه[١٠٤]، الخمرة المنتنة، قال قلت جعلت فداك فأي نبيذ تعني، قال إن أهل المدينة شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تغير الماء وفساد طبائعهم فأمرهم أن ينبذوا فكان الرجل يأمر خادمه أن ينبذ له فيعمد إلى كف من تمر فيقذف به في الشن فمنه شربه ومنه طهوره، فقلت فكم كان عدد التمر الذي في الكف، فقال ما حمل الكف، قلت واحدة أو اثنتين، فقال ربما كانت واحدة وربما كانت اثنتين، فقلت وكم كان يسع الشن[١٠٥]، فقال ما بين الأربعين إلى الثمانين إلى فوق ذلك، فقلت بأي أرطال قال أرطال مكيال العراق))[١٠٦]،استند الطوسي في حل الاختلاف الى المفردة اللغوية (النبذ) وهو الالقاء والرمي وهذا له تأصيل قراني قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾[١٠٧].

(نَبَذَهُ) أَلْقَاهُ وَبَابُهُ ضَرَبَ وَنَبَّذَهُ شُدِّدَ لِلْكَثْرَةِ. وَجَلَسَ (نُبْذَةً) و(نَبْذَةً) بِضَمِّ النُّونِ وَفَتْحِهَا أَيْ نَاحِيَةً و(انْتَبَذَ) ذَهَبَ نَاحِيَةً، وَذَهَبَ مَالُهُ وَبَقِيَ (نَبْذٌ) مِنْهُ بِفَتْحِ النُّونِ. وَبِأَرْضِ كَذَا نَبْذٌ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ كَلَأٍ. وَفِي رَأْسِهِ نَبْذٌ مِنْ شَيْبٍ، وَأَصَابَ الْأَرْضَ نَبْذٌ مِنْ

مَطَرٍ أَيْ شَيْءٌ يَسِيرٌ، و(النَّبِيذُ) وَاحِدُ (الْأَنْبِذَةِ) و(نَبَذَ نَبِيذًا) اتَّخَذَهُ وَبَابُهُ ضَرَبَ وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: أَنْبَذَهُ. ثم استند في بيان النبيذ وان المراد الماء الذي ينبذ به العسل والتمرة والتمرتين او ما حمل الكف لأجل تحليته.

٥- الرِكْية

((عن ابن مسكان قال: حدثني أبو بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العذرة تقع في البئر فقال: ينزح منها عشر دلاء فان ذابت فأربعون أو خمسون دلوا.

فأما ما رواه سعد بن عبد الله عن أحمد بن الحسن عن عمرو بن سعيد عن مصدق بن صدقة عن عمار قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن البئر يقع فيها زنبيل عذرة يابسة أو رطبة فقال: لا بأس إذا كان فيها ماء كثير.

وما رواه محمد بن علي بن محبوب عن محمد بن الحسين عن موسى بن القاسم عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألته عن بئر ماء وقع فيها زنبيل من عذرة يابسة أو رطبة أو زنبيل من سرقين أيصلح الوضوء منها؟ فقال: لا بأس.

فالوجه في هذين الخبرين أحد شيئين، أحدهما أن يكون المراد به انه لا بأس به بعد نزح خمسين دلوا حسب ما تضمنه الخبر الأول، والثاني أن يكون المراد بالبئر المصنع الذي يكون فيه من الماء أكثر من كر ولأجل هذا قال: لا باس به إذا كان فيها ماء كثير لان ذلك هو الذي يعتبر فيه القلة والكثرة دون الآبار المعينة.

فأما ما رواه سعد بن عبد الله عن موسى بن الحسن عن أبي القاسم عبد الرحمن بن حماد الكوفي عن بشير عن أبي مريم الأنصاري قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام في حائط له فحضرت الصلاة فنزح دلوا للوضوء من ركي له فخرج عليه قطعة من عذرة

يابسة فأكفى رأسه وتوضأ بالباقي. فيحتمل هذا الخبر شيئين أيضا، أحدهما ما ذكرناه في الخبرين من أن يكون المراد بالركي المصنع الذي يكون فيه الماء الكثير، والثاني ان تحمل العذرة على أنها كانت عذرة ما يؤكل لحمه وذلك لا ينجس الماء على كل حال))[١٠٨].

استند الطوسي في الاختلاف الحاصل بين الأحاديث بالمراد من الركية والتي هي المصنع الذي يكون فيه الماء الكثير فلا يتحقق الانفعال بالنجاسة لان كثرة الماء توجب حدوث التغير بأوصاف النجاسة.

والركية البئر او الجب الكبيرة والعميقة وجمعها ركايا، يقال: يَأْخُذُ البَدْوُ ماءَهُمْ مِنَ الرَّكايا يَأْخُذُ البَدْوُ ماءَهُمْ مِنَ الرَّكايا [١٠٩].

البئر: هو القليب المحفور، مؤنّث ومهموز، يقال: بأرتُ بئراً، أي حفرتها، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾[١١٠] وظاهر اللغويّين عدم الفرق بين كونها ذات مادّة نابعة وعدمها، ولكن الظاهر من العرف وإطلاق الفقهاء في باب الطهارة اختصاصه بما كان له ماء من قبل نفسه. وأمّا إذا كان ممّا يجمع فيه فاضل الماء أو غيره فيطلق عليها الركيّة أو البالوعة أو الكنيف أو الصهريج أو الجّب. وكيف كان، فلا فرق فيها بين ما كانت دائرة أو بائرة قد جفّ ماؤها وتعطّلت، كما في الآية المباركة[١١١].

٦- الدراهم البيض

((باب الجنب لا يمس الدراهم عليها اسم الله تعالى

أخبرني الشيخ (رحمه الله) عن أحمد بن محمد عن أبيه عن محمد بن يحيى وأحمد ابن إدريس جميعا عن محمد بن أحمد بن يحيى عن أحمد بن الحسن بن

علي بن فضال عن عمرو بن سعيد المدايني عن مصدق بن صدقة عن عمار بن موسى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يمس الجنب درهما ولا دينارا عليه اسم الله تعالى:

فأما ما رواه محمد بن علي بن محبوب عن محمد بن الحسين وعلي بن السندي عن صفوان بن يحيى عن إسحاق بن عمار عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: سألته عن الجنب والطامث يمسَّان بأيديهما الدراهم البيض قال: لا بأس.

فلا ينافي الخبر الأول لأنه لا يمتنع أن يكون إنما أجاز له ذلك إذ لم يكن عليها اسم الله تعالى وإن كانت بيضا، وفي الأول نهى عن مسها إذا كان عليها شيء من ذلك))[١١٢].

٧- تفسير معنى (في) الظَرْفية بـ على (الاستعلائية)

((**باب موضع الكافور من الميت:**

أخبرني الشيخ رحمه الله عن أبي القاسم جعفر بن محمد عن محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن حماد الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أردت أن تحنط الميت فاعمد إلى الكافور فامسح به آثار السجود منه ومفاصله كلها ورأسه ولحيته وعلى صدره من الحنوط، وقال الحنوط للرجل والمرأة سواء قال: وأكره ان يتبع بمجمرة.

علي بن محمد عن أيوب بن نوح عن ابن مسكان عن الكاهلي وحسين بن المختار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يوضع الكافور من الميت على موضع المساجد وعلى اللبة وباطن القدمين وموضع الشراك من القدمين وعلى الركبتين والراحتين والجبهة واللبة.

وروى فضالة عن أبان عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: لا تجعل

في مسامع الميت حنوطا.

فأما ما رواه علي بن الحسين عن محمد بن أحمد بن علي عن عبد الله بن الصلت عن النضر بن سويد عن عبد الله بن سنان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام كيف أصنع بالحنوط قال: تضع في فمه ومسامعه وآثار السجود من وجهه ويديه وركبتيه.

فالوجه في هذا الخبر أن نحمل قوله عليه السلام في مسامعه على معنى (على) لان حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض قال: الله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[١١٣] فإنما أراد على جذوع النخل، وإنما فعلنا ذلك ليوافق الاخبار الأولى، ويطابق ما أوردناه في شرح تكفين الميت في كتابنا الكبير ولا يخالفه))[١١٤].

٨- باب إنشاد الشعر

((٢٧٥ - ١ أخبرني الشيخ رحمه الله عن أحمد بن محمد عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن معاوية بن ميسرة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن انشاد الشعر هل ينقض الوضوء؟ قال: لا.

٢٧٦ - ٢ فأما ما رواه الحسين بن سعيد عن أخيه الحسن عن زرعه بن سماعة قال: سألته عليه السلام عن نشد الشعر هل ينقض الوضوء أو ظلم الرجل صاحبه أو الكذب؟ فقال: نعم إلا أن يكون شعرا يصدق فيه أو يكون يسيرا من الشعر الأبيات الثلاثة والأربعة فأما أن يكثر من الشعر الباطل فهو ينقض الوضوء.

فيحتمل الخبر وجهين: أحدهما أن يكون تصحف على الراوي فيكون قد روى بالصاد غير المعجمة دون الضاد المنقطة لان ذلك مما ينقص ثواب الوضوء، والثاني: أن يكون محمولا على الاستحباب))[١١٥].

خلاصة نتائج البحث:

١-الاختلاف في اللغة عدم الاتفاق وهذا المعنى يقترب من المعنى الاصطلاحي من المباينة والمدافعة والتضاد.

٢- الحديث عند الامامية اخذ فيه قيد الحكاية عن المعصوم قولا وفعلا وتقريرا بخلاف الجمهور المهم عنده الاتصال برسول الله ص وان عن كان الصحابي او التابعي.

٣-مختلف الحديث بكسر اللام بصيغة الفاعل النظر لنفس الحديث في نظر المحدث أي عارضه مثله والذي قرأ بفتح اللام قصد الحديثان المختلفان ظاهرا وهو المقصود في محل كلامنا.

٤- وقد يعبر عن الاختلاف بالتعارض فالمقصود هو الاختلاف بمعنى التمانع والتضاد بحسب الظاهر دون الواقع.

٥- شعار المحدث هو "الجمع مهما أمكن اولى من الطرح "بل لا طرح في قاموس المحدث الحصيف.

٦- اهمية معالجة الأحاديث المتعارضة دعت لئن يكون هناك علم اسمه علم مختلف الحديث.

٧-دائرة الاشكال الذي الالتباس اوسع من دائرة الاختلاف بحسب الموارد.

٨- قد يطلق التعارض ويراد الاختلاف فيقال: الحديثان المتعارضان اي المختلفان ولا يقصد بذلك التعارض الاصولي الذي في ضمن منهجه التساقط عند استقرار التعارض.

٩- اسباب اختلاف الحديث كثيرة ذكرها المحدثون والاصوليون في كتبهم منها

اسباب داخلية ومنها خارجية.

١٠- التأويل اللغوي هي أحد الطرق التي اعتمد عليها الشيخ الطوسي قدس سره لرفع الاختلاف بين الأحاديث وهو سهل المؤونة لمن عارفا باللغة واللسان.

هوامش البحث:

(١) ابن منظور، لسان العرب، الناشر دار صادر-بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.ج٩، ص ٩١، (خلف)

(٢) المفردات، الراغب الاصفهاني، ص: ١٥٥-١٥٧.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر- بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

ج ٢، ص ٢١٠-٢١١؛ التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ص ٣٢٢-٣٢٣.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٢.

(٥) سورة الأنعام، الآية:١٦٥.

(٦) ظ: بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، ج٢، ص٥٦١-٥٦٢.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٦٩.

(٩) الخُلُوف بضم الخاء المعجمة قبل اللام والفاء بعد الواو: رائحة الفم.

(١٠) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري؛ محمد اخوندي، الناشر: دار الكتب الإسلامية -طهران، ط٥، ١٤٠٧هـ، ج ٤، ص٦٥، باب ما جاء في فضل الصوم والصائم، ح١٣.

(١١) ظ: معجم مقاييس اللغة، بن فارس زكريا، ج ٢، ص ٢١٣.

(١٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، ج٣، ص٩٠٨.

(١٣) اسباب اختلاف الحديث، اللنكرودي، ص ١١.

(١٤) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٢، ص٣٦، (مادة حدث)

(١٥) لسان العرب، ابن منظور، ج٢، ص١٣٣، (مادة حدث)

(١٦) نهاية الدراية السيد حسن الصدر (ت ١٣٥٤ هـ)، تحقيق: ماجد الغرباوي، نشر: نشر المشعر -قم المقدسة، مطبعة: اعتماد.ص٨٥.

(١٧) اصول الحديث، الشيخ جعفر السبحاني، نشر: مؤسسة الامام الصادق،١٤٣٣هـ ص ١٩.

(١٨) الدراية، زين الدين بن علي بن أحمد الجبعي العاملي (ت ٩٦٥ هـ)، تحقيق: عبد الحسين محمد علي بقال، مطبعة بهمن - قم، ط٢، ١٤٠٨ هـ، ص٤١.

(١٩) اسباب اختلاف الحديث، اللنكرودي، ص ١١.

(٢٠) الرواشح السماوية، الميرداماد محمد باقر الحسيني الأستر آبادي، تحقيق: غلام حسين قيصريه ها ونعمت الله الجليلي، دار الحديث – قم،١٤٢٢ هـ ص١٦٥.

(٢١) شرح النخب، ملا علي القاري، ص٩٦.

(٢٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، نشر: دار طيبة، ج٢، ص١٧٥، نقلا عن النووي.

(٢٣) ظ: فرائد الأصول، الشيخ الأنصاري، ج ٤، ص١٩؛ اصطلاحات الأصول، الشيخ علي المشكيني، ص ١٩٣.

(٢٤) الكفاية في علم الدراية، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) صححه: أبو عبد الله السورقي، نشر: جمعية دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الدكن، ط١، ١٣٥٧ هـ.، ج١، ص٤٣٣.

(٢٥) تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شيري، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٤ هـ ج٢٣، ص ٢٤٠، (مادة: خلف)

. (٢٦) اصول الحديث، محمد عجاج الخطيب، نشر: دار الفكر-بيروت،٢٠٠٦م.، ص ٢٨٣.

(٢٧) في الجملة: بنحو الايجاب الجزئي، بالجملة: بنحو الايجاب الكلي.

(٢٨) الكافي، الكليني، ج٣، ص٣٦٣، كتاب الفروع، باب الصلاة.

(٢٩) ميزان التصحيح، السيد كمال الحيدري، تقرير: الشيخ طلال الحسن، مؤسسة الجواد للثقافة والفكر- بغداد،٢٠١٧م.ص ٤٨.

(٣٠) دروس في اختلاف الحديث، حيدر المسجدي، نشر: دار الحديث للطباعة والنشر-قم، ط١٤٣٧،١هـ، ص ٢٢٣.

(٣١) ينظر: بحوث في علم الأصول، تقرير السيد محمود الشاهرودي، ط: المجمع العلمي للشهيد الصدر، ج٧، ص٢٩-٤٠.

(٣٢) اسباب اختلاف الحديث، محمد إحساني فراللنگرودي، نشر: دار الحديث-قم المقدسة،١٤٢٧هـ، ص ٣٧.

(٣٣) ينظر مسألة: استعمال الطيب من قبل المحرم، الاستبصار، باب الطيب، ج٢، ص١٧٨.

(٣٤) ينظر مسألة: من قتله الحد، المصدر نفسه، ج٤، ص٢٧٩.

(٣٥) ينظر مسألة: النهي عن الاحتكار، المصدر نفسه، ج٣، ص١١٤.

(٣٦) ينظر مسألة: زكاة الإبل، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢.

(٣٧) ينظر مسألة: المخالف يحج ثم يستبصر، المصدر نفسه، ج٢، ص١٤٦.

(٣٨) ينظر مسألة: السجود على القطن والكتان، المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٢.

(٣٩) ينظر مسألة: الوضوء عند الغسل من الجنابة المصدر نفسه، ج١، ص١٢٦.

(٤٠) لسان العرب، ابن منظور، ج١١، ص ٣٥٧، (مادة: شكل)

(٤١) مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين والفقهاء، أسامة بن عبد الله الخياط، نشر: دار الفضيلة- الرياض، ط١، ٢٠٠١م-١٤٢١هـ.، ص٣٢.

(٤٢) اسباب اختلاف الحديث، اللنكرودي، ص ١٦.

(٤٣) المعجم الاصولي، محمد صنقور، ج١، ص٦٠٧.

(٤٤) الموجز في أصول الفقه، الشيخ جعفر السبحاني، ج٢، ص٤٠٧.

(٤٥) وسائل الشيعة الحر العاملي، ج١١، ص١٩، باب وجوب الحج مع الشرائط مرة واحدة في العمر، ح١.

(٤٦) المصدر نفسه، ص٢٠، ح٣.

(٤٧) الإستبصار، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠ ه) تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، نشر: دار الكتب الاسلامية- طهران، ١٣٩٠.، ج ٢، ص ١٤٩، باب ان فرض الحج مرة واحدة أم هو على التكرار، ح٣.

(٤٨) اهل الجدة: الغنى والثروة يقال وجد في المال وجدا وجدة، أي: استغنى.

(٤٩) الاستبصار، الطوسي، ج ٢، ص ١٤٨، ح١.

(٥٠) المصدر نفسه، ص١٤٨.

(٥١) علل الشرائع، الصدوق، ج ٢، ص ٤٠٥.

(٥٢) الاستبصار، ج٢، ص١٤٩.

(٥٣) وسائل الشيعة الحر العاملي، ج١١، ص١٨.

(٥٤) المصدر نفسه، ص١٤٦.

(٥٥) المصدر نفسه.

(٥٦) الاستبصار، ج٢، ص١٤٧.

(٥٧) الاستبصار، ج٢، ص١٤٧.

(٥٨) التفسير والتأويل في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، الناشر: دار النفائس – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م، ص٢٩

(٥٩) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي؛ ابراهيم السامرائي، الناشر: وزارة الثقافة والاعلام- بغداد، ط٥، ١٩٨٠م.ج ٨، ص٣٥٩، (مادة: آل)

(٦٠) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.، ج١٥، ص٤٤٢.

(٦١) لسان العرب، ابن منظور، ج١، ص٣٢، (مادة: آل)

(٦٢) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحق: جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١٩٨٣،١م، ص ٤٦.

(٦٣) المفردات، الراغب، ص ٩٩.

(٦٤) علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ص ٢٢٦.

(٦٥) التبيان، الطوسي، ج ٢، ص ٣٩٩.

(٦٦) الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان، الناشر: مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ ج١، ص ٨٠.

(٦٧) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج ٢، ص ١٥٠.

(٦٨) السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القران،الناشر: منشورات جماعة المدرسين- قم المقدسة، ط٢، ١٤٣١هـ ج ٣، ص ٤٥.

(٦٩) علوم القرآن، ص ٢٣١.

(٧٠) التمهيد، الشيخ هادي معرفة، ج ٣، ص ٣٠.

(٧١) مجمع البيان، الطبرسي ج١، ص١٧.

(٧٢) الإحكام في أصول الأحكام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: دار الآفاق الجديدة- بيروت.ج ١ ٤٢.

(٧٣) الحدود في الأصول، سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي الذهبي المالكي (ت ٤٧٤ هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٤٨.

(٧٤) المصدر نفسه، ص٤٢.

(٧٥) الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، طبعة: ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م.، ج ٢، ص ٣٤٦.

(٧٦) دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: دار المدني - جدة، ط٣، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م، ج ١، ص ٧٧.

(٧٧) التفسير في ثوبه القشيب، الشيخ محمد هادي معرفة، نشر: الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية –مشهد، ط٢، ١٤٢٥هـ.، ج١، ص ٢٠-٢١.

(٧٨) الميزان، محمد حسين الطباطبائي، ج٣، ص ٣١.

(٧٩) المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد حسين الصغير، الناشر: دار المؤرخ العربي- بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ص٢٣.

(٨٠) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، ج٣، ص٣٧.

(٨١) سورة التحريم، الآية:٤.

(٨٢) ظ: بحث ضمير التثنية في التعبير القرآني، خالد بن دومي، ص٩، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، ع:١، ٢٠١٢م

(٨٣) ظ: المصدر نفسه.

(٨٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج٢، ص٢٤١.

(٨٥) ظ: الفراء، معاني القرآن، ج١، ص٣٠٦-٣٠٧.

(٨٦) صحيح أبي داود، ص ٢٤٧٠ -٢٤٧١.

(٨٧) سورة البقرة، الآية:٦٧

(٨٨) الإستبصار، الطوسي، ج١، ص٥.

(٨٩) ينظر: مقدمة الاستبصار، الشيخ الطوسي، ج١، ص ٤.

(٩٠) المصدر نفسه.

(٩١) المصدر نفسه.

(٩٢) ينظر: الاستبصار، المقدمة، ص٣.

(٩٣) المصدر نفسه، ص٤.

(٩٤) المصدر نفسه، ص٤.

(٩٥) المصدر نفسه، ص٤.

(٩٦) الاستبصار، المقدمة، ص٤.

(٩٧) المصدر نفسه.

(٩٨) المصدر نفسه.

(٩٩) الإستبصار، الطوسي، ج١، ص٦.

(١٠٠) الإستبصار، الطوسي، ج١، ص٦.

(١٠١) الإستبصار، الطوسي، ج١، ص٧، كتاب الطهارة، ابواب المياه، الباب الاول، ح ٥و٦.

(١٠٢) الإستبصار، الطوسي، ج١، ص٨، كتاب الطهارة، ابواب المياه: الباب الاول.

(١٠٣) الإستبصار، الطوسي، ج١ ص١٥، كتاب الطهارة ابواب المياه المضافة، ح٢.

(١٠٤) وهي كلمة زجر ونفر مثل: (صه ومه) الا انها بالضم.

(١٠٥) الشن: الجلد البالي. والشنة القربة الخلق الصغير الجمع شنان.

(١٠٦) الإستبصار، الطوسي، ج١ ص١٦، كتاب الطهارة ابواب المياه المضافة.

(١٠٧) سورة الصافات، الآية:١٤٥.

(١٠٨) الإستبصار، الطوسي، ج١ ص٤٣، كتاب الطهارة ابواب المياه المضافة.

(١٠٩) ظ: لسان العرب، ابن منظور، ج ١٥، ص ١٩.

(١١٠) سورة الحج، ٢٢، الآية:٤٥.

(١١١) ظ: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،الفيومي، أبو العباس،ج١،ص٦٨.

(١١٢) الإستبصار، الطوسي، ج١ ص١١٣، كتاب الطهارة ابواب المياه المضافة.

(١١٣) سورة طه، الآية:٧١.

(١١٤) الإستبصار، الطوسي، ج١ ص٢١٢، كتاب الطهارة ابواب المياه المضافة.

(١١٥) الإستبصار، الطوسي، ج١ ص٨٧، كتاب الطهارة ابواب المياه المضافة.